



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

ماخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة ماجستير الآداب في
الدراسات اللغوية

إعداد الطالب

منصور بن عبد العزيز الغيفيلي

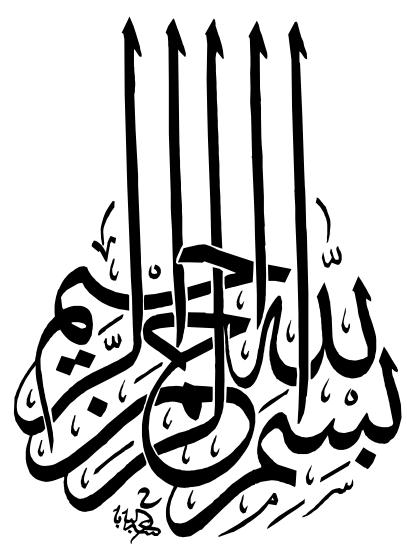
الرقم الجامعي:

٢٩١٩٠٠٧٥

إشراف

الدكتور علي بن إبراهيم السعود

أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها



مأخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها التنظيرية والتطبيقية

إعداد

منصور بن عبدالعزيز الغفياري

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

الآداب في الدراسات اللغوية

أعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	الشخص	التوقيع
المشرف الرئيس	د. بشير بن عبد العز	أستاذ مساعد	محمد حمزة	
المشرف المساعد				
المناقش الخارجي	د. ملالي هشام	أستاذ	محمد حمزة	
المناقش الداخلي	د. فوزي لميده بكر	أستاذ	محمد حمزة	
المناقش الداخلي				

تمت المناقشة بتاريخ: ٢٠١٢ / ٢ / ١٤٣٣ هـ الموافق: ٢٠١٢. م.

ما أخذ المحدثين على النحو العربي وآثارها النظرية والتطبيقية

إعداد: منصور بن عبدالعزيز الغفيلي

ملخص الرسالة

ظلّت النظرية النحوية العربية القديمة - بفضل قوتها وتماسكها وقدرتها على وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها - صامدة ما يقارب أربعة عشر قرنا، ولم يكتب لأية محاولة للخروج عنها أو نقدتها حظ من القبول أو الشيوع.

وفي العصر الحديث - ومع تذمر كثير من المتعلمين والمشتغلين بهذا العلم - ظهرت أصوات كثيرة ناقدة للنظرية النحوية القديمة، تناولت جوانب معينة منها، دعا بعضها إلى نبذ هذه النظرية واطراحها، ووضع نظرية بديلة عنها، ولعل من أبرزها وأشهرها دعوة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى - في كتابه (إحياء النحو) - التي أسهمت بشكل كبير في خلق هذا التيار الناطق للنحو العربي القديم، الذي أخذ فيما بعد يتزايد ويتناهى بعد أن اطلع كثير من الباحثين العرب المحدثين من المشتغلين بالنحو وعلوم اللغة على بعض النظريات اللغوية الحديثة الناشئة في الغرب؛ حيث حاول هؤلاء الباحثون نقد النظرية النحوية القديمة بعرضها على هذه النظريات الغربية الحديثة، على نحو ما نجده عند عدد منهم من نحو : الدكتور/ إبراهيم أنيس، و الدكتور/ عبد الرحمن أيوب، والدكتور/ تمام حسان وغيرهم من الباحثين.

وقد تبع ذلك النقد بعض المحاولات النظرية التي كانت - في نظر الباحث - نتيجة طبيعية لتلك السلسلة من الدراسات النقدية للنظرية النحوية القديمة، كان المدف منها سد التغرات، أو معالجة أوجه النقص والقصور التي يرونها فيها، أو اطراحها ونبذها، ووضع نظرية بديلة لها، كما فعل الدكتور/ تمام حسان حين دعا في عدد من مؤلفاته إلى اطراح نظرية العامل النحوي، والإعرابين التقديرية والمحلي مقترباً نظرية: (تضافر القرائن) بديلاً عنها، بل إن بعض الباحثين العرب المحدثين تجاوز التنوير إلى مستوى التطبيق، كما هو الحال عند الدكتور/ مهدي المخزومي في كتابه: (في النحو العربي قواعد وتطبيق)، الذي جاء تطبيقاً لآرائه - ولآراء أستاذه/ إبراهيم مصطفى من قبله - التي تضمنها كتابه: (في النحو العربي نقد وتجهيز).

وهذا البحث يحاول الباحث في بابه الأول رصد تلك المآخذ على النظرية النحوية القديمة، وتبعها في مؤلفات الباحثين العرب المحدثين وبحوثهم، على اختلاف مشاربهم و

توجهاتهم، وبياتها، ثم تصنيف هذه المآخذ بحسب القضايا لا بحسب المؤلفين؛ لأن القضية الواحدة قد تكرر عند باحثين متعددين؛ ليتم السيطرة عليها، وتحليلها، وكشف جوانب الضعف والقوة فيها، وفي الباب الثاني من هذا البحث: يحاول الباحث أن يبين كيف كانت تلك الآراء حافزا للباحثين العرب المحدثين على اختلاف توجهاتهم ومشارهم على وضع نظريات أو تصورات بديلة لتفسير الظواهر اللغوية في اللغة العربية، منها ما يقوم على أسس تراثية خالصة أي نقد التراث النحوي بالتراث النحوي، ومنها ما يقوم على أسس من مناهج لغوية غربية حديثة أخذت عن الغرب، كالمنهج الوصفي، والمنهج التوليدي التحويلي، وغيرها، ومنها ما يجمع بينهما، تعالج ما يرون من أوجه النقص والقصور فيها، وما يتصل بذلك من محاولات التطبيق بتطويع تلك النظريات التي اقترحوها؛ لتكون صالحة - كما يرون - لوصف اللغة العربية وتفسير ظواهرها.

! " # \$

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:
فقد ظفر النحو العربي بعناية فائقة، ومجهود عقلي عميق، فمنذ القرن الثاني الهجري الذي
تأسست فيه الدراسات النحوية حتى عصرنا الحاضر وجهود العلماء والباحثين تتوالى فيه، حتى
استوى نظرية متكاملة.

وقد ظلت النظرية النحوية القديمة التي تضمنتها مؤلفات النحاة المتقدمين صامدة ما
يقارب أربعة عشر قرناً؛ ولم يكتب لأية محاولة للخروج عنها، أو نقداً لها حظٌ من القبول، نظراً
لقوة هذه النظرية، وتماسكها، وقابليتها للتطبيق.

وفي العصر الحديث -ومع تذمر كثير من المتعلمين والمشتغلين بهذا العلم- بدأت تظهر
أصوات ناقدة للنظرية النحوية القديمة، وبرزت دراسات نقدية كثيرة كان محورها -أيضاً- النظرية
النحوية القديمة، ولعل أشهر تلك المحاولات وأجرأها في ذلك الوقت، هي دعوة الأستاذ/
إبراهيم مصطفى إلى نبذ هذه النظرية واطرافها، ووضع نظرية بديلة تقوم على استبعاد عmad
هذه النظرية، وهو: "العامل". فعلمات الإعراب -كما يرى- ليست أثراً لعامل من العوامل،
بل هي دوال على معانٍ في تأليف الجمل وربط الكلام؛ حيث الضمة علم الإسناد، والكسرة
علم بالإضافة، أما الفتحة فليست بعلامة إعراب، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب.
وعلى هذا الأساس من تحديد المعانى الوظيفية لحركات الإعراب، حاول أن يعيد النظر في كثير
من أبواب النحو وأحكامه.^(١)

وهذه المحاولة -وإن انطلقت من منطلقات تراثية خالصة، ومع ما قيل عنها من أنها إحياء
محاولة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) في نقد النظرية النحوية القديمة- أسهمت إسهاماً كبيراً
في خلق تيار نقدي للنظرية النحوية القديمة، أخذ يتزايد بعد أن اطلع كثير من المشتغلين بالنحو
وعلوم اللغة على بعض النظريات اللغوية الحديثة الناشئة في الغرب، ومن ثم حاول هؤلاء
الباحثون من خلال هذه المناهج والنظريات، نقد النظرية النحوية القديمة، أو عرضها على هذه

(١) إحياء النحو، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة (٢)، ١٩٩٢ م.

النظريات؛ وهذا ما نلمسه في مؤلفات: تمام حسان، وإبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أبوب، وإبراهيم السامرائي، وعفيف دمشقية، وأحمد الجواري وغيرهم. وقد حاول الدكتور / مهدي المخزومي؛ وهو تلميذ للأستاذ/ إبراهيم مصطفى أن يضبط آراء أستاذه، وأن يجعلها صالحة للتطبيق، فجاءت دراساته امتداداً واستكمالاً لآراء أستاذه.

وقد تبع ذلك بعض المحاولات التنظيرية، التي كانت نتيجة طبيعية لتلك السلسلة من الدراسات النقدية للنحوية القديمة، حاول من فيها بعض الباحثين المحدثين سد الثغرات التي يرونها في النظريات النحوية القديمة، أو طرحها ووضع نظرية بديلة لها، كما هو الحال لدى، الدكتور / تمام حسان؛ حين دعا إلى اطراح نظرية "العامل" والإعرابيين التقديرية والخلقي مقترحاً نظرية "تضافر القرآن" بدلاً منها. كما أن عدداً من الباحثين تجاوز التنظير إلى التطبيق، مثل الدكتور / مهدي المخزومي، في كتابه "في النحو العربي، قواعد وتطبيق"، فقد جاء هذا الكتاب تطبيقاً لآرائه التي تضمنها كتابه "في النحو العربي، نقد وتوجيه"، ولآراء أستاذه من قبله.

- أهمية هذا الموضوع:

تبرز أهمية هذا الموضوع في أنه محاولة لرصد تلك المأخذ على النظريات النحوية القديمة، وتبعها في مؤلفات هؤلاء الباحثين، على اختلاف منطلقاتهم وتوجهاتهم، ثم تصنيفها حتى يمكن السيطرة عليها، بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الدراسة لا تقف عند حد الجمع والتصنيف؛ بل تقف من هذه الآراء موقعاً موضوعياً يحاول أن يكشف جوانب الضعف والقوة فيها، كما تبيّن كيف كانت هذه الآراء حافزاً للباحثين المحدثين على وضع نظريات، أو تصورات بديلة تعالج ما يرونها من أوجه النقص والقصور فيها، وما يتصل بذلك من محاولات التطبيق عليها.

- مشكلة البحث وأهدافه:

ظهرت دراسات نقدية كثيرة كانت النظريات النحوية القديمة محوراً لها، أخذت تتزايد بعد أن اطلع كثير من المشتغلين بالنحو، وعلوم اللغة على بعض النظريات الحديثة الناشئة في الغرب، حاول من خلالها بعض الباحثين نقد النظريات النحوية القديمة، أو عرضها على هذه النظريات. وقد تبع ذلك بعض المحاولات التنظيرية التي كانت نتيجة طبيعية لتلك السلسلة من الدراسات النقدية حاول من خلالها بعض الباحثين -على اختلاف توجهاتهم ومناهجهم- سد الثغرات

في النظرية النحوية القديمة، أو بتجاوزها ووضع نظرية بديلة لها. بل إن بعضهم يتجاوز ذلك إلى مجال التطبيق وذلك بتصنيف مؤلفات تطبيقية على اللغة العربية تنطلق من تصوراتهم النظرية التي اقترحوها. ومن هنا فإن هذه الدراسة تهدف إلى:

- النظر الموضوعي الفاحص في هذه الدراسات، وجمع ما يتعلق بنقد النظرية النحوية القديمة، وتصنيفها بحسب القضايا التي عوكلت في تلك الدراسات، لا بحسب المؤلفين ؛ لأن القضية الواحدة قد تتكرر عند باحثين متعددين.

- معرفة الاتجاهات التي سلكها الباحثون في وضع نظرياتهم البديلة، أو في معالجة النظرية النحوية القديمة، حيث إن منها ما يقوم على أسس تراثية خالصة، أي نقد التراث النحوي بالتراث النحوي، ومنها ما يقوم على أسس من نظريات لغوية حديثة أخذت عن الغرب، ومنها ما يجمع بينهما.

- الوقوف على أثر هذه الدراسات النقدية ، ومدى تأثيرها في الدراسات النحوية العربية الحديثة، حيث إن هذه الدراسات أسهمت إسهاماً واضحاً في تطور الدراسات النحوية الحديثة وأثرها، بل إنها أثرت كثيراً من جوانب الفكر اللغوي الحديث في العالم العربي.

- استنباط الأسباب التي أدت إلى فشل محاولات التيسير أو التعديل لجوانب من النظرية النحوية القديمة، وقلة احتفال كثير من المشغلين بال نحو العربي دراسة وتدرисاً بما جاء به المحدثون من نظريات بديلة، وعزوفهم عن وضعها موضع التطبيق.

- معرفة موقف المعاصرين ل أصحاب هذه النظريات والآراء الجديدة، وكيفية تلقيهم لها.

- الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة أفردت لهذا الموضوع بشقيه (الماخذ، والآثار)، وإنما تناولت بعض الدراسات جوانب من هذا الموضوع، ومنها:

دراسة للدكتور/عبد الوارث مبروك سعيد، بعنوان: "في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية"، وهي ترصد - كما يكشف عنوانها - محاولات الإصلاح التي مر بها النحو العربي، حيث تقدم مسحًا موجزًا لتلك المحاولات في العصر الحديث.

وهذه الدراسة على أهميتها، فإنها لم تكن شاملة؛ إذ إنها اقتصرت مكانيًا على تلك المحاولات التي تمت في مصر فقط، كما أنها اقتصرت على محاولات الإصلاح فقط، ولم تُعن

بآثار هذه الدراسات النقدية نظراً وتطبيقاً، بالإضافة إلى ذلك فإنها عالجت هذا الموضوع من خلال الباحثين، لا من خلال القضايا، فووقيت في التكرار، لأن القضية الواحدة كان يتناولها باحثون كثيرون على اختلاف منازعهم.

وأما الدراسة الثانية، فهي دراسة الدكتور/صابر أبو السعود، وهي بعنوان "في نقد النحو العربي" وقد تناول صاحبها في الباب الأول نقد القدماء والمحدثين للنحو العربي، بشكل مختصر أغفل فيه كثيراً من محاولات المحدثين، بل إنه أغفل المحاولة الرائدة للأستاذ: إبراهيم مصطفى، بالإضافة إلى أنه أيضاً اقتصر على المحاولات التي تمت في مصر. وأما الباب الثاني فقد تناول فيه بعض القضايا التي انتقد فيها النحو العربي، واقتصر على ثلات منها: الأولى: مسألة القراءات القرآنية، الثانية: الاستشهاد بالحديث الشريف، والثالثة: منهج النحوة في التعقيد، ودوره في تشتيت القاعدة النحوية.

وهذه الدراسة بالإضافة إلى عدم شمولها، فإن الباحث يلح إليها من منطلق الدفاع عن النحو العربي، ونظرة الريبة تجاه محاولات النقد، فيقول: "وجد النحو العربي كثيراً من المناوئين له داخل العالم العربي، اللهم إلا من محاولات متفرقة للدارسين المتخصصين تحاول في ظاهرها تنقية النحو وإحياءه، وفي باطنها ومضمونها ثورة على النحو العربي الذي نال من دارسيه كثيراً من الحيف، ولم ينل الإنصاف الذي يستحق" ويؤكد في موضع آخر أن النحو العربي "يجد كثيراً من المنكرين له داخل العالم العربي" ص. ٣.

ومنها ما قام به الدكتور/حلمي خليل في كتابه "العربية وعلم اللغة البنوي" وفيها حاول أن يتبع بداية اتصال الفكر اللغوي العربي بالتفكير اللغوي البنوي. وقد بدأ هذه الدراسة باستعراض لحركات التيسير والإصلاح للنحو العربي قبل الاتصال بالتفكير اللغوي العربي الحديث، ثم قام بدراسة الفكر اللغوي العربي الحديث بعد اتصاله بالتفكير البنوي الوصفي، ووصل في هذه الدراسة إلى أن دعوة البنوية قاموا بأول دراسة للتفكير اللغوي العربي التقليدي تقوم على أصول نظرية وعلمية مضبوطة، بعكس دعوات التيسير والإصلاح التي ليس لها أصول لغوية أو نظرية تختلف عن الأصول التقليدية. وقد اكتفت هذه الدراسة بعرض سريع لدعوات الإصلاح، كما أنها لم تعرض - كما بين عنوانها - إلا الآثار التي انطلقت من البنوية الوصفيية.

ومن هذه الدراسات أيضا دراسة الدكتور/ عبد الرحيم في كتابه "النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج"، حيث استعرض فيها المؤلف بإيجاز أبرز مآخذ الوصفيين العرب على النحو العربي القديم. مشيرا إلى أن كثيرا من هذه المآخذ عادت لتكون أساسا ضرورية في البحث النحووي الحديث وبخاصة عند التحويليين.

ومنها أيضا دراسة الدكتور/ عبد العزيز أبو عبد الله في كتابه "المعنى والإعراب عند النحوين ونظرية العامل"، حيث أشار فيها إلى بعض مآخذ المحدثين على النحو العربي القديم، ومحاولات التيسير والإصلاح التي تعرض لها، ثم ناقشها وبين الثغرات فيها.

ومنها أيضا ماقام به الباحث/ أحمد بن جار الله الزهراني في كتابه "اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين دراسة وتقديم"⁽¹⁾ حاول من خلالها الباحث أن يسلط الضوء على الأفكار الرئيسية لمحاولات التجديد في النحو العربي. وقد صنف فيها الباحث تلك المحاولات إلى ثلاثة اتجاهات افرد لكل اتجاه منها فصلا مستقلا. الاتجاه الأول هو : الاتجاه الإحيائي ، والثاني : الاتجاه الألسني والرافض لمعطيات النحو العربي ، والثالث: الاتجاه التعليمي. وهذه الدراسة على أهميتها، وجهد الباحث الكبير فيها، إلا أنها أغفلت جوانب كثيرة منه. ومن هنا فإن تلك الدراسات، وإن مرت جوانب من الموضوع إلا أنها تختلف عن هذه الدراسة هدفاً ومنهجاً.

- تساؤلات البحث:

تحاول هذه الدراسة من خلال جمع المآخذ التي وجهت للنظرية النحوية القديمة والآثار التي نتجت عنها، الإجابة عن عدة تساؤلات منها:

- ما الأسس التي قامت عليها هذه المآخذ على النظريّة النحوية القديمة؟ وما منطلقات الناقدين لها؟

- ما نوع المآخذ التي وجهت للنظرية النحوية القديمة؟ وهل كان فيها ما يمكن أن يقوض الأسس التي قامت عليها، أم أن الأمر لا يعلو أن يكون ملاحظات جزئية دون مساس بالأصول؟

- هل أسهمت تلك الدراسات النقدية في دفع الدراسات العربية الحديثة وتوجيهها؟

(1) في الأصل رسالة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، في مكة المكرمة.

وإلى أي وجهة؟

- ما أثر المناهج والنظريات التي تبناها المحدثون في توجيه الدراسات النقدية للنظرية النحوية القديمة؟

- ما أسباب فشل كثير من النظريات البديلة ومحاولات التيسير التي قدمها بعض المحدثين؟

- كيف تلقى المعاصرون لأصحاب هذه الآراء والنظريات آراءهم ونظرياتهم من حيث القبول والرفض، وما منطلقاتهم في ذلك؟

- هل اقتصرت هذه المآخذ على باحثين من بلد عربي واحد؟ أم أن الوعي بها كان عاماً شاملاً، في بلاد عربية متعددة؟

- منهج البحث وأساليبه:

تعتمد هذه الدراسة على استقراء وتتبع ما أخذ المحدثين على النظريات النحوية القديمة في مؤلفاتهم، وتصنيفها، ثم تمحيصها، وتحليلها. ثم دراسة الآثار التي نتجت عنها نظرياً وتطبيقياً.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون هذه الرسالة مما يلي:

- مقدمة.

- تمهيد: وقد تناولت فيه مفهوم: (النحو) بين القدماء والمحدثين.

- الباب الأول: المآخذ، وجعلتها في فصلين:

الفصل الأول: المآخذ على الاستشهاد بالمادة اللغوية، ويكون من ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: المآخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم والقراءات القرآنية.

المبحث الثاني: المآخذ على موقف النحاة من الحديث الشريف.

المبحث الثالث: المآخذ على موقف النحاة من كلام العرب شعره ونثره.

- **الفصل الثاني:** المآخذ على المنهج، ويكون من أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: تحكيم النظر المنطقي والفكر الفلسفي.

المبحث الثاني: المآخذ على التعقيد.

المبحث الثالث: المآخذ على التصنيف.

المبحث الرابع: المآخذ على المصطلح النحوي.

- **الباب الثاني: الآثار، وجعلتها في فصلين:**
- **الفصل الأول: الآثار التنظيرية،** ويكون من ثلاثة مباحث، وهي:
 - المبحث الأول:** محاولات انطلقت من منطلقات تراثية خالصة.
 - المبحث الثاني:** محاولات انطلقت من الفكر اللغوي الغربي الحديث متتجاوزة النظرية النحوية القديمة.
 - المبحث الثالث:** محاولات جمعت بين التراث والفكر اللغوي الحديث.
- **الفصل الثاني: الآثار التطبيقية،** ويكون من مبحثين، وهما:
 - المبحث الأول:** محاولات تطبيقية لأغراض تعليمية.
 - المبحث الثاني:** محاولات تطبيقية لأغراض بحثية.
- **خاتمة:** وقد اشتملت على أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج، وما يمكن تقادمه من مقتراحات.

وقد صادفني في هذا البحث الكثير من المعوقات والصعوبات، متمثلة في تشعب قضايا البحث وتنوعها، وصعوبة الإحاطة بها، واستغلاق بعض جزئاته، وأفكاره، كما وجدت بعض المشقة في الوصول إلى بعض المصادر فيه؛ ولكنها ذللت بعون الله ثم بتوجيهات سعادة المشرف على البحث وآرائه.

ولا يفوتي في الختام أنأشكر كل من قدم لي عونا، أو أسدى لي نصحا، أو بث في نفسي عزيمة وتشجيعا، أو أسهם بأي شكل من الأشكال في إنجاز هذا العمل، وأخص في ذلك المشرف على هذه الرسالة أستاذي الدكتور / علي بن إبراهيم السعود، فإليه أتوجه بالشكر والعرفان على إشرافه على هذا البحث، ومتابعته له منذ أن كان فكرة إلى أن خرج على هذه الصورة.

وأقدم شكري، وتقديري، وعرفاني بالجميل لوالدي - حفظها الله - حيث الشفقة، والحنان والعناء، و الاهتمام، والدعاء.

كما أشكر زوجتي الغالية وأبنائي لصبرهم على مفارقتي لهم، وتقصيري في حقهم طوال فترة إعداد هذا البحث، وبذل كل ما في وسعهم لتهيئة الجو المناسب الذي مكني من إنجاز هذا العمل.

كما لا يفوتي أن أعبر عن خالص شكري وامتناني للأستاذ العزيز / فهد بن محمد العайд على مقدمه من دعم ومساعدة في إخراج هذا البحث.
وأخيراً: فإن حققت هذه الرسالة ما أطمح إليه وأرجوه، فذاك من فضل الله وتوفيقه، وإن بدا خطأً أو تقصير فذاك من طبع البشر، وبالله التوفيق.

الباحث

منصور بن عبد العزيز الغفيلي

التمهيد

مفهوم النحو بين القدماء والمحدثين

مفهوم النحو عند المقدمين	المبحث الأول
مفهوم النحو عند المحدثين	المبحث الثاني

المبحث الأول

مفهوم النحو عند المتقدمين

يبدو أن نشأة النحو العربي كانت في مرحلة مبكرة، إذ تشير أكثر المصادر القديمة إلى أنّ أباً الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) هو أول من أسس "علم النحو"^(١). على أنّ تلك المصادر، وتلك الروايات التي رويت عن نشأة النحو العربي لم تذكر لنا أنّ أباً الأسود الدؤلي، أو أنّ أحداً من تلامذته، قد استعملوا مصطلح "النحو"؛ إذ لا نجد هذه التسمية إلا لدى علماء الطبقة الثانية من البصريين كابن أبي إسحاق (ت ١٧هـ)، وعيسيى بن عمر الثقفي (ت ٤٩هـ)^(٢). ثم شاعت هذه التسمية بعد ذلك، وغابت على التسميات الأخرى، كـ"العربية" وـ"علم الإعراب". وترددت على ألسنة النحاة واللغويين، وفي أسماء الكتب النحوية كـ(الأصول في النحو) لابن السراج (ت ٣٦هـ)، وـ(الإيضاح في علل النحو) للزجاجي

(١) يقول ابن سلام: "وكان أول من أسس العربية، وفتح بهاها، وأنجز سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي". ينظر: ابن سلام، أبو عبدالله محمد، طبقات فحول الشعراء، مطبعة المدیني، القاهرة، بدون تاريخ، ١٢١. وينظر: ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، ت: ثروت عكاشة، دار المعرف، القاهرة، الطبعة (٤)، بدون تاريخ، ص ٣٤. والزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن، الإيضاح في علل النحو، ت: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة (٢)، ١٣٩٩هـ، ص ٨٩. وعون، حسن، تطور الدرس التحوي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧٠، ص ٢٢-٢٣. وأبو المكارم، علي، المدخل لدراسة النحو العربي، دار الوفاء للطباعة، الطبعة (١)، ١٩٨٠، ص ٧٩. والعيدي، شعبان، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٩م، ص ٣٨٣، والدجني، فتحي، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٤م، ص ١٦٢-١٨٤، والغامدي، محمد سعيد، قضية نشأة النحو في آثار الدارسين عرض ونقد، مجلة الدراسات العربية لكلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد (٢٢)، يونيو ٢٠١٠م، والحمد، غانم قدوري، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٥م، ص ١٣-٥٠.

(٢) ينظر: الطنطاوي، محمد، نشأة النحو العربي وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١)، ١٤١٥هـ، ص ١٩. وينظر أيضاً: حجازي، محمود فهمي، أسس علم العربية، دار الثقافة للطباعة، والنشر، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٥٩.

(ت ٣٣٧ هـ)، وغيرها.^(١)

وقد كانت الدراسات النحوية في بداياتها جزءاً من دراسة اللغة، حيث كان علماء الطبقة الأولى يمزجون بين دراسة اللغة، والنحو، فكانت لهم جهودهم في ميدان جمع اللغة، وتحقيق نصوصها، ودراستها لاستخلاص القواعد منها، كما كانت لهم جهودهم في مجال وضع أساس النحو، وقواعد على أساس ما توصلوا إليه في الميدان اللغوي.^(٢)

ويعد كتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ) أول مؤلف في النحو يصل إلينا^(٣) كما أنه يمثل تحولاً كبيراً في مسائل هذا العلم؛ وتجربة عظيمة في مجال التفكير النحوي؛ إذ بلغ فيه النحو درجة كبيرة من النضج والكمال، وقد جمع فيه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء، كالخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ)، وأبي الخطاب الأخفش (ت ١٧٧ هـ)، وعيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ويونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) وغيرهم. بالإضافة إلى آرائه الخاصة به، وما استخلصه من قواعد في هذا العلم. ومن هنا يمكن أن يكون (الكتاب) بما تضمنه من مباحث وآراء؛ مثلاً لمفهوم النحو في نظر صاحبه ونظر أهل عصره من النحاة.^(٤)

ويشتمل (الكتاب) على مباحث متنوعة تركزت حول النحو بمفهومه الضيق، (يعنى علم التراكيب اللغوية "morphology" ، والصرف، (علم الأبنية "syntax") ، والصوتيات، (أى

(١) ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص ٢٣. وينظر أيضاً: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٢٣، و Zahed، Zuhier Ghazi، في التفكير النحوي عند العرب، عالم الكتب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١) ١٩٨٦، ص ٤٤.

(٢) ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص ٢٣. وينظر أيضاً: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٢٧، و عالمة، طلال، تطور الدرس النحوي في مدرستي الكوفة والبصرة، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة (١) ١٩٩٣، ص ٦٠، ٧٨، ٧٩، و حجازي، محمود، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٦٠.

(٣) ينظر: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٣١، وينظر أيضاً: حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص ٦١، ٦٠. و سعيد، عبد الوارث مبروك، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، الكويت، دار القلم، الطبعة (١) ١٩٨٥، ص ١.

(٤) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١. وينظر أيضاً: الملحق، حسن خميس، التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء - التحليل - التفسير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ص ٢٠٠٢.

ما يتعلّق بأصوات اللغة العربية؛ بمعنى أنه مزيج من النحو بمعناه الخاص، ومجموعة من الدراسات اللغوية المتنوعة. فالنصف الثاني من الكتاب يكاد يكون وقفاً على الأبحاث الصرفية، والصوتية الخالصة التي لا تمت للعلاقات الإعرابية بصلة، فقد عالج فيه سيبويه أبحاث الصرف

خاصة بإفاضة، وعمق، وأصالة؛ ما يدل على أنه لم يكن يعتبرها أبحاثاً هامشية في كتابه.^(١)

ويرى الدكتور / شوقي ضيف أن سيبويه قد قسم كتابه، وأحكمه إحكاماً دقيقاً، وأنه جعله في قسمين كبيرين. أما القسم الأول: فقد خصصه للنحو ومباحثه، وأما القسم الثاني: فقد خصصه للصرف ومباحثه؛ واصلاً إليها عن طريق مادة صوتية واسعة.^(٢) بل إن سيبويه نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنباء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب ونحو ذلك. بل هو بين في كل باب ما يليق به؛ بحيث إنما احتوى على علم المعاني، والبيان، ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني.^(٣)

و"الكتاب" على هذا يحوي النحو بمفهومه الشامل grammar، أو ما يمكن تسميته بـ"علم قواعد اللغة" لا بمفهومه الضيق syntax أو "علم التراكيب". وهذا المفهوم الشامل لدى سيبويه غير مستغرب، فبالإضافة إلى العلاقة الشديدة بين هذه المستويات اللغوية، فإنّ هذا المفهوم الشامل يتوافق مع تلك المرحلة المبكرة في التأليف والبحث اللغوي والغاية الأساسية التي كانت هي الدافع الرئيس لوضع "علم النحو"، وهو حفظ لغة القرآن الكريم.^(٤)

وقد كان لهذا التصور للنحو، من قبل سيبويه أثره الكبير في تحديد معالم النحو وآفاقه فيما لحقه من دراسات، وبخاصة إذا أدركنا أن هذا الكتاب وجد قبولاً شديداً، وتأثيراً قوياً على

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص. ٢.

(٢) ضيف، شوقي، المدارس التحوية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة (٧)، بدون تاريخ، ص. ٦٠. وينظر أيضاً: حسن عون، تطور الدرس التحوي، ص ٣٤، و عبد الوارث سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٥. في المा�مث . ١٣

(٣) ينظر: المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتجييه، بيروت، دار الرائد العربي، الطبعة (٢) ١٤٠٦/١٩٨٦م، ص ٢٥.

(٤) ينظر: عبد الوارث سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٢.

النحوة بعد سيبويه،^(١) فقد ظلت الدراسات النحوية في كثير من جوانبها تدور في فلكه، وتركزت الإمكhanات العقلية؛ لخدمة هذا الكتاب، شرحاً، وتعليقاً، ومناقشة لقضاياها؛ ما كان له أبلغ التأثير في استمرار ذلك المفهوم الشامل للنحو في الدراسات النحوية التي أعقبته، وهو مانراه في مؤلفات الخالفين له نحو: كتاب (المقتضب) لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، و (الأصول في النحو) لابن السراج (ت ٣١٦هـ)، و (الجمل) للزجاجي (ت ٣٤٠هـ)، و (المفصل) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وغيرها؛ حيث دراسة الجملة، والكلمة، والأصوات جنباً إلى جنب.^(٢) بل إن تأثير سيبويه امتد إلى أبعد من ذلك، إذ إننا نجد ألفية ابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، وما أقيم عليها من شروح كثيرة تلتزم بهذا المفهوم إلى حد كبير؛ بما تضمنته من مباحث متنوعة نحوية، وصرفية، وصوتية.^(٣)

وعلى الرغم من أنّ كتب المصادر تشير إلى أنّ هناك مؤلفات كثيرة استقلت في علم التصريف بعد سيبويه،^(٤) أول ما وصلنا منها كتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني (ت ٢٤٩هـ)؛ حيث أفرد فيه البحث في موضوعات الصرف؛ متوسعاً في الأمثلة التي ذكرها سيبويه في كتابه، ومنفرداً ببعض الآراء الخاصة، وجمع فيه أكثر موضوعات التصريف^(٥)، إلا أنّ هذا العمل لا يدل على استقلال الصرف عن علم النحو، بل إنّ هذا يعده من قبيل البحث في أجزاء العلم، كما قال ابن حني (ت ٣٩٢هـ): "...إنك لا تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في

(١) ينظر: عبد الكريم، بكار، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، الطبعة (١)، دار القلم، دمشق، ص ٤٩.

(٢) ينظر: عبد الوارث سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢.

(٤) أورد الدكتور حسن هنداوي ببعضها منها، وهي:

- التصريف، لعلي بن حسن الأحمر (ت ١٩٤هـ).
- التصريف، لأبي زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ).
- التصريف، لأبي الحسن الأخفش الأوسط (ت ٢١٠هـ).
- الأبنية والتصريف، لأبي علي الحرمي (ت ٢٢٥هـ).

ينظر، هنداوي، حسن، مناج الصحفين ومذاهبيهم في القرنين الثالث والرابع من المحرقة، دار القلم، دمشق، الطبعة (١)، ١٩٨٩.

(٥) ينظر: الحديشي، خديجة، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، دار النهضة، بغداد، الطبعة (١)، ١٩٦٥م، ص ٣٢.

آخره...^(١)؛ وهو ما تشهد به المصنفات النحوية بعد سيبويه. إذ يتضح ذلك من خلال مؤلفاتهم التي تعكس هذا الالتزام، أو من خلال تعريفاتهم المباشرة له؛ حيث يظل هذا المفهوم الشامل للنحو^(٢).

غير أنه من الحق أن أوضح أن تعريفات النحويين - في حقيقتها - تختلف باختلاف نظرتهم إلى موضوع هذا العلم، كما أنها من جهة أخرى تخلو شيئاً من تصوراتهم الذهنية، واهتماماتهم، وتحدد مجالاً لرؤيتهم النظرية. وحين نتبع تلك التعريفات؛ فإننا نستطيع أن نقف على أربعة اتجاهات في تحديد وظيفة النحو ومفهومه، وموضوع بحثه في التراث النحوي العربي، وهي:

- الاتجاه الأول: وأصحاب هذا الاتجاه يقررون في تعريفاتهم التي قدموها اتساع مفهوم النحو وامتداد وظيفته؛ بحيث تتناول مستويات النشاط اللغوي كلها دون الاقتصار على مستوى بعينه فيها.

فقد ذكر خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ) في مقدمته - إن صحت نسبتها إليه - الطرق التي نجاهها في كتابه، والغايات التي قصدها منه حيث يقول: "فعملت هذه الأوراق، ولم أدع فيها أصلاً، ولا أدلة، ولا حجة، إلا أميليتها فيها؛ فمن قرأها وحفظها، وناظر عليها علم أصول النحو كله؛ مما يصلح لسانه في كتاب يكتبه، أو شعر ينشده، أو خطبة، أو رسالة إن ألفها.^(٣)

فموضوع علم النحو، عند خلف الأحمر، من خلال هذه المقدمة، أشمل بكثير من البحث في الكلمة، أو في الإعراب؛ إذ هو كل ما يفيد المتكلم، أو الشاعر، أو الخطيب، وهذا يشمل كل ما للعربية من أساليب الكلام وفنونه.

ويمكن أن نلحظ هذا المفهوم - أيضاً - من خلال تعريف ابن السراج (ت ٣١٦هـ)،

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة المحتلي، القاهرة، ١٩٥٤م، ٤/١.

(٢) ينظر: عبد الوارث سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٣، وينظر أيضاً: نورالدين، عصام، المصطلح الصوري مميزات التذكير والتأنيث، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة (١)، ١٩٨٨م، ص ٧-٩.

(٣) الأحمر، خلف، مقدمة في النحو، ت: عز الدين التنوخي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦١م، ص ٣٤.

حيث يرى في كتابه: **(الأصول في النحو) أَنَّ النَّحْوَ**: "إِنَّمَا أَرِيدُ بِهِ أَنْ يَنْحُوَ الْمُتَكَلِّمُ؛ إِذَا تَعْلَمَهُ كَلَامُ الْعَرَبِ، وَهُوَ عِلْمٌ اسْتَخْرَجَهُ الْمُتَقْدِمُونَ فِيهِ مِنْ اسْتِقْرَاءِ كَلَامِ الْعَرَبِ؛ حَتَّىٰ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَىِ الْغَرْضِ الَّذِي قَصَدَهُ الْمُبْتَدِئُونَ بِهَذِهِ الْلُّغَةِ".^(١)

وعبارة ابن السراج - وإن كانت مطلقة - غير أنه من الواضح منها أن (كلام العرب) في نظره لا يقف عند حدود الجملة، أو الإعراب، ولا يقف عند ضوابطهما، وإنما يشمل بالضرورة مستويات النشاط اللغوي كلّها، فكأنّ ابن السراج يقرر في تعريفه أنّ موضوع علم النحو هو: (قواعد اللغة) بأسرها.

ونجد هذا المفهوم نفسه في تعريف ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ) للنحو؛ حيث يقول: "إن النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصولة إلى معرفة أحكام أجزاءه التي اختلف منها"^(٢) (أجزاء كلام العرب) ليست محصورة في الجملة العربية؛ بل إن منها ما يكون في مستوى الصوت، وما هو في مستوى الجملة، ومن هذه المستويات ما يتصل بالمبني، ومنها ما يتصل بالمعنى، وإذن؛ فإن معرفة أحكام أجزاء الكلام؛ تستلزم معرفة كافة المستويات، دون الاقتصار على مستوى بعينه فيها.

- **الاتجاه الثاني:** وأصحاب هذا الاتجاه يحصرون موضوع النحو، ومحال بحثه في دائرة ضيقه جدا، فيجعلون موضوعه الكلمة العربية، وما يعرض لها من بناء وإعراب؛ ولذا أطلق هذا الفريق على النحو اسم: **(علم الإعراب)** وتعدد كثيرا في مصنفاتهم؛ وهو بذلك يدرس الكلمات في الجملة دون بقية مستويات النشاط اللغوي؛ ولكنه حين يدرسها إنما يتناولها من حيث تأثير تركيبها فيها على أحوال أواخرها إعرابا وبناء. وهذا الاتجاه شائع عند النحويين، وبخاصة المتأخرون منهم؛ وإن كان من الممكن العثور على بعض الجذور القديمة له. كما هو عند الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)؛ حيث يقول في كتابه: **(الإيضاح في علل النحو):** "ويسْمِي النَّحْوُ

(١) ابن السراج، أبو بكر محمد، **الأصول في النحو**، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٧م، ٣٥/١.

(٢) ابن عصفور، علي بن مؤمن، **المقرب**، ت: أحمد عبد الستار الجواري و عبد الله الجبوري، الطبعة (١)، ١٩٧٢م، ٤٥/١.

إعراباً، والإعراب نحو سمعاً؛ لأن الغرض طلب علم واحد^(١) فهو هنا يوحّد بين النحو والإعراب؛ مشيراً إلى أنّ مثل هذا التوحيد في المصطلح يتسم بالشيوخ. ولذا فقد جاءت تعريفات أصحاب هذا الاتجاه من النحويين، منسجمة، ومتّوافقة مع ما حددوه له من موضوع، فقالوا في تعريفه، النحو : "علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء".^(٢)

وهو ما يؤكد - أيضاً - الفاكهي^(٣) (ت ٩٧٢ هـ)؛ حيث يعرفه بأنه: "علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعراباً وبناء".^(٤) كما أن الصبان^(٥) (ت ١٢٥٨ هـ) يقول معلقاً على تعريف الأشموني^(٦) (ت ٩٢٩ هـ) للنحو: "وهذا اصطلاح القدماء واصطلاح المؤخرين تخصيصه بفن الإعراب والبناء".^(٧) وبالتالي، فإن هذا الاتجاه يحصر مفهوم النحو فيما يعرض للكلمة العربية في التركيب من ظواهر في إطار الإعراب والبناء، ويفصل ماعداها من العلاقات الناتجة عن تركيب الكلمات في الجملة، مما لا علاقة له بالإعراب والبناء. وعلل الدكتور / أحمد ياقوت لهذه التسمية إلى أنّ الإعراب كان سبباً في نشأة النحو العربي، فسمي باسمه، واستأثر الإعراب باهتمامهم، وأصبح المحور الذي يدور حوله الدرس النحوي^(٨).

(١) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، ت: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة (٣)، ١٩٧٧ م، ص ٩١.

(٢) ينظر: العكري، أبو البقاء علي بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، ت: مختار غازي طليمات، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والترااث بدبي، الطبعة (١)، ١٩٩٥ م، ص ٤٠، وينظر أيضاً: الكافيحي، محيي الدين محمد بن سليمان، شرح قواعد الإعراب، ت: فخر الدين قباوة، دار طلاس، دمشق، الطبعة (١)، ١٩٨٩ م، ص ٦٢، والصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م، ٢٣/١.

(٣) الفاكهي، عبدالله بن أحمد، شرح كتاب الحدود في النحو، ت: المتولى رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٩٩٣ م، ص ٥١.

(٤) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ١/٢٤.

(٥) ينظر: ياقوت، أحمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ١٩٩٤ م، ص ١٦.

وانطلاقاً من هذا التصور عند أصحاب هذا الاتجاه، قرر الأستاذ/ إبراهيم مصطفى أنّ
غاية النحو عند النحاة المتقدمين، مقصورة في "بيان الإعراب وتفصيل أحكامه"^(١)،
وانتقادهم على ذلك المفهوم، كما سيأتي إن شاء الله.

- الاتجاه الثالث: ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ موضوع البحث النحوي ليس اللغة
كلها. كما أنه ليس ظاهرة البناء والإعراب فحسب؛ وإنما موضوعه هو: الكلمات، والجمل،
وما يطرأ عليها من تغيرات، وما يعرض لها من ظواهر. أي يجب أن تكون الظواهر التي يدرسها
شاملة الكلمات في مرحلتها معاً قبل التركيب وبعده.

وأصحاب هذا الاتجاه لا ينتمون إلى مرحلة زمنية واحدة، ولا يحصرهم تجمع إقليمي واحد،
كما أنها نستطيع أن نقرر أن هذا الاتجاه هو أكثر الاتجاهات شيوعاً في التراث اللغوي، بما له
من امتداد زماني، واتساع مكاني كبيرين^(٢).

ومن يمثل هذا الاتجاه في مفهوم النحو أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) حيث يقول في
تعريفه للنحو: "النحو هو: انتفاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتشيبة
والجمع والتحمير والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك"^(٣). ومقتضى هذا
التعريف عند ابن جني، أن النحو يدرس الكلمات في كل أحوالها، سواء، وهي منفردة، لم
تدخل في التركيب، أم بعد تركيبها في إطار الجملة.

وهذه الفكرة، هي التي قررها - أيضاً - أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) من قبل؛ وذلك
في مناظرته لمتى بن يونس (ت ٣٢٩هـ)؛ حيث يقول: "معانى النحو منقسمة بين حركات
اللفظ، وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم
والتأخير، وتونخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك"^(٤).

(١) مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، الطبعة (٢)، م ١٩٩٢، ص ١.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ٦٧.

(٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي التحار، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ، ١/٣٥.

(٤) التوحيدى، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ١/١٢١ . وينظر أيضاً: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٣م. والدجني، فتحي، النزعة المنطقية في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الطبعة (١)،

ويظل تأثير أصحاب هذا الاتجاه مستمرا حتى عصور متأخرة. ويبقى هذا المفهوم للنحو لدى النحاة في مختلف العصور المتقدمة، يتضح ذلك من خلال مؤلفاتهم التي تؤكد هذا المفهوم، أو من خلال تعريفاتهم المباشرة له.

فالخضراوي (ت ٦٤٦هـ) يرى أن النحو هو: "علم بأقيمة تغير ذوات الكلم، وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب".^(١)

وابن الناظم (ت ٦٨٦هـ) يقرر أن النحو هو: "العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب في ذوات الكلم، أو فيما يعرض لها بالتركيب؛ لتأدية أصل المعنى".^(٢) كما أنها نجد ذلك المفهوم نفسه أيضاً عند أبي حيان الأندلسي (ت ٤٧٥هـ)^(٣)، وناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ)^(٤) وغيرهم. وفي هذا التصور يكون الصرف عند هذا الفريق، جزءاً من النحو لاقسماً مستقلاً، غير أن رضي الدين الإسترابادي النحوي (ت ٦٨٦هـ) كان أكثر صراحة، ووضوحاً، وذلك حين أكد في شرحه للشافية "أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف بين أهل الصناعة".^(٥) أي: دون معارضة من أهل العلم المشتغلين بمسائل اللغة وقضاياها. كما أن البحث فيه مستقلاً - وهو ماقام به ابن الحاجب ومن قبله المازني - إنما هو من قبيل البحث في أجزاء العلم.

١٩٨٢م، ص ٢٢-٣٤.

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الاقتراح في أصول النحو وجدله، دراسة وتحقيق: محمود فجال، مطبعة الشغر، ١٩٨٩م، ص ١٢٧.

(٢) ابن الناظم، بدر الدين محمد بن مالك، شرح ألفية ابن مالك، تحقيق وشرح: عبد الحميد السيد عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٨.

(٣) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ت: مصطفى أحمد النمس، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ١٩٩٧م، ٣/١. وينظر أيضاً: البحر المحيط، بعناية الشيخ: عرفات حسونة، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٢م ، ١٤/١.

(٤) ناظر الجيش، محمد بن يوسف، تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ١١٤/١.

(٥) الإسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط: محمد نور الحسن، محمد الزفاف، محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ٦/١.

الاتجاه الرابع: ويشير إلى هذا الاتجاه ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في كتابه: **(المنصف)**; وذلك حين يقول: "فالتصريف إنما هو لمعارة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعارة أحواله المتنقلة".^(١) أي أن النحو لا يدرس الكلمة في ذاتها، ولا يتناول بنيتها نفسها، فإن ذلك موضوع علم التصريف، وإنما يدرس النحو أحواله المتنقلة، ولذا فالتصريف - من خلال هذا النص لابن جني - ليس جزءاً من النحو، بل هو قسم له، منفصل عنه.

ويقرر أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) هذا المفهوم، بشكل أكثر وضوحاً، حيث يقول: "النحو - في الاصطلاح - علم بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني، ويعني بالأحوال: وضع الألفاظ من حيث دلالتها على المعانى التركيبية، أي المعانى التي تستفاد بالأشكال ما يعرض في آخر طرق اللفظ، ووسطه من الآثار والتغييرات التي بها تدل ألفاظ العرب على المعانى".^(٢)

ويعرفه كمال الدين علي بن الفرخان (ت ٤٨٥هـ) صاحب كتاب: **(المستوفي في النحو)** بقوله: "النحو صناعة علمية، ينظر بها أصحابها في ألفاظ العرب، من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم؛ لتعرف النسبة بين صيغة النظم، وصورة المعنى؛ فيتوصل بإحداثها إلى الأخرى".^(٣)

وبذلك يكون النحو بهذا المفهوم، إنما يبحث عن الألفاظ باعتبار هيئتها التركيبية، وتأديتها لمعانٍ منها الأصلية، وبهذا الفهم لوظيفة النحو يشارك الباحث النحوي، الباحث في علم المعاني في أن كلاً منهما يبحث في المركبات، "إلا أن النحوي يبحث عنها من جهة هيئتها التركيبية صحة وفساداً، ودلالة تلك الهيئات على معانٍ منها الوصفية على وجه السداد، وصاحب المعاني يبحث عنها من جهة حسن النظم المعبر عنه بالفصاحة في التركيب، وقبحه، ومرجع

(١) أبو الفتح ابن جني، أبو الفتح عثمان، المنصف شرح كتاب التصريف، ٤/١.

(٢) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ت: عبد الرحمن العثيمين، معهد إحياء البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ١٧/١.

(٣) ابن الفرخان، كمال الدين علي بن مسعود، المستوفى في النحو، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م، ١١/١، وقد نقله عنه السيوطي في كتابه الاقتراح، ينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجده، ص ١٢٧.

تلك الفصاحة إلى الخلو من التعقيد، فيما يبحث عنه في علم النحو من جهة الصحة والفساد، ويبحث عنه في علم المعاني من جهة الحسن والقبح، وهذا معنى كون علم المعاني تمام علم النحو".^(١)

ولا يشذ عن هذا الاتجاهات في تصور مفهوم النحو، سوى العالم النحوي: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) الذي سلك طريقاً جديداً في ميدان البحث النحوي، أوشك أن يكون نقلة فريدة في مفهوم النحو، ومنهجاً مختلفاً في فهم الموضوعات النحوية وتفسيرها وعرضها، لونها وجدت من يعني بها من بعده، فقد استطاع بما أوتي من علم وافر، وثقافة عريضة، وذوق أدبي رفيع أن يدرك أن النحو أشمل من ذلك المفهوم، فتوسع فيه، ونقله إلى جو يزخر بالحيوية منطلاقاً؛ وذلك بنقله من حقل الصناعة إلى حقل الصناعة والدلالة من خلال فكرة (النظم) أو (التعليق) التي كانت لبّ نظريته وجوهرها، وعالج من خلالها كثيراً من الموضوعات النحوية، كالتقديم، والتأخير، والمحذف، والتعريف، والتنكير، والفصل، والوصل، والاختصاص، وما يتعلق بها؛ متنقلاً النحاة؛ لأنهم وإن أشاروا إلى هذه الأساليب إلا أنهم لم ينتمقوا بها، ولم يوضّحوا قيمتها، مع أن النحو - بحسب قوله - ليس إلا البحث في مقاصدها.^(٢) وهو ما توسع في البحث فيه في كتابه.

ويؤكّد الدكتور / أحمد مطلوب على أنّ عبد القاهر الجرجاني يختلف في منهجه عن منهج النحاة في بحث الموضوعات النحوية، كما يختلف في فهمه، وتفسيره لهذه الأساليب اختلافاً كثيراً؛ إذ إنه أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة النحو، وزهدوا فيه، أو نظروا إليه نظرة ضيقة تنحصر في البناء والإعراب، وكان النحو عنده عمدة البيان الذي يحلل النصوص، ويوازن بينها ويفضل بعضها على بعض.^(٣) ولم يكن ينقص هذا الجهد، سوى

(١) ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، ثلاث رسائل في اللغة، ت، محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٣ م. ص ١٨٣.

(٢) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، مكتبة الحاخنجي، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٩٨٩ م، ص ٦٠، وما بعدها.

(٣) ينظر: مطلوب، أحمد، عبد القاهر الجرجاني بлагنته ونقدّه، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٣ م، ص ٦٠.

من يتممه؛ ولكن هذه الدعوة لم تجد لها صدى عند النحاة آنذاك، ولم تغير في مسار التأليف والبحث النحوي. بل إنها وئدت على أيدي البلاغيين من بعده. حيث عزلوا هذه الموضوعات وحصروا مقصود النحو - كما هو لدى النحاة - في الخطأ والصواب، أو تأدية المعنى المطلوب.^(١) فالسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) استطاع أن يصوغ الأفكار التي وضعها عبد القاهر، ويجعل البحث فيها علما مستقلا برأسه أسماء (علم المعانى)^(٢) وهو كما يعرفه: " تتبع خواص الكلام على ماتقتضي الحال ذكره ".^(٣) ومع ذلك فإننا نجد الأثر البلاغي واضحا في تحديد مفهوم النحو لديه؛ فإنه حين فصل (علم المعانى) عن النحو؛ قصر مفهوم النحو على دراسة الجملة، وما يتعلق بها، فالنحو كما يعرفه، هو: " أن ت نحو كيفية التركيب فيما بين الكلم؛ لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستتبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها؛ ليحتزز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية ".^(٤) ويقصد بكيفية التركيب " تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الميئات إذ ذاك، وبالكلم نوعيه المفردة وما في حكمها ".^(٥) كما استخدم مصطلح (الصرف) في حديثه عن الأحكام المتعلقة ببنية الكلمة، وبالتالي فإنّ فصل الصرف عن النحو تم أيضا على أيدي البلاغيين، كما أن النحو في هذه الحالة اقتصر على المباحث المتعلقة بالجملة، أو التركيب؛ بخلاف المفهوم القديم الشامل عند النحاة المتقدمين.

(١) ينظر: نحلة، محمود أحمد، علم المعانى، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٠ م، ص ٦.

(٢) ينظر: محمود نحلة ، علم المعانى، ص ٦.

(٣) السكاكى، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ت: أكرم يوسف عثمان، مطبعة الرسالة، بغداد، الطبعة (١)، ص ٣٤١ .

(٤) المصدر السابق، ص ٢٠٤ .

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٤ .

المبحث الثاني

مفهوم النحو عند المحدثين

لقد كان لسيبويه - رحمه الله - الفضل الكبير في حفظ تراث العربية؛ إذ إنه استطاع في كتابه أن يقدم لعلماء العربية من بعده، وحتى يومنا هذا نموذجاً بنوياً لوصف اللغة العربية، صوتياً، وصرفياً، ونحوياً، لم يستطع أحد أن يقدم بديلاً عنه، بل إن جهود الخالفين له اقتصرت في أغلبها على الشرح، والتعليق، والاختصار.

وعلى الرغم من تلك الجهود التي بذلت فيما بعد في إرساء قواعد النحو، والكم الهائل من التراث النحوي الذي خلفه النحاة المتقدمون عبر عصورهم، إلا أن كثيراً من الباحثين المحدثين تناولوا تلك الجهود بال النقد والتوجيه، وذهبوا في هذا النقد مذاهب شتى، وتبينوا في تشخيص هذه العيوب، وألغوا كثيراً من الكتب، والبحوث التي تتصدى للدرس النحوي، وقضاياها ومشاكلها، وهي في غالبيها متأثرة بالنظريات اللغوية الغربية الحديثة، ومن النقوص التي وجهت لتلك الجهود التي بذلها النحاة المتقدمون، ما يتعلق بمفهوم النحو في البحث النحوي القديم، ووظيفته، وحدوده.

ولئن اتفق أغلب اللغويين العرب المحدثين على أن النحاة المتقدمين قد أخطأوا في مفهوم النحو، وموضوعه، ووظيفته؛ فإنهم - من جهة أخرى - اختلفوا في تحديد المطلوب منهم، ويمكن للباحث أن يقف على عدة مواقف، وهي:

أولها: وهو الأكثر انتشاراً، وتأثيراً، كما أنه ارتبط بأول محاولة نقدية شاملة للتراث النحوي العربي، وهي محاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه: *(إحياء النحو)*، حيث يرى في كتابه أن النحاة المتقدمين حين حددوا النحو بأنه: (علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً)؛ قد أخطأوا في فهمهم للنحو، ووظيفته؛ إذ قصرت مباحثه على الحرف الأخير، بل على خاصية من خواصه وهي: الإعراب والبناء، فغاية النحو لديهم - كما يرى - بيان الإعراب، وتفصيل أحكامه، وهذا - في رأيه - تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، وتقسيم مداره، وحصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله، مؤكداً على أن النحو يجب أن يكون هو: قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل؛ حتى

تنسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها.^(١) ولذا فهو يطالب بدرس واف لأحكام نظم الكلام، وأسرار تأليف العبارات بما لها من صلة بالمعنى.

ويؤيد هذا التوجه الدكتور / أحمد عبد الستار الجواري، حيث يرى أن هذا المفهوم للنحو أخرجه عن وظيفته وهي: التعبير باللغة عن طريق تركيبها، وانحاز إلى جانب واحد من جوانب اللغة وهو: علم الإعراب، واستقل مفهوم النحو بمعنى ضيق محدود، وهو تغيير أواخر الكلم بحسب موقعها من التركيب؛ حتى بلغ به مبلغ الجمود المنقطع، فليس له علاقة بما سواه من علوم العربية.^(٢)

ولاشك في أن ما قرره الأستاذ / إبراهيم مصطفى، ومن بعده الدكتور / أحمد الجواري، صائب في نطاق ذلك الاتجاه الذي يحصر مفهوم النحو في إطار الإعراب والبناء فقط، ويفعل ماعداها من العلاقات في الجملة، أما في ضوء بقية الاتجاهات الأخرى في تحديد مفهوم النحو، فإن مازعنه الأستاذ إبراهيم مصطفى ليس دقيقا؛ لأنها - كما مر - تولي اهتماما للكلمات، والجمل، وما يطرأ عليها من تغييرات على تفاوت بينها في ذلك؛ بل إن تلك التعريفات التي ضيقـت مفهوم النحو، وقصرت وظيفته؛ لتصـرـهـ فيـ الـبـنـاءـ وـالـإـعـرـابـ لاـ تـعـبـرـ عـنـ الـقـضـاـيـاـ الـتـيـ تـعـالـجـهـاـ تـلـكـ الـكـتـبـ فـعـلـاـ،ـ حـتـىـ عـنـدـ الـمـتأـخـرـينـ مـنـ النـحـاةـ،ـ بـقـدـرـ مـاـ تـعـبـرـ عـنـ اـهـتـمـامـاتـ أـصـحـابـ هـذـهـ التـعـرـيفـاتـ،ـ وـغـطـ ثـقـافـهـمـ،ـ إـذـ يـكـفـيـ أـنـ نـلـقـيـ نـظـرـةـ عـلـىـ مـبـاحـثـ أـيـ كـتـبـ مـنـ كـتـبـ النـحـوـ،ـ مـنـ تـلـكـ الـتـيـ اـرـتـضـتـ لـلـنـحـوـ هـذـاـ الـمـفـهـومـ الضـيـقـ جـداـ؛ـ لـنـجـدـ أـنـاـ قدـ تـحـاـوـزـتـ فيـ تـنـاوـلـهـاـ أـحـكـامـ أـواـخـرـ الـكـلـمـ،ـ مـنـ إـعـرـابـ وـبـنـاءـ،ـ إـلـىـ أـحـكـامـ تـعـلـقـ بـالـتـرـكـيـبـ منـ تـقـدـيمـ،ـ وـتـأـخـيرـ،ـ وـذـكـرـ،ـ وـحـذـفـ،ـ وـتـعـرـيفـ،ـ وـتـنـكـيرـ،ـ وـغـيـرـ ذـلـكـ،ـ وـبـالـتـالـيـ،ـ فـإـنـ مـنـ الـواـضـحـ أـنـ هـنـاكـ تـفـاـوـتـاـ فيـ التـصـورـ بـيـنـ مـخـلـفـ الـتـعـرـيفـاتـ مـنـ جـهـةـ،ـ وـبـيـنـ الـقـضـاـيـاـ الـفـعـلـيـةـ الـتـيـ تـعـالـجـهـاـ هـذـهـ الـكـتـبـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـيـ.

ثانيها: وهو ما قرره الدكتور / مهدي المخزومي في كتابه: (في النحو العربي، نقد

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو ص ١. وينظر أيضا: عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٠م، ص ٣٤.

(٢) ينظر: الجواري، أحمد عبد الستار، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الطبعة (٢)، ١٩٨٤م، ص ٢٢.

وتوجيهه) - وهو من تلاميذ الأستاذ/ إبراهيم مصطفى - حيث أكد في هذا الكتاب أنه لا يقبل المفهوم الشامل للنحو، كما كان عند الخليل بن أحمد، والفراء، وتلاميذهم من النحاة المتقدمين، ويرى أن ما جاء به الخليل، والفراء ليس من النحو الحالص، وإنما هو درس شامل لجميع فروع الدراسة النحوية واللغوية. كما أن كتاب سيبويه - في نظره - ليس كتابا في النحو الحالص؛ ولكنه كان يتناول بالدرس مسائل لغوية وصرفية وصوتية، بالإضافة إلى مسائل النحو، كذلك الأمر ينطبق على كتاب: (معاني القرآن) للفراء، مما جاء فيه من آراء، وما عالجه من مسائل في كتابه، ليس من النحو الحالص؛ ولكنه خليط من هذا وذاك^(١)؛ ملتمسا لهم العذر في ذلك؛ لأن الدراسة اللغوية والنحوية؛ إنما كانت في بداية نشأتها، وفي أول عهدها بالحياة، ولم تكن البيئات العربية الإسلامية ذات تاريخ بعيد في البحث العلمي، ولا كان لها عهد بمناهج البحث^(٢).

ومن هذا المنطلق يحدد الدكتور/ مهدي المخزومي مفهوم النحو بعد رفضه المفهوم الشامل؛ مستندا إلى ما أسماه المنهج اللغوي الحديث، الذي يفرق بين موضوعات الدرس اللغوي، ويميز بعضها عن بعض؛ محددا مفهوم النحو بقوله: "ما كان موضوع الدرس النحوي هو الجملة صدرت هذه الفصول بفصل عن الجملة؛ تبيينا لوجهة النظر هذه، وإشعارا بأهمية الجملة في الدرس النحوي الحديث".^(٣)

وإذا كان الدكتور/ المخزومي يلتمس العذر للنحاة المتقدمين بظروف نشأة النحو، وبداياته، فإن كثيرا من الباحثين المحدثين يؤكدون أن الطابع التعليمي الذي سيطر على التأليف النحوي منذ نشأته، هو الذي دعا إلى فهم النحو والتأليف فيه على هذا المنحى الشامل والواسع^(٤)، إضافة إلى جانب طبيعة العلاقة بين تلك المستويات الثلاثة، وتشابك موضوعاتها

(١) ينظر: المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتجهيز، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة (٢) م، ١٩٨٦، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٤) ينظر: مجدوب، عز الدين، المتناول النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية، الطبعة (١)، م، ١٩٩٨، ص ١٣٣، وينظر أيضا: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٢٠. و محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، ص ٢٧.

وصلتها الوثيقة ببعضها؛ وهو ما يراه الدكتور / تمام حسان أنه سبب في هذا المسلك عند النحاة المتقدمين، حيث يقول في ذلك: "لقد فطن النحاة العرب إلى أن اللغة العربية لا يمكن أن يفهم نحوها، وصرفها فهما صحيحا إلا بعد دراسة أصواتها. ذلك بأن بعض ظواهر النحو، والصرف تعتمد اعتمادا تاما على دراسة الأصوات، وببعضها الباقي لا تكون دراسته في أحسن صورها إلا حيث تعتمد كذلك على دراسة الأصوات".^(١) أما عن الصرف، وصلته بالنحو؛ فإن الأخير كما يقول الدكتور / تمام حسان: "لا يفتأ يستخدم معطيات الصرف المختلفة في عرض الأغلب الأعم من تحليلاته، وفي الرمز لعلاقاته وأبوابه".^(٢)

إذن فقد أدرك النحاة المتقدمون الصلة العضوية بين هذه الأنظمة فدرسوها معا. وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا في مصنفاتهم بين الصرف، والنحو فيعالجون كلاً منهما على حدة، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك.^(٣)

ويشير الدكتور / كمال بشر إلى أن الصلة التي نجدها بين هذه المستويات وثيقة جداً، وهي من الأمور التي أكد عليها اللغويون المحدثون؛ ولنذا ففي الأغلب أن يدرس الصرف والنظم بلغة من اللغات معاً على أنهما قسم من أقسام الظواهر اللغوية، غير أنه يرى أن النحاة المتقدمين لم يدركوا تمام الإدراك مدى الارتباط بين فروع الدراسات اللغوية، ومن ثم نراهم ينظرون إلى هذه الفروع كما لو كانت منفصلة بعضها عن بعض. فعلى الرغم من أن سيبويه قد جمع في كتابه بين الدراسات الصوتية، والصرفية، والنحوية في كتاب واحد إلا أن هذا لا يعني _ كما يرى الدكتور / بشر _ أن سيبويه أو غيره من علماء العربية المتقدمين، أدركوا بوضوح طبيعة العلاقة بين فروع علم اللغة.^(٤)

- ثالثها: وهو موقف الدكتور / عبد الرحمن أيوب الذي سطّره في كتابه: (دراسات

(١) حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفيية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (٤)، م٢٠٠٠، ص ١٦٦

(٢) حسان، تمام، اللغة العربية معناها وبناؤها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤، ص ٨٦

(٣) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٣. وينظر أيضاً: عبد الرحمن، مدوح، العربية والفكر النحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩ م، ص ٢٥ و ٣٨.

(٤) ينظر: بشر، كمال محمد، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، الطبعة (٩)، ١٩٨٦ م، ص ١٦ - ٢٢، ٨٤.

ومن هذا المنطلق، فالدكتور /أيوب يرى بأن علم النحو في أي لغة من اللغات، هو: مجموع نماذج العمل؛ أما الأمثلة التطبيقية لهذه النماذج؛ فليست علما، بل هي أحداث واقعية، سماها علماء اللغة المحدثون: "الكلام". وهذا أيضا ينطبق على اللغة العربية، حيث عني النحاة المتقدمون بالأحداث الواقعية، لا بالنماذج التركيبية، مما وسع نطاق البحث لديهم توسيعا يتنافى مع مقتضيات وضع النظريات العلمية؛ مضيفا أن جميع التأويلات النحوية؛ إنما هي تفسير الواقع الجملة أي: الحدث اللغوي، وهي بذلك لا تتصل بعلم النحو الذي هو علم النماذج التركيبية؛ بل بعلم المعاني الذي هو تفسير معاني الأحداث اللغوية الواقعية من ناحية، والنماذج التركيبية من ناحية أخرى.^(٣)

ومعنى هذا أنّ العلماء المتقدمين لم يفرقوا هذه التفرقة النظرية بين نماذج الجمل، والجمل الواقعية، وهذا الأمر - في نظري - غير دقيق؛ إذ إنّ النحاة تعاملوا في بحثهم النحوي مع النموذجين على حد سواء، ولم يتجاهلوا النماذج التركيبية، فالنماذج التركيبية متوافرة في النحو العربي، كالحاديـث عن المسند والمسند إليه، وهي تتردد كثيراً في كتب النحاة المتقدمين، بالإضافة إلى ذلك؛ فإنّ كثيراً من الجمل التي كان النحاة يتناقلونها من جيل إلى جيل، ولم تتغير عبر العصور نحو: "ضرب زيد عمراً" و "قام زيد" وغيرها، قد أصبحت هي بذاتها تشكل نماذج

(١) ينظر، عز الدين مجدوب، المنشال النحووي العربي قراءة لسانية جديدة، ص ١١٣ - ١١٧.

(٢) ينظر: أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت، ص ١٢٥، وينظر أيضاً: موسى، عطا محمد، مناهج الدرس النحوية في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، الأردن، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٧.

^(٣) ينظر، عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ١٢٦.

تركيبة تحريرية.^(١)

وبشكل عام فقد شهد القرن العشرون نشاطاً متميزاً في الدراسات اللغوية، وال نحوية في العالم العربي، وبخاصة بعد اتصال كثير من الباحثين العرب بالدراسات اللغوية الغربية الحديثة، ونحو طرق جديدة للتفكير، واستيعاب لهذه المنهج، والإلمام بطرق حديثة في التحليل اللغوي، بحيث أصبح الباحثون المحدثون يصاهرون بين هذه المنهج، وبين التراث اللغوي العربي، ما كان لها الأثر الكبير في تحديد مفهوم النحو بشكل خاص، وفي الدراسات اللغوية العربية الحديثة بشكل عام.

فالدكتور / علي عبد الواحد وافي؛ وهو من الرواد الأوائل في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، يقرر في كتابه: **(علم اللغة)** أنه: "من المورفولوجيا والستكس أي: علم البنية وعلم التنظيم يتتألف ما يسمونه الجرامير Grammaire أي: القواعد".^(٢)

ويرى الدكتور / محمود السعران في كتابه: **(علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي)** أن علماء اللغة في الغرب يتناولون في التحليل النحوية موضوعين أساسين هما:^(٣)

- المورفولوجيا morphology

- النظم syntax

و في تناوله لهذا الموضوع يؤكد الدكتور / محمد أحمد أبو الفرج هذا التقسيم في الدراسات اللغوية الحديثة، ليقول في ذلك: ولذا فقد جرت العادة في الدراسات الحديثة أن يذكر النحو (Grammar) ضمن أفرع علم اللغة وذلك على النحو التالي:

١ - علم الصيغ (morphology): وهو يختص بجانب الكلمة من الدراسة نحوية، ويشمل المسائل التي يتناولها الصرف في الاصطلاح التقليدي، بعد استثناء ما قد يدخل تحت علم وظائف الأصوات.

(١) ينظر، حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ١٧٥ . و ينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس نحووي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢١٣ .

(٢) وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة (٩)، بدون تاريخ، ص ١٠ .

(٣) ينظر السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ٢٣٢ .

٢ - علم النظم (syntax): وميدانه دراسة التراكيب، وصلتها بعضها ببعض، وطريقة اللغة في استخدام الجملة كوحدة لغوية. أي أن مهمة النحو هي: البحث في خواص الجملة، من كيفية تأليف كلماتها، و موقف كل كلمة فيها من الأخرى من حيث الموقع، وعلاقة كل منها بال أخرى من حيث الوظيفة.^(١)

وبشكل عام، فإن اللغويين المحدثين يذهبون إلى أن دراسة النحو لاتعني بالصوت، وما يتعلق به، ولا بالكلمة المفردة، وما يتعلق بها. وإنما يعني بالكلمات المؤلفة مع غيرها في عبارة أو جملة وما يطرأ عليها من تقدم بعض أجزائها أو تأخيره، أو ذكره أو حذفه، وغير ذلك.^(٢) يعني أن النحو هو الدراسة الأفقية للغة، أي أن كلمات اللغة حين تتجاور؛ لتشكل تراكيب تظهر في صورة أفقية، وعلى النحو أن يكتشف العلاقات النحوية المختلفة التي تربط بين كلماتها. وهم بذلك يفرقون بينه، وبين العلم الذي يهتم بدراسة اللغة دراسة رئيسية؛ تنظر إلى كلمات اللغة من حيث هي قوائم مختلفة من الصيغ، فهناك صيغ للتشبيه وأخرى للجمع والنسب وهكذا. والعلم الذي يدرس اللغة في هذا الجانب الأخير هو: علم الصرف.^(٣)

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التصور له جذوره في التراث اللغوي العربي - كما أسلفت - وهو ينطبق على التراث النحوي بشكل عام، حيث يتضمن دراسات مفصلة، وشاملة لضوابط تكوين الجملة العربية، حيث يتناول كافة العلاقات الناتجة عن تركيب الكلمات في الجملة، كالإعراب، والبناء، والتصريف الإعرابي، والتركيب، غير أن الخلاف في التعريفات النحوية قد امتدّ من عدم تحديد العلاقة بين التركيب، والصرف؛ نظراً للروابط الخاصة التي تجمع بينهما؛ إذ يتناول كل منهما الكلمات بالتقنين؛ وإن اختص النحو بمرحلة فيها، والصرف بأخرى.^(٤)

(١) ينظر: أبو الفرج، محمد أحمد، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، الطبعه (١)، ١٩٩٦م، ص ١٢٢-١٢٤. و ينظر أيضاً: الرمالي، مدوح عبد الرحمن، العربية والوظائف النحوية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص ١٨.

(٢) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٢٥ - ٣٥.

(٣) ينظر: شرف الدين، محمود عبد السلام ، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة دراسة تفسيرية، دار مرجان للطباعة، القاهرة، الطبعه (١)، ١٩٨٤م، ص ٣، و ينظر أيضاً: مدوح عبد الرحمن، العربية والفكر النحوي، ص ١١٠.

(٤) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ٧٣.

وسوف أقتصر في هذه الدراسة - إن شاء الله - "ماخذ المحدثين على ال نحو العربي وآثارها التنظيرية و التطبيقية" ، على المأخذ التي تتعلق بال نحو بمفهومه الضيق "Syntax"؛ وذلك لأهمية هذا المستوى، من الدراسة النحوية، ولكثره المأخذ التي تتعلق به، والدراسات التي تناولت هذا المستوى عند الباحثين العرب المحدثين.

الباب الأول

المآخذ

المآخذ على الاستشهاد بالمادة اللغوية

الفصل الأول

المآخذ على المنهج

الفصل الثاني

الفصل الأول

المآخذ على الاستشهاد بالمادة اللغوية

المآخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم والقراءات القرآنية	المبحث الأول
المآخذ على موقف النحاة من الحديث الشريف	المبحث الثاني
المآخذ على موقف النحاة من كلام العرب شعره ونشره	المبحث الثالث

المبحث الأول

المآخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم والقراءات القرآنية.

أولاً: المآخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو أوثق المصادر وأهمّها، وأبعدها عن الوضع والتحريف؛ إذ لم يتوافر لنص من النصوص ما توافر له من العناية، والضبط، والتوثيق متناً وسندًا وأداء. فهو النص الصحيح المتواتر الجمجم على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها في الأداء، والحركات، والسكنات.

وقد ارتبط النحو العربي منذ نشأته بالقرآن الكريم، حيث بدأت الدراسات اللغوية، والنحوية؛ خدمة لهذا النص الكريم. واعتبره النحاة في أعلى درجات الفصاحة. كما أئمّهم أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيه؛ إذ لا خلاف بينهم على حجيته^(١).

وعلى الرغم من ذلك، إلا أن بعض الباحثين المحدثين يؤكّدون أن موقف النحاة الفعلية لا تعكس ذلك التسليم المطلق من النحاة المتقدمين بأهمية النص القرآني، وبكونه المصدر الأول والأوثق للسماع في تعريف اللغة. فالنحاة المتقدمون - حسبما يرون - قصرّوا في الإفادة من القرآن الكريم، وانصرفوا بشكل كبير عن الاستشهاد به، واستخلاص القواعد منه، ولم يولوه ما هو حقيق به من الاحتجاج والاستشهاد^(٢). فهم كما يصفهم الدكتور/ محمد عيد وقعوا في تناقض، وتمزق بين التسليم الظاهري المطلق للاحتجاج بالنص القرآني، وبين ما هو واقع فعلاً من عدم الاحتجاج به أساساً؛ حيث ينص علماء اللغة صراحة على أنّ القرآن الكريم سيد الحجج، وأنه أهم مصدر للشواهد، ولكن مواقفهم الفعلية تدل على خلاف ذلك^(٣).

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في أصول النحو وجدلها، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: عيد، محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م. ص ١٠٣. وينظر عضيمة، محمد، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة. بدون تاريخ، القسم الأول. الجزء الأول. ص ٧٦. والسامرائي، إبراهيم، النحو العربي، نقد وبناء، دار الصادق، بيروت، ص ٧٨.

(٣) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة. ص ١٠٣.

ويؤكد الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة في عملية إحصائية له أن النحاة اعتمدوا على الشعر القديم في تعريف القواعد، وانصرفوا نسبياً عن القرآن الكريم في ذلك. فسيبوه (ت ١٨٠ هـ) اعتمد في كتابه على الشعر العربي القديم، وتغافل نسبياً عن القرآن الكريم، حيث بلغت شواهد الشعريّة (١٠٦١) شاهداً في حين بلغت شواهد من القرآن الكريم (٣٧٣) شاهداً أغلبها - كما يرى - لم يتخذ مصدراً للدراسة بل اعتمدت على نصوص أخرى أهمها الشعر، فكأنما تساق بهدف التقرير والتوكيد، لا الاستشهاد.^(١)

وهذا الانصراف النسبي - كما يرى الدكتور / محمد عيد - استمر مع النحاة بعد سيبويه، كالمبرّد (ت ٢٨٥ هـ)، والزجاج، (ت ٣١١ هـ)، وأبي على الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ)، وغيرهم. بل إنه شمل جميع النحاة بشكل عام باستثناء ابن هشام (ت ٧٦١ هـ).^(٢)

وينتقد الدكتور / عبد المجيد عابدين موقفهم هذا من القرآن الكريم فيقول: "إن النحاة لم يسلكوا في سبيل الاستفادة من هذه النصوص الطريق الصحيح فقد رأيناهم في كثير من الأحيان يمثلون بالبيت المجهول و بـ(ضرب زيدٌ عمراً) و (كان زيد آكلاً طعامك) و (عندك درهم ولي وطر) وبأمثالها، ثم لا تجدهم إلا في القليل النادر يرجعون على نصوص القرآن الكريم، فسيستشهدون بآيات منه بدلًا من هذا البيت المجهول، أو هذه العبارات السقيمة، أو تلك العبارات المصنوعة، ولو أنهم استشهدوا بالقرآن الكريم؛ لرجعوا إلى النص الصحيح الأقوم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه".^(٣)

فهؤلاء الباحثون يرون أن الشعر استبد بجهد النحاة، فرکنوا إليه، وجعلوه في

(١) ينظر: محمد عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ / ج ١، ص ٦٧، ٦٠. وقد ذكر الدكتور / محمد عيد أنّها لا تزيد عن ثلاثة آيات، ينظر: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٠٣. في حين أنّ د/ رفيدة يرى أنّها تزيد عن أربع آيات؟! ينظر: رفيدة، إبراهيم عبد الله، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، طرابلس، ١٩٩٢م، ج ٢/٧٠.

(٢) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٠٣

(٣) عابدين، عبد المجيد، المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩٧.

المরتبة الأولى من الاستشهاد، يليه في ذلك القرآن الكريم الذي جعلوه في مرتبة أدنى من الشعر^(١).

ويرى الدكتور / شعبان العبيدي أنّ هذا الموقف من النحاة يمثل خللاً منهجياً في موقف النحاة من القرآن الكريم؛ حيث يقول متقدماً ذلك: "إنك إذا تصفحت أي كتاب من كتب الأقدمين تجد الغلبة في شواهد هذه الكتب للشعر مع ما في الاستشهاد في الشعر من عيوب. أما القرآن الكريم، وقراءاته فقد نقلنا من الأمثلة ما يؤكد أن النحاة نظروا إليه نظرة أدنى من الشعر، وهو ما يمثل الخلل المنهجي أصدق تمثيل"^(٢).

ويرى الدكتور / محمد عيد أنّ هذا الانصراف من النحاة المتقدمين عن الاستشهاد بالقرآن الكريم انعكس على مفهوم لفظة "الشاهد" في مؤلفاتهم، حيث أصبحت ذات معنى عربي يقصد به الشعر دون غيره من النصوص الأخرى كالقرآن الكريم، والحديث الشريف^(٣).

ومن خلال دراسته لأسلوب القرآن الكريم، يؤكد الشيخ / عضيمة أنّ هذا الانصراف النسبي عن القرآن الكريم، وعدم استقراء أساليبه جعل النحاة يضعون قوانين كثيرة دون أن يحتملوا لأساليبه؛ فقد منعوا أساليب جاء نظيرها في القرآن الكريم، وجزموا بخلوها من أساليب أخرى، كما أن هناك ذكراً لبعض المسائل من غير استشهاد لها بكلام العرب، أو القرآن الكريم، على حين أنّ شواهدتها في القرآن كثيرة؛ ما حرم النحو العربي من كثير من الاستعمالات العربية الصحيحة.^(٤) بل إن بعض الباحثين يؤكدون أن هناك مواضع كثيرة كان يمكن أن تقوم على القرآن الكريم وحده؛ لأنّ وجه الاستشهاد به واقع لا يحتاج إلى جدل أو مناقشة^(٥).

(١) ينظر: محمد عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق ١ / ج ١ / ص ٢٠. و ينظر أيضاً: محمد عيد الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٠٣. والأنصاري، أحمد مكي، نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، دار القبلة، الطبعة (١٤٠٥هـ)، ص ١٤

(٢) شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٦٨.

(٣) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٠٣.

(٤) ينظر: عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١ / ج ١ / ص ٢٠ - ١٠، وينظر أيضاً: شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٦٨. والختان، عبد الله بن حمد، مراحل تطور الدرس التحويي دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ١٨٥.

(٥) ينظر: مكرم، عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المطبعة العصرية، الكويت. الطبعة (٢)،

وما سبق يتضح أنّ موقف النحاة المتقدمين من القرآن الكريم في نظر هؤلاء الباحثين يتسم بأمرتين اثنين:

أولهما: التناقض الواضح بين مقولاتهم النظرية، والواقع الفعلي. فالقرآن الكريم باعترافهم هو أوثق المصادر، وأولاها بالاحتجاج؛ ولكن عند التطبيق الفعلي يحدث خلاف ذلك، حيث التعویل الكبير على الشعر، وإغفال القرآن الكريم.

ثانيهما: أن موقفهم هذا يمثل خللاً منهجياً واضحاً، وثغرة، واضحة في جهودهم؛ ذلك أنّهم قدمو الشعري؛ وهو لغة خاصة، كما أنّه موضع الضرورة، بالإضافة إلى اختلاف الروايات فيه، على القرآن الكريم، النص الصحيح الذي لا يطاله القدح أو الطعن.

إنّ مسألة ارتباط النحو العربي بالقرآن الكريم من المسائل الواضحة التي لا تقبل الجدل، فالمصادر باختلافها تشير إلى أنّ سبب وضع (علم النحو) هو: حفظ كتاب الله تعالى من اللحن، كما أن تعلمه كان سبيلاً إلى فهم النص القرآني وإتقانه؛ وهو ما كان دافعاً للنحاة المتقدمين لبذل جهود جبارة في مجال الدراسات اللغوية المرتبطة بالنص القرآني الكريم؛ نتج عنها إرث ضخم في التفسير، وفي غريب القرآن، وفي إعجاز القرآن، وفي لغات القرآن، وفي القراءات القرآنية، وفي إعراب القرآن وغيرها^(١). كما أن المتأمل في كتب النحاة المتقدمين يرى خلاف ذلك. فكتاب سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، وهو أول كتاب وصل إلينا في النحو العربي لم يغفل القرآن الكريم، بل إنه جعله الأساس في الاستشهاد فـ"في الغالب أن يضع عنوان الباب الذي يتحدث عنه، ويمثل له بأمثلة يقيسها على القرآن، ويدرك بعدها الآيات الواردة في الموضوع، ثم بما ورد عن العرب من عبارات سمعها أو رواها عمن سمعها من شيوخه ومن يثق به من الرواية ثم بالشواهد الشعرية"^(٢)؛ بل إنه "ر بما كانت شواهده جميعها من القرآن الكريم يشبه بعضها بعض

١٩٧٨ م ، ص ١٠٣ .

(١) ينظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تعلیق، إبراهیم رمضان، دار المعرفة، بيروت الطبعة (٢) ١٩٩٧ م، ص ٥٢ - ٥٨ .

(٢) الحدیثی، خدیجۃ. الشاھد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤ / هـ ١٣٩٤ م، ص ٣٢ وما بعدها. وينظر أيضاً: عبد الله المختران، مراحل تطور الدرس النحوی، ص ١٧٥، وإبراهیم رفیدة، النحو وكتب التفسیر، ص ١٠٧٣ .

ويحمل آياته على الأخرى^(١).

فالحق أنّ سيبويه - بخلاف ما يقوله هؤلاء الباحثون - لم يغفل القرآن الكريم في كتابه، ولم ينصرف عنه؛ بل استشهد به، وقدمه على سائر النصوص الأخرى، ولم يجعله في مرتبة أدنى من مرتبة الشعر، كما يتصور ذلك بعض الباحثين المحدثين، وتأكد هذا التصور الدكتورة/ خديجة الحديشي؛ حيث تقول: "وكان سيبويه من أكثر النحاة تمسكاً بالشاهد القرآني، وأعظمهم إجلالاً له؛ لأنّه أبلغ كلام نزل، وأوثق نص وصل، وأنّه يمثل العربية الأصيلة، والأساليب الرفيعة، ويخاطب العرب بلغتهم".^(٢) وعلى هذا الأساس من التمسك بالشاهد القرآني سار النحاة الحالفون لسيبوبيه من النحاة.

وأما كثرة الشواهد الشعرية بالنسبة لنصوص القرآن الكريم في: (الكتاب)، وفي غيره؛ فإنّ ذلك - كما يبدو - يعود إلى تلك الثروة الشعرية الهائلة التي بين أيديهم، وتنوع المسائل فيها، ومنهج النحاة الذي ساروا عليه في قبول كلام العرب شعراً ونثراً، كما أن اضطراب الكثير من التراكيب الشعرية، وغرابتها دعا النحاة إلى متابعتها والبحث في مسوغاتها. بالإضافة إلى ذلك؛ فإن القرآن الكريم لم يتضمن كل الأحكام، والمسائل النحوية. غير أنّ هذا لا يدل - في رأيي - بأية حال على أن النحاة المتقدمين نظروا إلى القرآن الكريم نظرة أدنى من الشعر، أو أنّهم قدمو النصوص الشعرية على القرآن الكريم لأي اعتبار كان. وهو ما يجعل الآراء السابقة لا تخلو من مبالغة من هؤلاء الباحثين، قد تكون نتاج عن غيرة على القرآن الكريم، وأسهم فيها خلط كثير من الباحثين المحدثين في مواقفهم من النحاة بين القرآن الكريم، والقراءات القرآنية. فعلى حين كانت الحدود واضحة في أذهان النحاة المتقدمين؛ فإنّ الأمر يختلف لدى بعض المحدثين. حيث لم يفرقوا بين القرآن الكريم، والقراءات القرآنية في تناولهم وفي نقدتهم للنحاة المتقدمين. تقول الدكتورة/ خديجة الحديشي: "لم يكن في النص القرآني اختلاف؛ لأنّه من لدن عزيز حكيم؛ وإنما كان الاختلاف في قراءاته، ومن هنا وقف النحاة موقفاً مختلفاً منها".^(٣) وقد

(١) خديجة الحديشي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص ٣٣ ..

(٢) الحديشي، خديجة، دراسات في كتاب سيبويه، مطبعة جامعة الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٤م، ص ١١، وينظر أيضاً للمؤلفة: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص ٣١.

(٣) الحديشي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص ٢٩.

وأشار بعض الباحثين إلى الخلط بينهما ومسؤوليته عن بعض المواقف والأحكام بحاجة النحاة المتقدمين.^(١)

والحق أن جهود النحاة المتقدمين في خدمة القرآن الكريم كانت كبيرة، وليس من الإنصاف أن يتهموا بإهماله، أو بالتقصير في خدمته، ونحن نقف أمام تلك الجهود العظيمة التي قدموها لنا في هذا المجال، من أجل حفظ القرآن الكريم، وإغناء قواعد اللغة بنصوصه^(٢).

ثانيًا: المأخذ على موقف النحاة من القراءات القرآنية.

أما القراءات القرآنية، وهي كما يعرفها بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ): "اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتنقيل، وغيرهما"^(٣). فقد وقف كثير من الباحثين المحدثين من الاستشهاد بها موقف الناقد لصنيع النحاة المتقدمين. مؤكدين أن النحاة المتقدمين بحاوزوا الحد في التعامل معها؛ إذ لم يتوقف الأمر على إغفالها، أو إهمالها، ووصفها بأوصاف غير مقبولة؛ كالقول عنها بأنها منكرة، وباطلة، ومردودة، وضعيفة، وردية، وقبيحة، ومرذولة، ومعيبة، بل ربما حرّموا القراءة بها أحياناً. كما أنهم غلطوا مشاهير القراء الثقات، وقد حروا بهم، كابن عامر (ت ١١٨هـ)، وابن كثير (ت ١٢٠هـ)، وعاصم (ت ١٢٧هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ٤١٥٤هـ)، وحمزة الزيات (ت ١٥٦هـ)، ونافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ)، وحفص (ت ٢٤٦هـ)، وغيرهم من القراء. واتهموهم - كذلك - بضعف الدراء، وضعف الأمانة، واللحن، والسهو، والغلط، وعدم فهم العربية، والجهل، وضعف الرواية^(٤).

(١) ينظر: بكار، عبد الكريم، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، دار القلم، دمشق الطبعة (١)، ١٩٩٠م، ص ٨٦.

(٢) ينظر: خاطر، سليمان يوسف، منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتجسيمه قراءاته وما خذ بعض المحدثين عليه دراسة نقدية تحليلية نحوية وصرفية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة (١)، ٢٠٠٨م، ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البليسي الحلي، القاهرة، ط (٢) ١٩٧٢م. ص ٣١٨/١.

(٤) ينظر: محمد عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١/ج ١/ص ٢٠. والأنصاري، أحمد مكي، الدفاع عن القرآن ضد التحويين والمستشرقين دار المعارف، مصر، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م. المقدمة. و دمشقية، عفيف، أثر

ويذهب الدكتور / إبراهيم أنيس إلى أن موقف النحاة من القراء كان في أول الأمر مهادنة، حيث لا يعرضون للقراءات بخير أو شر - بحسب تعبيره -؛ لأن من أئمة النحو من كانوا أئمة في القراءة، ولكن حين استقل هؤلاء عن هؤلاء، عمد النحاة إلى القراءات يحرجونها، وينقصون منها؛ بل إن منهم - كما يقول الدكتور / أنيس - من رفضها، وأبى الاعتراف بها^(١).

ويصف الدكتور / محمد سمير اللبدي هذا الموقف من النحاة، فيقول: "لم يقف النحاة، أو بعضهم على الأصح موقف المعارضة والتضعيف، كما وقفوا حيال القراءات، فقد وجدنا كثيراً منهم في أحيانٍ كثيرة يتصدرون لها يخطئونها حيناً، ويضعفونها حيناً، و يؤيدونها حيناً ثالثاً، أو يردوها مرة أخرى"^(٢).

وقد حاول بعض الباحثين أن يتبع تلك الموضع في مصنفاتهم ليقف عليها؛ ومنهم الدكتور / أحمد مكي الأنباري الذي يصف موقف سيبويه من القراءات القرآنية، فيقول: إنه أكب على كتاب سيبويه، وتأمله طويلاً، واستخلص من ذلك أن سيبويه كان يضعف بعض القراءات، ويعارضها، أو يصفها بأوصاف غير مقبولة. فهو يصف سيبويه بأنه "كان قمة في الذكاء؛ وبخاصة حين يريد إخفاء ما في نفسه حيال قراءة من القراءات التي يعارضها؛ ولكن لا يريد أن يتصدري لها بالإنكار الصريح لسبب أو لآخر، فكان يلف ويدور، وأخيراً يضع القاعدة

القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان الطبعة (١) ١٩٧٨ م، ص ٨١ ، والنايلية، عبد الجبار، ظاهرة تحطئة النحويين للفصحاء والقراء، مجلة الجمع العلمي العراقي المجلد (٣٧)، جمادي الآخرة ١٤٠٦ ، ص ٣٠٢-٣١١. وَعمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب عالم الكتب، القاهرة الطبعة (٤)، العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٥١ وما بعدها، وَ عبد الغني، أحمد عبد العظيم، القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠ م، ص ٢٧. وعبوش، عبد الفتاح محمد، حقيقة رأي البصريين والكوفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النحوية، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد (٨٠)، يناير - مارس ٢٠٠٦ م، ص ١٥٢ وما بعدها. وغيرهم.

(١) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الإنجليز المصري، القاهرة الطبعة (٧) ١٩٧٥ ص، ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) اللبدي، محمد سمير، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، دار الكتب الثقافية، الكويت، الطبعة (١) ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م. ص ٢٢٧ -

النحوية التي تصطدم بهذه القراءة، ويردها ردًا قاطعًا دون أن يذكر القراءة نفسها ...^(١). ويقول في موطن آخر: "وَحِينَ عَشْتُ مَعَ سَبِيُّوْه طَوِيلًا تَكَشَّفَ لِي خَفَّا يَاهْ وَزَوَّا يَاهْ، وَرَأَيْتُ فِيمَا رَأَيْتُ أَنْ مَوْقِفَهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ مَا يَلِي:

١. مَوْقِفُ الْمَعَارِضَةِ الْخَفِيَّةِ لِبَعْضِ الْقِرَاءَاتِ.

٢. مَوْقِفُ الْمَعَارِضَةِ الْخَفِيَّةِ لِبَعْضٍ آخَرَ، بِحِيثُ يَضُعُ الْقَاعِدَةَ الَّتِي تصطدم دون أن يصرح **بِالآلية فيها**.

٣. مَوْقِفُ التَّأْوِيلِ، وَالْإِلْخَضَاعِ لِلآيَاتِ الَّتِي تَتَعَارِضُ مَعَ الْقَاعِدَةِ الَّتِي صَنَعُوهَا بِأَيْدِيهِمْ.

٤. مَوْقِفُ الْمَوْافِقَةِ عَلَى الْقِرَاءَاتِ الَّتِي تَنْدَرِجُ تَحْتَ الْقَاعِدَةِ، وَتَوَافَقُ الْقَوَانِينِ الَّتِي وَضَعُوهَا **لِلنَّحْوِ الْعَرَبِيِّ**^(٢).

ويؤيد الدكتور / شعبان العبيدي ذلك الاستنتاج، مؤكداً في الوقت ذاته أن سبويه يصف بعض القراءات إذا خالفت قواعده بأنها سنة متبعة، أو أنها رديئة قليلة، أو يعمد إلى تأويلها، وإلى حملها على **الضرورة** **الشعرية**، ثم يقول: "وليس في شيء أن نحاول تخريج مصطلحات سبويه وتسويعها، فكلمة رديئة لا تعني إلا ما تعنيه عندنا اليوم".^(٣)

لقد انتقد كثير من الباحثين المحدثين مواقف سبويه من القراءات القرآنية، كما أفهم يرون أن مواقف الخالقين لسبويه من النحاة أشد وضوحاً، وأكثر حرارة، يستوي في ذلك عندهم القراءات المتواترة، وغيرها^(٤)، فالفراء (ت ٢٠٧ هـ) يغمز أبا عمرو بن العلاء، ويصفه بالحرارة في القراءة، ويصف بعض القراءات بالشذوذ، والقبح، ويترك العنان لقلمه في الطعن بالقراءات.^(٥)

(١) الأنصاري، أحمد مكي، سبويه والقراءات دراسة تحليلية معاصرة، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٧. وينظر: شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته وأثره في القراءات والنحو، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٧هـ. ص ١٦٦.

(٣) شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٥٧.

(٤) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٣٧. وينظر أيضاً، عبدالله الحشان، مراحل تطور الدرس النحوي، ص ١٨٠.

(٥) ينظر: أحمد مكي الأنصاري، نظرية التجوه القرآني نشأتها ومقوماتها الأساسية ، ص ٥٥. و ينظر أيضاً: سليمان خاطر، منهج سبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، ص ٢١٨. عبد الفتاح عبوش، حقيقة رأي البصريين والkovfien في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، ص ١٥٥.

والأخشن الأوسط (ت ٢١٥ هـ) طعن في كثير من القراءات، ووصفها بالرداة، والقبح، وحن بعضها^(١). والزجاج (ت ٣١١ هـ) يعارض بعض القراءات ويرد أخرى^(٢). والمازني - كما يصفه الشيخ/ عضيمة - تجاوز حد الاعتدال مع القراء، وسخر منهم، وتطاول عليهم^(٣). وأمّا المبرد (ت ٢٨٥ هـ) فيصفه الشيخ/ عضيمة أيضاً بأنه أجرأ النحاة على القراء والقراءات، وأنّ كتابه: (المقتضب) مليء بالنقد الصريح والطعن على القراءات^(٤). وقد تتبع الشيخ/ عضيمة كثيراً منها في كتابه: (المبرد وأثره في علوم العربية)^(٥).

أما الدكتور/ أحمد مختار عمر، فيرى أن أحداً من النحاة لم يسلم من تحطئة القراءة، حتى ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي اشتهر بتقديسه للقراءات، والدفاع عنها، لم يتورع عن ذلك في موضع متعدد من كتابه: (المحتسب)، وفي غيره^(٦).

كما يرى هؤلاء الباحثون أن مواقف النحاة المتقدمين من القراء لا تختلف كثيراً عن مواقفهم من القراءات القرآنية. فقد حفظت كتب اللغة، والنحو، والتفسير، وغيرها كثيراً من هذه المواقف التي تتقدّم القراء، وتثال من بينهم، يقول الشيخ/ عضيمة، متقدّماً ذلك "ويؤسفني أن أقول: إن كتب اللغة والنحو، والتفسير، وغيرها تضمنت نصوصاً كثيرة في الطعن على الأئمة القراء الذين تواترت قراءاتهم السبع، والذين ارتضت الأمة الإسلامية قراءاتهم، فرکنوا إليها، وعولوا عليها"^(٧). ويقول الدكتور/ العبيدي عن المازني: "وقد جاء عن المازني كما هو ثابت في

(١) ينظر عبد الفتاح عبوش، حقيقة رأي البصريين والkovin في الاستشهاد بالقراءات القرآنية، ص ١٥٣.

(٢) عضيمة، محمد عبد الخالق، أبو العباس والمبرد وأثره في علوم العربية، مكتبة الرشد، الرياض، بدون تاريخ، ص ٢٩٨. وقد ألحق بياناً في كتابة لما أسماه: حملة النحوين على القراء أشار إلى موضع متعدد في ذلك.

(٣) المصادر السابق، ص ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٣ وما بعدها، وينظر أيضاً: عبد الله الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي، ص ١٨٠، وخلة، محمود أحمد، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة (١) ١٩٨٧. ص ٣٩. و إبراهيم رفيدة، النحو وكتب التفسير، ١٠٨٥ / ٢.

(٥) عضيمة، المبرد وأثره في علوم العربية ص ٢٩٣ - ٣١٢.

(٦) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث للغوي عند العرب، ص ٢٢.

(٧) محمد عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق ١ / ج ١ / ص ١٤، وينظر أيضاً للمؤلف نفسه، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، ص ٢٩٣ وما بعدها.

كتاب التصريف تخطيته لقارئ المدينة المشهور: نافع ابن أبي نعيم في قراءته "معائش"، ووصفه بأنه لم يكن يدرى ما العربية".^(١)

ويرى الدكتور/ مهدي المخزومي أنّ البصريين غلطوا ابن عامر في قراءته لقوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُسْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ)^(٢)

بنصب "أولادهم"، وخفض "شركائهم"؛ لأنّه فصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالفعل، ورموا ابن عامر بالجهل بأصول العربية، ورفضوا الاحتجاج بقراءته^(٣). ويؤكد الدكتور/ عبد الله الخشان أنّ المبرّد (ت ٢٨٥هـ) "يعدّ واحداً من النحاة البصريين الذين قادوا الحملة على القراء والسخرية منهم"^(٤). كما أنّ الدكتور/ زهير غازي زاهد يرى "أنّ موقف النحاس (ت ٣٢٨هـ) من القراء كموقف المبرّد (ت ٢٨٥هـ) يلحن بعضهم، ويضعف بعض القراءات، ويغلطها".^(٥)

لقد استنكر هؤلاء الباحثون هذا الموقف من النحاة المتقدمين تجاه القراء، وانتقدوهم في ذلك، فهم يرون أنّ تخطيّة النحاة لقراءة عرب خلّص كابن عامر، أو لقراء نشأوا في بيئات عربية مثل: نافع، وابن كثير، وحمزة، لمن الخلل المنهجي، بالإضافة إلى ذلك فإنّ القراء لم يكونوا يقرؤون وفق أحاسيسهم، وأهوائهم؛ وإنما كانوا يقرؤون وفق الرواية الموثقة، إذ إن القراءة سنة متبعة، ومنهج في النقل لا يصل إلى وثاقته علم آخر، كما يؤكّدون بأنّ أي قراءة خطأها النحاة وجد لها سائغ في العربية، فهي لم تخرج عن كلام العرب في شيء؛ لأن القراء كانوا يتّخذون سلامة اللغة، ويحرصون عليها كحرص النحاة، بل أشد حرصاً.^(٦)

واستناداً إلى هذه المواقف من النحاة المتقدمين تجاه القراءات القرآنية، وتجاه القراء. فهم

(١) شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٥٨.

(٢) الأنعام: الآية ١٣٧.

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوونة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٣٧.

(٤) عبد الله الخشان، مراحل تطور الدرس النحوي. ص ١٨٠.

(٥) النحاس، أبو جعفر محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة (٢)، ١٩٨٥م، ١/ ١٣١.

(٦) ينظر: شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٦٧، وينظر أيضاً: عبد الجبار النايلة، ظاهرة تخطيّة النحويين للفصحاء والقراء. ص ٣١٥. وعبد اللطيف، محمد حماسة ، الضرورة الشعرية في النحو العربي، دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٦.

يرون أن كلام السيوطي (ت ٩١١ هـ) عن موقف النحاة من الاستشهاد بالقراءات القرآنية لا يخلو من خطأ، وتناقض. وذلك حين يقول: "أما القرآن، فكل ما قرئ جاز الاحتجاج به، سواءً أكان متواتراً، أم آحاداً، أم شاذًا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تختلف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتاج بها في مثل ذلك الحرف بعينه" (١). والخطأ في ذلك يعود إلى أن الواقع يثبت خلاف ذلك تماماً، فالنحاة طعنوا في قراءات كثيرة متواترة، وأنكروها. وأما التناقض؛ فلأن السيوطي نفسه أشار إلى ذلك حين نقل أمثلة على تخطئة النحاة للقراء في موضع متعدد، أمثل: عاصم، وحمزة، وابن عامر، وهي ثابتة بالأسانيد الصحيحة – كما يصفها هو - (٢).

وفي حين يتفق كثير من الباحثين المحدثين على موقف النحاة المتقدمين من القراءات القرآنية، فإنهم يختلفون في سبب ذلك، وإن كان أغلبهم يحمل المنهج الذي سلكه النحاة باستبعادهم القراءات القرآنية بادئ الأمر ثم وضع القواعد النحوية، ثم محاولة إخضاع القراءات القرآنية لها كسائر النصوص الأخرى، ما أدى إلى الطعن والقدح في تلك القراءات، أو الاضطرار إلى ردتها، أو تأويلاً خاصاً (٣).

ويشير الدكتور / سعيد الأفغاني إلى هذا الخلل في منهجهم، فيقول: "إن النقد يجد في صرف النحاة وفي قواعدهم ثُغْرًا عده ينفذ من خلالها إلى الصميم، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب، فيجمعون نتفاً ثورية وشعرية من هذه القبيلة، ومن تلك، ومن أعرابي في

(١) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدلها، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٦٦. وينظر أيضاً: محمود نحلاة، أصول النحو العربي، ص ٤٢.

(٣) ينظر: حسن، عباس، اللغة والنحو بين القسم والحديث، دار المعرفة، مصر، بدون تاريخ. ص ١٠٧ وما بعدها، وينظر أيضاً: أنيس، من أسرار اللغة، ص ٢٠٩، و طلب، عبد الحميد السيد، تاريخ النحو وأصوله، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٧٦م، ص ٨٥، و عفيف دمشقية، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، ص ٥٧ وما بعدها. ومهدى المخزومى، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٣٧ وما بعدها. وأحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥، و محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية في النحو العربي، ص ٢٩. و أحمد مكي الأنصارى، نظرية النحو القرآنى، ص ٥ وما بعدها. ومكرم، عبد العال سالم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة (٣) ١٤١٧هـ، ص ١٠٩ وما بعدها.

الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة. يجمعون هذا إلى جانب أقوال معروفة مشهورة، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناكس الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع، ثم يسددون القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدهم القياسية طعن فيها؛ وإن كان قارئها أبلغ، وأعرب من كثير من يحتاج النحو بكلامهم فلا استقراره كامل أو كاف، ولا لشهاده التي استند إليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوة^(١). ويؤكد الشيخ / عضيمة مسؤولة القياس عن هذا الموقف فيقول: "ويبدو أن مثار هذه الحملة رغبة النحاة في أن تطرد أقيستهم، وتستقيم قواعدهم التي هاموا بها، واطمأنوا لها، وجعلوا كلامتها هي العليا، احتكموا إليها فكانت عندهم حكماً ترضى حكومته، ولا تسمع إلا كلامه غير ناظرين إلى الفرق بين كلام الله، وكلام غيره"^(٢).

فالنحاة المتقدمون - في نظرهم - لم ينسوا قواعدهم، وأقيستهم أمام القراءات القرآنية؛ فأخضعوها لها؛ لرغبتهم الشديدة في اطراذ قواعدهم، وأقيستهم، والسير باللغة وفق قوانين ثابتة لا تحيد عنها؛ ولذا أصبح اشتغال النحاة بتأريخ القراءات القرآنية؛ لتوافق القاعدة بدل إقامة القاعدة عليها، أو استنباط القاعدة منها. وهم يرون أن الأولى أن يحظموا بهذه المقاييس، ويأخذوا بالقرآن الكريم؛ لأن النص الصحيح الموثق، وأن يحتاجوا بالقرآن وقراءاته، لا أن يضطروا أن يحتاجوا لهما، كما هو فعلاً لديهم^(٣). ولذا نادى بعض منهم إلى ما يسمونه: تصحيح الوضع المعكوس الذي سلكه النحاة، بحيث يصبح القرآن الكريم، وقراءاته هما الأصل، والنحو وقواعده تبعاً لهما، ويصبح القرآن الكريم هو المقدم في تعريف اللغة، لا العكس. وكانت هذه الدعوة إرهاصاً لما يسمى بـ"النحو القرآني" وـ"نظريّة النحو القرآني" التي دعا إليها بعض الباحثين المحدثين، وطبقوها في مؤلفاتهم. انطلاقاً من أن القرآن الكريم أصح وأوثق مصدر في

(١) الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م. ص ٣١.

(٢) محمد عضيمة، أبو العباس المبرد وأثره في علوم العربية، ص ٢٩٥، ٢٩٦. وينظر أيضاً، النايلة، عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، مطبعة الزهراء، بغداد، الطبعة (١)، ١٣٩٦هـ.

(٣) ينظر: عبد الجبار النايلة، ظاهرة تحطيم النحويين للفصحاء والقراء ص ٣١١. وينظر أيضاً: مكرم عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المطبعة العصرية، الكويت، الطبعة (٢)، ١٩٧٨م. ص ١٠٣.

الوجود على الإطلاق، فكان - في نظرهم - أولى مما سواه بالاعتماد عليه في استنباط القواعد النحوية^(١).

ويعلل بعض الباحثين لهذا الموقف من النحاة تجاه القراءات القرآنية بأسباب أخرى كالخصوصية المذهبية، والتعصب؛ إذ يرى الدكتور/أحمد مكي الأنصاري أن النحاة إنما يفعلون ذلك انسياقاً مع العصبية المذهبية، يؤيدون كل ما يؤيدوها، ويعارضون كل ما يعارضها^(٢). كما يرى الشيخ/ محمد عضيمة أن بعض النحاة ربما خفي عليهم توجيه القراءة، فيسارع إلى تلخيصها، أو الطعن فيها^(٣).

غير أن هذه الأسباب - وإن فسرت مواقف معينة أو حالات خاصة - إلا أنها لا يمكن أن تكون سبباً مباشراً، ووحيداً ل موقف النحاة المتقدمين تجاه القراءات القرآنية، إذ ليس من المعقول أن يردوا هذا الكم الكبير نسبياً من القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة؛ تقديساً للقواعد التي وضعوها، أو مجرد الخصومة المذهبية، أو لخفاء توجيهها الإنجليزي عنهم. ولا يصح منهم هذا التفريط، ومنهم القراء، والمفسرون، والفقهاء الثقات، إلا إذا افترضنا أنهم جميعاً يجهلون حقيقة القراءات القرآنية، وتواترها. وهو ما يراه بعض الباحثين^(٤)؛ بدعوى أن البحوث المفصلة فيها لم تستقر إلا بعد منتصف القرن الثالث الهجري، عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)،

(١) ينظر: الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مطبعة الجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤م، ص ٦-٨، وينظر أيضاً: أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني، ص ٣٧ وما بعدها، وعبد العال سالم مكم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ١٠٣. وظفر، جليل أحمد، النحو القرآني قواعد وشواهد، مطابع الصفا، مكة المكرمة، الطبعة (١) ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. وقد ناقش الدكتور/ محمد حسن عواد هذه الدعوات/ مبيناً أن نظرية النحو العربي تعتمد على القرآن أولاً، والحديث النبوي الشريف ثانياً، وكلام العرب من شعر ونثر ثالثاً، وليس من اليسير - كما يقول الباحث - على القرآن الكريم وحده في إقامة قواعد النحو العربي، لأن ثمة ظواهر موجودة في كلام العرب، وغير موجودة في القرآن الكريم. ينظر: عواد، محمد حسن، قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (٧)، العدد (١)، ٢٠١١م، ص ١٣٧-١٦١.

(٢) ينظر: أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني، ص ٢٧. وينظر أيضاً: عابدين، المدخل إلى دراسة النحو العربي. ص ٩٨، ٩٩. وعبد الفتاح شلبي، أبوعلي الفارسي وأثره في النحو، ص ١٦٦.

(٣) ينظر عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم. ق ١/ ج ١/ ص ٢٢.

(٤) ينظر: عضيمة، المبرد وأثره في علوم العربية، ص ٢٩٤، ٢٩٥. وينظر أيضاً: محمد اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ص ٣٢١. و محمود نحلاة، أصول النحو العربي. ص ٤٥.

وبعده ابن مجاهد (ت ٤٣٢ هـ) الذي ألف مصنفاً خاصاً جمع فيه القراءات السبع. وإن صدق هذا الأمر على فئة قليلة من النحاة: كالزمخشي (ت ٥٣٨ هـ) الذي يرى أن القراءة اختيارية، لا توقيفية، تدور مع اختيار الفصحاء واجتهد البلغاء^(١). وهو ما جعلهم يبيحون لأنفسهم نقد القراءات، و اختيار ما يرون أنه موافق للعربية، ورد ما سواه. فإن ذلك لا يصدق على أكثرهم؛ لأن الواقع الفعلي لا يؤيده. إذ لا نتصور أن ينطبق هذا على النحاة القراء: كأبي عمرو بن العلاء، والكسائي. كما أن هناك إشارات صريحة لدى كثير من النحاة تؤكد معرفتهم بحقيقة القراءات القرآنية، فسيبويه يقول في كتابه: "والقراءة لا تختلف لأنها السنة"^(٢)، وأبو جعفر النحاس يرى "أن السلامة عند أهل الدين إذا صحت القراءتان أن لا يقال إحداها أجود؛ لأنهما جيئاً عن الرسول - ﷺ -، فلما من قال ذلك؛ وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا"^(٣)، وقال في موضع آخر في المفاضلة بين القراءتين: "الديانة تحظر الطعن على القراءة التيقرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي - ﷺ -، وقد قال عليه السلام: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)^(٤)، فهما قراءتان حستان لا يجوز تقديم إحداها على الأخرى"^(٥). وابن جني يؤكّد أن كثيراً من القراءات الشاذة متواترة فيقول: "ولسنا نقول ذلك مسخاً بخلاف

(١) ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣١٩/١. وقد انتقد الدكتور / إبراهيم عبد الله رفيدة هذا الفهم من بعض الباحثين المحدثين موقف الزمخشي؛ مؤكداً أن الزمخشي يفضل بين القراءات المروية جاعلاً الضابط في ذلك هو قياس العربية، وفصاحة الأسلوب، لا أنه يغيّر القراءة بغير المروي. ينظر كتابه: النحو وكتب التفسير، ص ٧٣١ وما بعدها.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (٢) ١٤٠٣/١٩٨٣ م، ٥١٤٠٣/١٩٨٣ م.

(٣) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، ت: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة (٢)، ١٩٨٥ م، ٥٦٢، وينظر أيضاً: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م، ٢٢٩/١.

(٤) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، ت: ديب البغا، دار بن كثير، بيروت، الطبعة (٣)، ١٩٨٧ م، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ١٩٠٩/٤. رقم الحديث (٤٧٠٦)، وينظر أيضاً: الترمذى، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذى، ت: محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب القراءات باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ١٩٣/٥. (رقم الحديث ٢٩٤٣).

(٥) أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن، ٥/٥.

القراء المجتمع في أهل الأنصار على قراءتهم، أو تسويفاً عما أقرته الشفات منهم؛ ولكن غرضنا منه أن نري وجه ما يسمى الآن شادا، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ سمت العربية مهلة ميدانه، لغلا يرى مرئاً أن العدول عنه غض منه، أو تهمة له، ومعاذ الله، وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى الرسول ﷺ -والله تعالى- يقول: (

(١) ..(٢). فهذه أمثلة، لا على سبيل الحصر، تؤكد أن النحاة المتقدمين يدركون حقيقة القراءات، وأن منها ما هو متواتر السند، ليس إلى القراء فحسب -كما هو رأي الزركشي-. (٣) بل إلى الرسول ﷺ .

وبعد: فإن الحقيقة التي لا مراء فيها هي أن النحاة المتقدمين ردوا كثيراً من القراءات القرآنية، وتعرضوا لها بالنقد، أو التأويل، كما أنهم قد حدوا في القراء؛ فلم يسلم قارئ من نقدمهم (٤)، ولم يهادنوه في أي مرحلة، خلافاً لما يذهب إليه الدكتور / إبراهيم أنيس. (٥) وهذا الأمر التفت إليه النحاة المتأخرن، وتبهوا له، واستنكروه، وقد أشار إلى ذلك السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ حيث يقول: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم، وحمزة، وابن عامر، قراءات بعيدة في العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك؛ فإن قراءاتكم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبتت ذلك دليل على جوازه في العربية، وقد رد المتأخرن كابن مالك على من عاب عليهم بأبلغ رد، واحتار جواز ما وردت به قراءاتكم في العربية" (٦)، ثم تناول ذلك كثير من الباحثين المحدثين، فكانت جهودهم امتداداً لجهود المتأخرن في ذلك، إلا أن هناك بعض الوقفات واللاحظات المهمة على دراساتكم، وأرائهم في هذا

(١) الحشر: ٧.

(٢) ابن حني، أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها تحقيق: على النجدي ناصف وعبد الحليم النجاري، عبد الفتاح شلبي، دار سرمين للطباعة والنشر، الطبعة (٢) ١٩٨٦م، ١/٣٢-٣٣.

(٣) ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٩٣٠م، ١/١٣٩.

(٤) للوقوف على نصيبي القراء من ذلك، ينظر: محمد عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق ١/ج ٣٤ وما بعدها.

(٥) ينظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، الطبعة (٧)، ١٩٨٥م، ٢٠٨، ٢٠٩.

(٦) ينظر: السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص ١٥٤.

الموضوع، وهي:

١ - لقد انتقد النحاة المتأخرن موقف المقدمين من النحاة، إلا أن بعض الباحثين المحدثين كان نقدتهم أشد حدة من سلفهم؛ وإذا كان النحاة المقدمون قد أخطأوا في ذلك – وهم غير معصومين - فإن بعض الباحثين المحدثين وقعوا في الخطأ ذاته؛ حين سلطوا سياط نقدتهم على النحاة المقدمين، ووصفوهم بأوصاف متعددة لا تتناسب مع جهودهم، واجتهاداتهم لخدمة لغة القرآن الكريم، وتأصيل المسائل التحوية، وبناء قواعد النحو. فالشيخ/ محمد عضيمة، يصف ما قاموا به بـ"الحملة الآثمة". فالنحاة في نظره آثمون لا مجتهدون، يصيرون، ويختطئون، أما الدكتور/أحمد مكي الأنصاري؛ فإنه يسوق في مؤلفاته كثيراً من الاتهامات، والتعليقات، والأوصاف غير المقبولة، ويتجاوز الحد في ذلك، فيصفهم أحياناً بـ"النحاة الطغاة". وأحياناً بـ"المتأمرين"، أو يصفهم أحياناً بأوصاف توحى باتهامهم بنوایاهم ومقاصدهم^(١). كما أن الدكتور / سعيد الأفغاني يتهمهم بالتعصب، والجهل بعلم القراءات وتاريخه، والاضطراب في المنهج والخلل فيه، ومحافة الحق.^(٢) والدكتور/ عبد الوهاب حمودة يصفهم بالجرأة، والغرور، والتعصب.^(٣) وغيرهم من الباحثين؛ من تناولوا هذا الموضوع^(٤).

وهذه المواقف الحادة - وإن كانت صادرة في غالبيها عن عاطفة دينية تجاه القراءات القرآنية - إلا أنها أيضاً لا تليق بمن اجتهدوا، وحملوا على عاتقهم مسؤولية لغة القرآن الكريم، ووقفوا حياتهم لخدمته، وورثوا لنا هذا التراث الضخم في علوم اللغة العربية، كما أنها لا تليق بالبحث الموضوعي المنهجي المنصف الباحث عن الحقيقة دون تلمس الأخطاء للمنقودين، وتضخيمها.

(١) ينظر الأنصاري، أحمد مكي، الدفاع عن القرآن ضد التحويين والمستشرقين، دار المعرف، مصر، ١٣٩٣هـ. ١٩٧٣م، المقدمة. وينظر للمؤلف أيضاً: سبيوبيه والقراءات دراسة تحليلية معيارية. ص ٦ وما بعدها حيث يقول عن موقف سبيوبيه من القراءات: "يلف ويدور" وـ"خفية مقاصده، تكشفت لي حفایا وروایا".

(٢) ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص. ٤.

(٣) ينظر: حمودة، عبد الوهاب، القرآن واللهجات، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ص ١٣٧.

(٤) ناقش الدكتور/ محمد حسن عواد موقف بعض الباحثين من هذه القضية وحاول أن يرد على هجومهم على النحاة، وأن يضع - كما يقول - العلاقة بين النحاة والقراء في إطارها الصحيح، ينظر: محمد حسن عواد، قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري. ص ١٣٥-١٦١.

٢ - ليس من العسير على المتأمل في كثير من الدراسات، والبحوث المتعلقة في هذا الموضوع أن يجد بعض التناقضات، والأخطاء، والتبابن الكبير في الآراء، والموافق، والنتائج. فعلى سبيل المثال: نجد عدداً من الباحثين يرون أن النحاة المتقدمين أكثروا من نقد القراءات القرآنية والطعن فيها، ويؤكدون أن المراجع سجلت لهم مطاعن عديدة في قراءات كثيرة^(١). وأن "جميع القراءات بدون استثناء أصابها الطعن، أو التجريح، أو المعارضة بأي وجه من الوجوه"^(٢). ولم تسلم قراءة مهما كانت درجتها من الصحة والتواتر^(٣). بينما نجد آخرين يرون أن القراءات التي ردتها النحاة محدودة ولا تمثل ظاهرة تستحق النقد؛ كما أنها لا تمثل النحاة جميعاً^(٤). وفريق ثالث يرى بأن الغالب أن النحاة لم ينقدوا القراءات القرآنية، وإنما هي ملاحظات عابرة تتجه للغة، ولا تخرج القراءة أو القارئ^(٥). كما أن بعض الباحثين المحدثين يرى أن الكسائي (ت ١٨٩ هـ) هو أول من رد القراءات^(٦). وبعضهم يجعله الفراء (ت ٢٠٧ هـ)^(٧). آخر ينسب ذلك إلى الخليل (ت ١٧٠ هـ)^(٨). ورابع يرد ذلك إلى أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)^(٩).

كذلك الأمر في موقف سيبويه من القراءات، ففي حين أن هناك من الباحثين من يرى أن سيبويه رد القراءات القرآنية، وطعن فيها^(١٠). نجد بالمقابل من يرى أن موقفه منها كان معتدلاً، فهو يحترم القراءات، ولا يتعرض لها ب النقد، أو انتقاد^(١١).

(١) ينظر: ص ٣٥-٣٨ من هذا البحث.

(٢) ينظر: أحمد مكي الأننصاري، نظرية النحو القرآني، ص ١٤٤.

(٣) المصدر السابق. ص ١٤٤.

(٤) ينظر: محمد حسن عواد، قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأننصاري، ص ١٣٨-١٣٩.

(٥) ينظر، رفيدة، النحو وكتب التفسير، ج / ص ١١٧٦.

(٦) ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعرفة، مصر، الطبعة (٧)، بدون تاريخ، ص ١٥٧ - ١٦٨.

(٧) المصدر السابق، وينظر أيضاً: إبراهيم رفيدة، النحو وكتب التفسير، ١١٧٦/٢.

(٨) ينظر: الأننصاري، الدفاع عن القرآن ضد التحويين والمستشرقين، ص ٢.

(٩) ينظر: الحلوي، محمد خير، أصول النحو العربي، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩ م. ص ٣٥.

(١٠) ينظر: ص ٤٣-٤٤ من هذا البحث.

(١١) ينظر: خديجة الحديشي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص ٥٩، و ينظر أيضاً: محمود نخلة، أصول النحو

أيضاً فيما يتعلق بموقف البصريين والковيين من القراءات القرآنية، حيث نجد أن الاتجاه السائد للباحثين أنهم يحملون البصريين مسؤولية رد القراءات، ويرئون ساحة الكوفيين من ذلك^(١)، بينما نجد بعض الباحثين يؤكدون أن مدرسة الكوفة هي أول من فتح باب الطعن عن طريق الكسائي، والفراء.^(٢) بينما نجد فريقاً ثالثاً يرى أن موقف النحاة من القراءات موقف واحد لا يشذ عنه أحد.^(٣)

إن هذا الأمر يعود - في رأيي - إلى أسباب متعددة لعل من أبرزها عدم الاستقراء، والتقصي في البحث عند كثير من الباحثين، بالإضافة إلى عدم التثبت في نقل النصوص، أو إساءة فهم مقاصد النحاة في ذلك؛ مما نشأ عنه هذه الأخطاء، والتناقضات في النتائج، والآراء. كما أن الواقع تحت تأثير فكرة معينة ومحاولة إثباتها جعل بعض الباحثين يتحنى على النحاة لإثباتها^(٤).

٣ - عدم النظر في تاريخ العلمين، القراءات القرآنية، والنحو، وظروف نشأتهما. إذ إن النظر في تاريخ هذين العلمين يجنب الباحثين مزالق في المواقف، والأحكام. فالباحثون المحدثون انتقدوا موقف النحاة من القراءات القرآنية، ولكن الشيء الذي لم يلتفتوا إليه، ولم يقفوا أمامه هو أن النحاة ليسوا هم فقط هم من يطعن في القراءات وينقدها، فالذي لا يصح غيره أن

العربي، ص ٣٤، وعبد الله الخزان، مراحل تطور الدرس النحوي، ص ١٧٨. و التنقاري، صالح، موقف النحاة من القراءات دراسة تأصيلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد (١)، ٢٠٠٩، ص ١٠٢. ومرجان، نعيم، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشنرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٨)، العدد (١)، ٢٠٠٦.

(١) ينظر: النايلة، ظاهرة تخطئة النحويين للفصحاء والقراء ص ٣١١. و ينظر أيضاً: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ص ٣٣٧. والطويل . السيد رزق، الخلاف بين النحويين دراسة تحليل تقويم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٤، ص ١٥٧.

(٢) ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ١٥٧ ، ١٥٨.

(٣) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥، ٢٦.

(٤) وقف بعض الباحثين المحدثين أمام بعض هذه الأخطاء وناقشوها أصحابها. ينظر على سبيل المثال: إبراهيم رفيدة، النحو وكتب التفسير، ص ١١٣٨ وما بعدها. و عبد الكريم بكار، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، ص ٨ وما بعدها. و عواد، محمد حسن، قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مكي الأنصاري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ١٣٥-١٦١.

نشأة نقد القراءات، والماضية بينها ارتبطت بنشأة التفسير كما ارتبطت حركته بحركته، ومن ثم فإن النحاة تبع في نقد القراءة لغيرهم^(١). وقد ذكر الشيخ / محمد عضيمة الطوائف التي لحت القراء، فمنهم الصحابة كابن عباس، وعائشة - رضي الله عنهم -، ومنهم التابعون كشريح، ومنهم النحويون القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي، ومنهم المفسرون النحويون كالطبرى، وابن عطية، بل ومنهم القراء والمصنفوون في القراءات كأبي بكر بن مجاهد، وعاصم الجحدري، وهارون الأعور.^(٢)

فالنحاة، كما هو واضح ليسوا وحدهم في هذا الموقف من القراءات، فالصحابة، والتابعون، والمفسرون، والقراء وقعوا فيه لسبب أو لآخر - دون أن يطعن فيهم باقيهم في دين، أو أمانة من يفعل هذا . ما يدل - كما يقول الدكتور / عبد الكريم بكار - على أن المناخ العام لم يكن يحظر ذلك؛ وإنما لنصوا عليه، وجرحوا مرتکبه، ولكن لم يوقف على شيء من ذلك. كما أن النحاة أنفسهم لم يكونوا يشعرون بخرج من هذا الموقف. فمعارضتهم كانت صريحة، وفي مواضع كثيرة، ولم يكن سببها - ولا غيره - ماضطراً لأن يلف، ويدور للقدح في قراءة، أو معارضتها. كما يزعم ذلك الدكتور / أحمد مكي الأنصاري^(٣). كما أن من المسلم به أن هذا الموقف من القراءات بدأ بالانسحاب في أواخر القرن الرابع^(٤)، حيث بدأ النحاة تدريجياً ينظرون إليها نظرة مختلفة، تقوم على أنها مما يحتاج به لا مما يحتاج له، ولم تزد الأيام هذا التوجه إلا شهولاً ورسوخاً. ويعود سبب ذلك. كما يرى الدكتور / بكار - إلى إنجاز ابن مجاهد لكتابه "السبعة"، وبالتالي جعله نموذجاً يقاس عليه بعد أن تلقي بالقبول^(٥).

إن تحمل النحاة ومناهجهم مسؤولية رد القراءات والطعن فيها موقف لا يخلو من مبالغة

(١) عبد الكريم بكار ، أثر القراءات السبع في تطور الفكر اللغوي، ص ٨٥.

(٢) عضيمة، دارسات لأسلوب القرآن الكريم، ق ١/ج ١/ص ٤٤، ٩٢.

(٣) عبد الكريم بكار، أثر القراءات السبع في تطور الفكر اللغوي ص. ٨٦.

(٤) ومن دافع عن القراءات القرآنية، وتعقب من عارض قراءة، أو طعن بها: ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، وأبن حزم (ت ٤٤٥هـ)، و والحريري (ت ٤٥٥هـ)، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وأبن المنير (ت ٦٣٣هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، والدماميني (ت ٧٤٧هـ)، وأبن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، وأبن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ)، وغيرهم.

(٥) ينظر: عبد الكريم بكار، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي. ص ٥.

وتعنت، فالنحاة لم يبدؤوا هذه الحملة، ولم ينفردوا بهذا الموقف بل هم تبع لغيرهم، وليس هذا تسوياً لمواففهم، أو دفاعاً عنهم، بل هو دعوة للبحث في أسباب تفسر هذه الظاهرة تفسيراً مقنعاً يكشف جوانبه الخفية التي لا تبرئ النحاة؛ ولكن تقف على أرض ثابتة من هذه المسألة، وتوضح ما كان خافياً علينا من جوانب هذا الموضوع. فالبحث في القراءات القرآنية، وتاريخها، وما يتعلق بنشأتها سوف يحل إشكالاً كبيراً للموقف؛ ليس للنحاة فقط بل ولغيرهم؛ من تعرض للقراءات القرآنية بالنقد. وسوف ندرك صعوبة هذا الأمر حين نقف على مقوله لأحد الباحثين، يقول فيها: "إن البحث في القراءات القرآنية شاق للغاية حيث يعتقد أن هناك بعض الأصول الضائعة والحلقات المفقودة في سلسلة تاريخ القراءات؛ مما يجعل الباحث يشعر في غير موضع أنه يقف على أرض هشة، وينبغي خبط عشواء"^(١). فالبحث في هذا الأصول والحلقات قد يكشف لنا الشيء الكثير، ولكن الصعوبة سوف تتضاعف؛ لأن الأمر يتعلق بتاريخ القراءات القرآنية والنحو معاً.

(١) ينظر: عبد الكريم بكار، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي. ، ص ٢٢٤.

المبحث الثاني

المآخذ على موقف النحاة من الحديث الشريف

الحديث الشريف هو المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم. وقد جاءت أحکامه موافقة في مجملها للقرآن الكريم، تفسر مبهمه، وتفصل مجمله، وتشرح أحکامه. كما أنه جاء بأحكام لم ينصّ عليها القرآن الكريم. وكان الصحابة -رضوان الله عنهم- إذا عرض لهم أمر بحثوا عنه في القرآن الكريم؛ فإن لم يجدوه طلبوه في السنة النبوية؛ فكان ذلك مدعاه عنایتهم بالأحاديث، وحفظها بلفظها، أو بمعناها^(١).

والحديث النبوی الشريف - أيضا - يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الفصاحة، والبلاغة، والبيان. فالرسول - ﷺ - أفصح العرب قولا، وأبينهم كلاما، وأعلاهم بلاغة^(٢).

وقد خصّ بعض الباحثين المحدثين الحديث النبوی الشريف بمصنفات مستقلة فصلوا فيها القول، وناقشو الاستشكالات، والدعاوی التي أثیرت في قضية الاستدلال بالحديث النبوی الشريف، وأطالوا، وتوسعوا في ذلك، وتباینوا آراؤهم فيها، وانتقدوا فيها بشدة موقف النحاة المتقدمين، والمتاخرین من الاحتجاج بالحديث النبوی الشريف.

ويمکن تقسيم تلك المآخذ إلى قسمين:

١ - المآخذ على النحاة المتقدمين.

٢ - المآخذ على النحاة المتاخرین.

(١) ينظر: الشوکانی، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أو حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضیلية، الرياض، الطبعة(١)، ص ١٨٩-١٨٧، وينظر أيضا: أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، مصر، بدون تاريخ، ص ٣٧.

(٢) ينظر: الرافعی، مصطفی صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٩٥ - ١٩٧. وينظر أيضا: فحال، محمود، الحديث النبوی في النحو العربي، دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، نادی أبجا الأدبي، الطبعة(١)، ١٩٨٤ / ٤١٤٠، ص ١٥ وما بعدها.

أولاً: المآخذ على النحاة المتقدمين.

إن الحركة اللغوية النشطة التي بدأت منذ منتصف القرن الأول الهجري صاحبها حركة نشطة مماثلة في رواية الحديث الشريف، وتوثيقه، والعنابة به. وبناء على ذلك فقد توجه أئمة العلوم الإسلامية إلى تلك النصوص النبوية الشريفة؛ ينهلون منها في جميع ميادين نشاطهم؛ يلاحظ هذا في الفقه، والتفسير، والسيرة، والتاريخ، والمعجمية، والبلاغة، والأدب، والنقد، وسائر مناحي البحث، والتأليف.

غير أن كثيرا من الباحثين المحدثين أبدوا انتقادات شديدة لموقف النحاة المتقدمين من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف؛ إذ رأوا أنهم وبالرغم من أنّ أغلب نصوص الحديث الشريف وجدت موثقة في عصر الاستشهاد باللغة، إلا أنهم لم يعطوا هذا المصدر الهام حقه، ولم يضعوه في منزلته المعتبرة التي يستحقها، بوصفه نصا توافر له من التوثيق في النقل، والصحة في اللفظ ما يجعله مصدرا هاما من مصادر النحو السماعية.

ويشير الدكتور/ عبد الرحمن السيد إلى هذا الموقف من الاستشهاد بالحديث الشريف؛ مؤكدا أنه كان من المعتقد أن تكون الأحاديث الشريفة، والخطب البلغة الصادرة من الرسول - ٢- مرجعا هاما من مراجع النحاة المتقدمين، يتلو القرآن الكريم في أهميته، ويتقدم رواية الأشعار، والسماع عن الأعراب؛ ولكن النحاة لم يفعلوا ذلك^(١).

فموقف النحاة المتقدمين هذا - كما يرون - يدعو للدهشة، والاستغراب. فبحلaf القرآن الكريم، وقراءاته، وكلام العرب، والشعر التي أثاروا النقاش حول الاحتجاج بها؛ فإنهم سكتوا جيئا عن هذا المصدر، ولم يخوضوا فيه. ويصف الدكتور/ علي أبو المكارم ما أسماه "الموقف السلبي" من الحديث الشريف؛ حيث يقول: "أما الحديث فقد كان مسكتا عن الاستشهاد فيه في هذه الفترة، فلم نر واحدا من النحاة يتناول بالبحث، والمناقشة مدى حجية الأحاديث المنسوبة إلى النبي - ٣- كما لم أثر فيما بين يدي من كتب النحاة المتقدمين على

(١) ينظر: السيد، عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، دار المعارف، مصر، الطبعة(١)، بدون تاريخ، ص ٢٥٥. وينظر أيضا: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص ٤٦.

من يعتمد أحاديث النبي، أو يستشهد بها^(١). وهو ما يؤيده أيضاً الدكتور / محمود حسني الذي يرى أن هذه المسألة لم تشغل بالنحاة المتقدمين، ولم يدوا فيها رأياً؛ مما جعل حقيقة موقفهم من الاستشهاد بالحديث غير واضحة "لو بتوا فيها كما بتوا في الاحتجاج بنصوص الشعر، والنشر، لما كان هناك مجال لأحد من النحاة المتأخرین في الذهاب فيها مذاهب متباعدة، والإدلة بآراء متناقضة، والتحامل على بعضهم بعضاً، ولما امتد هذا الخلاف أزمنة متعاقبة ظهر تأثيره في كتب المعاصرین الذين بحثوا هذه القضية، وناقشو جوانبها العديدة"^(٢). غير أن واقع الحال - كما يرسمه لنا الدكتور / فخر الدين قباوة - هو أنك "إذا يمتن شطر علم النحو من العربية ترجع البصر في جنباته، حتى منتصف القرن الثاني؛ انقلب إليك خاسئاً وهو حسيراً؛ لأنك تتلمس غياب المقولات المشرفة عن ألسنة النحاة، وأقلامهم، وأفهامهم؛ وكأنهم لا يعرفون منها، أو عنها شيئاً"^(٣).

فالنحاة المتقدمون - في نظرهم - فصلوا القول في شروط قبول القراءات القرآنية، والقبائل التي يؤخذ بلغتها من العرب، بالمقابل فقد أغفلوا ذكر الحديث النبوي الشريف، والاحتجاج به في مسائل النحو؛ إذ لا يوجد نص لواحد منهم يبين فيه موقفه من الاحتجاج به، فقد سكتوا جميعاً عن الخوض في هذه المسألة.

إنّ هذا الموقف غير الواضح - والغريب في حقيقته أيضاً - من النحاة المتقدمين تجاه مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف هو ما جعل كثيراً من الباحثين المحدثين - ومن قبلهم بعض النحاة المتأخرین - يفسرون أنه إعراض عنه، ورفض للاستشهاد به في الدراسات النحوية، وينتقدونه في هذا. حيث يقول الأستاذ / طه الرواوى عن الحديث الشريف، والاستدلال به عند النحاة: "نجد النحاة متقدميهم، ومتخربيهم لم يعتمدوا عليه في

(١) أبو المكارم، علي، *أصول التفكير النحوي*، منشورات الجامعة الليبية، ١٩٧٣م، ص ٣٩.

(٢) محمود، محمود حسني، *احتجاج النحويين بالحديث النبوي*، مجلة مجتمع اللغة الأردنية، السنة (٣، ٤)، العدد (٣، ٤)، ص ٤٢، ٤٣. وينظر: شعبان العبيدي، *النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل*، ص ٣٧٢.

(٣) قباوة، فخر الدين، *توظيف الحديث النبوي الشريف في البحث النحوي*، مجلة مجتمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٣)، الجزء (٣)، ص ٥٠٧.

الاحتجاج؛ لتأييد قواعدهم، وإثبات ضوابطهم^(١). وهذا ما يقرره أيضاً الدكتور / مهدي المخزومي حين يقول: "أما الحديث فلم يجوز للغويون، والنحاة الأولون كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، وسيبوه من البصريين، وكالكسائي، والفراء، وغيرهما من الكوفيين الاستشهاد به.." ^(٢)، ويقول الدكتور / فاضل السامرائي: "من المعلوم أن النحويين القدامى لم يستشهدوا بالحديث الشريف، ورفضوه جملة"^(٣). وهؤلاء الباحثون يرون أن ما ورد عند النحاة المتقدمين من أحاديث نبوية شريفة - وهي نادرة - كما هو الحال عند سيبوه، والفراء، إنما كانت تقوية لما يستشهد به من قرآن، أو من كلام العرب دون أن يكون مقصوداً إليه في الاستشهاد، ولا تنهض دليلاً على أنهم جعلوه مصدراً من المصادر المعتمدة في الاحتجاج^(٤). بحيث أصبح نص الحديث مخلاً لتطبيق القواعد؛ لكنه لم يكن وسيلة لاستنباطها، كما يقول الدكتور / محمد عيد^(٥).

هذا مجمل رأي الباحثين المحدثين في هذا الموضوع، وفي رأي الباحث أن عدم إثارة مسألة الاحتجاج بالحديث الشريف عند النحاة المتقدمين لا يلزم منها الحكم عليهم بأنهم رفضة للاحتجاج به، ولا تدل على ذلك بحال، وإنما قيلت اعتماداً على أقوال بعض النحاة المتأخرین كأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ورددتها بعض الباحثين المحدثين دون تحيص، أو بحث، أو تدقيق. وهو ما يؤكده أيضاً عدد من الباحثين المحدثين؛ حيث يقول الدكتور / أحمد مختار عمر: "والذي نلفت النظر إليه أن هؤلاء القداماء الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثروا هذه المسألة، ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به، وإنما هو استنتاج من المتأخرین الذين لاحظوا - خطأً - أن القدامى لم

(١) الراوي، طه، نظرات في اللغة والنحو، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٦٢م، ص ٢٠.

(٢) المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة (٢)، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٨٩.

(٣) السامرائي، فاضل صالح، ابن جني النحوي، منشورات جامعة بغداد، ١٩٦٩هـ / ١٣٨٩م، ص ١٣١.

(٤) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١١٣. وينظر أيضاً: محمود نحلا، أصول النحو العربي، ص ٤٧، و الزبيدي، جاسم، القياس في النحو العربي، ص ١٠٠.

(٥) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١١٣.

يستشهدوا بالحديث، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به، ثم حاولوا تعليل ذلك ^(١).
ويعجب الدكتور/ محمد ضاري حمادي من تلقيف هذه الدعوى بلا فحص، ولا تمحيص من قبل بعض المعاصرین الذين ظلوا يصررون على أن الأوائل رفضة للأحاديث، ويحاولون تأكيد ذلك، ويفندون أسباب رفضهم، أو التماس الأعذار لهم. إذ لا يوجد - بحسب رأيه - ما يعضد هذا الزعم؛ حيث لم ييد أحد منهم لا تلميحا، ولا تصريحا بضعف هذه الحجة، أو قلة الثقة بالمرور منها. ^(٢)

كما أن الدعوى بأن النحاة المتقدمين لم يستشهدوا بالحديث الشريف هي أيضا- كما يدو لي - زعم رعا لا يصمد أمام البحث، والاستقصاء، فقد توالى البحوث التي تحاول أن تثبت استدلال كثير من النحاة المتقدمين بالحديث الشريف، فسيبوه استدل بالحديث الشريف في موضع متعددة من كتابه، وليس في موضع واحد من فقط. ^(٣) بخلاف ما يزعمه بعض الباحثين المحدثين من أن سيبويه لم يحتاج مطلقا بالحديث الشريف في كتابه، وأنه هو الذي شق طريق عدم الاحتجاج بالحديث الشريف. ^(٤) والفراء كما يقول د/أحمد مكي الأننصاري: "الاحتجاج بالحديث الشريف كان مظها من مظاهر النزعة السلفية عنده". ^(٥) وأبو علي الفارسي - أيضا - استشهد بكثرة بالحديث الشريف ^(٦)، وأما تلميذه ابن جني فتصفه

(١) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٣٣.

(٢) ينظر حمادي، محمد ضاري، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٣١١ وما بعدها. وينظر أيضا، الضامن، حاتم، الاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، دبي، الطبعة (١) ٢٠٠٢ م. ص ٢.

(٣) النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٣٠، ٣٣١. و خديجة الحديسي، الشاهد وأصول النحو، ص ٦٩ وما بعدها. و محمد ضاري حمادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ص ٣٤٣. و العجمي، خالد عبد الرحمن، الشواهد النثوية في الكتاب لسيبوه، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بـالرياض، ١٤١٥ هـ، ٢٨٢/٢.

(٤) ينظر: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٤٥، وينظر أيضا: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٨٠. و محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٠٩.

(٥) الأننصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبـه في النحو واللغة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م، ص ٨٨.

(٦) ينظر: عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٢٠٢، ٢٠٣. وينظر أيضا: قاسم، محمد عبد الله، الأصول النحوية

الدكتورة/ خديجة الحديشي بأنه "أول من أكثر من الاحتجاج بالحديث كثرة فاقت من تقدمه، ووصلت إلى أكثر من أربعة أضعاف الأحاديث التي احتاج بها أبو علي الفارسي"^(١). بل إن د/ محمود حسني يذهب إلى أبعد من ذلك؛ ليقرر أن الاستشهاد بالحديث كان في مرحلة متقدمة فيقول: "من يستقصي هذا الموضوع بعناية، ويتفحص كتب الأقدمين يتبيّن أن سيبويه ليس أول من احتاج بالحديث، وليس هو صاحب هذه السنة، وإنما سبقه إليها أوائل النحاة الذين أخذوا على عاتقهم شق طريق القواعد العربية في النحو، والصرف بجد، وعناء. وأول هؤلاء بحسب ما توصلت إليه هذه الدراسة أبو عمرو بن العلاء (ت ٤٥٤ هـ). وأبو عمرو هذا أستاذ سيبويه .."^(٢).

ويؤكد الدكتور / حسن الشاعر بعد دراسة إحصائية قام بها بأنه من خلال دراسته لم يجد كتابا نحويا واحدا أغفل الحديث مطلقا.^(٣) وبالتالي فإن القول "بأن النحاة تركوا الاستشهاد بالحديث الشريف؛ لإثبات قضایا النحو مخالف للحقيقة".^(٤)

إن هذه الاستدراكات الكثيرة من الباحثين الحدثيين لتدل دلالة بيّنة على أن القول بفرض النحاة المتقدمين للاستشهاد بالحديث الشريف في الدراسات النحوية أمر لا يمكن التسليم به، وهي دعوى لا دليل عليها، بل على العكس، فكل الشواهد التي ذكرت آنفا تؤكّد أن النحاة المتقدمين لم يخرجوا الحديث الشريف من دائرة الاحتجاج، إلا أنها في الوقت نفسه لا تبرئ ساحتهم من التقصير في الإفادة من هذا المصدر الموثق مهما كانت الأسباب، والدّوافع التي ذكرها بعض الباحثين لتفسير هذا الموقف^(٥). إذ إن شواهدهم من الحديث الشريف تبقى

والصرفية في الحجة لأبي علي الفارسي، دار البشائر للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨م، ٤٢٢/١.

(١) الحديشي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي، ص ٤٨١. وينظر: محمد ضاري حادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ص ٣٣٣.

(٢) محمود حسني، احتجاج النحويين بالحديث، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) الشاعر، حسن موسى، النحاة والحديث النبوي، وزارة الثقافة والشباب، عمان، الطبعة (١)، ١٩٨٠م، ص ٩٧.

(٤) الشرقاوي، السيد معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث الشريف، مكتبة الحانجى، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠١م، ص ٢٤٤.

(٥) حاول بعض الباحثين أن يقدم تفسيرًا لوقف النحاة المتقدمين من الحديث الشريف، ينظر: - سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص ٥١، ٥٠.

محدودة جداً بالقياس إلى شواهدتهم من المصادر الأخرى؛ وبخاصة الشعر؛ ما كان سبباً في حرمان اللغة العربية، وقواعدها من مصدر هام كان من الواجب أن يلي القرآن الكريم في الاستشهاد به^(١).

ثانياً: المأخذ على النحاة المتأخرين.

ظل النحاة صامتين عن الخوض في مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف^(٢)، وذلك حتى القرن السابع؛ إذ أثيرت هذه المسألة حين انتقد أبو الحسن بن الصائع (ت ٦٨٠ هـ) ابن خروف (ت ٦١٠ هـ) في إكثاره من الاستشهاد بالحديث الشريف^(٣)، حيث يقول: "وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً؛ فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك فحسن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه، فليس كما رأى"^(٤)، ويعلل ابن الصائع لترك

- خديجة الحديسي، الشاهد وأصول النحو، ص ٧٥ وما بعدها.
- محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١١٣.
- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ص ٤٩ وما بعدها.
- أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، ص ٣٨، ٣٩.
- محمد ضاري حمادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية وال نحوية، ص ٣٦٦ وما بعدها.
- عبد التواب، فقه العربية، ص ٩٧.
- صابر أبو السعود، في نقد النحو العربي، ص ٣٧.
- محمود فحال، الحديث النبوي في النحو العربي، ص ١٢٦.
- سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ٩٨.

(١) ينظر أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٣٧. و محمد ضاري حمادي، الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية وال نحوية، ص ٣٣٥.

(٢) أثار ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) قيل ذلك هذه المسألة في وجوه النحاة، واستنكر عليهم استبعاد المقولات النبوية في استدلالاتهم، مع أنهم يحتجون بأقوال الشعراء، ومجاهيل الأعراب، ينظر: ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد، "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، ت: محمد إبراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربية السعودية، الطبعة (١)، م ١٩٨٢ / ٣، ٢٣١-٢٣٢.

(٣) يرى الدكتور/السيد الشرقاوي أن حملة ابن الصائع على الاستشهاد بالحديث الشريف لم تظهر إلا مقرونة بالانتصار لسيبويه من ابن الطراوة، وجاء نقه لابن خروف تبعاً لقصد. ينظر معاجم الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو. ص ٥٨١.

(٤) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ١٦٠. والبغدادي، خزانة الأدب، ١ / ١١٠.

المتقدمن الاحتجاج بالحديث فيقول: "وتحویز الروایة بالمعنى، هو السبب عندي في ترك الأئمة کسيبویه، وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث. واعتمدوا في ذلك على القرآن العظيم، وتصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل في الحديث بالمعنى؛ لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي - ﷺ - لأنه أفصل في العربية...".^(١)

ولعل إكثار ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) من الاستشهاد بالحديث الشريف في مصنفاته، وتعويذه عليه في تقييد القواعد هو ما جعل الحملة تشتد، وبخاصة من أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) - وهو من تلاميذ ابن الصبّاع - الذي حمل لواء المعارضة، وعبر عن موقف المانعين خير تعبير، وكان أشدّهم مبالغة فيه، وإنكاراً على مخالفيه؛ حيث انتقد ابن مالك على موقفه، وشنع عليه - فيما يصفه - بإعطاء الحديث قدرًا لم يعطه إيهاؤ الأولون؛ وذلك في شرحه لكتاب التسهيل. وأمام هذا الخلاف حول هذه المسألة، فقد بُرِزَ لدى النحاة المتأخرین ثلاثة اتجاهات:^(٢)

الاتجاه الأول: يمنع الاحتجاج بالحديث الشريف مطلقاً. وعلى رأس هذه الطائفة: أبو الحسن ابن الصبّاع (ت ٦٨٠هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، وهم يمنعون ذلك، لأسباب وهي: أن الحديث مروي بالمعنى دون اللفظ، حيث إن الرواية جوزوا النقل بالمعنى، كما يرون أنّ الحديث وقع فيه لحن كثير؛ لأنّ أغلب رواه من الأعاجم، فوقع اللحن في **كلامهم**، وهم لا يعلمون ذلك. بالإضافة إلى ذلك فإنّ أوائل النحاة من أئمة البصريين، والكوفيين لم يفعلوا ذلك. وسار على نهجهم هذا جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) في أحد مذهبيه^(٣).

(١) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدلها، ص ١٥٧. والبغدادي، خزانة الأدب، ١١٠ / ١.

(٢) ينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدلها، ص ١٥٧، وما بعدها. وينظر أيضًا: البغدادي، خزانة الأدب، ١ / ٩ وما بعدها. ابن الطيب الفاسي، أبوعبد الله محمد، فيض نشر الاتسراح من روض طي الاقتراح، ت: محمود فجال، دار البحث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، بي، الطبعة (٢)، ٢٠٠٢، ٤٤٦ وما بعدها، وينظر: خديجة الحديسي، الشاهد وأصول النحو، ص ٦٢ وما بعدها. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١ م، ص ٢٤ وما بعدها. و عبد العزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، الطبعة (١)، ١٩٩٥ م، ص ٨٥. و سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ٩٨. وغيرهم.

(٣) لم يكن موقف السيوطي واضحًا من الاستشهاد بالحديث الشريف، يقول الدكتور / فجال: "موقف السيوطي متعدد

الاتجاه الثاني: وهو مذهب التوسط بين المنع والجواز. وهؤلاء يكتحون بالأحاديث النبوية

التي اعنيتني بألفاظها؛ لمقصود خاص كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحتها ٣ ويمثل هذا الاتجاه أبو إسحاق الشاطئي (ت ٧٩٠هـ)، والسيوطى (ت ٩١١هـ) في أحد مذهبيه.^(١) فالشاطئي وافق أبا حيان الأندلسى في أنه لم يجد أحدا من النحويين استدل بالحديث الشريف؛ ولكنه خالقه من جهة أخرى، فقال موجزا رأيه: "إن الحديث في النقل ينقسم إلى قسمين، أحدهما: ما عرف أن المعنى به فيه نقل معانٍ لا نقل ألفاظه، فهذا لم يقع به استشهاد من أهل اللسان. والثاني: ما عرف أن المعنى فيه نقل ألفاظه؛ لمقصود خاص بها، فهذا يصح الاستشهاد به في أحكام اللسان العربي كالأحاديث المنشورة في الاستدلال على فصاحة رسول الله ٣...".^(٢) كما أنه لم يرض بموقف ابن مالك، وتوسعه في الاستدلال بالحديث الشريف، وخطأه في ذلك.^(٣) وفي رأيي أن موقف الشاطئي هذا لا يختلف كثيرا عن رأي ابن الصانع، وأبي حيان وغيرهم من المانعين.

الاتجاه الثالث: التجويز مطلقا. ويمثل هذا الاتجاه ابن خروف (ت ٦١٠هـ)، و أبو

القاسم السهيلى (ت ٥٨١هـ)، وابن مالك (ت ٦٢٢هـ)، والرضي الإستراباذى (ت ٦٨٨هـ)، وابن هشام (ت ٧٦٢هـ). وابن الطيب الفاسى (ت ١١٧٠هـ). وقد فاقهم ابن مالك في ذلك، وبلغ الذروة في كتابه (شواهد التوضيح والتصحیح لمشکلات الجامع الصھیح).^(٤)

وقد توسع عديد من النحاة المتأخرین في عرض هذه المواقف، والإجابة عنها في مصنفاتهم. ومنهم على سبيل المثال البدر الدمامي (ت ٨٢٧هـ)^(٥)، وعبد القادر البغدادي

بين الاتجاه الثاني والثالث، أي التوسط والرفض". الحديث النبوى في النحو العربى، ص ١٣٣. ويقول الدكتور / محمد ضارى حمادى: "وهكذا بقى ابن الصانع وأبو حيان على هذا المذهب (أى المنع) يتبعهما في ذلك على موقف غير ثابت جلال الدين السيوطى، "الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية وال نحوية، ص ٤٦٠.

(١) ينظر السيوطى، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ١٥٧.

(٢) ينظر: أبو إسحاق الشاطئي، المقاصد الكافية، ٤٠٥/٣.

(٣) المصدر السابق، ٤٠١/٣.

(٤) ينظر: ابن مالك الأندلسى، جمال الدين محمد بن عبد الله، شواهد التوضيح والتصحیح لمشکلات الجامع الصھیح، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، مکتبة دار العروبة، ٤٠١.

(٥) ينظر، الدمامي، بدر الدين، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد نحوية، مکتبة بين بدر

(ت ٩٣ هـ)^(١)، وابن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠ هـ) الذي أنكر على أبي حيان تحامله على ابن مالك في قضية الاستدلال بالحديث الشريف، ونص على أن الاحتجاج بالحديث الشريف أولى، وأجدر من الاحتجاج بكلام الأعراب الأجلاف^(٢).

لقد انتقد أبو حيان الأندلسي ابن مالك في توسعه بالاحتجاج بالحديث الشريف، وأطّال في الرد عليه في شرحه للتسهيل، وعبر عن مذهب المانعين خير تعبير؛ وذلك بقوله: "قد هج هذا المصنف في تصانيفه بالاستدلال بالحديث في إثبات القواعد الكلية في لسان العرب؛ وما رأيت أحداً من المتقدمين، ولا المتأخرین سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل. على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرّين الأحكام من لسان العرب، والمستبطنين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبوه من أئمة البصريين، وكمعاذ، والكسائي، والفراء، وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من الكوفيين لم يفعلوا ذلك. وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد، وأهل الأندلس". وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما تنكبت العلماء؛ لعدم وثوقهم أن ذلك نفس لفظ رسول الله -ص- إذ لو وثقوا؛ لجرى بحر القرآن في إثبات القواعد الكلية به، وإنما كان ذلك لأمررين: أحدهما أن الرواية جوزوا النقل بالمعنى ...، والثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما يروى من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواية كانوا غير عرب بالطبع، ولا تعلموا لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في نقلهم، وهم لا يعلمون ذلك، ووقع في كلامهم، وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب...". وفي كتابه: (ارتشاف الضرب)، يقول معلقاً على ابن مالك في حديثه عن (كأين): "وزعم ابن مالك أنها قد يستفهم بها، واستدل بأثر جاءه عن أبي على

الدين الدمامي وسراج الدين البلقيني (٨٠٥ هـ) دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخواص، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١) ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٢٦ وما بعدها. وفيه تناول حجج المانعين وتولى الرد عليها، وأيد حجج المحيزين.

(١) ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ١/٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الفاسي، ابن الطيب الفاسي، أبو عبد الله محمد، تحرير الرواية في تقرير الكفاية، تحقيق: الدكتور/علي الباب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة (١) ١٩٨٣ م، ص ٩٦.

(٣) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدلها، ص ١٥٧ وما بعدها. والبغدادي، خزانة الأدب، ١/٩ وما بعدها.

عادته في إثبات القواعد النحوية بما روي في الحديث، والآثار، مما نقله الأعاجم الذين يلحنون،
وما لم يتعين أنه لفظ الرسول - ﷺ -، ولا لفظ الصحابي؛ فيكون حجة^(١).

إلا أن موقف ابن الصاع، وأبي حيان، وغيرهم من منعوا الاحتجاج بالحديث النبوى
الشريف، لم يجد قبولاً عند كثير من الباحثين المحدثين، واندفعوا يدافعون عن الحديث الشريف،
ومنزلته، والاحتجاج به؛ إذ هم يرون أن حجج أبي حيان والمانعين لا تصمد أمام البحث
العلمي، والتمحیص.

فالحججة الأولى وهي: رواية الحديث بالمعنى التي تعلق فيها أبو حيان في منعه الاستشهاد
بالحديث الشريف - كما يقولون - ليست حجة قوية^(٢). حيث يرى الأستاذ/ محمد الحضر
حسين أن قسماً كبيراً من الأحاديث قد دونه من يجتهد بقوله في اللغة، كما أن كثيراً من الرواية
كانوا يكتبون الأحاديث عند سماعها^(٣) وذلك مما يساعد على روایتها بألفاظها، يضاف إلى
ذلك ما وقع من التشديد في رواية الحديث بالمعنى، واحتياطهم في ذلك، فيحصل بذلك الظن
الكافى لأن تكون الأحاديث مروية بألفاظها^(٤).

كما يرى الأستاذ/ طه الراوى أنّ في الأحاديث الشريفة طائفة توافر دواعي حفظها
بنصها، مثل الأدعية، والأذكار، والأحاديث القصار التي سارت مسيرة الأمثال^(٥).

أما الدكتور/ محمد ضاري حمادي فيؤكد أن الرواية بالمعنى ليست سوى رخصة، لا يلجؤون
إليها إلا عند الضرورة، كما أنها ليست رخصة مطلقة، بل هي محكومة بقيود صارمة، وخطوط
محددة مرسومة لا ينبغي تجاوزها، أو تجاوزها. منها ما يتعلق بالراوى، ومنها ما يتعلق بالمروى؛
ما يجعل الرواية بالمعنى محدودة الدائرة، مغلولة اليد، صعبة الوصول إلى الترخيص بها^(٦).

(١) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب .٣٨٧/١.

(٢) وقد تناولها بالرد من المتأخرین البدر الدمامي، ينظر، البدر الدمامي، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على
إثبات القواعد النحوية، مکاتبة بین بدر الدين الدمامي وسراج الدين البلقيني، ص ٢٦ ، وما بعدها.

(٣) حسين، محمد الحضر، دراسات في العربية وتاريخها، مکتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م،
ص ١٧٥.

(٤) ينظر: الراوى، طه، نظرات في اللغة والنحو، منشورات المکتبة الأهلية، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٢ م، ص ٢٣.

(٥) ينظر: محمد ضاري حمادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ص ٣٩٣.

فالتشديد في الضبط، والتحرى في رواية الأحاديث، ونقلها، وتلك الشروط الصارمة الموضوعة على الراوي والمروى، تجعل الرواية بالمعنى احتمالاً عقلياً، لا يقيناً واقعاً^(١).

وينفي الدكتور/ محمد عيد أن تكون الرواية بالمعنى حجة للمانعين؛ لأنها لا تثبت من أساسها. فنصوص الحديث قد دونت في الصحائف، وحفظت في الصدور. كما أن العناية بها كانت أقوى من العناية بالنصوص الأخرى التي رويت في عصر الاستشهاد متناقلة عبر عصور طويلة مشافهة، أو كتابة؛ لأنها نصوص دينية تبني عليها الأحكام الشرعية، فكان الرواية يحرصون كل الحرص من أن يصيب كلام رسول الله - ﷺ - تحريف، أو تصحيف في لفظه^(٢). بل أن الرواية بالمعنى – كما يقول د/ شعبان العبيدي - لا تعن في فصاحة الحديث الشريف؛ ذلك لأن الذين تصرفوا في النقل كانوا في عصر الفصاحة، والاستشهاد، أو جروا على سنن النطق في عصر الفصاحة، والاستشهاد^(٣).

وينكر الدكتور/ محمد ضاري حمادي على أبي حيان أن يخص الحديث وحده ببعض الروايات، دون سائر المصادر التوثيقية الأخرى للغة العربية!! ويتساءل لماذا يحترم روایات القراءات، ويبني عليها القاعدة؛ ولو كانت مخالفة لأبنية النحو، وأقيس لهم، ولا يتزدّد في قبول الروايات الشعرية المختلفة التي مصدرها اختلاف لهجات القبائل، ولا يفعل ذلك مع الحديث النبوي الشريف؟!^(٤).

فلا ينبغي أن يكون تعدد الرواية في الحديث - كما يقول الدكتور/ حسن هنداوي - مدخلاً لاستبعاد الحديث النبوي الشريف في الإعراب والتصريف، فقد استشهد النحو بكلام

(١) ينظر: خديجة الحديشي، موقف النحو من الحديث الشريف، ص ٣٧٤. و ينظر أيضاً: سعيد الأفغاني، في أصول النحو العربي، ص ٥١. و طه الراوي، نظارات في اللغة والنحو، ص ٢٢. و السيد الشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١١٣.

(٣) ينظر: شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٧٤. و ينظر أيضاً: النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٣٦. و حسان، تمام، أصول النحو وأصول النحو، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، العدد ٨، السنة ٤، ربيع الأول، ١٣٩٧هـ، ص ٧٩. والشرقاوي، معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، ص ٢٦١. و ص ٢٨٧.

(٤) ينظر: محمد ضاري حمادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية وال نحوية، ص ٤٠٣، ٤٠٤.

العرب، ولم يستثنوا من ذلك ما تعددت الرواية فيه؛ وهو أمر شائع في الشعر مشهور.^(١) ولعل الدكتور / فخر الدين قباوة ناقش هذه الدعوى بشيء من التفصيل؛ مؤكداً أن حجة السحابة المتأخرین فيها واهية. فالنصوص الأربع التي رويت في إباحة الرواية بالمعنى، واعتمد عليها أصحاب هذه الشبهة - وبعد مناقشتها - ليس في أسانيدها من الصحة، أو الحسن، أو القبول شيء؛ ومادامت كذلك^(٢) فلا يجوز الاعتماد عليها، أو الاحتجاج بها، أو إيرادها في مسائل الرواية للسنة المشرفة. كما أنه ورد من النصوص الشريفة ما ينافيها أصلاً، من مراعاة اللفظ في التلقي، والحفظ، والنقل، والتبيّغ. وأما ما صدر من بعض الصحابة، والتابعين من جواز الرواية بالمعنى فهي - كما يرى - د/ قباوة "اجتهادات فردية غير معتبرة، أو هي قد بنيت على أحاديث واهية جداً، ونسبت إلى عدد محدود من القدماء، ثم إنها في خلاف ظاهر لنص السنة، وتوقيفها..".^(٣) بالإضافة إلى ذلك، فإنها جاءت على خلاف ما تعارف عليه الصحابة، والتابعون من وجوب الدقة، والاهتمام، والتحري في نقل النص النبوي الشريف. وأما الحجة الثانية التي تذرع بها أبو حيّان؛ وهي: أن اللحن قد وقع كثيراً في الحديث الشريف؛ لأن كثيراً من رواهـ من كانوا غير عرب بالطبع، وهم لا يعلمون لسان العرب، ففـعـ اللـحنـ فيـ كـلـامـهـمـ. فيـرىـ الدـكتـورـ /ـ إـبرـاهـيمـ أـنـ فـكـرـةـ اـرـتـباطـ الـجـنـسـ بـالـلـغـةـ فـكـرـةـ شـائـعـةـ قـدـيـماـ،ـ وـلـكـنـ الـدـرـاسـاتـ الـعـلـمـيـةـ الـحـدـيـثـةـ تـرـفـضـهـاـ^(٤).

أما الدكتور / محمد ضاري حمادي فيرى أن كون الرواية من الأعاجم، لا يدل بالضرورة على أنهم يلحنون؛ لأنهم كانوا حريصين على صحة عباراتهم، بل إن منهم من ملك ناصية العربية، فانقادت له، وجرت على لسانه بما لم تجر على ألسنة الكثيرين من أئمة اللغة كالحسن

(١) ينظر: هنداوي، حسن، إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد (٣٠)، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م، ص ١٩٥.

(٢) فخر الدين قباوة، توظيف الحديث الشريف في البحث النحوی، ص ٥٢١.

(٣) المصدر السابق، ص ٥١٦-٥٢١.

(٤) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٣٦. وينظر أيضاً: عبد المجيد عابدين، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٠١.

البصري وغيره^(١).

ويعجب كثير من الباحثين المحدثين من موقف أبي حيان من هذه الحجة^٤ لأن ذلك ينطبق - أيضاً - على رواة الشعر، والنشر، القراء، بل إنه ينطبق أيضاً على حملة النحو العربي. يقول الأستاذ/طه الرواـيـي "والقول بأن في رواة الحديث أعاجم ليس بشيء^٥ لأن ذلك أيضاً يقال في رواة الشعر، والنشر اللذين يحتاج بهما، فإن منهم الكثير من الأعاجم، وهل يمكن في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً يمكن أن يوضع في صـفـ حـمـادـ الـرـاوـيـةـ الـذـيـ كـانـ يـكـذـبـ، وـيـلـحـنـ، وـيـكـسـرـ؛ ومع ذلك لم يتورع الكوفيـونـ، ومن نـحـجـ هـجـهمـ عن الـاحـتـاجـاجـ بـمـروـيـاتـهـ، ولـكـنـهـمـ تـحـرـجـواـ في الـاحـتـاجـاجـ بـالـحـدـيـثـ".^(٦)

و في السياق نفسه يتساءل الدكتور/ محمد ضاري حمادي قائلاً: "ما الذي منع أبي حيان أن ينظر إلى القراء، والمحدثين نظرة واحدة؟ ما الذي دفعه إلى أن يحتاج بالقراء، وقراءاتهم، ويتولى الذود عنهم وعن فصاحتهم؛ وهو يعلم أن في القراء السبعة المشهورين خمسة من الموالـيـ ..."^(٧)، بل يرى الدكتور/شعبان العبيـديـ أن كـثـيـراـ من حـمـلـةـ النـحـوـ العـرـبـيـ هـمـ منـ الأـعـاجـمـ "فـسـيـبـوـيـهـ هـذـاـ أـعـجـمـيـ، وـهـوـ صـاحـبـ (ـالـكـتـابـ)ـ دـسـتـورـ النـحـاـةـ جـمـيـعـاـ، وـعـمـدـتـهـمـ حـتـىـ هـذـهـ الـلـحـظـةـ، وـمـاـ رـأـيـ الشـيـخـ أـبـيـ حـيـانـ فـيـ أـنـ كـثـيـراـ مـنـ وـضـعـواـ لـبـنـاتـ النـحـوـ العـرـبـيـ الـأـوـلـىـ، وـنـقـلـواـ الـلـغـةـ عـنـ الـأـعـرـابـ كـانـواـ عـجـمـاـ:ـ الـحـضـرـمـيـ، وـعـيـسـىـ بـنـ عـمـرـ، وـيـونـسـ بـنـ حـبـيـبـ، وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـنـحـاـةـ السـابـقـيـنـ، وـالـلـاحـقـيـنـ كـانـواـ يـعـودـونـ إـلـىـ أـصـوـلـ غـيـرـ عـرـبـيـةـ، فـإـذـاـ كـانـ أـبـوـ حـيـانـ لـاـ يـعـتـدـ بـنـقـلـ الـأـعـاجـمـ؛ـ لـأـنـهـمـ مـظـنـةـ الـلـحـنـ عـنـدـهـ، فـلـيـحـاـوـلـ أـنـ يـلـغـيـ أـسـاسـ النـحـوـ العـرـبـيـ ..."^(٨).

وينتهي الدكتور/ فخر الدين قباوة بعد مناقشة هذه الحجة إلى أنها "أرجوفة وضعها المعترضون على الاحتجاج منذ القرن الخامس، أو قبل ذلك، وترددت في أقوالهم حتى عصرنا

(١) يـنـظـرـ:ـ مـحـمـدـ ضـارـيـ حـمـادـيـ،ـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ وـأـثـرـهـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ،ـ صـ ٤٠٦ـ .

(٢) الـرـاوـيـ،ـ نـظـرـاتـ فـيـ الـلـغـةـ وـالـنـحـوـ،ـ صـ ٢١ـ،ـ ٢٢ـ .ـ وـيـنـظـرـ:ـ مـحـمـدـ ضـارـيـ حـمـادـيـ،ـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ وـأـثـرـهـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ،ـ صـ ٤٠٩ـ .

(٣) مـحـمـدـ ضـارـيـ حـمـادـيـ،ـ الـحـدـيـثـ الشـرـيفـ وـأـثـرـهـ فـيـ الـدـرـاسـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ،ـ صـ ٤١٠ـ ،ـ ٤٠٩ـ .

(٤) شـعـبـانـ الـعـبـيـديـ،ـ الـنـحـوـ الـعـرـبـيـ وـمـنـاهـجـ التـأـلـيفـ وـالـتـحـلـيلـ،ـ صـ ٣٧٤ـ ،ـ ٣٧٥ـ .ـ وـيـنـظـرـ:ـ فـخـرـ الـدـيـنـ قـبـاـوـةـ،ـ تـوـظـيـفـ الـحـدـيـثـ الـنـبـوـيـ فـيـ الـبـحـثـ الـنـحـوـيـ،ـ صـ ٥٣٨ـ ،ـ ٥٣٩ـ .

هذا، فعاشت في الأذهان، والألسنة، والأقلام عشرة قرون، تتدوا لها، وتتابع تفسيرها، وتوكيدها حتى أصبحت مسلمة كالشيء المقرر لخلاف فيه".^(١)

وليؤكد هذا الحكم فقد قام الدكتور/ قباوة بإحصاء للرواية من الصحابة في صحاح السنة النبوية، فكانت نتيجته أن جمهورهم من العرب الخلص، وهم فصحاء عدول بتزكية النبي الكريم لهم، ثم قام بإحصاء ما كان من رواة التابعين فوجد أن عدد المولى خمس الرواية فقط، كما أن كونهم من المولى لا يعني - كما يرى - أنهم ليسوا من العرب؛ إذ كان كثير من العرب الأقحاح يتولون بعض القبائل، أو السادة، كما أنهم عاشوا في بيوت عربية. أبناءها من يستشهد بأقوالهم.^(٢) مؤكداً أن "القضية ليست قضية جنس، أو نسب بقدر ما هي مسألة لغة تداول، فتقتبس، وتملأ، ويبرع فيها من جد فيها، وأخلص لها وأحب اكتسابها؛ غالباً ما يطغى المكتسب على الأصل".^(٣)

وأما حجة أبي حيان الثالثة: وهي أن ابن مالك باستدلاله بالحديث الشريف في إثبات القواعد التحوية قد خالف المتقدمين، والمتاخرين، فقد أشرت في موضع سابق إلى جهود الباحثين المحدثين في إثبات بطلان هذه الدعوى، التي احتاج بها المتاخرون، وتبعهم في ذلك بعض الباحثين المحدثين.^(٤) وأنها هذه المزاعم مخالفة للحقيقة. بل إن أبي حيان نفسه - كما تقول الدكتورة/ خديجة الحديشي - استشهد بالحديث الشريف في أمور نحوية^(٥). وهو ما لاحظه أيضاً الدكتور/ عبد الجبار علوان النايلية؛ حيث يقول في هذا: "إن موقف أبي حيان من المستشهدين بالحديث يدعوه إلى الدهش، والاستغراب، فقد مر بنا كلامه المسهب بمنع الاستشهاد بالحديث، وإنكاره على ابن مالك اعتماده عليه في الاستشهاد، ثم استشهاده كثيراً بالحديث؛ معتمداً عليه في بعض المسائل كما رأينا. ولو كان استشهاده به على تفسير معنى، أو تخریج آية؛ لهان الأمر، ولكن كان يستشهد به في إثبات القواعد تماماً كما كان يفعل ابن

(١) فخر الدين قباوة، توظيف الحديث النبوى في البحث التحوى ق (١)، ص ٥٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٢٦-٥٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٣٣.

(٤) ينظر: ص ٦١-٦٣ من هذا البحث.

(٥) ينظر: خديجة الحديشي، موقف النحاة من الحديث الشريف، ص ٤٣٦ وما بعدها.

إن وقوع أبي حيان في هذا التناقض هو ما جعل بعض الباحثين يرون أن منع الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في اللغة أمر لا يقوم على أساس علمي، وأنه لم يكن سوى ثمرة نزاع شخصي، أو حسد علمي اندفع من أجلها أبو حيان إلى هذا الجدل الطويل^(٢).

وأحيرا فقد كان من ثمرة هذه المآخذ، والجهود، والدراسات التي بذلت أن حسم موضوع الاستشهاد بالحديث الشريف من مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ مستندا على جهود الأستاذ/ محمد الخضر حسين الذي راعى الأقوال المتباعدة، والمذاهب المختلفة، فكان قراره ما يلي^(٣):

١. لا يحتج بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب الصاححة ستة فما قبلها.

٢. يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه الآتي:

أ- الأحاديث المرويات المشهورة.

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج- الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

د- كتب النبي، ٣.

(١) عبد الجبار النايلية، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٣٥. هذا وقد أشار ابن الطيب الفاسي؛ وهو من المؤخرين إلى هذا التناقض فقال: "بل رأيت الاستدلال في كلام أبي حيان نفسه". ينظر: ابن الطيب الفاسي، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ص ٤٥٥، وينظر كذلك: محمد الخضر حسين، دراسات في العربية و تاريخها، ص ١٧٧.

(٢) ينظر: خديجة الحديشي، موقف النحاة من الحديث الشريف، ص ٣٢٨. ويقول الدكتور/ النايلية: "إن أبي حيان لم يطعن على ابن مالك كثرة استشهاده بالحديث فحسب! بل طعن عليه في أشياء كثيرة مما يستنتج منه التحامل"، ينظر: الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٣٢. وقد ألمح ناظر الجيش إلى هذا التحامل من أبي حيان على ابن مالك في أكثر من موضع من كتابه: تمهيد القواعد بشرح تسهيل القواعد، ينظر على سبيل المثال: ٢٤٤٦/٥.

(٣) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً (١٩٣٢م - ١٩٦٢م)، مجموعة القرارات العلمية التي أخرجها محمد خلف الله محمد شوقي أمين، ١٩٦٣م، ص: ٣، ٤، وقد زاد الدكتور/ عبد الرحمن السيد بعض أنواع الحديث عليها؛ وهي:

أ- الأحاديث التي رواها من العرب من يوثق بفصاحتهم، وإن اختلفت ألفاظها.

ب- الأحاديث التي يطعن فيها إلى عدالة رواهما، والتي يغلب على الظن تعدد مواطن الاستفهام فيها، وإن اختلاف الصيغة يرجع إلى تكرار الإجابة. مدرسة البصرة، ص ٢٦٠.

هـ - الأحاديث المروية لبيان أنه ٣ - كان يخاطب كل قوم بلغتهم.

و - الأحاديث التي عرف من حال رواها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل:

القاسم بن محمد، ورجاء بن حيوه، وابن سيرين.

ز - الأحاديث المروية من طرق متعددة؛ وألفاظها واحدة.

وقد لقي هذا القرار ترحيباً من كثير من الباحثين الذين رأوا في هذا القرار وضعاماً للأمور في نصاها، ووضعاماً للحديث في محله الحق من الدراسات اللغوية، وال نحوية.^(١) بل إن بعض الباحثين ذهب إلى أبعد من ذلك؛ مؤكداً على ضرورة الاحتياج بالحديث النبوي الشريف دون قيد أو شرط، ورأى بعضهم أن استبعاد أي قسم من أقسام الحديث الشريف هو حرمان اللغة العربية من ثروة لغوية نفيسة.^(٢)

وأخيراً فلاشك في أن موقف المانعين للاحتجاج بالحديث الشريف يفتقر إلى المنهجية؛ لأنه يلغى نصاً هاماً من نصوص اللغة، ومصدراً ثرياً من مصادر التعقيد اللغوي، وال نحووي لا يقل بأية حال عن المصادر الأخرى، بل هو أوثق من كثير منها. وذلك بحجج واهية لا تصمد أمام البحث، والتمحيص، والمناقشة. ولاشك - أيضاً - في أن الاحتياج بالحديث الشريف - وفق الضوابط - يفتح مجالاً واسعاً للدراسات نحوية الجديدة لدى الباحثين المحدثين.

(١) ينظر: محمد ضاري حمادي، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، ص ٤٠٤. والناية، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٣٦، ٣٣٧. و العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٧٧. والزيدي، القياس في النحو العربي، ص ٩٩. و العيساوي، القياس اللغوي، مجلة اللسان العربي، مجلد ١٤، الجزء ١، ص ٣٨.

(٢) ينظر على سبيل المثال:

- الراوي، طه، نظرة في النحو، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد الرابع عشر، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.
- سعيد الألغاني، في أصول النحو ص ٤٦.
- فجال، محمود، السير الحيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، نادي أبحاث الأدب، الطبعة (١)، ١٤٠٧، ١١٤-٢٧١.
- فخر الدين قباوة، توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي ق (٢)، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٢)، الجزء (٤)، ص ٧٩٥-٨٤٢.
- حسن هنداوي، إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية، ص ١٩٩.

المبحث الثالث

ما أخذ على موقف النحاة من كلام العرب شعره ونشره

إلى جانب القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة كان هناك مصدر لغوي حيّ، ورافقه هام من روافد الاحتجاج النحوي، هو أولئك البداء الفصحاء المنتشرون في بواقي بحث، وتحامه، والمحاجز، وقد كان هذا المصدر معيناً للنحاة في جمع مادتهم اللغوية؛ لاستنباط القواعد منها. ومن هنا حرص النحاة على الرحلة إلى البداء في أوسط الجزيرة العربية وأطرافها، أو على الاتصال بهؤلاء الأعراب في الأمصار.

وقد أجمع علماء العربية المتقدمون على الاستشهاد بكلام العرب شعره ونشره في اللغة، والنحو. إلا أنهم شرطوا لذلك شروطاً، ووضعوا ضوابط للأخذ بهذه المادة اللغوية، وعينوا قبائل محددة للأخذ منها، كما أنهم حددوا زمناً معيناً للاستشهاد سمي فيما بعد بـ"زمن الاحتجاج" ، غير أنهم - مع ذلك كله - لم يتحدثوا عن قواعد السماع والنقل حديثاً نظرياً مباشراً؛ بل نشروا ذلك في موضع متفرق من كتبهم أصولاً، ونظارات فيها. وقد حرصوا في ذلك كله على انتقاء الأساليب الفصيحة، والشاهد الصحيح، وأخذها من أفواه العرب الخلص، فرحلوا إلى البوادي؛ لجمع اللغة، وحصروا القبائل التي أرادوا الأخذ عنها. فهم "قد سمعوا عن العرب كثيراً، ولكنهم لم يقبلوا كل ما سمعوا، ولم يعتمدوا كل ما روي لهم، ولم تقم قواعدهم على الرواية العابرة، أو البيت النادر، أو القولة النابية. إنهم أرادوا أن يضعوا أساس علم، وأرادوا لهذه الأسس أن تكون قوية؛ فلابد في شواهدها من أن تكون متواترة، أو قريبة من التواتر؛ حتى ترسخ قواعدها، فلا تزلزل، وحتى يقوى أساسها، فلا يلين".^(١)

والنحاة قد وضعوا نصب أعينهم - في ذلك كله - البحث عن (نقاء اللغة) الذي التزموا به، وتحرزوا في ذلك؛ لكي يتحقق لهم ما يريدون؛ فلم يحتاجوا إلا بقول من يوثق بفصاحته، وسلامة عريته. كما أنهم حرصوا أيضاً على توثيق المادة اللغوية، سواء عند سماعها من

(١) السيد، عبد الرحمن: مدرسة البصرة النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط (١)، ١٩٦٨ م، ص ١٤٦.

مصدرها الأصلي، أو نقاً عن هذا المصدر.^(١)

لقد كان الطريق شاقا أمام النحاة الأوائل، بذلوا فيه جهودا مضنية، ووضعوا مقاييس وشروطاً وحدوداً؛ في سبيل إنجاز هذا العمل الضخم، وأمام تلك المادة العلمية الغزيرة التي تناولوها بالبحث والدراسة، وهم يستحقون الشكر، والثناء على ذلك كله.

وأما الضوابط الزمانية ، والمكانية التي انطلق منها النحاة الأوائل ، وذكرتها لنا كتب المصادر؛
لقيول الشاهد اللغوي ، فيمكن تحديدها بالآتي^(٢) :

أولاً: التحديد الرماني: قبل علماء اللغة الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية، وفصاءء الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري في الحواضر، ومنتصف القرن الرابع في البوادي. وأماماً الشعر فقد قسم علماء اللغة الشعراء إلى أربع طبقات وهي:

- ١ - طبقة الشعراء الجاهليين، وهم الذين لم يدركوا الإسلام. كامرئ القيس، والأعشى.
 - ٢ - طبقة الشعراء المحضرمين، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. كلبيد بن ربيعة،

(١) ينظر: جبل، محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٨٤.
و ينظر أيضاً: محمد عيد، محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة
الحاديـث، عالم الكـتب، الـقـاهرـة، الـطبـعة (٣)، ١٩٨٩م، ص ٢٠٨. و مـحـمـودـ نـحـلـةـ، أـصـوـلـ النـحـوـ العـرـبـيـ، ص ٥٧ـ.
و قـاسـمـ، حـسـامـ أـحـمـدـ: الأـسـسـ الـمـنـهـجـيـةـ لـلـنـحـوـ العـرـبـيـ درـاسـةـ فـيـ كـتـبـ إـعـرـابـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، دـارـ الـآـفـاقـ العـرـبـيـ،
الـطـبـعـةـ (١)، ٢٠٠٧م، ص ١٣٦ـ. و مـوـسـىـ، عـطـاـ مـحـمـدـ: مـنـاهـجـ الـدـرـسـ النـحـوـيـ، دـارـ إـلـإـسـرـاءـ، عـمـانـ، الـأـرـدـنـ،
الـطـبـعـةـ (١)، ٢٠٠٢م، ص ١٠٦ـ و عـطـاـ مـحـمـدـ مـوـسـىـ: مـنـاهـجـ الـدـرـسـ النـحـوـيـ فـيـ الـعـالـمـ العـرـبـيـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ،
ص ١٠٦ـ.

(٢) ينظر: السيوطي، حلال الدين: الاقتراح في أصول النحو وحده، ص ١٨١، وينظر أيضاً: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البحاوي، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢١١ - ٢١٠ / ١، والبغدادي: خزانة الأدب ٢٠ / ١، أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص ٣٩ وما بعدها. و علي أبو المكارم، علي: أصول التفكير النحوية، ص ٢٧ - ٢٩. و محمود نحلاة، أصول النحو العربي، ص ٥٧، وما بعدها، ومحمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، ص ١٠٠ ، والمالكي، مطير بن حسين: موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، بحث تكميلي للييل درجة الماجستير، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، ص ٢٦ وما بعدها. و عطا موسى: مناهج الدرس النحوية في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٠٣.

وحسان بن ثابت، رضي الله عنهم.

٣ - طبقة الشعراء الإسلاميين، وهم الشعراء الذين عاشوا في العصر الإسلامي الأول، والعصر الأموي؛ من غلبت على شعرهم الفصاحة والأصالة مثل: حرير، والفرزدق، والأخطل وغيرهم.

٤ - طبقة الشعراء المحدثين أو المولدين؛ وهم الذين جاؤوا بعد الطبقة الثالثة؛ وكان أولهم بشار بن برد (ت ١٦٧ هـ).

وقد أجمع علماء اللغة قاطبة على الاستشهاد بكلام الطبقتين الأوليين: (الجاهليين والمخضرمين)، واحتلّوا في الطبقة الثالثة، فذهب عبد القادر البغدادي في الخزانة إلى جواز الاستشهاد بها^(١) وقد كان أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧ هـ) لا يستشهدون بشعريهم، ويعودونهم من المولدين^(٢) وقد استشهد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) بشعري الطبقات الثلاث السابقة جميعها^(٣) أما الطبقة الرابعة؛ فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة، والنحو، والصرف خاصة إلا على سبيل الاستئناس. لا على سبيل التأصيل والبناء وكان آخر من يحتاج بشعره على هذا الأساس بالإجماع هو الشاعر: إبراهيم بن هرمة (ت ١٥٠ هـ). أما أهل الbadia فقد ظل العلماء يدونون لغاتهم؛ حتى فسدت سلائقيهم في منتصف القرن الرابع الهجري^(٤).

ثانياً : التحديد المكاني: ويقصد به تلك القبائل العربية التي اطمأن العلماء إلى فصاحتها، وسلامة لغتها. وهم قد نظروا في هذا الشأن إلى الرقعة المكانية في المحيط اللغوي بحسب قريها، أو بعدها عن الاختلاط بالأمم المجاورة، ففرقوا على هذا الأساس بين لغة الbadia، ولغة المدينة، كما فرقوا بين قبائل الوسط، وقبائل الأطراف. وقد أقام علماء اللغة - مما تذكر المصادر - هذا التحديد؛ لاختيار لغات بعض القبائل الواقعة في وسط الجزيرة العربية على

(١) ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، ٥-٧/١، وينظر أيضاً: الموسى، نحاد: في تاريخ العربية أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي، عمان، الجامعة الأردنية، الطبعة (١)، ص ١٤.

(٢) ينظر: السيوطي: الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ١٨١. والبغدادي: خزانة الأدب، ٦/١.

(٣) ينظر: الحديشي: خديجة، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤م. ص ١١٩.

(٤) ينظر: البغدادي: خزانة الأدب ٧/١.

أساسين هما: ^(١)

١. توغل هذه القبائل في البداوة. وقد نصّ أبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) على ذلك في كتابه: **(الحروف)**; حيث أوجز فيه هذه الفكرة، فقال: "لما كان سكان البرية في بيوت الشعر، أو الصوف، والخيام، والأحسية من كل أمة أجفى، وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم، وأحرى أن يحصنوا نفوسهم عن تخيل حروف سائر الأمم وألفاظهم، وألسنتهم عن النطق بها، وأحرى ألا يخالطهم غيرهم من الأمم للتلوّحش، والجفاء الذي فيهم. وكان سكان المدن، وبيوت المدر منهم أطبع، وكانت نفوسهم أشد انقيادا للنطق بما لم يتعودوا؛ كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمم عن سكان البراري منهم، متى كانت الأمم فيها هاتان الطائفتان". ^(٢)

فكان خيرها - عندهم - ما كان أعمق في التبدي، وألصق بعيشة البداية؛ ولذا كان مما فخر به البصريون على الكوفيين أخذهم عن الأعراب أهل الشيش، والقيصوم، وحرشة الضباب، وأكلة اليرابيع. ^(٣) وفي هذا السياق يقول الدكتور / أحمد مختار عمر: "وأما المكان، فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة؛ فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت لغتها أصلح، والثقة فيها أكثر، وكلما كانت متحضرّة أو أقرب إلى حياة الحضارة؛ كانت لغتها محل شك، ومثار شبهة، ولذلك تخيّبوا الأخذ عنهم، وفكّرّهم في ذلك أن الانعزال في الصحراء، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية، يحفظ اللغة نقاوتها، ويصونها عن أي مؤثر خارجي، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة". ^(٤)

(١) ينظر: محمد حسن جبل: الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلاته، ص ٨١ - ٨٤، وأحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص ٤٧ - ٤٨. و عمایرہ، خلیل: المسافة بين التنظیر التحوي والتطبیق اللغوي، دار وائل للنشر والتوزیع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٤م، ص ٣٨ - ١٥. و محمد عید، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢١١ - ٢١٥، وعبادة، محمد، عصور الاحتجاج في النحو العربي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٠م، ١٧٢/١ - ١٧٣.

(٢) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد: الحروف، حقيقه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة (٢)، ١٩٩٠م، ص ١٤٦. وينظر أيضاً: ابن خلدون، المقدمة ص ١٢٩.

(٣) ينظر: السیراقي، أبو سعید الحسن بن عبد الله، أخبار النحوین البصريین، تحقيق: طه الزینی و محمد خفاجی، مکتبة مصطفی البایی الحلی، الطبعة (١)، ١٩٥٥م، ص ٦٨، وابن النسیم، محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٩٢.

(٤) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص ٤٨.

٢. البعد عن الاختلاط بسكان الحواضر، والأمم الأخرى. وفي هذا – أيضاً – يقول أبو نصر الفارابي: "كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفضل من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمّا في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعنهما أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمها، وعليهم اتّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري من كان يسكن أطراف بلادهم المخواورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جدام؛ بخاورهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاة، وغسان، وإياد؛ بخاورهم أهل الشام؛ وأكثراهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب، واليمن؛ فإنّهم كانوا بالجزيرة مخاوريون لليونان، ولا من بكر؛ بخاورهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس، وأزد عمان؛ لأنّهم كانوا بالبحرين مخاطلين للهند، والفرس، ولا من أهل اليمن؛ لخالطتهم للهند، والحبشة، ولا من بني حنيفة، وسكان اليمامة، ولا من ثقيف، وأهل الطائف؛ لخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم...، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأتبثها في كتاب وصيّرها علمًا وصناعة هم: أهل الكوفة، والبصرة فقط من بين أمصار العرب".^(١)

وهذا النص من الوثيقة يقرر بأنّ القبائل العربية ليست سواء، فمن القبائل من تؤخذ لغتها في الاحتجاج اللغوي، ومنها ما يرفض ويرد ولا يحتاج به. وأما سبب رفض لغات هذه القبائل

(١) الفارابي: كتاب الحروف، ص ٤٧١، وينظر أيضاً: السيوطي: الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ١٦٢-١٦٤، والأندلسبي، أبو حيان، تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٩٨٦م. ٥٧٣-٥٧٤، مع اختلاف بسيط، ويندو أن السيوطي في الاقتراح نقل نص الفارابي، وأضاف أشياء من معلوماته، أو أنه توهם أنها من كلام الفارابي، وينظر أيضاً: عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢١٥، و عمارة: المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي في حديثه عن القبائل الست والتقعيد النحوي، ص ٣٨-١٥. ولأسباب متعددة فقد شكك أحد الباحثين في حقيقة هذه الوثيقة، وفي نسبتها للفيلسوف أبي نصر الفارابي، ينظر: الفريح، علي بن أحمد: السمعان اللغوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٦٧-١١٦.

فهو: عدم سلامة لغتها؛ لاتصالها بلغات أخرى؛ نتيجة للموقع الذي تعيش فيه، وما يفرضه هذا الموقع من الاحتكاك والتبادل اللغوي. وفي هذا يقول الدكتور / محمود نحلا: "وظاهر المعيار الذي اعتمدوا عليه في استبعاد بعض العرب أن يكون مصدرا من مصادر اللغة هو: تأثر سلامة اللغة بلغات أخرى لأمم مجاورة".^(١)

ومن خلال هذين الأساسين يؤكد كثير من الباحثين المحدثين أنه يمكن الحكم على النحاة في جمعهم المادة اللغوية "أنهم كانوا يعنون بالتقسيم المكاني أكثر من عنايتهم بالتقسيم الزمني. ودليل ذلك أن زمانا واحدا ضم بشارا، ومروان بن أبي حفصة، وأبا نواس من شعراء المدينة، وابن ميادة، وابن هرمة، وأبا حية النميري من شعراء البدية؛ ومع ذلك لا نجد للثلاثة الأوائل نصيبا في كتب النحو المتقدمة على حين نجد شواهد؛ ولو قليلة للثلاثة الآخرين. وفلسفة هذا الأصل أن اللغة في البدية لم تفسد كما فسدت في المدن؛ لأنها لم تجاور لغة أخرى، ولم تختلط بها".^(٢)

والنحاة المتقدمون في سبيل حصو لهم على المادة اللغوية المسموعة سلكوا طريقين:^(٣)

أحدهما: الأخذ عن الرواة الذين كانوا يعدون مصدرا من مصادر اللغة والشعر.
ثانيهما: الأخذ المباشر عن أعراب البدية بالرحلة إليهم، أو بانتظار وفودهم إلى الحاضرة وسؤالهم، وأخذ اللغة عنهم.

وقد كان لهذه النُّطُق كما يقول الدكتور / محمد حسن جبل أثراها القوي؛ حيث لقيت تحدياتها - بشكل عام - احتراما كبيرا تتمثل في الاعتراف بها، كما تتمثل في التزام علماء اللغة

(١) محمود نحلا: *أصول النحو العربي*، ص ٥٩.

(٢) الحلواني، محمد خير: نظرة في كتاب الأصول لتمام حسان، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، العدد ٢٣، ٢٠٠٣، مارس ١٩٨٢م، ص ٣٣٩-٣٤٠. وينظر أيضا: الحلواني، محمد خير *أصول النحو العربي*، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩م، ص ٦٠، وعطا موسى: *مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين*، ص ٦٠.

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٧١-٧٢. و ينظر أيضا: الشلقاني، عبد الحميد، *الأعراب الرواية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان*، طرابلس، ليبيا، الطبعة (٢)، ١٩٨٢م، ص ٢٦٧ وما بعدها ، محمود نحلا، *أصول النحو العربي*، ص ٥٧-٥٩. و علي بن أحمد الفريج: *السماع اللغوي*، ص ١٤١-١٤٢.

الخالفين بها إلى درجة كبيرة.^(١) وجرى عليها العمل؛ وأصبح الخروج عليها عند النحاة مدعاة للنقد، فهذا أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) يلوم ابن مالك؛ لاعتماده على لغات لخم، وجذام، وغسان فيقول: "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن".^(٢) فهم - بشكل عام - يرون أن النحويين العرب القدامى قد انتهجوا منهاجاً مهكماً في تأسيس دراساتهم النحوية، فساروا على هديه، و تقييدوا به، و لم يحيدوا عنه، ونفذوا عملياً على مدى ثلاثة قرون؛ وهدفهم في ذلك كله الحصول على اللغة الصحيحة الفصيحة النقية.

غير أن هذه الجهود التي بذلها النحاة المتقدمون في هذا الباب لم تسلم من الانتقادات، ولم تخل من بعض السقطات، والماخذ والهنات التي وقعوا فيها، واللاحظ على منهاجهم في جمع المادة اللغوية، والتعامل معها، وتدوينها. وقد تتبعها كثير من الباحثين الخدثين على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، وناقشوها، ورأوا أنها تتطلب نظراً فاحضاً من وجهة نظر الضبط الواجب لصناعة النحو، وهي كما يلي:

١ - أن إيقاف الاحتجاج على لغة عصر الاحتجاج يعني الحكم بإيقاف نمو اللغة عند الحد الذي وقفت عنده في تلك الحقبة. كما أن القيد المكاني حرم اللغة وقواعدها من ثروة لغوية هائلة.

وهذا التشدد وتلك القيود التي التزمت في التعامل مع عصور الاحتجاج، وشروطه، وأطروه الرمانية والمكانية من قبل النحاة المتقدمين - كما يرى هؤلاء الباحثون - شيء يضاد طبيعة اللغة، حيث يقرر كثير من الباحثين المعاصرين أن هذا الأصل من أصول النحو العربي جعله نحو لا يمثل العربية، وإنما يمثل جانباً واحداً منها، فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حددوها زماناً، ومكاناً. ومعنى ذلك أنه نحو ناقص لا يقدم قواعد النحو العربي في بيئاته وأزمنته المختلفة.^(٣)

(١) ينظر: محمد حسن جبل: الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، ص ٨٥.

(٢) ينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ١٦٤.

(٣) ينظر: عباس حسن: اللغة والنحو ص ٣٢، و ينظر أيضاً: تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٢٧، و محمود فهمي حجازي: دراسات في علم اللغة^(٢) ص ٢٢٥، و عبد الحميد طلب، تاريخ النحو وأصوله، ص ٨١/١. و علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٥٧-١٥٨. و محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص ٢٦١.

وفي هذا يقول الدكتور/ محمد كامل حسين: "ونحن لا نقرهم على تحديد الصحيح من اللغة مكانا بالجزيرة العربية، وزمانا بما قبل عصر التدوين....، ولا نقرهم على أن كل ما ورد في عصر بعينه صحيح؛ فأكثره مضطرب، ومتناقض؛ والإبقاء عليه عبث، وعلى أن كل ما لم يرد خطأ، فهذا قالب من حديد وضع اللغويون لغتنا فيه لا يسمح المحدثون لأنفسهم أن يتقيدوا به".^(١) ففي الإطار الزمني يتساءل كثير من الباحثين عن صحة الاقتصار على الاستشهاد والاحتجاج بما يسمى بـ"عصر الرواية"، وإغفال التطور اللغوي منذ ذلك العصر، وعلى امتداد العصور المتلاحقة؛ بل وصف تلك المراحل، بالخطأ، واللحن، والانحراف. وفي هذا المفهوم يقول الدكتور/ هادي نهر: "أوقف القدماء الاستشهاد باللغة إلى منتصف القرن الثاني المجري تقريبا، وحكموا على كل الظواهر اللغوية التي وجدت بالعربية بعد هذا التاريخ على أنها أمثلة صريحة للخطأ، والانحراف. وكان الواجب في نظرنا فتح باب الدراسة للغة في فتراتها المتعاقبة ومهما كانت مبررات هذا التوقف متوجهة صالحة باعتبار الداعين له...".^(٢) فاللغة كما يقول الدكتور / محمد عيد تتطور؛ وكل مرحلة من مراحل تطورها جديرة بالدرس، حتى عصرنا الحاضر، ومن غير المفيد قصر اللغة الصحيحة الموثقة على عصر دون آخر.^(٣)

لقد درس النحاة واللغويون العربية في فترة محددة توقفوا عندها، ولم يتتجاوزوها، وهذا معناه - كما يرى الدكتور / كمال بشر - إغلاق باب البحث العلمي في هذه اللغة بعد هذه الفترة التي حددوها نهاية لدراستهم، وقد حدث هذا بالفعل، إذ لم يقدم واحد منهم على دراسة اللغة من أي زاوية، أو جانب بعد هذا التاريخ، ولم يكتفوا بهذا؛ بل حكموا على كل الظواهر اللغوية التي وجدت بالعربية بعد هذا التاريخ أنها أمثلة صريحة للخطأ والانحراف. وكان من الواجب

والنحاس، مصطفى: مستوى الأداء وأثره في البحث النحوي، مجلة الحصاد، تصدر عن قسمى اللغة العربية واللغة الإنجليزية بجامعة الكويت، العدد (١) السنة الأولى، رمضان ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، ص ١١٦. وبعيد، صالح، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ١٩٩٥م، ص ١٩٠ وغيرهم.

(١) حسين، محمد كامل: أصول علوم اللغة، مجمع اللغة العربية، مجموعة البحوث والمحاضرات، الدورة ٢٦، ١٩٦٠م، ص ١٤٥-١٧٩.

(٢) نهر، هادي: آراء حول إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، سلسلة اللسانيات (٤)، تونس، ديسمبر ١٩٧٨م، ص ١٢٨.

(٣) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٦٤.

عليهم - حسب رأيه - فتح باب الدراسة للغة في فتراتها المتعاقبة؛ لكي يبقى لنا بعد ذلك ثروة من التراث اللغوي المترافق على مرور الزمن. وكان من النتائج المباشرة لهذا النهج غير العلمي - كما يرى الدكتور/كمال بشر - "أن أصبحنا اليوم عاجزين تماماً عن إدراك ما أصاب العربية في عصورها الطويلة، وأصبحنا مكتوفي الأيدي، لا نستطيع دراسة تاريخ هذه اللغة، أو معرفة خطوط التطور الذي لحقها، أو ظروف هذا التطور، وما ارتبط به من أسباب".^(١) فاللغة كما يراها الدكتور/بشر "تتغير وتتطور أرداً أرداً لم نر، على حين ظلت قواعدها جامدة؛ لم تنتقل قيد أملة عن الصورة التي سجلت بها في العصور الخوالي. وهكذا أصبحت القواعد - في كثير من الحالات - لا تصور الواقع، أو تمثله بل إنها أحياناً تناقضه".^(٢)

ويؤكد الدكتور/شعبان العبيدي أن هذا التحديد قد ضيع على النحوة كثيراً من الاستخدامات العربية السليمة، ولو أن النحوة جعلوا فصاحة وسلامة لغة من يأخذون عنه هي المقياس؛ فإذا انحرف عن اللغة الفصيحة، أو شكوا في انحرافه عنها اختبروه لكن ذلك - حسبما يقول - أجدى لنا وهم. كما يرى أن حصر صحة الاحتجاج على قبائل معينة أدى إلى تضييق القواعد النحوية؛ فمقياس الفصاحة عند الفرد أمر كان ينبغي ألا يهمله النحوة من بين هذه القبائل. فالنحوة - كما يرى - محقون في تحديد هذه القبائل التي تقطن - غالباً - وسط الجزيرة؛ لكن المقياس الفردي لا يمكن إغفاله أبداً في هذه المسألة.^(٣)

أما الدكتور/محمد حسن جبل فهو ينتقد بشدة ذلك الموقف من النحوة، والتحديات والقيود التي التزموها في هذا الشأن/ مؤكداً أن تلك التحديدات التي وضعها النحوة المتقدمون؛ إنما تمثل جانباً من جوانب الضوابط الجافية التي تحكمت في جمع اللغة، وأدت إلى إغفال الكثير من مفرداتها، واستعمالاتها، فترك الأخذ من قبيلة بأسراها، أو عن أهل منطقة بأسراها فيه ما لا يخفى من الإجحاف، وإهدار للكثير من الصيغ والتراتيب والأساليب الصحيحة.^(٤)

(١) كمال بشر: دراسات في اللغة العربية قسم (٢)، دار المعرفة، مصر، الطبعة (٢)، ١٩٧١م، ص ٥٧-٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) ينظر: العبيدي، شعبان عوض، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٨٩م، ص ٣٤٥-٣٤٤.

(٤) ينظر: محمد حسن جبل: الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع والدلالة، ص ٧٧-٧٨.

كما يتساءل أحد الباحثين: ألا يمكن أن تكون في نفس البيئات الحضرية، أو القبائل المجاورة لغير العرب، أو حتى عند المحدثين المتأخرين سلائق سليمة جاءت بأساليب لغوية، وأنمط تركيبية كانت - لو أتيح الإطلاع عليها - ستضيف كثيراً إلى الدراسات اللغوية وال نحوية؟. ألم يكن بالإمكان استثناء الفصيح من الشاذ في تلك القبائل، أو الحواضر المستشنة من الاحتجاج؟.^(١)

وبشكل عام فإن هؤلاء الباحثين يؤكدون أن المتتبع لقضية الاحتجاج في اللغة يمكنه أن يلحظ أن النحاة المتقدمين واللغويين، قد تشددوا في التعامل مع عصور الاحتجاج، وشروطه وأطروه المختلفة، والتعاطي مع النصوص اللغوية من أجل الاستفادة منها، فأغفلوا مادة ثرة كان من الأولى عليهم روایتها - على الأقل - إن لم يريدوا الاستشهاد بها. وهم يرون أن هذا المنهج "يتناقض مع النهج السليم في دراسة العربية، واستخلاص قواعدها وأحكامها؛ لأن ذلك الصنيع حرم النحوي مادة لغوية وفيرة، وأساليب عربية كثيرة، مما جعل أحكامه جزئية غير شاملة".^(٢)

لقد تعرض موقف النحاة المتقدمين فيما يتعلق بالأطرو زمانية والمكانية التي وضعوها إلى نقد شديد، ومن أوجهه متعددة من قبل كثير من الباحثين المحدثين كما أسلفت. ولاشك في أن هذه القضية تعد من القضايا الحامة والمركبة في الدراسات اللغوية العربية؛ ذلك أنها حددت فيما بعد صورة اللغة العربية المعيار التي يجب أن تتحذى. غير أن هذه النظرة السائدة للشاهدات النحوية واللغوية قد لا تتطابق بالضرورة مع عمل العلماء العرب الأوائل، - كما يرى ذلك بعض الباحثين - ويمثل نص أبو نصر الفارابي - وهو أقدم نص يتحدث فيه صاحبه عن التحديد المكاني وينسب وضع القواعد إلى لهجات معينة - الإطار النظري للنظرية السائدة في قضية الاستشهاد، حيث صاغه في شكل نظرية تفسر ماقام به العلماء العرب الأوائل في وضع أسس تقييد اللغة العربية.

فالدكتور / حمزة المزياني يؤكد أن هذه المسألة كغيرها من المقولات المتعلقة باللغة، لم تؤسس

(١) ينظر: مباركة، مأمون تيسير: الشاهد الشعري في معجم الصاحب للجوهري، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م، ص ٣٠.

(٢) العطية، أحمد مطر: منهج النحويين القدامى في الميزان، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ٤. وينظر أيضاً: علي الفريج، السمعان اللغوي، ص ٩٧.

على استقصاء موضوعي؛ فهي لا تعدو عن كونها انطباعات يلعب الذوق، والاهتمام، والتعصب، والعرقية فيها بسهم وافر، كما أن هذه المقولات أيضاً تنقضها مقولات أخرى بجدها في المصادر نفسها؛ فهي لا تثبت أمام الاستقراء المتأني والبحث الموضوعي؛ ما يجعلنا - كما يقول - نتردد في قبولها.^(١)

فالخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) - بحسب قول الدكتور / المزینی - استشهد بالقرآن الكريم، وقراءاته، وبالحديث الشريف، وبعد كثیر من أقوال الصحابة، والتابعین، والفقهاء، والعلماء المعاصرین له، واستشهد بشعره هو أيضاً. وأما سیبویه (ت ١٨٠هـ)؛ فإن كتابه شاهد على عدم دقة وصف أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)؛ فقد استشهد سیبویه بشعراً نص الفارابي على عدم استشهاد العلماء العرب بقبائلهم مثل قضاة، وثقيف، وبكر، وتغلب، وإياد، وغسان وغيرهم؛ مما نص الفارابي على عدم الأخذ عنهم.^(٢) وعلى النقيض مما يقول الفارابي من عدم "أخذهم عن حضري قط، استشهد سیبویه بعدد كثیر من شعراً مكة والطائف والمدينة والخیرة والبصرة والکوفة".^(٣) وبالتالي فلم يكن نص الفارابي - كما يقرر الدكتور / حمزة المزینی - دقيقاً لما قام به هذان العلماً المؤسسان للدراسة اللغوية والنحوية العربية، وبهذا تسقط - حسبما يرى - دلالة النص، وينبغي عدم الاستدلال به في الكشف عن منهج العلماء العرب القدماء في تدوينهم للغة، وتقعیدهم لها.^(٤)

وهذا ما يؤكدده أيضاً الدكتور / خليل عمايرة في بحثه: (القبائل الست والتقعید النحوی)^(٥)؛ حيث يرى أنه لا يوجد نص قدیم يحقق المزاعم بأن المتقدمين من النحاة واللغويین وضعوا قوائم

(١) ينظر: المزینی، حمزة بن قبلان: قضية الاحتجاج للنحو واللغة، مجلة جامعة الملك سعود بالرياض، المجلد (١٠)، ١٩٩٨م، ص ٣٣-٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣. وينظر أيضاً: حسام قاسم: الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٣٥.

(٣) حمزة المزینی، قضية الاحتجاج للنحو واللغة، ص ٢٩، وينظر أيضاً: علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوی، ص ٢٧-٢٩. و جمعة، خالد عبد الكريم، شواهد الشعر في كتاب سیبویه، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٠م، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٤) ينظر: حمزة المزینی، قضية الاحتجاج للنحو واللغة، ص ٣٠-٣٣، وينظر أيضاً: محمد حسن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، ص ١٠٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: خليل عمايرة: المسافة بين التنظير النحوی والتطبيق اللغوي، ص ١٥-٣٩.

تعدد القبائل التي تؤخذ عنها اللغة. فالخليل بن أحمد - كما يقول الدكتور عمايره -: "رحل في بوادي العرب مستزيداً متعلماً من العرب الأقحاح، ونacula بوعي العالم ما سمع منهم؛ لكنه لم يقل مطلقاً إنه قد وضع تحديداً مكانياً لأخذ اللغة في مرحلة التقعيد، ولم يرو عنه أنه وضع تحديداً مكانياً لأخذ اللغة في مرحلة التقعيد، ولم يرو عنه أنه قد وضع معايير مكانياً تحدد القبائل التي يؤخذ بلسانها".^(١) كما يؤكد الباحث في الوقت نفسه بأن من يدرس كتاب سيبويه يجد "أنه قد بني بمنهجية لم تكن في نية بانيه أن يعتمد في التقعيد على لهجة معينة، وأن يفضل لهجة على لهجة؛ فضلاً أن يكون قد اعتمد عدداً محدوداً ومعيناً من اللهجات، كما جاء في نص الفارابي".^(٢) وبذلك فإن ما "يتوارثه الباحثون والطلاب من أن النحو قام على لهجات القبائل الست: أسد، وقىيم، وقيس، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائين هو ضرب من الوهم العلمي؛ مرده إلى نص الفارابي والسيوطى المتقدمين".^(٣)

وبشكل عام فإن هذا الأمر لا يتعلق بالخليل بن أحمد وسيبوه فقط؛ فقد ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أن يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) كان يستشهد بأقوال المولى.^(٤) كما استشهد أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) بأبي تمام (ت ٢٣١هـ).^(٥) واستشهد أبو الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بأبي الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ) في مجال المعاني فقط.^(٦) أيضاً فقد احتاج جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بشعر أبي تمام، وعلل لذلك بقوله: "وهو - وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة - فهو من علماء العربية؛ فأجعل ما يقوله منزلة ما يرويه. ألا ترى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك؛ لوثوقهم بروايته وإتقانه".^(٧) والرضي

(١) خليل عمايره: المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص ١٨ - ١٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٦ ، وينظر أيضاً: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٠٢ - ٢٠٠.

(٤) ينظر: الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: علي أبو ملحم، دار مكتبة الملال، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٣٤٧.

(٥) ينظر: الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد: الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فهود، دار العلوم، الطبعة (٢)، ١٩٨٨م، ص ١٠٢.

(٦) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، ابن جني النحوي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٧) الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشاف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ،

الإستراباذى (ت ٦٨٦هـ) استشهد أيضاً بشعر بعض المولدين.^(١) كذلك فعل ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ)^(٢)، و أبو الحسن الأشموني (ت ٩٢٩هـ).^(٣)

ويقول الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف: "والذى ينظر في كتب المحدثين كشرح المفصل لابن يعيش، وكتب ابن هشام، والمغنى منها على وجه الخصوص، وشرح ألفية ابن مالك؛ يجد أسماء أبي نواس، والمتني، وأبي العلاء المعري، وغيرهم تتردد دون قيد؛ غير أن الشراح والمحشين يسارعون إلى التنبيه على أن هذا للتمثيل؛ وليس لللاحتجاج؛ وكأنهم أدرى بقصد المؤلف من نفسه".^(٤) بل إن خير ما يثبت عدم تمسكهم بما اشترطوه؛ بل تناقض عملهم وموقفهم تجاه ما اشترطوه هو جعلهم قريشاً أفضل العرب؛ ولو كان مقياس الفصاحة هو: الانعزal وعدم الاتصال بالأجانب؛ لكان لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة.^(٥)

فيما يرى الباحث / عبد الهادي كاظم أن سبب ذلك التناقض أن النحاة لم يتقييدوا بما اشترطوه من قيود؛ إحساساً منهم بأن ما جموعه من نصوص تلك القبائل لا يمثل لغة العرب على أتم وجه؛ مما اضطرهم للاستشهاد بغيرهم من القبائل؛ وهو ما أوقعهم في تناقض؛ وهم

٢٢٠/١

(١) ينظر: الإستراباذى: رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تصحيف وتعليق: يوسف حسن عمر، ١٩٧٣م، ١/٧٥.

(٢) ينظر: ابن عقيل: بحاء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة (٦)، ١٩٧٤م، ١٩١، ٩٨/١، ٢٠٣، ٢٠٨.

(٣) ينظر: الأشموني: أبو الحسن علي، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣هـ، ١/٢٥٠.

(٤) عبد اللطيف، محمد حماسة: الضرورة الشعرية، مكتبة دار العلوم، د.ت، ص ٧٠.

(٥) ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، ص ٧٧، وينظر تفاصيل هذا الموضوع، والخلاف حول فصاحة لغة قريش والاستشهاد بها: الغوث، مختار، لغة قريش، دار المعراج الدولية للنشر، الطبعة (١)، ١٩٩٧م، ٢٧٣ وما بعدها، والراجحي، عبد: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٩٦م، ص ٤١، و مأمون مباركة: الشاهد الشعري عند الفراء، ص ١٨-١٩، والحباس، محمد: مفهوم الفصاحة عند النحاة العرب القدماء والمحدثين، مجلة جمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٤)، الجزء (٤)، ص ١٠٣٣، ودمشقية: المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، معهد الإنماء العربي، طرابلس، الطبعة (١)، ١٩٧٨م، ص ٩٣، و علي الفريح : السمعان اللغوي، ص ٧٩-٨٤.

يجمعون نصوص اللغة، وشاهدها.^(١)

على أنه يمكن الإجابة عن كثير من التساؤلات والانتقادات التي أثيرت حول موقف النحاة المتقدمين من تحديد الأطر الزمنية والمكانية التي قرروها؛ إذا فهمنا الدوافع والأهداف التي انطلقا منها لهذا العمل وهي:^(٢)

- وضع قواعد تعرف بها اللغة العربية الأصلية التي لم تتأثر بغيرها من اللغات؛ ولذا تخرجوا كل التخرج من مسألة الاختلاط.

- لم يكن هؤلاء العلماء يهدفون إلى تسجيل تطور اللغة العربية؛ وإنما كانت دراستهم دراسة بنوية آنية الغرض منها تحليل اللسان العربي في مرحلة واحدة منه وإليه.

وهم في جهدهم هذا كله كانوا ينطلقون إلى الهدف الأسمى الذي يتفقون عليه، وهو التعديد للغة القرآن الكريم وفهم معانيه وتدبره، والحفظ على لغته وصوتها. فالنحو العربي هو ثمرة من ثمرات الدراسة القرآنية. وهذا التحديد الزمني والمكاني - كما يقول الدكتور / حلمي خليل -: "يتناصف الهدف الذي قام البحث اللغوي لأجله، ذلك أن دراستهم اللغة لم تكن من أجل اللغة ذاتها؛ وإنما كان الهدف هو فهم النص القرآني، وتيسير قرائته، وفهمه للعرب والأعاجم على حد سواء".^(٣)

أخيراً: فلا شك في أن هذا الموضوع من الموضوعات التي استرعت اهتمام كثير من الباحثين المحدثين، وكثير الجدل في تفاصيلها، وقع خلاف كثير في كثير من قضاياه، كمفهوم "الفصاحة"، ومنهج النحاة المتقدمين في تحديدهم لرقعة الفصاحة اللغوية، زماناً ومكاناً، والربط بين الفصاحة والبداوة، كذلك الربط بين الفصاحة وبين الجنس العربي، والحديث عن

(١) ينظر: كاظم، عبد الهادي: الشاهد الشعري النحوي عند الفراء في كتابه: معاني القرآن دراسة نحوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٥م، ص ١٥، و السويف، محمد عاشر، القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازي، ١٩٨٦م، ص ٤٢-٤٦، و مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، ص ٧٥.

(٢) ينظر: الحباس: مفهوم الفصاحة عند العرب القدماء والمحدثين، ص ٣٥٠. و ينظر أيضاً: حسام قاسم: الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٣٥.

(٣) حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنوي، ص ١٨٩. و ينظر: مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ، ص ٣٨٩. و محمد حماسة، الضرورة الشعرية، ص ٧٠.

لغة قريش وفصاحتها، ورفضهم الأخذ عنها؛ مع أنهم عدوها أفعى اللغات، وتناقضهم في ذلك. وغيرها من القضايا التي تزخر بها كتب الباحثين المحدثين؛ وجميعها تحتاج إلى بحث ومعالجة موضوعيين؛ بعد استقراء جيد للتراث النحوي العربي، وفهم نصوصه كما هو الحال في وثيقة أبي نصر الفارابي، التي شكلت أحد الباحثين في نسبتها لأبي نصر الفارابي الفيلسوف، ورجم أنها من صنع أحد اللغويين، وأن النصوص التي وردت عند أبي حيان الأندلسي والسيوطى منها تختلف عن النصوص التي وردت في كتاب: **(الحروف)**، ما يجعل الشك قائما حول هذه الوثيقة، وبالتالي لا يمكن اعتمادها أساسا وقانونا لا يتجاوز، ولا ينبغي -حسب رأيه- فرضها؛ ذلك أن هذا الأمر يؤدي إلى قمع الحياة في اللغة العربية، و يجعلها تثبت عند مكان و زمان معينين، وفي النهاية تنتهي إلى جمود اللغة وثباتها ثم موتها؛ ولذا تجاوزها بعض اللغويين والنحويين في مراحل لاحقة.^(١)

٢ - **الخلط بين مستويات الأداء اللغوي:** تبيّن ما سبق أن النحاة المتقدمين وضعوا أطراً وحدوداً التزموا بها إلى حد كبير في الأخذ عن القبائل، فاختاروا بعضها، ورحلوا إليها، ونقلوا لغتها، وقاموا بدراستها، وبالمقابل فقد انصرفوا عن بعضها الآخر، فلم يدرسوها، ولم يحتاجوا بها.

ومن الانتقادات على الطريقة التي انتهت في جمع اللغة وتدوينها عند النحاة المتقدمين، ما يراه بعض الباحثين المعاصرین من أن النحاة افترضوا حينما دونوا اللغة أنها لغة واحدة، في وقت كانت فيه مجموعة من لهجات متطرفة، ومتغايرة.^(٢) وذهبوا إلى أن هذا النهج إنما هو خلط بين مستويات الأداء اللغوي؛ ذلك أنهم لم يفرقوا بين قبيلة وأخرى من القبائل التي استقر عندهم فصاحتها، ولا بين الفصحى أو اللغة النموذجية، وبين اللهجات، فجاءت مادتهم خليطاً من اللهجات؛ لا نظام لها. فنبأين البيئات اللغوية التي عاش فيها أولئك الرواة الذين نقلوا المادة اللغوية -حسب نظرهم- هذا بدوره لا بد أن يؤدي إلى عدة نماذج لغوية

(١) ينظر: علي الفريج: **السماع اللغوي**، ص ٦٧ - ١١٦.

(٢) ينظر: ترزي، فؤاد حنا، **أصول اللغة والنحو**، بيروت، مطبعة دار الكتب، د.ت، ص ٥٧. و ينظر أيضاً: عفيف دمشقية، **المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي**، ص ١٠٦. وكمال بشر: **دراسات في اللغة العربية القسم**

(٢)، ص ٦١. و محمد عيد: **الاستشهاد والاحتجاج باللغة**، ص ٢٥٢.

مختلفة؛ حتى وإن كانت هذه النماذج نابعة من أصل واحد.

وفي هذا يقول الدكتور/مصطفى النحاس منتقداً عمل النحاة في خلطهم بين هذه المستويات: "ومن هنا كان لتعدد الواقع الزمنية، وتعدد البيئات القبلية أكبر الأثر في اختلاف مستويات الأداء اللغوي: أعني مستوى الفصحي ومستوى اللهجات المحلية من جهة، ومستوى التاريخ النحوي (أو القواعد التاريخية)، ونحو اللغة المستعملة من جهة أخرى؛ غير أن النحاة لم يأخذوا بعين الاعتبار اختلاف هذه المستويات، وبنوا قواعدهم على ما سموه بالأصل، أو الكثير الغالب؛ فإذا ما صادفthem بعض المسائل التي تختلف هذا الأصل لجؤوا إلى التأويل، أو الحذف والتقدير، أو غير ذلك من الأمور التي امتلأت بها كتب النحو وتضخم".^(١)

فطبيعة الحقبة الزمنية، وامتدادها، وتبالين البيئات اللغوية -حسبما يرون- أدى إلى التباين اللهجي، أو تعدد النماذج اللهجية، والنحاة حين حددوا هذه البيئات؛ قاموا بتمييز عام في أخذهم عن القبائل، ولم يعنوا بالفصل بينها؛ وهو مالم يكن كافياً في تحديد البيئة تحديداً، يؤدي إلى سلامية الدراسة، وعدم احتلاطها، كما يقول الدكتور/محمد عيد.^(٢)

فالنحاة -كما يرون- لم يأخذوا بعين الاعتبار اختلاف هذه المستويات، ولم يراعوا اختلافها باختلاف القبائل ولهجاتها في مقابل الفصحي النموذجية التي يشتغلون فيها، بل إنهم استسلموا لهذا الحشد الضخم لمادة اللغة. وهذا الخلط بين بيئات متعددة أو مستويات متعددة أدى بدوره إلى اضطراب الدراسة وقصورها. فهم كما يقرر الدكتور/عفيف دمشقية "لم يحاولوا إلا فيما ندر التمييز بين ما هو مستعمل في لغة التخاطب والشأن اليومي، وما هو جار في الفصحي النموذجية المشتركة بين العرب".^(٣)

(١) مصطفى النحاس، مستوى الأداء وأثره في البحث النحوي، ص ١١٦. وينظر: حسان، تمام: الأصول دراسة إبستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ص ١١١.

(٢) ينظر: محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٥٢.

(٣) عفيف دمشقية: المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، ص ٣١، وينظر أيضاً: أبو المكارم، علي، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ص ٢٦. و المؤلف نفسه: تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٦٠-١٦٦.

ويحاول الدكتور/ حلمي خليل أن يقف على موطن الخلل في دراسة النحاة المتقدمين؛ مؤكداً أن النحاة لم يفرقوا بين المستويات اللغوية الاستعمالية المختلفة التي كانوا يأخذون عنها؛ إذ إنهم اعتبروا أن كل ما يسمونه ينتمي إلى مستوى لغوي متجانس هو ما أطلقوا عليه: "العربية الفصحى"؛ وذلك على الرغم من إدراكيهم الواضح لوجود ظواهر صوتية، وصرفية، ونحوية تنتهي إلى لهجات قبلية متعددة، كما فاتهم - أيضاً - أن يدرسوا اللهجات دراسة مستقلة؛ لتميز عن اللغة المشتركة.^(١)

ويرى الدكتور/ محمد عيد أنّ عبارة ابن جني: "اختلاف اللغات وكلها حجة" تعكس هذا الخلط واللبس الذي وقع فيه النحاة المتقدمون. فهذه العبارة - في نظره - لا تصلح منهجاً علمياً يعتمد عليه؛ لأنها تسلّم مطلقاً أمام طوفان المادة اللغوية المتعددة البيئات. فالنحاة على هذا الأساس قد نظروا إلى تأثير هذه اللهجات على أنها صور لغة الفصحى؛ وبالتالي فهم لم يقم في أذهانهم التفريق بين مستويين في استعمال اللغة: مستوى الفصحى، ومستوى اللهجات، وأن لكل منهما استعماله الخاص ودراسته الخاصة؛ حيث لم يرد منهم ما يدل على هذا التفريق وهذا الفهم. وقد ترتب على ذلك - كما يرى - أن جدوا في دراسة جانب واحد من الموضوع وهو: الفصحى، وسيطر عليهم هذا الفهم في جمعهم للغة، ودراستهم لها؛ فدرسوا اللغات المختلفة بتأثير اللهجات على أنها الفصحى، ولم يدر بخلدتهم - وتحت تأثير سيطرة هذه الأفكار السابقة - أن يناقشوا موقفهم من اختلاف اللغات، وأن يضعوا هذا الاختلاف موضعه الحقيقي على أنه من "لهجات" ليدرسوه بهذه الصفة، وبذلك وجدوا أنفسهم أمام مادة لغوية مختلطة مأخوذة عن لغات هذه القبائل.^(٢)

أما الدكتور/ رمضان عبد التواب فإنه يؤكد أن الفرق بين اللغة الأدبية المشتركة، واللهجات كان واضحاً في أذهان النحاة؛ سواء البصريين أو الكوفيين. فالبصريون قد أخذوا عن قبائل معينة بهدف التعديد للغة الأدبية المشتركة؛ غير أنهم لم يفرقوا فيما أخذوا عن القبائل بين تلك اللغة المشتركة وبين لهجات القبائل، كما أن الكوفيين لم يكونوا أقل خطأ؛ لأنهم أخذوا عن

(١) ينظر: حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنبوى، ص ٣٥.

(٢) ينظر: محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٥٢.

كل العرب، ولم يفرقوا بين اللغة المشتركة ولهجات الخطاب.^(١) ويحمل الدكتور/علي أبو المكارم فكرة: "السليقة اللغوية"، هذا الأمر فالحاجة - كما يرى - جعلوا الفصحى سليقة لغوية عند كل عربي؛ دون أن يفطنوا إلى تعدد مستويات التعبير اللغوي، وبهذا المفهوم جعلوا كل ما ينسب إلى العرب نشاطاً لغويًا محتاجاً به في مجال التعقيد النحوي للغة الفصحى، ومن ثم يجب مراعاته دون تحديد مستوى أدائه اللغوي، ومن غير تحليل لما يذكر من نصوص، ومن هنا انتشر في السماع عن العرب الأخذ عن مجاهلين، وصبيان، ومجانين بل و حتى عن الشيوخ المهرّفين أيضاً؛ إذ إن صفة السليقة مشتركة بهم جميعاً؛ وهي تقضي أن يكون كلامهم فصيحاً سليماً من الخطأ، معتمداً به في ميادين البحث اللغوي على تعدد مستوياتها واختلاف مناهجها، وهي - كما يرى - فكرة زائفة عن السليقة اللغوية، وتفسير خاطئ لها، ولو أتيح للدراسات اللغوية والنحوية أن تخلص من هذا الخطأ، وأن تنفي هذا الخلط؛ لأنّ تذليل عقبة هامة من العقبات التي تعترض البحث اللغوي وتبدد جهوده وتستنفذ طاقاته^(٢).

إنّ هذا الخلط بين مستويات اللغة عند المتقدمين - كما يرى هؤلاء الباحثون - أوقع النحاة في مشاكل كبيرة، وحرج شديد؛ إذ إنّهم وجدوا أنفسهم أمام مادة لغوية مختلطة مأخوذة من لهجات متعددة؛ ما ترتيب عن ذلك نتائج لم تخدم دراستهم للغة العربية، يقول الدكتور/محمد عيد؛ موضحاً الآثار السلبية التي نتجت عن ذلك: "فاضطراب مسائل النحو، وتعدد الآراء ووجهات النظر حولها، بالإضافة إلى التفريعات الكثيرة على القواعد العامة والشذوذ والقلة والاقتصرار على السمع والسبة إلى اللغات وغيرها؛ مما لا يصح أن توصف به لغة موحدة ذات خصائص متميزة منسجمة".^(٣) وهو بذلك يرى أنه ليس من المفيد أن تدرس لغة أفراد هذه البيئة اعتباطاً؛ لأنّه لن يؤدي إلى نتائج ذات قيمة؛ حيث إنّ هذا الخلط

(١) ينظر: عبد التواب، رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة(٢)، ١٩٨٣م، ص ١٠٧.

(٢) ينظر: أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، ص ١٧٧-٢١١. و ينظر أيضاً: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص ٩٥-١٠٧. و محمود نخلة: أصول النحو العربي، ص ٦٤.

(٣) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٥٤. و ينظر أيضاً: علي الفريج: السمع اللغوي، ص ٢٣٩.

يؤدي إلى فقدان عنصر التوحد والانسجام.^(١) والنظرة الحديثة كما يرى الدكتور / عيد تراجعى المستوى الاجتماعى للغة. فللفصحي مستوىها الخاص بها، كما أن لكل لهجة من اللهجات مستوىها الخاص أيضاً، ويجب على الباحث في اللغة أن يأخذ هذا في الاعتبار في دراسته، فلا يخلط بين مستوى ومستوى آخر؛ وإلا فقدت دراسته عنصر التوحد والانسجام، وصارت أمشاجاً ملتفقة من هنا وهناك.^(٢)

لقد انتقد كثير من الباحثين المحدثين النحاة المتقدمين في خلطهم بين اللهجات المتعددة للقبائل المختلفة واعتبارها تنتهي إلى مستوى متجانس، وعدم دراستهم اللهجات دراسة مستقلة لتميز عن اللغة المشتركة. وما نتج عن هذا الخلط من مشاكل وصعوبات في التعريب، وفقدان دراستهم الانسجام المفروض توفره في أي دراسة؛ ووقوعها في الاضطراب؛ غير أن معرفة المدف الذي نشأ من أجله النحو - كما يقول الدكتور / محمود نحلا - ربما يفسر لنا هذا الموقف من قبل النحاة المتقدمين. فاهتمام علماء العربية المتقدمين بالنص القرآني وقراءاته، وانصرافهم إلى إيضاح تركيبه، وفهم معانيه، ثم إنهم وجدوا فيه من لغات العرب الشيء الكثير؛ فكان لابد من الاهتمام باللهجات؛ لأنه لا يمكن إغفالها وفي القرآن الكريم وقراءاته منها كثير.^(٣)

وأما ما يتعلق بمفهوم السليقة، فقد بين الدكتور / محمد الحباس أن فكرة السليقة عند من انتقدوها من الباحثين العرب المحدثين غير واضحة، وذلك ناتج عن عدم تفریقهم بين الفصاحة بمفهومها اللغوي، وبين الفصاحة بمفهومها البياني، وأن منشأ هذا الخلط ناتج عن عدم إدراك العلاقة بين الفصاحة عند النحويين واللغويين العرب في تلك المرحلة، والتي كانت ترافق عددهم السليقة، وتعني عدم اختلاط صاحب الفصاحة بغيره من الأمم التي تتكلم لغة غير لغته. وبين مفهوم الفصاحة اليوم التي لا تكتسب إلا بعد تمرن طويل، ومعرفة قواعد اللغة، لأن ملكة اللسان غير صناعة العربية، فالسليقة والفصاحة والملكة جميعها مصطلحات أطلقها

(١) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٤٧.

(٢) ينظر: محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة. ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) ينظر: محمود نحلا، أصول النحو العربي، ص ٦٤-٦٦.

القدماء على معنى واحد، وهو اكتساب اللغة من المحيط في الصغر من دون معلم. وبالتالي فلم يربطها المتقدمون بالجنس العربي، بل ربطوها بالمنشأ اللغوي، ولم يعتقدوا أنها فطرية أي أن غير العربي لا يمكنه تعلم العربية، ولو ولد ونشأ في بيئه عربية؛ بل هي مكتسبة تصبح بعد المراهق كأنها طبيعة، وقد أوضح ذلك ابن خلدون من قبل، ووصف من يعتقد بأنها ترتبط بالجنس بأنه مغفل، كما وصف الدكتور/ الحباس ما قام به علماء اللغة بأنه: علمي؛ لأن المهارات لا تدرك إلا بعد اكتمال نمو الدماغ؛ وذلك بتأكيد علماء النفس المحدثين^(١).

وفي رأيي أن السبب الأكبر في خلط المستويات اللغوية يعود إلى النحاة المتقدمين، وبالرغم من ضخامة العمل الذي قاموا به، والجهد الكبير منهم في جمع اللغة ودراستها، إلا أنهم في بداياتهم لم يضعوا خطة محكمة، أو منهاجاً واضحاً في سبيل ذلك، ولم يرسموا خطوطاً محددة للعمل في إطارها؛ وإن كانت مسألة "نقاء اللغة" أمراً متفقاً عليه بالنسبة لهم؛ ولكن ما تم أثناء ذلك وبعدة؛ إنما هو اجتهادات شخصية غير متفق عليها على الأقل في البدايات، يقول الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف: "كان مبدأ جمع اللغة سليماً في أنه اعتمد على المشافهة، ولكن التطبيق لهذا المبدأ كان مضطرباً؛ لأنه لم يكن متفقاً عليه؛ وأنه كان يخضع لاجتهادات شخصية في أول الأمر، ثم خلافات مذهبية بعد ذلك"^(٢). وهذا الأمر ملحوظ في التحديد الزماني والمكاني، ومدى الالتزام به واختلافهم في ذلك، بل إن بعض الأطر استنجدت من المتأخرین، ولم يصرحوا بها؛ كما هو الحال في مسألة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف. ولعل في كلام الدكتور/ كمال بشر ما يوضح هذه الفكرة بصورة أكبر؛ حيث يقول: "لم يكن هناك خط تفكيري متصل في دراسة اللغة وقواعدها؛ وإنما كانت هناك اتجاهات شتى، ومبادئ منوعة يختلط بعضها بعض؛ بل ربما ناقض بعضها البعض الآخر، وإنه من الصعب أن نقرر أنه كان هناك منهج واحد متكامل يربط الأطراف"^(٣).

(١) ينظر: محمد الحباس، محمد: مفهوم الفصاحة عند النحاة العرب القدماء والمحدثين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٤)، الجزء (٤)، ص ١٠١١-١٠٣٦.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف: الضرورة الشعرية، ص ٧٧. وينظر أيضاً: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص ٧٠.

(٣) كمال بشر: دراسات في علم اللغة (٢)، ص ٦٠.

٣ - **الخلط بين مستوى الشعر والنشر:** كان للشعر دور كبير في التعديد النحوي؛ فقد اعتمد عليه النحاة المتقدمون، واحتفوا به كثيرا، وكان من أهم مصادر النحو والنحاة؛ بل إنهم كما يقول د/أحمد مختار عمر عدّوه " الدعامة الأولى لهم، حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد، وأصبحت مقصورة على الشعر فقط؛ ولذلك نجد كتب الشواهد لا تحوي غير الشعر، ولا تختتم بما عدّاه".^(١) وقد كان الرجوع إلى الشعر هو الفيصل في كثير من مسائل النحو وقضاياها، وفي مجال الخلاف بين البصريين والكوفيين.^(٢) ويعلل الباحثون المحدثون لهذا الاهتمام الكبير بالشعر بأسباب كثيرة، لا مجال لذكرها.^(٣)

ولا خلاف بين النقاد على اختلاف مدارسهم النقدية بأن لغة الشعر تختلف بطبيعتها عن لغة النثر، وتتميز عنه.^(٤) وانطلاقاً من هذه الفكرة، فقد كان من المآخذ التي أخذها الباحثون المحدثون على النحاة المتقدمين: أنهم لم يحاولوا الفصل بين الشعر والنشر في تعديدهم للقواعد، وفي استدلالهم على صحتها، بل إنهم في كثير من الأحيان يبنون قواعدهم على الشعر وحده.^(٥) حتى لقد كانوا يتسبّبون في كثير من الأحيان بأبيات من الشعر في تصحيح قاعدة، أو تأييد أصل؛ مع أن الاقتصار على الشعر وحده خطوة متعرّضة في إثبات أسلوب عربي؛ فللشعر لغته الخاصة".^(٦)

ويقول الدكتور/تمام حسان موضحاً هذه الفكرة، ومبيناً موطن الخلل في تعامل النحويين

(١) أحمد مختار عمر: *البحث اللغوي عند العرب*، ص ٢٥. وينظر أيضاً: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢١٤.

(٢) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف: *الضرورة الشعرية*، ص ٥٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٥٩، وينظر أيضاً: إبراهيم أنيس: *من أسرار اللغة*، ص ٣٢٥. وحسام قاسم: *الأسس المنهجية للنحو العربي*، ص ١١٤، ١١٥.

(٤) ينظر: هلال، محمد غنيمي: *النقد الأدبي الحديث*، دار الشعب، القاهرة، الطبعة (٣)، ١٩٦٤، ص ٣٨٤.

(٥) ينظر: مهدي المخزومي: *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، ص ٣٣٥. وينظر أيضاً: الحلوي، محمد خير، *أصول النحو العربي*، ص ٧٦، محمد عبادة، *عصور الاحتجاج في النحو العربي*، ص ١٨٧، ورمضان عبد التواب، *أصول فصول في فقه العربية*، ص ١٥٧، وحسانين، عفاف، في *أدلة النحو*، المكتبة الأكاديمية، الطبعة (١)، ١٩٩٦م، ص ٨٦.

(٦) مهدي المخزومي: *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، ص ٣٣٥.

القدامى معها: "ولقد سبق أن بينا أن للشعر لغته الخاصة التي تسعى إلى تحقيق الغايات الجمالية أول ما تسعى؛ ولو كان ذلك على حساب عرفية الاستعمال، وصحة التركيب بحسب القواعد. فهذه اللغة تتسم بالضرائر الشعرية، كما تتصف بالترخيص في القرائن اللفظية؛ ولهذا لا ينبغي أن نرى لغة الشعر نموذجا للاستعمال العربي؛ لأنه إذا كان المقصود بإنشاء النحو وصف النموذج العادي الذي تتمثل فيه اللغة العربية الفصحى؛ فإن لغة الشعر؛ بما نسبناه إليها من خصوصية البناء، والتركيب، والضرائر، والرخص تقصر دون تمثيل اللغة الفصحى تمثيلا كاملا مقبولا، حتى مع التسليم بأن تكون اللغة التي يستنبط منها النحو هي اللغة الأدبية دون غيرها (على عكس ما يقول به المنهج الحديث) وهذه الخصائص التركيبية التي تمنح الشاعر قدرًا من الحرية التي لا يتمتع بها غيره في تركيب الجمل وضفت النحاة أمام المسموع من الشعر بصورته التي لا تلتزم التزاما تاما بغير المعايير الجمالية، فساعد ذلك على نشأة الخلاف بين النحاة حول رد النصوص الشعرية إلى الأصول النحوية؛ وعندما يعجز النحاة عن التوفيق بين الشعر والنحو يعترفون بالضرورة والرخصة".^(١)

فالشعر له أسلوبه، وله ألفاظه، وله إيقاعاته، وله قيوده من وزن وقافية ، ويتناول موضوعات خاصة تفرض على الشاعر قيوداً لا تفرض عليه أثناء كلامه العادي . وقد تضطر هذه القيود الشاعر إلى الضرورة؛ فيقف الشاعر في حيرة بين القاعدة النحوية، والموسيقى الشعرية . مما يجعله -أي الشعر- كما يقول د/سعيد جاسم الزبيدي: "غير دقيق في رصد الظواهر اللغوية، ومن ثم القياس عليها وبناء قواعد ثابتة. فيجب أن يبعد الشعر الخاضع لها عن دائرة الاستشهاد".^(٢) ويقول في موضع آخر: "فالاعتماد على الشعر وحده في تعريف القواعد، والاستدلال عليها يوقعنا في بعض الاضطراب".^(٣) وهذا بدوره قد يؤدي إلى تأثير اللغة التي يضطرون إليها، فتجرى على ألسنتهم في غير الشعر أيضاً، والأخطر من ذلك أن يستنبط قاعدة نحوية من بيت خطأ. فإلى أي مدى يمكن اعتبار صلاحية الأساليب الشعرية لبناء

(١) تمام حسان: الأصول دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، ص ١٠٣ . وينظر أيضا: الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٨-٤٩.

(٢) سعيد الزبيدي: القياس في النحو العربي، ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق: ص ١١٥ .

القاعدة النحوية؟ "فما يتصوره النحاة العرب من أن الأساليب اللغوية التي ت Creed للنشر يمكن أن تصلح مقاييس للشعر تصور واهم؛ إذ للشعر لغته المعبرة عن خصائصه، ومن ثم فإن له قواعده التركيبية التي لا تخضع لغته لسوها".^(١)

قواعد النحو - كما يقرر أحد الباحثين - في الشعر لا ينبغي أن يجعلها قواعد النحو في النشر. إذ إن القاعدة النحوية يجب أن تستند أساساً على النشر، وإذا لم يكن للقاعدة النحوية من سند إلا الشعر؛ فهي قاعدة خاصة بالشعر فقط، ومن التصرف الجزاكي أن نعممها في النشر؛ لأن معنى هذا أننا ننتهي طبيعة هذين اللونين من كلام العرب.^(٢) والاعتماد على الشعر أدى فعلياً كما يقول الدكتور / مهدي المخزومي إلى اضطراب النحاة في أحکامهم النحوية، وفتح باب الحمل على الضرورة، كما أنه مسؤول عن كثير من مسائل الخلاف بين النحاة البصريين والکوفيين.^(٣)

لقد توسع الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف في عرض هذه المسألة، حين تحدث عن أثر الشعر في التعديد النحوي؛ حيث يرى أنه وإن كان للشعر أثر إيجابي يتمثل في توثيق النصوص اللغوية، إلا أن هنالك الكثير من الآثار السلبية للغة الشعر في التعديد النحوي؛ وتمثل تلك الآثار - في نظره - فيما يأتي:^(٤)

١ - فرض قواعد خاصة بالشعر على النشر، وهو يرى أنها أخطر آثار لغة الشعر على التعديد النحوي.

٢ - تعدد الآراء في المسألة الواحدة، وجواز أكثر من وجه فيها؛ استناداً إلى استعمالات شعرية كل منها ورد في سياق خاص، وموقع معين يقتضيه. ولا يمكن معه غيره؛ ولكن النحاة لفقوا بين هذه النصوص، وأجازوا في المسألة الواحدة عدة آراء.

٣ - توسيع شقة الخلاف بين البصريين والکوفيين، وذلك أن الكوفيين كانوا أكثر اعتماداً على

(١) علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص ٢٤١.

(٢) ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين التحويين دراسة تحليل تقويم، ص ٦٢٦ - ٦٣٠.

(٣) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٣٥.

(٤) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف: الضوراة الشعرية في النحو العربي، ص ٥٧٦-٥٨٦ و ينظر أيضاً: سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ١١٣ - ١١٥.

الشعر من البصريين، وأكثر خلطاً بين مستوى الشعر والنشر منهم؛ ولذلك فرضوا كل استعمال من الشعر عثروا عليه؛ ولو كان في شاهد واحد على النشر.

٤ - هناك جانب رديء استغل فيه الشعر استغلالاً سيئاً لا يعود على اللغة بشيء، وتركت هذا في الأبيات التي وصمها النحاة بالضرورة؛ وهو الألغاز التحوية، وقد أفردت هذه الألغاز بالتأليف؛ ولم يعتمد مؤلفوها إلا على الشعر وحده.

٥ - إهمال دراسة لغة الشعر نفسها، وذلك أنهم كانوا ينظرون للشعر على أنه (حل الضورات)، مع اعتمادهم الكبير عليه؛ ولذا اكتفوا بتعليق كل ظاهرة فيه على مشجب سموه (الضرورة الشعرية)؛ حرصاً على القاعدة.

وهو يؤكد في ذلك كله بأن "لغة الشعر تختلف طبيعتها عن لغة النثر؛ لما يمتاز به الشعر من خصائص فنية تقتضي تراكيب معينة يسمح للشاعر فيها بحرية أكثر في التقديم والتأخير وغير ذلك"، وأن الاعتماد عليه أوقع النحاة في اضطراب، واختلاف شديدين يرجعان أساساً إلى الخلط بين لغتي الشعر والنشر؛ لأنهم درسوا ذلك كله في إطار موحد".^(١)

كما وقف الدكتور إبراهيم السامرائي – أيضاً – من لغة الشعر وقفه شك وريبة قائلاً: "إن الشاهد الشعري ضعيف ولو جاء كثيراً، وذلك لما تقتضيه لغة الشعر من ترخيصات، وتجاوزات؛ لتجيء سائرة على الوزن المعروف. على أن كل هذه الألاعيب مما وسعت في النحو العربي؛ لأنها أعطته ما ليس منه".^(٢)

وبشكل عام فالنحاة كما يقرر الدكتور شعبان العبيدي يقررون بأن للشعر ضروراته، وأن الشاعر يحتاج إلى ارتكاب بعض هذه الضورات؛ ليوائم بين الوزن والقافية والمعنى، إلا أنهم مع ذلك كله تعاملوا مع الشعر أكثر من تعاملهم مع النثر، فالشعر عندهم مقدم على النثر، فعلى كل قاعدة نجد شاهداً شعرياً يقدمونه حتى على أسمى نص؛ وهو: القرآن الكريم^(٣).

لكن بعض الباحثين خالف هذا الرأي القائل بضرورة فصل الشعر عن النثر في وضع

(١) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف: الضرورة الشعرية في النحو العربي، ص ٥٨٦-٥٨٧.

(٢) السامرائي، إبراهيم، النحو العربي نقد وبناء، دار الصادق، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٨٣-٨٤.

(٣) ينظر: العبيدي: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٣٤٩.

القواعد النحوية، ولم يلق استحسانهم؛ منهم: الدكتور/عفيف دمشقية الذي أبدى استغرابه من هذا الرأي بقوله: "إلا إذا كان الشعر ليس كلاما، وهذا لعمر الحق منتهى العنت".^(١) مؤكدا في الوقت ذاته أن "الشاعر الذي يستحق هذه التسمية يستحيل أن تلجهه الضرورة إلى خرق المألوف في الاستعمال اللغوي، ولا يعجزه موقف، أو معنى أن يعبر عنه بأصفى ما تسمح به بنية اللغة، ونظام تركيبها".^(٢)

كذلك حاول الباحث/قاسم كتاب عطا الله تفنيد هذه الفكرة من أساسها؛ مع تأكيده على أحقيّة الشاعر بما يميّزه عن غيره من ضرورات قائلًا: "إن الفصل بين لغة الشعر، ولغة النثر في القواعد أمر فيه تشوّيه للغة نفسها؛ فوضع نظامين قواعديين أحدهما للشعر، والآخر للنثر في لغة واحدة منهج يخالف طبيعة اللغات؛ وهو يؤدي إلى كثير من الخلط والاضطراب؛ لأننا لا يمكن أن نضع قواعد للشعر إلا أن نقول للشعراء أن يقولوا ما يشاؤون دونما حساب لقواعد اللغة... كل ذلك يبين أن الفصل بين الشعر والنشر في القواعد أمر لا سبيل إلى تحقيقه. وما يمكن قوله هنا إنصافاً بين من تعصب للشعراء، ومن تعصب عليهم: إن لغة الشعر لغة خاصة يقيدها الوزن، وتحدها القافية، ويسودها أسلوب شعري خاص رعما عاقت اللغة بقوانينها بعض انتلاقاته؛ ولذلك كان لزاماً أن يمنح الشاعر ما يميّزه عن الناشر من ضرورات مسموح بها يستعملها متى شاء دونما حرج، أو مواجهة.. وما ارتكب الشاعر من سواها؛ فهو شذوذ لا يجوز له، ولا يحق".^(٣)

ويرى الدكتور/ عطا محمد موسى وذلك بعد أن استعرض كثيراً من الآراء حول الاحتجاج بالشعر، ومفهوم الضرورة الشعرية عند المحدثين أن الشعر يقوم على لغة خاصة، وأنه إذا اكتنفته الضرورة قصر الاحتجاج به على لغة الشعر، على أنه بالإمكان رد تلك الضرورة إلى أصل مهجور؛ وإلا فإنه يحفظ، ولا يقاس عليه أما إذا تعلق الأمر بالاحتجاج لقواعد النثر

(١) دمشقية، عفيف: خطى متعرّة على طريق تجديد النحو العربي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٨٠م، ص ١٩٧. وينظر أيضاً للمؤلف نفسه: المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، ص ١٠٣.

(٢) عفيف دمشقية: المنطلقات التأسيسية والفنية إلى ل نحو العربي، ص ١٠٣.

(٣) عطا الله، قاسم كتاب: الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو حتى نهاية القرن الخامس المجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠١م، ص ١٥-١٦.

بالشعر، فإنني أميل إلى أن يكون الشعر خالياً من الضرورات.^(١)

وأخيراً فلا شك بأن الشعر هو الرافد، والمنبع الذي استقى منه النحو على اختلاف مذاهبهم، وأماكنهم، وأزمانهم، معظم شواهدهم، والمتصفح لكتب النحو يتتأكد أنه؛ وإن كان للنشر اعتباره في دراسة النحو، فإن نصوص الشعر غالبة عليه، وما كان ذلك للشعر إلا لمعرفة اللغويين والنحوة بأن الشعر يمثل الشق الآخر لكلام العرب بعد القرآن الكريم. فالقرآن والشعر هما اللذان حفظاً معظم لغة العرب. كما أن الاهتمام الشديد بالشعر، مع ما ترتب على ذلك من مزالق، ومتاعب يعني منها النحو العربي حتى الآن، كالتأويل والاستدراكات على القواعد والضرائر الشعرية، وكما يقول الدكتور/ محمد عيد كان: "تحقيقاً للنهج العام الذي حاولوه دائماً في مادة دراستهم وتعلقوها به، وهو البحث عن لغة مثالية تكون جديرة باستخلاص القواعد منها" ، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد.^(٢)

٤ - عدم تحقيق النصوص التي بنوا عليها قواعدهم، وعدم دراسة أحوال الرواية:
ويقصد بتحقيق النصوص: هو توثيق النصوص الشعرية والثرية، والضوابط التي التزمها النحوة المتقدمون؛ لتوثيق المروي من اللغة متنا وسندًا؛ وذلك على غرار ما تم في الحديث النبوي الشريف.

وقد كان النحوة حريصين في التحري عن صحة الشواهد ومعرفة قائلها، وهم قد اشترطوا شروطاً للسمسموع عن العرب في متنه، وإسناده قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "تؤخذ اللغة سماعاً عن الرواية الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويتحقق المظنون، فحدثنا علي بن إبراهيم، عن المعداني، عن أبيه، عن معروف بن حسان، عن الليث، عن الخليل قال: إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت، فليتحر آخذ اللغة أهل الأمانة والصدق والثقة والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا".^(٣) واشترط ابن الأنباري

(١) ينظر: عطا موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١١١.

(٢) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢١٣.

(٣) ابن فارس: أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسفن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة (١)، ١٩٩٧م، ص ٣٤.

(ت ٥٧٧ هـ) في ناقل اللغة أن يكون عدلاً، كما يشترط في نقل الحديث الشريف.^(١) ويقول في الإنصاف: "ولا يجوز الاحتجاج بشعر، أو نثر لا يعرف قائله، وعلة ذلك؛ الخوف من أن يكون ملولد، أو من لا يوثق بفصاحته".^(٢) ولدى الزجاج (ت ٣١٠ هـ) والنحاس (ت ٣٣٧ هـ) نصوص مهمة في هذا الصدد، وليس صحيحًا أن الحديث النظري عنه تأخر حتى عصر ابن الأنباري، كما يردد بعض الباحثين المعاصرین.^(٣)

وبالرغم من هذه الجهود التي بذلها النحاة المتقدمون في توثيق الشواهد، إلا أن بعض الباحثين يرى بأن النصوص اللغوية التي استشهد بها لم يتحقق لها النحاة سندًا ولا متنًا؛ حيث وجد عدد كبير من الشواهد داخلها الزيف والاضطراب، وغالطها الضعف، "فأما السنن فكثيراً ما تجد الشاهد في كتبهم منسوباً إلى غير قائله، وأما المتن فكثيراً ما تجده مروياً عندهم على غير الصحيح، ويبينون قاعدهم على موضع الخطأ منه".^(٤)

كما أن الرواية - في نظرهم - لم ينالوا أهمية في دراسة النحاة من حيث الضبط والثقة، أو الوضع والخلط؛ حيث لا نعرف عن الرواية في إطار النحو العربي - كما يقولون - إلا القليل؛ فكثُرت الشواهد المدسوسنة والمنحولة والمجهولة.

وفيما يتعلق بالشواهد التي تعرضت للنقد والاتهام، فإنه يمكن تصنيفها كما يأتي:^(٥)

(١) ينظر: ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن، الإغراب في حدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، قدم لهما وعني بتحقيقهما: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٧٥ م، ص ٨٤. وينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وحده، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تعليق وشرح: محمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة (٤)، ١٩٦١ م، ٥٨٣/٢، وينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وحده، ص ١٨٢.

(٣) ينظر: حسام قاسم: الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٤٧.

(٤) الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤ م، ص ٧٣. وينظر أيضًا للمؤلف نفسه: من تاريخ النحو العربي، دار الفكر للطباعة والتشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٨ م، ص ٦٦.

(٥) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٤٣-١٥٨، وينظر أيضًا: فاخر، علي محمد، تغيير النحويين للشواهد، دار الطباعة الحمدية، القاهرة، الطبعة (١)، ١٩٩٦ م، ص ٣٢-٣٨، و حسام قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٤٦-١٦٠.

الشواهد المجهولة النسبة: وهذا النوع من الشواهد؛ وإن وضع له ضابط لاحقاً وهو عدم الاستشهاد بما لم يعرف قائله.^(١) لكنهم يرون بأن هذا الضابط جاء متأخراً، بعد جهد عظيم كان النحاة قد بذلوه في الشواهد، واستباط القواعد منها؛ ابتداءً من سيبويه الذي لم يهتم بنسبة الأبيات التي استشهد بها في كتابه إلى قائلها. وقد قال عنها أبو عمر الجرمي (٢٢٥هـ)، وهو صاحب نسبة كثير من شواهد كتاب سيبويه الشعرية إلى أصحابها: نظرت في كتاب سيبويه؛ فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً. فأما ألف، فعرفت أسماء قائلها، فأثبتتها، وأما الخمسون، فلم أعرف قائلها.^(٢) بل إنّ الدكتور/رمضان عبد التواب ذكر أن جملة الشواهد غير المنسوبة في كتب سيبويه بلغت ٣٤٨ شاهداً؛ وهذا أكثر بكثير مما ذكر الجرمي؛^(٣) ولذلك استمر الاعتماد على هذا النوع من الشواهد المجهولة النسبة.

ويرجع الدكتور/محمد عيد عدم اهتمام النحاة الأوائل بنسبة الأبيات إلى قائلها بأن المدف الأأساسي كان ملاحظة اللغة، والوصول إلى القواعد من خلال الملاحظة والتتبع؛ وللوصول إلى هذه الغاية الأساسية لم تقل مسألة نسبة الشواهد الاهتمام والاستقصاء إلا في وقت متأخر نسبياً؛ وذلك حين روجعت مجهودات السابقين؛ ومنها مسألة الشواهد؛ بحيث أصبح بعد ذلك من أسس النظر في الشواهد أن يبحث الدارس عن نسبة الشاهد إلى قائله، أو يذكر أنه مجهول النسبة.^(٤)

ويرى الدكتور/علي فاخر أنّ الأبيات الشعرية مجهولة القائل تشبه إلى حد كبير الأبيات المؤلفة أو المحرفة؛ لأنّها تفتح الباب إلى أن يكون قائلها، أو وضعها نحوياً أخفى نفسه لإثبات

(١) ينظر: ابن الأنباري، مع الأدلة في أصول النحو، ص ٨٤ ، ينظر أيضاً: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ٥٨٣/٢ ، والسيوطى، الاقتراح في أصول النحو وحده، ص ١٨٢ .

(٢) ينظر: الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحوين واللغويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة(٢)، د.ت، ص ٧٥ ، و ينظر أيضاً: البغدادي ، خزانة الأدب، ٢٩/١ .

(٣) ينظر: عبد التواب، رمضان، أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه، مجلة الجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والعشرون، ١٩٧٤ م، ص ٢٠٦ .

(٤) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

مسألة، أو ترويج قاعدة.^(١) وكما يقول الدكتور/عفيف دمشقية: فإنها عرضة للشك، والتجريح، وعدم الاطمئنان.^(٢)

وبناء على نظرية الريبة هذه تجاه الشواهد المجهولة النسبة، فقد ذهب عدد من الباحثين المحدثين إلى ضرورة معرفة القائل، ودعوا إلى إبعاد الشاهد الذي لا يعرف قائله عن دائرة الاستشهاد النحوي، منهم سعيد الأفغاني،^(٣) وعبد العال سالم مكرم،^(٤) ومحمد حسين آل ياسين الذي يرى أن عدم النسبة إلى القائل تشير الشك، وتشير التساؤل؛ ولذلك فعدم التعويل على تلك الأبيات المجهولة في البحث اللغوي أسلم.^(٥)

ولاشك في أن المتتبع للشواهد الشعرية في كتب النحو لا يكاد يجد كتاباً نحوياً واحداً يخلو من الشواهد الشعرية مجهولة القائل، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى أسباب متعددة تناولوها في مؤلفاتهم.^(٦)

- **الشواهد المتعددة النسبة:** وهي الأبيات التي تنسب إلى غير واحد من الشعراء، والأهمية النظرية لهذه الشواهد تبع من كون من ينسب له البيت قد يكون من خارج عصر الاحتجاج. ويرى الدكتور/ محمد عيد أن هذا النوع من الشواهد يمثل نقطة ضعف؛ لاحتمال كونها مصنوعة، أو ملفقة وغير موثقة، أو محرفة المتن؛ ولذا فهم يرون أنها في حاجة إلى تنقية ومراجعة بعد توافر ظروف التحقيق الكثيرة المعاصرة.^(٧)

- **الشواهد ذات الوجوه المتعددة:** و يحدث هذا في الغالب بسبب النقل الشفوي لأكثر المادة اللغوية، وهذا النوع من الشواهد قد ثبتت به القاعدة، وقد تنتفي، وقد يكون

(١) ينظر: علي فاخر، تغيير النحوين للشواهد، ص ٢٢.

(٢) ينظر: عفيف دمشقية، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، ص ١٠٧.

(٣) ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص ٦٧.

(٤) ينظر: عبد العال مكرم، القراء الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٣٤٧.

(٥) ينظر: عبد الجبار النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ١٢٤-١٢٥، وينظر أيضاً: محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١٨١-١٨٢.

(٦) ينظر: النايلة، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ١٢٤-١٢٥، و ينظر أيضاً: محمد عيد، الرواية والاستشهاد

باللغة، ص ١٨١-١٨٢. وحسام قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٤٦.

(٧) ينظر: محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١٦٣.

التغيير في الرواية من الشاعر، أو من الراوي، أو قد يكون مقصوداً من النحاة؛ وذلك لغايات مختلفة. وقد ذكر الدكتور/ عيد أسباب وجود هذه الظاهرة في شواهد النحو.^(١) مؤكداً أن وجودها في كتب النحو جانب ضعيف في الشواهد النحوية.^(٢)

- **الشواهد المصنوعة** : والمقصود بها تأليف الشاهد النحوي، أو موطن الشاهد فيه. وتكون أدلة صناعتها في الطعن الصريح فيها من قبل النحاة: كالزجاج (ت ٣١٠ هـ) والنحاس (ت ٣٣٨ هـ) وغيرهم، ووسمها بالصنعة، أو نسبة بعض الشواهد إلى شعراء لم يوجدوا أصلاً، أو شُك في وجودهم، كمحنون بني عامر وغيره، وقد تظهر إمارات الصنعة في الرصف اللغوي لبعض الشواهد.^(٣) "ما يؤيد أن النحاة يصنعون، أو تصنع لهم شواهد يبنون عليها قواعدهم، أو تتفق معها".^(٤) ويؤكد الدكتور/ علي فاخر بأن النحاة تجربوا في ذلك، وصنعوا الشواهد وأن ذلك لم يكن في العصور المتأخرة؛ بل كان في عصر سيبويه وفي كتاب سيبويه.^(٥)

- **الشواهد المحرفة**: ويرى بعض الباحثين المعاصرین أن أغلب التحريف في الشواهد من تعمد النحاة أنفسهم؛ وما يدل على هذا اختلاف روايتها في كتب النحو عما هي عليه في مصادرها الأصلية.^(٦)

- **الشواهد التي أسيء فهمها** : وهذه الشواهد نتاج - حسبما يرون - عن عزل الشواهد من سياقها؛ وهي شواهد قطعت عن سياقها، ثم فُهم الجزء الباقي منها فهما خاصاً، ابني عليه رأي أو قاعدة؛ ولو ذكرت مع سياقها؛ لما استدل به عليها. وهي كما يرى

(١) ينظر: محمد عيد الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١٦٥. وينظر أيضاً: حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية، ص ٤٨٠ - ٤٨٠.

(٢) ينظر: محمد عيد الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٤) ينظر: سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ١١٤.

(٥) ينظر: علي فاخر، تغيير النحوين للشواهد، ص ١٨.

(٦) ينظر: محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة، ص ١٧٢ وما بعدها. وينظر أيضاً: علي فاخر، تغيير النحوين للشواهد، ص ٣٠.

الدكتور/ محمد عيد من مظاهر الضعف في الشواهد أيضاً.^(١)

وقد كان الدافع الذي جعل النحاة يدخلون هذه الشواهد الضعيفة بأنواعها ومظاهرها المختلفة في مجال النحو -حسبما يرى بعض الباحثين المحدثين- هو: "مراجعة القواعد لا النصوص، فقد وجها جهدهم أساساً في الدراسة؛ لخدمة القواعد، فانزلق بهم ذلك إلى استخدام نصوص ما كان لها أن تستخدم، أو على الأقل كان ينبغي لها أن تتحقق وتنخل قبل أن تستخدم".^(٢) وهو ما يشير إليه الدكتور/علي محمد فاخر حيث يقول: "لنزلة الشاهد في علم النحو آلى النحاة على أنفسهم أن يكون لكل قاعدة شاهد؛ وكأنهم رأوا أن كلامهم بلا استشهاد سيرده الناس عليهم، وأن دعواهم بلا دليل لن يقبلها أحد منهم؛ فاجتهدوا، وأرهقوا أنفسهم كثيراً، وغيروا البيت، وبدلوا الرواية...".^(٣)

وهذا ما جعل كثيراً من الشواهد النحوية من الشعر أو من النثر تكون - في نظرهم - مثار جدل وتهم أو ترفض. فالشاهد النحوي هو النحو، فإذا طعن الشاهد؛ طعن القاعدة، وإذا صح الشاهد؛ صحت القاعدة. يقول الدكتور/علي فاخر في كتابه: (تغيير النحوين للشواهد): "لقد وجدت في هذا البحث؛ وأنا أعده أبياتاً كثيرة عدا عليها النحاة، وغيروها؛ لتكون شاهدهم، ولم يقتصر ذلك على الأبيات المعمورة؛ بل امتد إلى المشهور منها".^(٤) كما يؤكد أن التغيير والتحريف في الشواهد لا يقتصر فقط على الشعر وشواهده؛ بل أيضاً في كلام العرب، بل إنه تجاوز ذلك إلى الحديث الشريف.^(٥)

ويرى الدكتور/ محمد عيد أن منهج الأقدمين من المادة المروية المشكوك فيها يشوبه التقصير في التتحقق منها وتوثيقها، خصوصاً إذا أخذ في عين الاعتبار أنَّ كثيراً من شواهد النحو مجهول النسبة، أو متعدد النسبة، أو نص العلماء أنفسهم على أنه مخترع لا أصل له، فالقصير تجاه توضيح ما دخله الشك من هذه المادة، يجعل جملة من الشواهد النحوية في دائرة

(١) ينظر: محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ١٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٣) علي فاخر: تغيير النحوين للشواهد، ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧.

(٥) المصدر السابق، ص ١٥.

الشك.^(١) و هو يؤكد أن المسار الصحيح بجاهها هو التتحقق من هذه المادة اللغوية وردها إلى أصل استعمالها قبل أن تتصرف فيها أيدي النحاة والرواة، وذلك بالعودة إلى دواوين الشعراء وموسوعات اللغة والأدب، وعزل مالا يتمكن من صحته وتوثيقه؛ حتى يثبت ما يؤكدده أو ينفيه.^(٢) .

غير أنها ينبغي أن نخاطب بالمقابل من كثير من المرويات التي تنتقص النحاة والرواة، وتجزفهم، وتهفهم بالوضع والتزييد؛ لأن كثيرة منها قائمة على العصبية والعنصرية والحسد بتأثير المنافسات الشخصية، فالاتهامات والبالغة فيها كانت ظاهرة واضحة في تلك المرحلة لم يسلم منها أحد.^(٣) والقصص والروايات في ذلك؛ كما يقول الدكتور/السيد رزق الطويل: "من نسج خيال غذته العصبية بهذا الشطط والجموح".^(٤) بالإضافة إلى حماد الرواية (ت١٥٦هـ)، وخلف الأحمر (ت١٨٠هـ)، فإن الأصماعي (ت٢١٧هـ) وهو من أوثق رواة البصرة اتهم هو أيضاً بالوضع والتزييد،^(٥) كذلك اتهم أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وأبو عبيدة (ت٢٤٢هـ)، والمفضل الضبي (ت١٧٠هـ)، وغيرهم.^(٦)

وبشكل عام فإن هؤلاء الباحثين يرون أن النحاة المتقدمين لم يعنوا بتوثيق الشواهد اللغوية، ونسبتها إلى قائلها، كما يرون أن تلك النصوص راحت؛ ضحية المنافسة بين النحاة، وال الحاجة إلى الشاهد النحوي، أو الحاجة لما يؤيد الرأي من الشواهد. فصنع الرواة تلك الشواهد وزيفوها تلبية لرغبة النحاة. كما أن النحاة أيضاً قاموا بالتزيف والوضع والتحريف؛ لخدمة آرائهم، وتقوية قواعدهم. يضاف إلى ذلك أن الرواية الشفوية، والاعتماد عليها كان سبباً في اضطراب المرويات؛ لما فيها من احتمال الخطأ في الرواية. وبالتالي فلابد من مراجعة ما

(١) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٢٢٩.

(٢) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة ، ص ٢٣١.

(٣) ينظر: محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٨٠-٨٢ . وينظر كذلك: ، حسن الملح، التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء - التحليل - التفسير، ص ٨٢ - ٨٧ .

(٤) السيد رزق الطويل: الخلاف بين النحويين، ص ١٢٥ .

(٥) ينظر :السيوطى: المهر، ص ١١٧ .

(٦) ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ١٢٦ .

داخل تلك النصوص من الشك، وبيان حقيقتها، ورفض ما ثبت زيفه، أو تحريفه من تلك النصوص.

و بعد: فلاشك في أن الشواهد النحوية هي الأساس الذي تقوم عليه القاعدة في النحو، فالشاهد هو النحو؛ ولذا فمن الضروري العناية بتلك الشواهد وتنقيتها، وإعادة النظر في كثير من قواعد النحو على هذا الأساس، ولأن مثل هذه الشواهد النحوية المشكوك فيها كثيرة في كتب النحو، وتمثل ظاهرة بارزة في مصنفاتها: احتجاجاً، واستدلالاً، وتمثيلاً، كما أن بعض النحاة واللغويين المتقدمين اهتموا بعض الرواية في نخل الشعر لما رب مختلفة. فإذا ثبت أن هناك ظاهرة نحوية قامت على شواهد مصنوعة، أو محرفة وجباً اطراحها، وترك الاستشهاد بها. ولا بد أن أشير في النهاية إلى بعض تلك الجهد من بعض الباحثين المحدثين في هذا الباب؛ فالدكتور / علي فاخر في كتابه: *(تغيير النحويين للشواهد)* تناول فيه تغيير النحويين لأكثر من مائتي بيت؛ حرفاً النحويون للاستشهاد بها على قواعدهم، حيث وجد الشاهد في كتب النحو يختلف عنه في كتب الأدب، وجموعات الشعر، وديوان الشاعر، وهذا العدد - كما يرى - يؤخذ على النحاة، وبهذا مكانهم، وبينزل عرشهم.^(١) وأما الآخر فهو كتاب لا يقل خطورة عن سابقه وهو: *(صناعة الشاهد الشعري عند ابن مالك الأندلسي)*، للدكتور / نعيم سلمان البدرى اهتم فيه ابن مالك الأندلسي بصناعة الشاهد الشعري، وأنه كان يختبر القاعدة النحوية، ويصنع شواهدها معها؛ مستغلاً قدرته في نظم الشعر أسوأ استغلال، وأنه أسرف في صناعة الشواهد؛ حتى صنع ما يقرب من سبعمائة شاهد نحوى، لم ترد في أي مصدر من مصادر النحو أو اللغة أو التراث التي سبقته.^(٢) وهذه البحوث - ومهما كان موقفنا منها - إلا أنها ستوجه أنظار الباحثين لدراسة أكثر عمقاً للشواهد الشعرية في كتب النحو. وربما تكون نواة لتنقية النحو العربي من القواعد التي قامت على تلك الشواهد المختلفة، أو المحرفة، أو المشكوك فيها، أو من جهة أخرى إعادة الاعتبار لتلك المرويات المشكوك فيها.

(١) ينظر: علي فاخر، *تغيير النحويين للشواهد*، ص ٥ وما بعدها، وينظر: موعد، محمد، الاحتجاج بالشاهد المصنوع (نظارات في بعض الشواهد)، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٠)، العدد (٤٢)، ٢٠٠٤م، ص ٥١-٧٦.

(٢) ينظر: البدرى، نعيم سلمان، *صناعة الشاهد الشعري عند ابن مالك الأندلسي*، دار بنايع، دمشق، الطبعة (١)، ٢٠١٠م، ص ١٠-٣٠.

هذه هي أبرز المآخذ التي تعرض لها النحو العربي من قبل الباحثين المحدثين في فترة جمع اللغة، وتدوينها، ومهما يكن فإن تلك الجهود التي بذلوها تبقى مشكورة، وضخمة إذا ما أخذنا في حسباننا طبيعة المرحلة، ومقاصد النحاة في عملهم هذا.

الفصل الثاني
المآخذ على المنهج

تحكيم النظر المنطقي والفكر الفلسفي	المبحث الأول
المآخذ على التصنيف	المبحث الثاني
المآخذ على التقعيد	المبحث الثالث
المآخذ على المصطلح النحوي	المبحث الرابع

المبحث الأول

تحكيم النظر المنطقي والفكر الفلسفي

لاشك في أن البحث في حقائق الفترة المبكرة من نشأة النحو العربي أمر شاق، وبالغ الصعوبة، ومن أعقد ما يواجه الدارس في هذا العلم، فهي فترة زمنية نفتقد إلى كثير من وثائقها وشواهدتها؛ ولا نكاد نعرف تفاصيل واضحة عنها، وذلك بداءا من أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، وحتى ظهور كتاب سيبويه (ت ١٧٥هـ) المؤلف فيما بعد (١٦٠هـ). أي أنها تمتد قرابة قرن كامل؛ وكل ما ذكر عن تلك المرحلة من روایات كثيرة لا يروي غليلا للباحث في تلك الفترة، وما كانت لتأكد حقيقة علمية؛ وبالتالي فليس من السهل على الباحث أن يصل إلى نتائج قطعية، وحاسمة في شيء منها^(١).

ومن بين تلك القضايا الهامة التي تناولها قليل من العلماء المتقدمين، وكثير من الباحثين المحدثين، وأثاروها في مصنفاتهم، وسلطوا الضوء عليها قضية: أصالة النحو العربي، والمؤثرات الخارجية فيه؛ إذ هي قضية بالغة التعقيد، وشديدة الحساسية، ما جعل الخوض فيها يسلك في كثير من الأحيان مسلكا غير موضوعي، و البحث فيها يكون ساحة للتعصب الذي تجاوز كل الحقائق عند كثير من الباحثين، ونأى بهذه القضية عن كل أساس علمي، "وهكذا لم تعد القضية بحثا علميا محدد الموضوع والطريق؛ وإنما مظهر للالتزام الديني عند أولئك وهؤلاء"^(٢)؛

(١) ينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجاشي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة (٤) د.ت، ١٢٣ / ١٢٤-١٢٤، وينظر أيضا: أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة (٧) د.ت، ٢٨٥ / ٢، وحسن عون، حسن، اللغة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، مطبعة رویال، الطبعة (١)، ١٩٥٢ م، ص ١٩٨، ودمشقية، عفيف، تجديد النحو العربي، معهد الإنماء العربي، فرع لبنان، ١٩٨١ م، ص ٧٢-٧٣، وشعبان عوض العبيدي، النحو العربي و مناهج التأليف والتحليل، ص ٣٨-٣٩، و عبد الكريم، جمعان، التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني عموماً الأدبيات، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩ م، ص ٢٤-٣٨، و أبو المكارم، علي، مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا وتصوص نحوية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ م، ص ٨٠-١٩. بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٤.

(٢) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ٢٠.

وهو ما أضاف سببا آخر للتعقيد فيها.

وقد كان منهج النحاة المتقدمين في دراستهم النحوية يقوم على دعائم يعتمد عليها، أبرزها: السمع، والتعليق، والقياس، ويرى كثير من الباحثين المحدثين أن تلك الدعائم كانت في بداياتها، عفوية، سهلة، وغير معقدة، وأنها تطورت طباعيا بعيدا عن مقاصد الفلسفة، وقضايا المنطق وطريقه؛ حيث لم يتحقق في تلك الفترة - بحسب نظرهم - الاتصال الثقافي المؤثر الواسع بين العربية وغيرها من الثقافات الأخرى؛ إذ إن وفاة سيبويه صاحب (الكتاب) كانت سنة ١٧٥ هـ تقريبا، أي قبل بداية مرحلة نقل العلوم اليونانية إلى العربية بعقود، كما أن أستاذه: الخليل بن أحمد الفراهيدي - وهو أول نحوي بالمعنى العلمي لهذا المصطلح في نظر كثير من الدارسين - قد توفي أيضا قبل هذا التاريخ، وهذا يعني أن العرب أسسوا علم النحو العربي بعيدا عن أي تأثير أجنبي؛ ولذا فقد عد كثير من الباحثين غير العرب علم النحو العربي علما عربيا أصيلا نبت في أرض العرب "كما تنبت الشجرة في أرضها"^(١)؛ وهو ما يؤكده أيضا المستشرق الفرنسي جيرار تروبو في بحثه: (نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه)؛ حيث يقول في خلاصة رأيه: "إن علم النحو أعرّب العلوم الإسلامية، وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول"^(٢). وبالتالي فلا عبرة - في رأي هؤلاء الباحثين - بما يزعم من تأثر النحو العربي في تلك المرحلة بالمنطق اليوناني، أو النحو السرياني، أو النحو الهندي من قبل بعض المستشرقين، ومن تبعهم من الباحثين العرب؛ حيث يتبيّن تناقض هذه المزاعم أمام البحث العلمي^(٣)؛

(١) ليتمان و فلايش، ونقل عنهم هذا أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢٩٢/٢.

(٢) تروبو، جيرار، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (١)، مجلد (١) ١٩٧٨م، ص ١٣٨.

(٣) من زعم ذلك من المستشرقين المستشرقين الألماني: أدلبر توس ميركس في كتابه: "تاريخ الصناعة النحوية عند السريان"، والمستشرق الهولندي: دي بور في كتابه: "تاريخ الفلسفة في الإسلام"؛ وقد ترجمه للعربية الدكتور/ محمد عبد الهادي أبو ريدة. ومن زعم ذلك من الباحثين العرب: أحمد حسن الزيات، في كتابه: "تاريخ الأدب العربي"، دار نهضة مصر للطباعة والتشر - القاهرة، د.ت، ص ٢٠٦، و إبراهيم مذكور في مقالته الشهيرة: "منطق أرسطو والنحو العربي" وسيأتي الحديث عنها، وجورجي زيدان في كتابه: "تاريخ آداب العربية"، ص ٢٥١، و فؤاد حنا ترزي، في كتابه: "أصول اللغة والنحو"، ص ١١٠. و أنيس فريحة في كتابه: "في اللغة العربية وبعض مشكلاتها"، ص ٩٢-١٠١. وحسن عون، في كتابه: "اللغة والنحو" ص ٢٥٠.

فمجرد التشابه - في نظرهم - في تقسيم أو أكثر، أو في بعض المصطلحات لا ينهض دليلا لإثبات مثل هذه الدعوى؛ إذ قد يكون هذا التشابه حدث بطريق المصادفة لا أكثر "فقد يتشابه العمالان، أو يتطابقان ويظل كل واحد منهما أصيلا في ذاته"^(١).

كما أنه لا يثبت أيضا التأثير غير المباشر عن طريق السريان الذين اتصلوا قبل العرب باليونان وعلومهم؛ كما يدعى بعض الباحثين^(٢)؛ إذ لا يكفي أن يتخذ مجرد السبق الزمني، أو التجاور المكاني، أو التشابه الجزئي دليلا على وجود تأثير وتأثير^(٣). ولا شك في أن وفاة الخليل بن أحمد، و تلميذه سيبويه قبل نقل منطق أرسطو إلى العربية، بالإضافة إلى عدم وجود تشابه واضح بين النحو اليوناني، والنحو العربي يؤكّد بشكل كبير انتفاء تأثير النحو العربي بالثقافات الأجنبية في مرحلة النشأة، وحتى اكتماله^(٤).

كما يؤكّد الدكتور/ علي أبو المكارم بأن الاتصال بالثقافات الأجنبية في تلك المرحلة المبكرة -إن وجد- كان محدودا في طبيعته؛ إذ إنه تم بواسطة النقل غير المباشر مع تلك الثقافات، بالإضافة إلى اتصافه بالفردية، كما أنه كان محدودا في نتائجه؛ لأنّه اتسم بالجزئية، وبعدم الثقة في المترجمات؛ وذلك لإدراكيّهم بقصور المترجمين. ومن خلال هذه الحقائق فهو يقرّ أصالة العلوم الإسلامية بشكل عام -ومنها علوم اللغة- في نشأتها، ومادتها، ومنهجها الذي اصطنعه لعلاج هذه المادّة^(٥).

غير أن أكثر الباحثين المحدثين من تناولوا هذه القضية يذهبون إلى القول بتأثير يونياني حدث في فترة متأخرة نسبيا من فترات النحو العربي، سواءً كان ذلك التأثير مباشرا، أم غير

(١) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: فؤاد حنا ترزي، أصول اللغة والنحو، ص ١١٠. وينظر أيضا: فريحة، أنيس في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار للنشر، الطبعة (١)، ١٩٦٦م، ص ٩٢ وما بعدها.

(٣) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٣٥٤.

(٤) ينظر: الحاج صالح، عبد الرحمن، تأثير النظريات اللغوية العلمية المتبادل بين الشرق والغرب إيجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٩٦، ١١٣، ص ٩٦.

(٥) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ٤٦ - ٤٩، وينظر أيضا: عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص ٨٨ - ٩١.

مباشر، وسواء أكان التأثير عن طريق النحو اليوناني، أم عن طريق المنطق اليوناني^(١)؛ حيث إن الانفتاح على تلك الثقافات المتنوعة، والعلوم المختلفة عن طريق الترجمة لم يبدأ بصورة فعالة إلا في عصر بني العباس، حين أصبحت الظروف مواتية لها، وشجعتها الدولة، وبخاصة في عصر الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور (ت ١٣٦ هـ)، فظهرت ثمارها بانتشار الثقافات الأجنبية الأخرى: كالفارسية، واليونانية، والهندية، والانفتاح عليها، واتضح هذا التأثير لتلك الثقافات بشكل جلي في القرن الثالث تقريباً، وذلك بفضل الخليفة المأمون (ت ١٩٨ هـ) الذي يعتبر عصره بحق العصر الذهبي للترجمة، وقد تركت في عصره على مجال العلوم الإنسانية، وفي الفلسفة والمنطق بصفة خاصة^(٢). ثم استمر هذا الاهتمام، والتركيز على الكتب المنطقية، والفلسفية في القرنين الثالث، والرابع المجريين^(٣).

وقد كان لهذا الاتصال بتلك الثقافات الأجنبية، وبخاصة ترجمة الفكر اليوناني، والاطلاع على المنطق اليوناني، والفلسفة اليونانية - كما يرى هؤلاء الباحثون - الأثر الكبير على الفكر العربي الإسلامي في تلك المرحلة، ولم تكن العلوم العربية - وبخاصة النحو - بمعزل عن هذا الانفتاح على تلك الثقافات؛ إذ كان للنحو العربي النصيب الأكبر من هذا التأثير، فكان لابد أن يظهر أثر تلك الأفكار والثقافات الأجنبية في الدراسات النحوية في تلك المرحلة، ويقول الدكتور عبد الرحيم في هذا السياق : "إذا كان التاريخ لا يقطع بشيء في المراحل الأولى لتأسيس المنهج؛ فإنه يؤكد اتصال النحو بالمنطق منذ القرن الثالث. والباحثون الذين يرفضون قضية تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي يستندون إلى ما صرخ به بعض علماء العربية من رفض المنطق، وما جرى من مناظرات بين المناطقة، والنحو؛ وبخاصة في القرن الرابع"^(٤).

(١) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوی، ص ١٠٧ وما بعدها، وينظر أيضاً: الحاج صالح، عبد الرحمن، تأثير النظريات اللغوية العلمية المتبادل بين الشرق والغرب إيجابياته وسلبياته، ص ١١٣-١٢٩. وعبد الرحيم، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٦٥ وما بعدها، والأسعد، عبد الكريم محمد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، دار العلوم للطباعة والنشر، ط (١)، ١٩٨٣ م، ص ٨.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوی، ص ٥٩.

(٣) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوی، ص ٦٥ وما بعدها.

(٤) عبد الرحيم، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٦٥.

إلا أن الدكتور / علي أبو المكارم يرى بأن ذلك المجموع على المتنق من قبل بعض النحاة، وعلى المسرفين في تطبيقه لا يؤثر في حقيقة خضوع البحوث النحوية للقواعد والأساليب المنطقية؛ حيث إن هؤلاء النحاة الذين هاجموا المتنق - بحسب رأي الدكتور / أبو المكارم - قد تأثروا به بالفعل في إنتاجهم النحوي، وتحليل إنتاجهم يكشف مدى ذلك التأثر بالبحوث المنطقية، والالتزام الكامل بشروط المتنق، ومقدماته، وأشكاله، وقضاياهم في مصنفاتهم وحواراتهم، مؤكداً في الوقت نفسه بأن "نظرة واحدة إلى شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ثم إلى المحفوظ من كتب أبي علي الفارسي؛ وبخاصة كتابه: الإيضاح؛ كافية لتأكيد هذه الحقيقة؛ ففي كافة مجالات الدرس النحوي التي يدرسها السيرافي في شرحه، ويتناولها الفارسي في إيضاحه نجد أثر الثقافة المنطقية واضحاً في الحدود، والتقطيع، والتمثيل، والتحليل أي: في الأصول والفروع جميعاً^(١) . وأما ذلك المجموع على المتنق من قبل هؤلاء النحاة، والموقف الحاد من الفكر الإغريقي بشكل عام فيفسره بأنه يعود إلى دوافع فكرية، وعقدية، وليس لإدراك هؤلاء النحاة بخطورة الأخذ به في البحث اللغوي بعامة^(٢) .

وكان لابد في هذه الحالة كما يقول الدكتور / تمام حسان: " وأن تنتقل عدوى التفكير الأرسطي الذي يخلط بين الدراسات اللغوية، والدراسات المنطقية، والميتافيزيقية إلى اللغة العربية ودراساتها؛ وبالأخص دراسات أصل اللغة، والدراسات النحوية"^(٣) . وفي هذه المرحلة يتضح أثر المتنق بصورة كبيرة في عديد من الأصول النحوية؛

بل إن الدكتور / علي أبو المكارم يذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يرى أن أبرز سمات تلك المرحلة هي: (التبعة الكاملة للمنتق)، والخضوع المطلق له في كافة البحوث النحوية: في كلياتها، وفي جزئياتها، وأنه يمكن القول - بحسب تعبيره -: " إنه قد تم في هذه المرحلة إعادة وضع (النحو) وضعًا جديداً ينطلق فيه من النظرة المنطقية الصورية بخصائصها الميتافيزيقية التي تبحث عن الماهية دون أن تكتفي بتمييز الذوات، أو الأحداث بعلامات خارجية سطحية،

(١) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١١١ - ١١٢، وينظر أيضاً: عبده الراحجي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٦٨.

(٢) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١١٢.

(٣) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٥.

وتحدف إلى الكشف عن العلة الغائية؛ بغية تحقيق الاتساق في البناء النحوي، والوصول إلى الانسجام بين جزئياته^(١).

وهكذا بدأ تأثير هذه الثقافات المتنوعة بشكل عام، والمنطق اليوناني بشكل خاص في النحو العربي في تلك المرحلة دون توقف ابتداء من أبي بكر ابن السراج (ت ٣١٦هـ) الذي يعده بعض الباحثين المحدثين رائد الاتجاه المنطقي في البحث النحوي^(٢)، واستمر هذا التأثير على النحو العربي على امتداد القرون اللاحقة بصور متفاوتة عند النحاة.

وإذا كان أبو بكر ابن السراج من أوائل من تأثر من النحاة البصريين بالمنطق، وآفاد منه في منهجه في الدراسات النحوية، فقد سار على نهجه النحاة البصريون من بعده: كأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، ثم أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، حيث نجد أثر الثقافة المنطقية واضحاً لديهما، وتأثراًهما بالبحوث المنطقية يؤكدهما - كما يقول د/ أبو المكارم - إنتاجهما النحوي^(٣). كذلك علي بن عيسى الرماني (ت ٣٧٤هـ) "الذي أولع بالمنطق، وأخذ به نحوه، ومزجه به؛ حتى غدا بعيداً عن طبيعة النحو الذي حمله إليه علماء هذا العلم"^(٤). وقد روي عن أبي علي الفارسي أنه قال عنه: "إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان ما نقوله فليس معه منه شيء"^(٥). فقد كان من إيغاله في الحيل، والمنطق؛ بحيث كان المتصلون به لا يفهمون شيئاً من كلامه^(٦).

ويرى الدكتور/ مهدي المخزومي أن عبارة أبي علي الفارسي السابقة الذكر كانت ردة

(١) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٠٩.

(٢) ينظر: محسب، محيي الدين ، الثقافة المنطقية في النحو العربي نحاة القرن الرابع المجري نمذجاً، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ص ٥٥.

(٣) علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١١٢.

(٤) عبد الله، إبراهيم محمد، نظرات في كتاب معاني القرآن للقراء، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد (٧٨)، جزء (٢)، ص ٣٦٠.

(٥) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٤/١٨٢٦. و الأبناري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٣١. والسيوطى، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د.ت، ١٨١/١.

(٦) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٤/١٨٢٧.

فعل، وانتقادا لغلو النحاة في فلسفة النحو، ومنطقه، وصوتا قد يلهم هذه الشكوى من منجز النحو بالمنطق في القرن الرابع المجري، كما أنها - كما يقول - "لفت للرماني، وغيره إلى ما بين طبيعتي الدراستين من فرق ينبغي ملاحظته، وأن ما حققوه بوصفهم نحاة ليس من النحو في شيء"^(١) . غير أن النحاة - كما يقول الدكتور المخزومي - لم يفهموا إذ ذاك مغزى هذا الانتقاد، فـ "فغروا يعنون في فلسفة النحو، غير شاعرين بما هم مقدمون عليه من إرهاق النحو، وإفساده"^(٢) .

ويرى هؤلاء الباحثون بأن هذه الشكوى من غلو بعض النحاة في فلسفة النحو، ومنطقه لحقتها دعوة جريئة؛ ولكنها هذه المرة جاءت من الأندلس حمل لواءها الفقيه النحوي: ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه: (الرد على النحاة)، عرض فيه رأيا جريئا غير معهود، و موقفا غير مسبوق، انتقد فيه الاتجاه المنطقي السائد في تلك المرحلة، وضاق بأساليب النحو، وإغماهم بالتمسك في نظرية العامل، ودعا إلى إلغاء العلل الثنائي والثالث، ورفض القياس، وإسقاط التمارين غير العملية، ومنع التأويل والتقدير، ورفض كل الأساليب التي دعت إليها صناعة النحو، ولا يعرفها الأسلوب العربي، ولا ينطق بها العرب؛ متأثرا في هذا كله بتنزعته الظاهرية - وربما بابن حزم الأندلسي الذي ندد بهذا الانحراف عن النحو العملي من قبل، ورفض التعليل رفضا تاما -^(٣) . كما انتقد نحوي أندلسي آخر جاء بعد ابن مضاء؛ وهو ابن حيان الأندلسي (ت ٤٧٤هـ) كثيرا من تعليقات النحاة، وكشف عن سوء تفكير عدد منهم؛ حين أخضعوا النحو للمنطق، وتمحلوها في التأويل، كما أنه تعرض لتوجيهات النحاة، وتقديراتهم، واهتمامهم بالتمارين غير العملية، وأنكر عليهم ذلك إنكارا شديدا؛ غير أنه لم

(١) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٢) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو ، ص ٣٩٨.

(٣) ينظر: القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة^(٣) ، ص ٨٥ وما بعدها، و ينظر أيضا: عيد، محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة^(٤) ، ص ٢٥ و مابعدها، و إلياس، مني، القياس في النحو، دار الفكر، دمشق، الطبعة^(١) ، ١٩٨٥هـ، ص ١٤٣ و مابعدها.

يسلم هو أحياناً من الانسياق في هذا الاتجاه^(١).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الدرس النحووي عرف اجتهادات نحوية أعطت للنحو العربي في الأندلس خصوصية تميز بها، وهذا امتداد لتميز الأندلس في اجتهادات في قطاعات معرفية أخرى^(٢).

إن هذه الدعوات الجريئة، وتلك الأصوات القديمة التي انتقدت النحاة في مزاجهم المنطق بالنحو، وجدت أصداء لها في العصر الحديث؛ حيث تصدى كثير من الباحثين المحدثين لهذا الاتجاه - وبخاصة بعد ظهور كتاب **(الرد على النحاة)** لابن مضاء الذي ظهر سنة ١٩٤٧ م بتحقيق الدكتور / شوقي ضيف -؛ مؤكدين تأثر النحو العربي بالثقافة اليونانية بشكل عام، وبالمنطق الإغريقي بشكل خاص، ومنتقددين في الوقت ذاته إقحام النحاة المقولات المنطقية في البحث النحووي، وتفسير ظواهره؛ وما نتج عن ذلك من آثار سلبية انعكست على النحو العربي وقضاياها؛ حيث احتللت - كما يقول الدكتور / محمد عابد الجابري - فيه الناحية العملية بالناحية النظرية، وغدت **(فلسفة النحو)** جزءاً من النحو. وتركز النقاش النظري في الدرس النحووي على القياس، والتعليل، ونظرية العامل، وهي موضوعات أقرب إلى ما يمكن وصفه بـ **(فلسفة النحو)** منها بعلم النحو^(٣). ففرق النحاة - كما يرى هؤلاء الباحثون - في قضايا منطقية مجردة، سقطت على تفكيرهم، وطريقة فهمهم للنحو العربي، وتصورهم لقضاياها، أنستهم بمرور الزمن طبيعة الموضوع الذي يدرسونه^(٤).

وكان من أبرز تلك المحاولات في هذه القضية ماقام به الأستاذ / إبراهيم مصطفى في كتابه:

(١) ينظر، العبيدي، رشيد وآخرون، تاريخ العربية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص ٥٩. وينظر أيضاً: الحمازوي، علاء، موقف شوقي ضيف من الدرس النحووي دراسة في المنهج والتطبيق، ص ١١ و ما بعدها.

(٢) ينظر: الجابري، محمد عابد، التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد (٤٩)، السنة ٢٠٠٢م، ص ٥. وينظر أيضاً: عصيدة، فادي صقر، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، =رسالة متكاملة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، ٢٠٠٦م، ص ٢٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: الجابري، محمد عابد، التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد. ص ٥.

(٤) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٣٠.

(إحياء النحو)، الذي أثار وقتها ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية، حيث انتقد فيه هذا الإرث الضخم من الفكر المنطقي والفلسفي، وشن فيه المؤلف هجوماً شديداً على النحاة، مطالباً باستبعاد هذه الفلسفة الكلامية التي يرى أنها تطفلت على الدراسة النحوية، وأنقلت كاهمه، وما تقتضيه هذه المطالبة من إلغاء نظرية العامل النحوي، وما تستلزم هذه النظرية من تأويلات، وتقديرات يرى بأنها ليست من روح اللغة^(١). وقد أثار هذا الكتاب؛ لجرأته ضجة واسعة، وتناوله كثير من العلماء والباحثين بالنقاش، في حين عده باحثون آخرون جهداً رائداً، وعملاً مبتكرًا، وعدوه مصدراً هاماً من مصادرهم في محاولاً تهم التجديدية^(٢).

ويرى بعض الباحثين أن الأستاذ/ إبراهيم مصطفى قد انتفع بآراء ابن مضاء القرطبي في كتابه؛ وإن لم يشر إلى ذلك، وبخاصة فيما يتعلق بدعوته إلى إلغاء نظرية العامل، وبعض المسائل الفلسفية التي جرحتها^(٣).

تلا محاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى محاولة أخرى للأستاذ/ أمين الخولي أكد فيها هو أيضاً على ضرورة تخلص النحو العربي من المنطق، ومن الفلسفة الكلامية على الدراسة النحوية، وبذلك اتفقت المحاولاتان – كما يقول الدكتور/ مهدي المخزومي – على أصل هام؛ وهو استبعاد الفلسفة الكلامية، والتعليلات المنطقية العقلية، وما لا يتصل، بطبيعة الدراسات

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو*، ص ٣ و مابعدها، وينظر أيضاً: و مهدي المخزومي، *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*، ص ٤٠٤ - ٤٠٠، وحلمي خليل، *العربية وعلم اللغة البنوي*، ص ٦٣ - ٦٨.

(٢) من تناوله بالنقاش: الشيخ محمد محمد عرفة في كتابه: "النحو و النحاة بين الأزهر والجامعة" ، والشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه: "النحو الجديد" ، والشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: "دراسات في العربية وتاريخها" . ومن تأثر به: تلميذه الدكتور/ مهدي المخزومي في كتابه "في النحو العربي نقد وتوجيه" ، وكذلك الدكتور/ أحمد عبد الستار الحواري الذي أكد على ريادة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى لحركة التجديد في النحو، وذلك في مقدمة كتابه: "نحو التيسير" .

(٣) ينظر: أبو عبد الله، عبد العزيز عبده، المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطبع، طرابلس - الجماهيرية الليبية، الطبعة (١) ١٩٨٢م، ص ٨١٠، وينظر أيضاً: عمادرة، خليل أحمد، العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي، د.مطبعة، د.ت ص ٧٣ - ٧٧، عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ١٠٣ ، وحلمي خليل، *العربية وعلم اللغة البنوي*، ص ٦٥ . ومن نفوا ذلك عبد الله خليل إسماعيل في كتابه: *إحياء النحو وتحديده* بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، ط (١) ١٩٩٤م، ص ٢٢ - ٢٥ .

النحوية بصلة، أو قرابة^(١). وإن كانت محاولة إبراهيم مصطفى أكثر نضحاً؛ لكونها عنيت بالجانب التطبيقي، بخلاف محاولة الخولي التي اكتفت بالجانب النظري فقط.

وفي عام ١٩٥٣ نشرت مقالة للدكتور / إبراهيم مذكور بعنوان: (منطق أرسطو والنحو العربي)^(٢)، تناول فيها مسألة تأثير المنطق الأرسطي على النحو العربي، مؤكداً فيها بأن النحاة العرب قد تأثروا بالمنطق الأرسطي تأثراً واضحاً، وترسماً خطاه في بحوثهم وتألifهم، وفي منهجهم؛ وكان من أشد المتحمسين لإثبات ذلك.

ومهما يكن من أمر الخلاف حول نتائج تلك المقالة - كما أوضحت ذلك في بداية المبحث في القضية التي يطرحها - فإنه تبقى لهذا العمل قيمته التاريخية باعتباره جهداً رائداً، وعملاً جريئاً في هذا المجال؛ ولكن ما يهمنا بشكل خاص هو انتقاده لآثار هذا المنطق على النحو العربي، فهو يرى أن المنطق الأرسطي أصاب النحو العربي بشيء من العقم، والصورية، حيث إنه يعني بالأشكال، والصور أكثر مما يعني بالدلائل والمعنى؛ ما كان سبباً في كثير من الاضطرابات، والخلل، والخلافات، والجدل في الدراسات النحوية^(٣).

وإذا كان يغلب على الدراسات السابقة انطلاقها من غايات تعليمية، ربما يهدف أغلبها إلى تيسير النحو العربي؛ إذ إن كثيراً من الباحثين الحديثين يربطون بين صعوبة النحو العربي، والشكوى منه، وبين الأفكار الذهنية، والمنطقية التي تسربت إليه، وتوغلت فيه^(٤)، إلا أن تياراً ظهر بعد ذلك انتقد هذا المسلك من النحاة؛ متأثراً بمناهج لغوية غربية حديثة في تلك المرحلة، وبخاصة: (المنهج الوصفي) الذي ساد في الدراسات اللغوية الحديثة في أوروبا وأمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين؛ حيث يهتم هذا المنهج بوصف النصوص اللغوية وصفاً واقعياً يقوم على الملاحظة الخارجية دون تدخل من الباحث بفرض اجتهادات، أو تفسيرات، أو فرض

(١) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٤٠٤.

(٢) نشر المقال في: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء (٧)، ١٩٥٣، ص ٣٣٨-٣٤٦. ثم أعاد نشره في كتاب: في اللغة والأدب، دار المعرفة بمصر - القاهرة، ١٩٧١، ص ٤٩.

(٣) ينظر: إبراهيم مذكور، في اللغة والأدب، ص ٤٩.

(٤) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٣٠ و مابعدها، وينظر أيضاً: جاد الكريم، عبد الله أحمد، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٤، ص ١٨٧-١٩٠.

قوالب معيارية موضوعة سلفاً، أو بصورة أخرى فإنه كما يعرفه الدكتور / كمال بشر: "تسجيل الواقع اللغوي كما هو، بدون التورط في مسائل الصواب والخطأ"^(١)، وهم بذلك يرفضون غلبة المنطق، وسيطرة المنهج الفلسفى على الفكر النحوي ودراسته، ويرون أنه لابد من التخلص من سيطرة هذا المنهج؛ بدعوى أنه أخرج النحو عن طبيعته إلى طبيعة أخرى هي الطبيعة المنطقية المجردة التي لا يحكم فيها إلا الفكر المجرد؛ ولا تقييم وزناً للواقع المحسوس، وأغلقوا عليه برتاج المنطق الفلسفى الصورى، فجذبوا بذلك عن إصابة المدف، وبالتالي - وبحسب تعبير الدكتور / محمد عيد - فقد حدث ما عبر عنه بـ"الفرق بين النحو واللغة؛ فدارت الدراسة النحوية - بخاصة لدى المتأخرین - حول نفسها تستقي مادتها من الذهن لا من اللغة، ومن الفلسفة العقلية لا من الواقع"^(٢).

وقواعد اللغة - كما يرسمها الدكتور / السيد رزق الطويل - ليست أصولاً يخترعها العقل، ويتدعها المنطق، وإنما توضع على أساس نطق أهلها، وأسلوب تخاطبهم؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، ومن التعسف إلزام ظواهرها بقيود العقل والمنطق^(٣).

ويرى هؤلاء الباحثون أن التأثير المنطقي والفلسفى في النحو العربى، ومظاهر انغماط النحاة الشديد به تتجلى بوضوح في كثير من الحالات في البحث النحوي؛ ومن أبرزها ما يلي:

١ - القياس: عرف النحاة القياس في مرحلة مبكرة حتى استقام منهجاً عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) في مواقفه، وتوجيهاته؛ كما تذكر ذلك لنا كتب النحو فهو "أول من بعج النحو، ومد القياس، وشرح العلل"^(٤). وسار على نحجه تلميذه عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ)، الذي وصفه أبو البركات الأنباري بأنه "كان شديد التجريد للقياس"^(٥). وقد تلقى عنه الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ) العلم، وتأثر

(١) بشر، محمد كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، الطبعة (٩)، ١٩٨٦م، ص ٥٠.

(٢) عيد، محمد، في اللغة ودراستها، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٢٠٠.

(٣) ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ٥٨٠.

(٤) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١٤/١، وينظر أيضاً: خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو، ص ٢٢٣ وما بعدها. عبد الكريم الأسعد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، ص ١٨٢.

(٥) ابن الأنباري، نزهة الأنباء في طبقات الأدباء، ص ١٢.

يُنهج في القياس على المطرد من كلام العرب، وأكثر من ذلك؛ حتى عده بعض كتاب الترجم "الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو فيه"^(١).

وقد تطور القياس على يدي الخليل بن أحمد ، وتلميذه سيبويه من بعده تطوراً بارزاً؛ إذ لم يعد يكتفى بالقياس على الظواهر المطردة فحسب؛ بل تدعى ذلك إلى (افتراض) مسائل لم يرد منها شيء في كلام العرب؛ لتطبيق الأصول التي استخرجها عليها؛ وهو نوع من الاستقراء، ولكنه - كما يقول الدكتور/ مهدي المخزومي - من الاستقراء لصور يستخرجها العقل في ضوء الأساليب، وحمل لها في الحكم على ما ورد من كلامهم^(٢).

كما بلغ من عنايتهم به أن ألقوا فيه كتاباً مستقلة لم تصل إلينا سوى أسمائها كـ(القياس في النحو) ليونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، و(المقاييس في النحو) للأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، و(القياس) لشام الضرير (ت ٢٤٥هـ)^(٣). يضاف إلى ذلك أننا لا نكاد نجد نحوياً أغفل القياس في مباحثه النحوية منذ نشأة علم النحو، حتى جاء أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، فتعمق فيه، وحكمه فيما هو ثابت بالنقل حتى أصبح - كما يقول الدكتور/ شلبي - عقلياً يتماشى مع الصناعة المنطقية؛ ما طور القياس في تلك المرحلة^(٤)، ثم جاء بعد ذلك ابن حني (ت ٣٩٢هـ) الذي تأثر بأستاذه، ويتبين ذلك من خلال كثرة الآراء التي روتها عنه، وتجاوزه في كتابه: (الخصائص)؛ حيث تناول فيه الأصول النحوية، ومنها: القياس الذي خطأ فيه خطوات واسعة، وأظهر فيه نباهته ونبوغه، وسعة اطلاعه، وقدرته في الاستنباط والتناول، وهو بذلك مهد الطريق لمباحثه في هذا الكتاب لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) الذي سار على خطاه، واستكمل مباحث أصول النحو في كتابيه: (الإعراب في جدل الإعراب)، و(لمع الأدلة في أصول النحو)؛ وعلى يديه استقل علم أصول النحو؛ حيث إن

(١) السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه الزيني و محمد حفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥م، ص ٣٠. وينظر أيضاً: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٤٥.

(٢) ينظر: مهدي المخزومي، الخليل بن احمد، ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: سعيد جاسم الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ١٦٣. وينظر أيضاً: عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٢١٥-٢١٨.

(٤) ينظر: عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٢١٩-٢٢٠.

الجهود والمحاولات التي كانت قبله لم تخلص لأصول النحو،^(١)

واستمرت مسيرة القياس في الدرس النحوي تتصاعد وتتفاعل حتى أصبح هذا القياس - بحسب تعبير السيوطي (ت ٩١١ هـ) - "معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه"^(٢).

ويرى عديد من الباحثين أن القياس من أهم موضوعات النحو العربي التي ظهر فيها أثر المنطق اليوناني بشكل جلي، بل إن بعض الباحثين وصف هذا التأثر بالتبعة الدقيقة، والولاء المطلق؛ وذلك في مراحل متأخرة من الدرس النحوي.

ومن هؤلاء الباحثين الدكتور / إبراهيم مذكور الذي يؤكد أن مكانة (القياس) في النحو العربي من أكبر الأدلة على الصلة بين المنطق الأرسطي، والنحو العربي "ذلك القياس الذي فلسفه النحاة، وافتنتوا فيه إلى درجة كبيرة"^(٣). كما أفهم - بحسب رأيه - حددوا شرائطه الصحيحة؛ كما حدد أرسطو شرائط إنتاج قياسه المنطقي^(٤).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أنه يمكن ملاحظة التأثير المنطقي في القياس النحوي في مراحل مبكرة جداً من نشأة النحو العربي، إذ إن فكرة القياس تكانت من نفس عبدالله بن أبي إسحاق الحضري (ت ١١٧ هـ)، فاستعداده للقياس والنظر، وتأثير عصره بالثقافة الأجنبية، وصلته بالموالي كلها دلائل تؤكد - كما يقول الدكتور / محمد عيد - على أن منشأ فكرة القياس هو: المنطق اليوناني، والنحو السرياني^(٥). كما أن الدكتور / مهدي المخزومي يرى بأن عناء الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) بالقياس كان إعلاناً بخروج النحو العربي من أسلوبه الفطري إلى أسلوبه النظري الجديد؛ وذلك بانتهاج منهج المدرسة الكلامية، وإيداعها بدخول الدراسة اللغوية في عهد جديد^(٦).

(١) ينظر: سعيد الزبيدي، القياس في النحو العربي، ص ١٦٦.

(٢) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، ص ٢١٤.

(٣) مذكور، إبراهيم، في اللغة والأدب، دار المعرف بمصر - القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٤٩.

(٤) المصدر السابق. ص ٤٩.

(٥) ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي، ص ٢٢، ٢٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ١٠١، ٢٢٨، وينظر أيضاً: السامرائي، إبراهيم، النحو العربي نقد وبناء، دار الصادق - بيروت ١٩٦٨ م، ص ١٨-١٩.

(٦) ينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٤٧. ويبدو أن الدكتور / مهدي المخزومي ينافق نفسه في كتابه: في النحو العربي نقد وتوجيه - ص ٢٢ - حين يصف تناول الخليل بن أحمد للقياس،

غير أن أكثر الباحثين، والدارسين المحدثين يخالفون هذا الرأي، مؤكدين أن القياس النحوی كان في بدايته فطريا بسيطا تلتقي فيها الأمور المتشابهة، والظواهر المتقاربة في النصوص التي انحدرت إليهم، ثم تستبط من هذه الأشباه والنظائر مقاييس، وأصول، وأحكام، وأن التأثير الثقافي الأجنبي بعد ذلك كان محدودا جدا، أو بحسب تعبير الدكتور / أبو المکارم فقد كان هذا التأثير "أشبه بتسلل الحذر منه باقتحام القادر" ^(١) إلا أنه؛ وفي مراحل متأخرة بدأ يكشف عن تأثيره العميق بالقياس المنطقي بصورة أكبر "يكاد يبلغ درجة التبعية الكاملة له، والالتزام المطلق به. وتنجلى تلك التبعية، وهذا الالتزام في امتداد خصائص القياس النحوی في هذه المرحلة عن خصائص المميزة للقياس المنطقي" ^(٢).

وانطلاقا من هذه الحقيقة - التي قرروها - وهي اعتماد النحاة العرب على المنطق الأرسطي في أقيستهم؛ فقد انتقد هؤلاء الباحثون هذا الانزلاق منهم، والاعتماد على القياس الأرسطي في التفكير النحوی بشكل عام، والإفراط فيه إفراطا شديدا على أيدي النحاة المتأخرین منهم، وبالقياس بشكل خاص، ورأوا أنه مسؤول عن كثير من المشاكل، والاضطرابات، والتعقيد في النحو العربي، وقضاياها، كما أنه أيضا مسؤول عن كثير من الخلافات التي بين البصريين والکوفيين؛ وتملاً الكتب النحوية.

فالدكتور / کمال بشر يؤكد أن القياس في أصله مبدأ مقبول، ومشروع في كل العلوم؛ بشرط التوافق بين المقیس، والمقیس عليه في السمات، والصفات، وأن يكون المقیس عليه له وجود في الاستعمال الحي للكلام، ولكن علماء العربية بالغوا في تطبيق هذا المبدأ، وبالغوا في الالتزام بأحكامه حتى قبلوا ما يحيزه القياس؛ وإن لم يرد به سماع، واتخذوا القياس مبدأ عاما في صنعة النحو، وتصنيف مسائله، وقضاياها، بل إنهم - كما يقول - تجاوزوا ذلك إلى توسيع دائرة القياس، وتشعیب مسائله، والنظر في أركانه وأصوله؛ حتى أصبح لكل شيء عندهم علة

فيقول: "كان الخليل بن أحمد إذا تناول مسألة وأراد القياس عليها، أو قياسها على غيرها، نحا نحو لغويًا مقبولا في نظر الدرس اللغوي، ولم يفلسف المسألة، أو يتکلف تعليلا عقليا".

(١) علي أبو المکارم، تقویم الفكر النحوی، ص ٩٨، وينظر أيضا: عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٢١٩ . وسعید جاسم الزيدي، القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، ص ١٥ .

(٢) علي أبو المکارم، تقویم الفكر النحوی، ص ١٣١ .

منطقية^(١). كما يرى أن التجاء النحاة إلى القياس المنطقي هو سبب خروج بعض أعمالهم، ومخالفتها للواقع اللغوي، والاستعمال الحي للغة؛ وهو ما أدى بدوره إلى تعقيد النحو، واضطراب شيء غير يسير من قوانينه، والشكوى منه قدما، وحديثا^(٢).

وإذا كان الدكتور / إبراهيم أنيس يقر بـ(القياس اللغوي) ويرى أنه يسهم في التوسيع اللغوي، فإنه في الوقت نفسه ينكر القياس النحوي، أو ما يسميه القياس المصنوع؛ لأنه يرى أنه صناعة نحوية لا تمت إلى القياس اللغوي الحقيقي بصلة؛ إذ هو من علل النحاة المخترعة التي ادعوا ظلما، وتجنيا – حسب قوله – أن العرب راعوها في التفريق بين الأساليب^(٣).

وما الدكتور / إبراهيم السامرائي؛ فيؤكد أيضا أن القياس الصناعي، واستخراج مسائل النحو، وتعليقه؛ إنما هو محاكاة للمنطقة والمتكلمين، وهو غير مقبول في العلم اللغوي، واستخدام لوسائل غريبة عن طبيعته، كما أنه عاب على المحدثين عددهم إياه أصلا من أصول النحو^(٤). فهو يقول في ذلك: "إن الباحثين المحدثين أرادوا أن يميزوا بين القياس القريب من الطبيعة اللغوية، والأقيسة الأخرى المغرقة في المنطق، التي تلتزم العلة بسبيل بعيدة كل البعد عن الحقيقة اللغوية. وكأنهم بذلك قبلوا أن يكون (القياس) أصلا من أصول النحو، تستنبط به الأحكام، وأظنهم قد أخطأوا كل الخطأ في ذلك"^(٥). ويبدو أن للمنهج الوصفي الذي التزم به الدكتور / السامرائي في دراسة النحو أثرا في موقفه المتشدد من القياس بكل صوره؛ إذ ربما تؤدي هذه الأقيسة العقلية في النهاية إلى وجود أقيسة لم تعرفها العرب، ولم تنطق بها^(٦).

وانطلاقا - أيضا - من منهجه الوصفي؛ فإن الدكتور / محمد عيد يرى أن فكرة القياس بهذا المفهوم العقلي قد وجدت متكاملة منذ بداية النحو، على الرغم من أن أبحاث النحو

(١) ينظر: بشر، كمال، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب - القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٤٠.

(٢) ينظر: كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، ص ١٣٩.

(٣) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٤) ينظر: إبراهيم السامرائي، النحو العربي نقد وبناء، ص ١٨ - ٢٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢١.

(٦) ينظر: العقيلي، حسين علي، الدراسات النحوية عند إبراهيم السامرائي، بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤م، ص ٣٥ - ٤٠.

كانت آنذاك قليلة وساذجة؛ وأما ما حدث بعد ذلك؛ إنما كان في تنظيم الفكرة، والمغالاة فيها؛ لأن فكرة القياس - كما يقول - ترتبط بالعقل والتفكير؛ فهي جزء من قوانين المنطق العقلية^(١)؛ مؤكداً أن اللغة بصفتها نشاط للأفراد؛ فهي لا تخضع دائماً للقياس؛ ولذا تكثر فيها الظواهر التي لا تخضع لقانون مطرد، ومؤكداً كذلك أن القياس اللغوي منهج غير علمي استورده النهاة من المنطق الإغريقي في دراستهم، وحضوروا له، مبيناً بعد ذلك الفرق بين الاستقراء الذي يقوم على التسامح، والقياس الذي يقوم على التحكم، والتحكم - كما يقول - لا يتفق في طبيعته مع الروح العلمية للمنهج الوصفي؛ حيث إن اتخاذ القاعدة، وفرضها على المفردات عمل يجافي الروح العلمية الصحيحة^(٢).

وللسبب ذاته انتقد الدكتور/ مهدي المخزومي عمل النهاة؛ مؤكداً أن القياس بهذه الصورة حول اللغة إلى مجموعة من القوانين التي أفرغتها أدواتهم العقلية في قوالب معينة ثابتة، وهو كما يقول: "طارئ دخيل ناءت هذه الدراسة بتطفله؛ لأن اطراد السمع على غير القياس يدل على أن اللغة ليست مطردة؛ وإذا لم تكن مطردة فهي غير منطقية؛ لأن قضايا المنطق لا تعرف الشذوذ، وهذا ينقض الأساس الذي قام عليه النحو بكونه قياساً، وبالتالي فالقياس في الدراسة النحوية - كما يقول - لا يعود عليها بفائدة، ولا يضيف إليها جديداً"^(٣).

ويتفق الدكتور/ تمام حسان مع هذه الفكرة الرافضة للقياس العقلي؛ مضيفاً أن منهج البحث في اللغة ينبغي أن يقوم على الوصف والاستقراء، لا على القياس والمعيار؛ حيث إن البحث العلمي أثبت - بحسب رأيه - فشل القياس منهجاً للدرس اللغوي^(٤).

ويحمل عدد من الباحثين المحدثين؛ ومنهم: الدكتور/ عبد الجبار النايلة النحاة البصريين بشكل خاص مسؤولية هذا الأمر؛ مقرراً أن الإغرار في القياس، والقياس على مالم يسمع، والإفراط في طلب العلة القياسية، هي المضرة باللغة؛ وهي مسؤولة بشكل كبير عن تخطئة كثير من الأساليب الفصيحة أو إهمالها. كما أنها مسؤولة عن اللجوء إلى التقدير، والتأويل؛ مؤكداً في

(١) ينظر: محمد عيد، *أصول النحو العربي*، ص ٧٧.

(٢) ينظر: محمد عيد، *أصول النحو العربي*، ص ٩٩، وينظر أيضاً: تمام حسان، *اللغة بين المعيارية والوصفيية*، ص ١٦٢.

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، *مدرسة الكوفة*، ص ٤١١ - ٤١٢.

(٤) ينظر: تمام حسان، *اللغة بين المعيارية والوصفيية*، ص ١٦٢.

الوقت نفسه أن النحاة في منهجهم لم يتزموا بالترتيب الطبيعي الذي يقتضيه البحث العلمي من حيث: النظر، والمشاهدة، واللاحظة، ثم استنتاج القواعد من الأساليب المستعملة فعلا، كما أنهم لم ينظروا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية؛ ولكنهم أسرفوا في تطبيق المنهج الفلسفى والمنطقى الذى يهتم بتقسيمات منطقية نظرية لها كثير من الفروع^(١).

ويرى الدكتور / علي أبو المكارم بأن تأثير المنطق في البحوث اللغوية بوجه عام، وال نحوية بوجه خاص بدأ باستخدام القياس، فدراسة القياس النحوي في تلك المرحلة - يعني القرن الرابع المجري - تكشف عن تأثيره العميق بالقياس المنطقي، هذا التأثير الذي يكاد يبلغ درجة التبعية الدقيقة الكاملة له، والالتزام المطلق به؛ وتجلى تلك التبعية، وهذا الالتزام في امتداد خصائص القياس النحوي في هذه المرحلة عن الخصائص المميزة للقياس المنطقي^(٢).

وشكليه القياس المنطقي عند النحاة كانت لها آثار سلبية على البحث النحوي - كما يرى الدكتور / أبو المكارم - فقد أدت إلى إهمال النصوص في قياساتهم، والاستعاضة عنها بأساليب القياس المنطقي. كما أن ميتافيزيقيه القياس المنطقي قد تركت صداتها أيضا في الأقىسة النحويه؛ وأهم الحالات التي تتضح فيها هي الحكم، ذلك أن الحكم النحوي عند النحاة لاينبني - بحسب وجهة نظره - على النصوص التي تحمله، ولا يعتمد على الظواهر التي تؤيده؛ وإنما يمتد عن الذهنية للقياس النحوي المستمدۃ في جوهرها من الصورة الميتافيزيقيه للقياس المنطقي، ومحور هذه الصورة تحرید الحكم من مقوماته المادية التي يبني عليها، وجعله مرتبطا ارتباطا ذهنيا صرفا عن طريق التلازم العقلي بالقضايا، والأشكال، وهو الأساس في الفكرة الذهنية التي يرتكز عليها القياس النحوي. فإن الحكم النحوي في تصور النحاة - كما يقول - لا يبدأ من أية مقومات مادية؛ إذ لا يستمد من تحليل النصوص، ولا يستند على تضافر الظواهر؛ ومن ثم يصح عندهم نقله من مجاله الموضوعي الذي وردت به النصوص، والظواهر معا إلى مجالات أخرى لم ترد لها نصوص، ولم تشر إليها ظواهر؛ بل أمكن عندهم نتيجة لهذا التصور الذهني

(١) ينظر: عبد الجبار النايلية، الشواهد والاستشهاد في النحو، ص ٣٠٤ - ٣٢٤. و ينظر أيضا: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ٥٧١ - ٥٨٦.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٣١.

نقل الحكم إلى حيث تناقضه الظواهر والنصوص جيئا^(١).

وإذا كانت شكلية الأقيسة النحوية – كما يقول الدكتور / أبو المكارم – قد أسلمت إلى إهمال النصوص، وعدم الاعتداد بها؛ فإن ميتافيزيقية هذه الأقيسة قد دعمت هذا الموقف النحوي بما انتهت إليه من تناقض كثير بين الأحكام التي ينتجها القياس النحوي الميتافيزيقي، وبين الواقع اللغوي الذي تستند فيه الأحكام إلى مقومات موضوعية مادتها موجودة بالفعل في الظواهر، والنصوص، وليس الصورة الذهنية لما هو موجود. هذه الصورة التي يشكل أبعادها من الواقع فكرة الباحث عما هو موجود، وعما ينبغي أن يوجد^(٢). وقد كان إهمال النصوص ثم تناقض الأحكام – وهو النتيجتان اللتان تركهما الأخذ بخصائص القياس المنطقي في القياس النحوي – وراء كثير من صور التعارض بين الأدلة في التراث النحوي؛ ويستوي في ذلك ارتكاز هذه الأدلة على النصوص، أو اعتمادها على الأقيسة^(٣).

ويتقد الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف النحاة في تأثرهم بالمنطق والفلسفة؛ وذلك بإقحام القياس على التحول؛ مقرراً أن تمسك النحاة بالقياس المنطقي كان له الكثير من الآثار السلبية على الدراسة التحوية؛ ومن أبرزها ما يلي:

١. أدى إلى إقحام ما ليس لغويًا على الإطلاق في مسائل النحو.
 ٢. يرى أنه من أقوى الأسباب التي أوسعت هوة الخلاف بين البصريين والكوفيين، حتى يمكن إرجاع كل مظاهر الخلاف بينهما إلى القياس^(٤).
 ٣. يرى أنه المسؤول الأكبر عن معيارية القاعدة، وما نتج عنها من مظاهر: كإيجاد تراكيب لم تسمع عن العرب ولم يقولوا بها، أو رفض بعض ما جاء عن العرب وسمع عنهم، أو تخطيء العرب.
 ٤. اللجوء إلى التأويل، والتقدير، والمحذف، والاستثار، والتشبّيه، والحمل على المعنى.
 ٥. كثرة الشذوذ، والقلة، والندرة.

(١) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي ، ص ١٣١-١٣٤ .

١٣٤) المصدر السابق ص .

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٤) محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية، ص ٩٥.

٦. الضرورة الشعرية.

وكل ما سبق ذكره من آثار سلبية ترجع - في نظره - إلى تدخل القياس المنطقي في التقييد النحوي^(١).

هذه الأسباب، وغيرها هي ما جعل كثيرا من الباحثين المحدثين ينكرون القياس المنطقي، وينادون باستبعاده من الدراسة النحوية، أو يحكمون عليه بأنه منهج غير علمي في دراسة اللغة، والبحث فيها، كما مر.

وبغض النظر عن كثير من المغالطات التي وقع فيها هؤلاء الباحثون، والخلط بين أنواع القياس وأشكاله في نقدمهم موقف المقدمين، والتناقض في الموقف والآراء، عند كثير من هؤلاء الباحثين المحدثين الذين تناولوا هذا الموضوع^(٢)، فإن أكثر من انتقد القياس في النحو العربي هم من الباحثين المتأثرين بالمنهج الوصفي؛ وهو ما جعلهم يحكمون على صنيع النحاة بأنه يجافي الروح العلمية في البحث اللغوي؛ كما أن المبالغة في استخدام القياس الشكلي من لدن النحاة جعل كثيرا منهم ينادي بإلغاء القياس. ولكن أيا كانت الآراء حول القياس وسلبياته، فقد كان وسيلة مهمة جدا من وسائل إغناء اللغة، وإثرائها، كما أن القياس الشكلي يساعد النحوي، ويكنه من تقرير القواعد النحوية عن طريق القياس على أمثلة مسموعة، والقياس على شاكلتها.

٢ - العلل: من الأمور المسلم بها ميل النفس الإنسانية إلى التفسير، والتعليق وارياحها لهذا؛ ذلك أنهما نتيجة تلقائية للاهتمام بالحقائق العلمية والتفكير فيها. ويبدو أن ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تنبه إلى هذه الفكرة، وأشار إلى معنى قريب من هذا حين قال: "ولست تجد شيئا مما علل به القوم إلا والنفس تقبله، والحس منظو على الاعتراف به"^(٣)، وهذا هو ما حدث بالنسبة للدراسات النحوية العربية؛ إذ أخذ النحاة يلتمسون تعليلات للظواهر اللغوية،

(١) المصدر السابق، ص ٩٢-١٢٥.

(٢) ينظر: حسام قاسم، الأسس المنهجية في النحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم، ص ٣١-٣٧، وينظر أيضا، علي أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، ص ٢٥ و ما بعدها.

(٣) ابن جني، الخصائص، ١/٥٠.

والأحكام النحوية التي يتعاملون معها^(١).

والعلة النحوية فرع من أصل؛ وهو القياس، وليس أصلاً قائماً بذاته؛ ولكن النحاة اهتموا بها اهتماماً بالغاً، فعوّلت معاملة الأصل؛ وأعقبوا بها الأحكام النحوية تفسيراً، أو تعزيزاً وتأييضاً؛ فأصبحت كأنها أصل من أصول النحو العربي.

ويشير كثير من الباحثين المحدثين؛ مستندين في ذلك إلى الروايات التاريخية إلى أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ) هو أقدم من استند إلى التعليل بصورة ملحوظة في التعديد النحوي في تلك المرحلة، وقد ظهر جلياً اهتمامه بالتعليق النحوي في قصته المشهورة مع الفرزدق^(٢). ثم أخذ بعد ذلك استخدام التعليل في التنامي؛ حتى أصبح لدى الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) واضح القسمات والمعالم، وله في ذلك مقوله مشهورة رواها الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) في كتابه: *(الإيضاح في علل النحو)*، ذكر الخليل فيها بعدهما سُئل عن العلل النحوية: أن علل النحو قائمة على الاجتهاد، وأن في مقدور كل عالم أن يعلل على وفق ما أوتي من قدرة على الاستنباط، والتفكير^(٣). غير أن سيبويه؛ وقد امتلأ كتابه بألوان شتى من العلل المختلفة بعد أول من نظم العلل، وثبت جذورها في مسائل النحو والصرف^(٤)، ولم يترك علة نحوية إلا وتناولها في كتابه^(٥)؛ منطلقاً في ذلك من تأصيله القوي الذي عبر عنه بقوله: "وليس شيء يضطرون إليه

(١) ينظر: الملحق، حسن خميس، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٢م، ص ٩٥-١٠٠، وينظر أيضاً: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ١٨٧.

(٢) ينظر: عون، حسن، تطور الدرس النحوي، معهد البحوث والدراسات العربية؛ جامعة الدول العربية، ١٩٧٠م، ص ٧١. وينظر أيضاً: المبارك، مازن، النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، سوريا، ط (٣) ١٩٨١م، ص ٥٣، و عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة، ص ٢٦٣، و عبد الكريم الأسعد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، ص ١٤٤.

(٣) ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، الطبعة (٦)، ١٤١٦هـ، ص ٦٥-٦٦.

(٤) ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ١٨٨.

(٥) ينظر: الرشيد، فاطمة عبد الله، علة الضرورة الشعرية عند سيبويه، بحث في فعاليات مؤتمر (سيبوه إمام العربية) المنعقد بدار العلوم - القاهرة، ١٤٣١هـ.

إلا وهم يحاولون به وجهها^(١)،

ثم تطورت العلة بعد ذلك عند النحاة اللاحقين؛ وأصبحت تشغل من عقولهم وتفكيرهم حيزاً كبيراً، فاعتمدوا عليها، وسارت العلة جنباً إلى جنب مع الأحكام النحوية فأصبح لكل حكم نحوياً عندهم علة.

وكما هو الحال في القياس النحوي؛ فإن كثيراً من الباحثين المحدثين يرون بأن نشأة العلل في مراحلها الأولى، وحتى ظهور كتاب سيبويه كانت مستمدة من روح اللغة، مبنية على كلام العرب؛ بائنة عن فرض اعتبارات عقلية عليها، يعرفها الحس اللغوي قبل أن يدركها الذهن؛ مما يوحى كما يقول الدكتور / مازن المبارك: "أنها نابعة من الفطرة والحس"^(٢)، ولا أثر للإيغال فيها، والتجريد، و بالتالي فهي بعيدة عن أي تأثيرات أخرى، ذلك أنه لم تكن لهم فيها مصادر يمتحون منها عللهم، ولا موارد يردونها؛ وإنما هي مما تفتقت عنه ذهنياتهم وقرائحهم^(٣).

غير أن هؤلاء الباحثين يؤكدون أن الأمر اختلف في نهاية القرن الثالث المجري وبداية القرن الرابع؛ وذلك حين بدأت النزعة الفلسفية بالدخول في الدراسات النحوية، ثم أخذت تنمو، وتعقد، حتى استفحلا أمرها، وتغلغلت في جميع أبوابه ومسائله؛ وهو ما جعل النحاة يعكفون على مابين أيديهم من ظواهر لغوية، وأحكام نحوية؛ يعللونها، ويتلمسون لها مختلف الأسباب في وجودها^(٤).

ويرى هؤلاء الباحثون أن التعليل بدأية قد خطأ خطوة واسعة على يد الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، وذلك حين ألف كتابه: (الإيضاح في علل النحو) جمع فيه العلل النحوية التي عرفت حتى عصره، وأفاض في الحديث عنها، ونشر في تصارييف ذلك بعض آرائه،

(١) سيبويه، الكتاب، ٣٢/١.

(٢) مازن المبارك، النحو العربي: النحو العربي: العلة النحوية، ص ٦٩.

(٣) ينظر: مازن المبارك، النحو العربي: العلة النحوية، ص ٦٩-٥٧، و ينظر أيضاً: خديجة الحديشي، دراسات في كتاب سيبويه، ص ١٥٧، و عبد الله، إبراهيم محمد، نظرات في كتاب معانٍ الفراء، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد

(٤)، الجزء (٢)، ص ٣٥٦. و يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٩٥.

(٤) حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٧٢.

وكان من أبرز ما ابتدعه في هذا الكتاب أنه قسم العلل إلى ثلاثة أضرب: العلل التعليمية، والعلل القياسية، والعلل الجدلية النظرية. ويرى الدكتور / مازن المبارك أن الزجاجي قصد بهذا التقسيم أن يكون للنحو حدوده الكاملة له وأن ينماز من العلوم الأخرى، غير أنه لم يستطع الالتزام بمقاصده التي أشار إليها فغلبت على حديثه عن العلل النظرية الفلسفية^(١).

ثم يأتي بعد ذلك أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) الذي يقول عنه تلميذه ابن جني (ت ٣٩١هـ)؛ متعجبا من قدرته على التعليل: "أحسب أن أبا علي قد خطر له، وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا"^(٢)، حيث إنه كان شديد الاعتداد بالعلة، ويكثر من التعليل في النحو، حتى إنه نسب إليه انتزاعه ثلث العلل التي أصحابها أصحابه من بعده^(٣). كما أنهم يكادون يجمعون على أن امتناع التعليل بالفلسفة والمنطق بلغ أوجهه، وغايته على يد أبي الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ)؛ الذي زج النحو العربي في متأهات الفلسفة، ونأى به عن الوضوح، وذلك في مؤلفاته، وأقسيسته، وتعليلاته^(٤).

ويرى الدكتور / علي أبو المكارم أن نشأة العلل - وإن كان في بداياته استجابة لظروف، وبواعث عربية إسلامية دون أن تتأثر بمؤثر خارجي غير عربي كان المدف المباشر منه توسيع الموجود بالفعل من الظواهر اللغوية، والمقتن في الواقع من القواعد النحوية دون تجاوز الموجود من الظواهر والقواعد إلى غير الموجود فيهما، إلا أن ذلك المدف ما لبث أن تغير تحت تأثير الأفكار المنطقية، والميتافيزيقية اليونانية، فصار التعليل محور البحث النحوي بعد أن أصبحت العلة ركيزة الحكم النحوي في القياس بمفهومه الجديد المستمد من المنطق^(٥). وهكذا انتقلت

(١) ينظر: مازن المبارك، النحو العربي: العلة النحوية، ص ٦٩.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢٠٨/١.

(٣) المصدر السابق، ٢٠٨/١.

(٤) ينظر: الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢١٠، وينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي، ص ١٣٠، و سبع، توفيق محمد، أثر الفكر الفلسفى في الدراسات النحوية، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٨)، ١٣٩٨هـ، ص ١٨٥. و السرافي، وليد، مظاهر التعليل النحوي في كتاب التذليل والتكميل، مجلة التراث العربي، مجلة تصدر من اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد (٨٦-٨٧)، أغسطس ٢٠٠٢م، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٥) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٠٦، و ينظر أيضاً للمؤلف نفسه: أصول التفكير النحوي، ص

العلة - كما يقول - من بحث هامشي في مرحلة الاستقراء إلى عنصر محوري في مرحلة القياس. وشهدت هذه المرحلة - كما يقول - تطوراً كبيراً في التعليل مفهوماً، وغاية، ومنهجاً. وفي التراث النحوي في تلك المرحلة كثير من العلل التي لا تبدأ من الواقع اللغوي بل من النظر العقلي السابق على الواقع اللغوي، ولا تلتزم بالوجود بالفعل؛ وإنما تفترض أساساً سابقاً في الوجود على الموجود، ومؤثرة فيه^(١).

لقد انتقد الباحثون المحدثون هذا التوجه من النحاة المتقدمين، وإغراقهم في العلل التي تستمد سلطانها - حسبما يرون - من العلل الفلسفية؛ ولا تستند إلى واقع؛ منوهين إلى جهود ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في مجال العلل؛ ولا سيما إشاراته الواضحة إلى تأثير النحاة فيها بالفقهاء والمتكلمين، ورفضه للعدل الثالث؛ لأنها كما يقول الدكتور عبد الغفار هلال: "مضيعة للوقت بعيدة عن نصوص اللغة، وأهدافها"^(٢). ويررون أن هذه الأفكار حملت بذور ثورة على الإغراء في العلل حمل لواءها من بعده، وترسم خطاهما ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه الشهير: **(الرد على النحاة)**؛ حيث هاجم فيه هذا النمط من العلل، ونادى بإلغاء العلل الثاني، والثالث^(٣) التي كانت في مقدمة ما ينكره هؤلاء الباحثون، حيث يرون بأن استخدام هذا النمط من العلل؛ إنما هو سفطة كلامية لا طائل منها^(٤).

فالدكتور شوقي ضيف يرى أن تلك العلل لا تفييد اللسان، ولا اللغة أية فائدة، إنما يفيد العقل من حيث هو، وتخرج عن الغاية من علم النحو؛ وهو صحة النطق لدى المتكلم، كما يرى أن النحويين وجدوا فيها تمارين هندسية يشغلون بها أوقاتهم^(٥)، ولذا فقد دعا إلى إلغاء العلل الثاني والثالث؛ لأن معرفتها لا تزيدنا علماً كما أن الجهل بها لا يضر^(٦).

٠٢٣٦ - ١٥٧

(١) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٠٦.

(٢) ينظر: عبد الغفار هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص ٣٦٥.

(٣) ينظر: القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ص ١٣١-١٣٣.

(٤) المصدر السابق: المقدمة، و ينظر أيضاً: الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، مقدمة المحقق.

(٥) ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مقدمة المحقق، ص ٤٣-٤٤.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٦.

أما الأستاذ/ عباس حسن فهو بدوره أيضاً يرفض هذه العلل، ويُدعى إلى تنقية النحو العربي من العلل الثاني، والثالث، وما يليها فلا يستبقى سوى العلل الأوائل^(١). مؤكداً في موضع آخر أن النظرة العجلية الصائبة تحكم من غير تردد بأن جميع هذه العلل، والتعليقات المرهقة التي تطفح بها المراجع التحويية زائفة لا تمت إلى العقل، والواقع بصلة، وأن التعليل الصحيح هو نطق العرب، ولا شيء غير هذا^(٢).

أما الدكتور/ عبد الرحمن السيد - وإن بدا موقفه أقل تشديداً تجاهها - فإنه كغيره من الباحثين يعتقد كثيراً من هذه العلل التي تكشفها النحاة متأثرين في ذلك كله بالمنطق الأرسطي، ويعتبرها مرذولة، ومستكرهة، وغير مستساغة، فهو يقول في ذلك: "إن طريق هذه العلل كان - من غير شك - طريق الظن، والحدس، ولم يكن طريق العلم، واليقين، وإن النفس - وإن كانت تطمئن إلى بعض هذه العلل، وتجد فيها غناها - لا تستريح إلى بعضها الآخر، وتجد فيها عناء، وإن بعض هذه العلل وإن ساغت، وقبلت، وبعضاًها الآخر لا يساغ، ولا يقبل، فقد تكلف النحاة في بعضها، وفلسفوها، وظهر فيها النهج المنطقي، والافتراض العقلي، فأصبحت مرذولة مستكرهة"^(٣).

كما يحمل الدكتور/ حسن عون توسيع النحاة في الدراسة المنطقية، والولع بالفلسفة الإغريقية مسؤولية إحلال الدراسة التعليلية في النحو العربي محل الدراسة الموضوعية الوصفية، والعكوف فيما بين أيديهم من ظواهر لغوية، وأحكام نحوية، وتعليقها، والتماس مختلف الأسباب في وجودها؛ فتحولت مباحثه إلى ما يشبه القضايا التجريدية؛ حتى كادت المادة اللغوية، والنحوية تختفي في غمرة هذه التعليلات، والمناقشات، والخلافات، والتجريادات^(٤). وفي كتابه: **(اللغة بين المعيارية والوصفية)** يرفض الدكتور/ تمام حسان التعليل عند

(١) ينظر: حسن، عباس، رأي في بعض الأصول، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة (٢)، ١٩٧١م، ص ٧٤. وينظر أيضاً: للمؤلف نفسه، النحو الوافي، دار المعرفة، القاهرة، الطبعة (٩)، ١٩٨٧م، ١٢/١.

(٢) ينظر: حسن، عباس، اللغة والنحو بين التقسيم والحديث، دار المعرفة، مصر، الطبعة (٢)، ١٩٧١م، ص ٤٨. وينظر أيضاً للمؤلف: صريح الرأي في النحو العربي، ص ٤٩.

(٣) ينظر: عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة، ص ٢٧٦.

(٤) ينظر: حسن عون، تطور الدرس التحوي، ص ٧٣-٧٤.

النحاة العرب، فهو - كما يرى -: أثر من آثار خضوع النحو العربي للمنطق الأرسطي، فالعلل الغائية غير معترف بها في البحث العلمي؛ لأنها أكثر ما تتكلّم عن أمور غيبية لا سبيل إلى اختبار صدقها، أو كذبها، ومنها علل النحاة التي يوردونها لرفع الفاعل، والمبتدأ والخبر، ونائب الفاعل وغيرها. ويرى ابن جني اعترف بضعفها؛ وهذا الضعف إنما هو نتيجة مباشرة لعنصر الصنعة فيها؛ ولو جلأ النحاة إلى العرف - كما يقول - فاعتبروه مصدراً وحيداً للغة؛ لما اضطروا إلى انتهاج العلل، ثم الدفاع عن ذلك الانتهاج^(١).

(١) ينظر، تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٥٣ - ٥٠.

(٢) السامرائي، إبراهيم، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٢م، ص ٢٤.

^(٣) السامرائي، رحلة في المعجم التاريخي، عالم الكتب، القاهرة، ط(١)، ١٩٩٩م، ص ٢٩٧-٢٩٨.

مواده الرئيسية، وأن هذا الدخيل غير النحوى في مادته قد حمل الضيم عليه، فشقى به الأقدمون؛ ومازال الدارسون يعانون منه^(١).

ويؤيد الدكتور / محمد عيد موقف ابن مضاء في عدم قبوله العلل، ولو كانت علمية؛ مؤكداً أن ابن مضاء في رأيه هذا وافق المنهج الحديث؛ حيث إنه قبل بوصف النص، وذكر خواصه، ورفض العایة من النص^(٢). كما لخص في كتابه: **(قضايا معاصرة في اللغة والأدب)** موقفه من العلل بأنواعها حيث يقول: "من مظاهر نحو الصنعة: العلل التي أطلق عليها ابن الأنباري في كتابه الإغراب: علل الجدل والنظر، في مقابل نوع آخر من العلل أسماء العلل التعليمية، والنوع الأول: لا يخدم نطقاً، ولا يفيد اللغة، وأما النوع الثاني: فهو الذي يتوصل به إلى كلام العرب... وقد أطلق ابن مضاء على علل الجدل أسماء آخر هو العلل الثنائي والثالوث... اختلفت التسميات؛ والمقصود واحد وهو: العلة الموجلة في الإغراب، والإحالة تلك التي نشأت – فيما أثبت كثير من الباحثين الجادين - بفعل المنطق الأرسطي، وتأثرت أيضاً بما دخل الفقه، وعلم الكلام من صنعة العلل، والاستدلال بها"^(٣).

وأما **(نظريّة العامل)** وهي أهم الأفكار التي ترتبط بالتعليق، وهدفها: وضع تعليم مقبول للصورة الإعرائية التي جاءت الجملة العربية عليها، وبذلك يكون العامل وسيلة من وسائل التعليل^(٤). فقد كثر الحديث قديماً، وحديثاً عن هذه النظرية، وقامت حولها دراسات تناولت النظرية، وأسسها، وأصوتها، وقواعدها، ومشكلاتها، وما خلفته من آثار على النحو العربي.

ويكاد يجمع الباحثون المحدثون على أن النحاة أقاموا هذه النظرية على فكرة فلسفية، وهي أن لكل معلول علة، وبالتالي فكل حركة تطأ على أواخر الكلمات؛ إنما هي نتيجة لعامل

(١) ينظر: السامرائي، إبراهيم، هل من نحو حديث؟، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد المخطوط الدولي للغة العربية، المجلد(٣)، العدد(١)، ذو القعدة ٤٠٤ هـ/ أغسطس ١٩٨٤ م، ص ٥٦-٥٧.

(٢) ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣) عيد، محمد، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة(١) ١٩٨٩ م، ص ٣٩.

(٤) ينظر: شمس الدين، جلال، التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين دراسة أبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤ م، ص ٩٧.

معين^(١)؛ ولذا تتألف الجملة من العامل، والمعمول، وعلاقة العمل الرابطة بينهما، ومن العلامات الإعرابية؛ بوصفها أثرا للتفاعل القائم بينهما. ويرى الدكتور / محمد عيد أن "فكرة التأثير، والتأثير التي قام عليها العامل في النحو العربي موجودة في منطق أرسطو"^(٢)؛ فإذا أضيف إلى ذلك – كما يقول الدكتور / عيد - أن العرب عرّفوا المنطق في وقت مبكر، وأغرموا به اتضحت بداية الطريق في فكرة العامل النحوية^(٣).

وإذا كان ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه: *(الرد على النحاة)* رفض هذه النظرية، وهاجمها من زاوية فلسفية، وعقدية، حيث يقول: "القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضا باطل عقلا وشرعا، ولا يقول به أحد من العقلاة"^(٤)؛ وبالتالي فقد دعا إلى إلغائها وهدمها؛ لأنها لا تفيid النحو شيئا؛ فإن كثيرا من الباحثين المحدثين أعادوا مناقشة هذه النظرية، واصطحب جدهم حولها، فمنهم من أيدتها، ودافع عنها، وتلقاها بكثير من الحماسة والإعجاب، ومنهم من عارضها، وهاجمها، ورفضها، لأسباب متعددة، وربما تمرد عليها بعضهم، وبخاوزها؛ بوضع بديل جديد لها.

ويعد كتاب: *(إحياء النحو)* للأستاذ / إبراهيم مصطفى من المحاولات الأولى التي ظهرت في العصر الحديث، وانتقدت العامل النحووي، ونادت بخدم هذه النظرية، و ما يتعلق بها من قواعد وأحكام، واستئصال جذورها؛ لأنها - برأيه - تقوم على فلسفة كلامية؛ ومصطلحات منطقية، وتعليقات نحوية، وتقديرات وتخريجات لا تمت للغة العربية بصلة. كما أن النحاة شرعوا بهذه الفلسفة أساليب في العربية لم يسمعوها من العرب، وبسببها كثر الخلاف والجدل بين النحاة، وهي دستور النحاة جميرا^(٥).

(١) ينظر: إبراهيم مذكر، في اللغة والأدب، ص ٥٠، وينظر أيضا: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ٥١٥.
و عبد الكريم الأسعد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، ص ١٢٢. درويش، شوكت عبد الرحمن، الرخصة نحوية، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ٢٠٠٤م، ص ٣٢٥.

(٢) محمد عيد، أصول النحو العربي، ص ٢٠٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٤) ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ص ٩٧.

(٥) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٤٢ - ٢٢، ١٩٤ - ١٩٥.

كما رفضها الدكتور/ شوقي ضيف، ودعا إلى الانصراف عنها، وعما يتعلّق بها من شروط، ودعا إلى تبني آراء ابن مضاء (ت ٩٢ هـ) في تحيّة العامل عن التصنيف في النحو؛ لأن إلغاءها سيريح الدارس من الافتراضات، والتّأويل، والتّقدير التي تتعارض وواقع اللغة^(١). ومن أنكروا القول بالعامل أيضاً الدكتور/ مهدي المخزومي - وهو من تلاميذ الأستاذ/ إبراهيم مصطفى - إذ يقول في مقدمة كتابه: (في النحو العربي نقد وتوجيه): "فقد ألغيت منه فكرة العامل إلغاء تماماً، وألغي معها ما استبعت من اعتبارات عقلية؛ لا صلة لها بالدرس النحوبي، وأبطلت فيه جميع التعليلات التي لا تستند إلى الاستعمال، وحذفت من فصوله فصولاً لم تكن لتكون؛ لولا شغف النحاة بالجدل العقلي، وتمسّكهم بفكرة العمل"^(٢). وفي موضع آخر يقول: "فقد حاولت في هذه الفصول أن أخلص الدرس النحوبي من سيطرة المنهج الفلسفـي عليه، وأن أسلـب العامل النـحوـي قدرـته على العمل... وإذا بـطلـتـ فـكـرةـ العـاـمـلـ بـطـلـ كلـ ما عـقـدـواـ منـ أـبـوـابـ أـسـاسـهـاـ القـوـلـ بـالـعـاـمـلـ كـبـابـ التـنـازـعـ،ـ وـبـابـ الـاشـتـغالـ،ـ ثـمـ بـطـلـ كـلـ ما اـنـتـهـواـ إـلـيـهـ مـنـ أـحـكـامـ"^(٣).

وأما الدكتور/ أحمد الجواري فقد بدا أقل حدة في موقفه من نظرية العامل النحوبي؛ إذ يرى أن النحاة قد بذلوا فيها جهداً كبيراً؛ متأثرين بمنطق العصر الذي يعيشون فيه، وأن دراسته للمتخصصين لا تخلو من فائدة؛ ذلك أنها تبين بعض الحقائق القيمة التي غطى عليها الجمود والإغراق في التفلسف. ويعطي أمثلة كثيرة لما أسماه (مشكلات العامل)، وفي النهاية فهو مسؤول - كما يعتقد - عن خروج الإعراب عن حقيقة معناه، وعن واقع وظيفته في النحو، كما أنه مسؤول أيضاً عن تعقيد قواعد النحو، وخلق أبواب لا لزوم لها، ولا فائدة فيها.^(٤).

أما الدكتور/ محمد عيد فهو يرفضها رفضاً كاملاً، ويرى أنها فكرة منطقية أصلاً، كما يؤكد أنها المسؤول الرئيس عن التخريج، وتعدد الآراء، واضطراها في الدراسات النحوية، كما يؤكد -

(١) ينظر: شوقي ضيف، الرد على النحاة، المدخل ص ٥٠.

(٢) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) ينظر: الجواري، أحمد عبد الستار، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط (٢)، ١٩٨٤، م ١٣٦.

أيضاً - أن قضيaya العامل العقلية التي أخذت حكم المسلمات العلمية تعود إليها مسؤولية التوغل في التأويل، وما ترتب عليه من جدل وخلاف بين النحاة^(١).

كذلك رفضها الدكتور / تمام حسان، ووصفها بأنها خرافية، ورفض كل ماله علاقة بها من أصول، ومفاهيم، وأحكام، وقواعد، واعتبرها - انطلاقاً من منهجه الوصفي - دخيلة على البحث اللغوي الذي لا يقر بتدخل المنطق الأرسطي، أو الفلسفة في دراسة اللغة^(٢).

ومن تناولها بال النقد - أيضاً - الدكتور / أنيس فريحة؛ إذ يرى في كتابه: (نظريات في اللغة) أن قضية العامل هي خير مثال على إقحام الفلسفة، والمنطق في الدراسة اللغوية، كما يرى بأنها سبب من أسباب الخلاف في الإعراب، والتخرير في الدرس النحوي^(٣).

وللأسباب ذاتها فقد كان الدكتور / إبراهيم السامرائي أشد حدة في نقد هذه النظرية ونقدها؛ فإنه بعد أن يؤكد أن تعلق الأقدمين بالعامل؛ إنما هو بسبب تأثيرهم بالمنهج الفلسفي الذي يقول بالعلة والعلو، والسبب والسبب، فهو يحمل هذه النظرية الخلط، والتعقيد، والاضطراب التي جعلت النحو العربي أبعد ما يكون عن البحث اللغوي السليم^(٤). ومن هذا المنطلق فهو ينادي في كتابه: (النحو العربي نقد وبناء) صراحة بإلغاء العامل النحوي^(٥)؛ ويأتي هذا الرأي متواافقاً مع موقفه من تيسير النحو بشكل عام.

وختلاصة ما سبق هو أن هؤلاء الباحثين يرون أن هذه النظرية مظهر من مظاهر تأثر النحاة بالمنطق، وإقحام للفلسفة الكلامية في البحث النحوي، وأن النحاة أسرفوا فيها حتى سيطرت على عقولهم، وهيمنت على تفكيرهم، وأنتجت قوانين وقواعد كثيرة، وتأويلات متعددة، ومسائل وفروعاً غامضة، وأبواباً شديدة العسر مستعصية الفهم باللغة الدقة كباقي: التنازع والاشغال.

من أجل تلك الأسباب، وغيرها مما أوردوه من انتقادات، نادى هؤلاء الباحثون إلى إلغاء

(١) ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي، ص ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٩-٥٣، ١٦، ١٨٩.

(٣) ينظر: فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط(٢)، ١٩٨١م، ص ١٤٣-١٤٥.

(٤) ينظر: إبراهيم السامرائي، فقه اللغة، ص ٥٧، ٥٨.

(٥) ينظر: إبراهيم السامرائي، النحو العربي نقد وبناء، ص ٢١٨، ٥٢.

نظريّة العامل، واقلاعها من الدراسات النحوية، ورفض كلّ ما يتعلّق بهذه النظريّة من حذف، وتقدير، وتأويل، وتعليل؛ ليخلص النحو العربي، وقواعده من أصول الفلسفة، وآثار المنطق. ويمكن تمييز اتجاهين مختلفين لهؤلاء الباحثين الذين انتقدوا نظريّة العامل وهما:

- الاتجاه الأول: ينتقد هذه النظريّة، ويدعو إلى إلغاء العامل بأيّ نوع، مكتفيًا بالنقد، وبيان الآثار السلبية التي جلبها على النحو العربي، دون أن يقدم بديلاً لهذه النظريّة يمكن عن طريقه تفسير العلامات الإعرابية^(١).

- الاتجاه الثاني: يتفق مع الاتجاه الأول في الغاية؛ لكنه يقدم محاولات بديلة، وتصوراً آخر يعني عن القول بهذه النظريّة^(٢).

ولابد من الإشارة إلى أنّ نظريّة العامل - وغيرها من القضايا التي تعرض لها الوصفيون بالقد - عادت إلى الظهور من جديد في المنهج التوليدي التحويلي، على صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النظريّة النحوية القديمة^(٣)، وهو ما جعل بعض الباحثين يعودون بعض آرائه وموافقه الناقدة لها^(٤).

٣- الحدود والمصطلحات النحوية والتقسّيمات:

بدأت محاولات النحاة في المراحل المتقدمة من البحث النحووي في وضع الحدود

(١) منها: كتاب تحديد النحو، شوقي ضيف، وكتاب أبحاث في اللغة العربية، داود عبده، وكتاب: النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، شعبان العبيدي، وغيرها.

(٢) منها: كتاب: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، وكتاب: في النحو العربي قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، وكتاب: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، وكتاب: في نحو اللغة وتركيبها، خليل عمارة، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤م. وكتاب: المفتاح لتعريف النحو، محمد الكسار، وكتاب: مشكلة العامل النحووي، ونظريّة الاقتضاء، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، وغيرها.

(٣) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٤٣، وينظر أيضًا: علوى، حافظ إسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، الطبعة (١)، ٢٠٠٩م، ص ١٥٢.

(٤) ومنهم الدكتور / ثامن حسان الذي يقول: "يبدو أن المموج التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية، ويمكن للغة العربية أن يعاد وصفها ألسنياً من خالله". إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، سلسلة اللسانيات واللغة العربية (٤)، تونس، ١٩٧٨م ص ١٨٤، ويقول أيضًا: "من مظاهر الطاقة التفسيرية في النحو العربي ظاهرة التعليل لأحكام النحو وأقيساته"، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (٤)، العدد (٣)، ١٩٨٤م، ص ١٣٧.

للمصطلحات والأبواب النحوية؛ وكانت تلك المحاولات - بحسب رأي أكثر الباحثين - بمعزل عن التأثير بالفكرة المنطقية، وما يصبحه من اتجاهات ميتافيزيقية؛ إذ كان هدف النحاة المباشر من وضعهم المحدود: تمييز المحدود من غيره مما قد يختلط به، أو يشترك معه؛ ولذا تجدهم يكتفون فيما يضعون من حدود بما يرونها في المحدود من علامات تميزه عن غيره، فهي في غالبيتها حدود لغوية وصفية تمثيلية، و هذا الأمر واضح في كتاب سيبويه؛ إذ إنه يكاد يخلو من التعريف بالحد على وجه العموم، واستعراض عنه بالتمثيل في أكثر مواطن الكتاب "وافتقاد التعريف بالحد كان أمراً تفرضه طبيعة المرحلة التي يجتازها العلم زمن سيبويه؛ فقد كان النحو في بدايته، وكان هم النحاة حينئذ جمع المادة اللغوية؛ لحفظها، وفهمها"^(١). كما أنه يكاد يخلو من التعريف المنطقي بشكل عام؛ فهو يذكر المادة اللغوية تفصيلاً دون ذكر مصطلح واضح، والدخول إلى شرحها دون ذكر حد منطقي^(٢). وهذا يؤكّد كما تقول الباحثة / جنان التميمي نفي تأثير النحو العربي في نشأته بمنطق أرسطو^(٣).

ولكن ما لبست أن تغيرت الصورة عند النحاة الخالفين - كما يقول الدكتور / علي أبو المكارم - تحت إلحاح الأفكار المنطقية؛ فأصبحت هذه الحدود تهدف إلى تصوير ماهية المحدود أي: حقيقة المعرف^(٤). وذلك يتحقق في تصورهم بتحصيل (صورته الذهنية) وهي الغاية من التعريف في المنطق الأرسطي، ثم بعد ذلك يحدث تحول آخر في مرحلة تالية يسيطر فيها التعريف الأرسطي على كتب النحاة، ويوجهه. أو كما يقول الدكتور / علي أبو المكارم: مرحلة تنطلق من نقطة بدء منطقية خالصة حتى إن النحاة فيها يرجعون إلى المؤثر من المحدود والتعريفات عن المراحل السابقة؛ فيناقشونها من وجهة نظر منطقية كما ناقش ابن يعيش تعريف

(١) التميمي، جنان بنت عبد العزيز، الحدود النحوية في التراث كتاب التعريفات للحرجاني نموذجاً، بحث قدم استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود برياض، ذو القعدة ١٤٢٨هـ، ص ٦٦. وينظر أيضاً: عبد الكريم الأسعد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، ص ١١١.

(٢) ينظر: جنان التميمي، الحدود النحوية في التراث كتاب التعريفات للحرجاني نموذجاً، ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٤) ينظر: تقويم الفكر النحوي، ص ١٠١ - ١٠٢، وينظر أيضاً: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٤٢. وعبد الرافع الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٧٢.

سيبوه للفعل.^(١)

ويرى الدكتور/ علي أبو المكارم أن ملاحظة الشروط المنطقية في أحيان كثيرة عند النحاة قد اضطرهم إلى الانزلاق في خطأين: إذ كانوا بين أن يضخوا ببعض جوانب الظاهرة التي يسوقون التعريف لياباها؛ لكي يسلم لهم (شكل التعريف)، وبين أن يضخوا بالشكل المنطقي للتعريف؛ حرصا على تمييز المعرف بصورة أقرب إلى مراعاة الاعتبارات اللغوية منها إلى ملاحظة الشروط المنطقية. وتحليل التعريفات المنسوبة إلى تلك المرحلة يثبت الخطأ الأول؛ حيث يمكن أن يعد الاتجاه السائد عند النحاة في تلك المرحلة هو: (تطبيق الخصائص المنطقية للحد في التعريفات النحوية) وهذا واضح عند الزمخشري (ت ٣٨٥هـ)، والأزهري (ت ٩٠٥هـ)، والفاكهي (ت ٩٧٢هـ) وغيرهم من النحاة المتأخرين؛ حيث نجد الاتساق في الشكل في التعريف، مع تناقضه مع المضمون الذي قصد به إلى تحديده؛ وذلك بسبب حرص هؤلاء النحاة على تقديم تعريف منطقي^(٢).

ويعد كتاب: **(الحدود النحوية)** لأبي الحسن الرماني (ت ٣٧٧هـ) أول كتاب في الحدود، والمصطلحات النحوية يصل إلينا، وهو يخلط الحدود، والمصطلحات النحوية بحدود، ومصطلحات غير نحوية مثل: العارض، واللازم، والضروري، والعرض، والمادة^(٣).
وتؤكد/ الدكتورة مني إلياس أن التأثير المنطقي في الحدود كان له تأثير كبير؛ وبخاصة على متأخر النحاة كابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، والرضي (ت ٦٨٦هـ)، وابن الخشاب (ت ٥٦٧هـ)، فهم يجنحون إلى التعريف مستهدين - كما تقول - بالكلمات الخمس: (الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض). وهذا التأثر بالمنطق كان من شأنه الخروج بالنحو عمما تقتضيه طبيعة الظاهرة اللغوية من استقلال^(٤).

(١) ينظر: عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٧٣-٧٦، وينظر أيضاً: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) ينظر: تقويم الفكر النحوي، ص ١٤٦-١٥٠.

(٣) ينظر: جنان التميمي، الحدود النحوية في التراث كتاب التعريفات للحرجاني نموذجاً، ص ٧٩.

(٤) ينظر: مني إلياس، القياس في النحو، ص ١٤١-١٤٢، وينظر أيضاً مزيد، إسماعيل نعيم، أبو حيان النحوي الأندلسي ومنهجه في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب،

وترى الباحثة/ جنان التميمي أن هذا الخضوع لمقاييس المنطق في الحدود، كان له أثر سلبي على الدرس النحوي، فقد أدى إلى كثرة الحدود النحوية، وتعددتها للمصطلح الواحد، وخروج بعض الحدود عن إطارها النحوي إلى نطاق الفلسفة، وغدت - بسبب هذا الخضوع أيضاً - بعض الحدود ألغازاً فلسفية يصعب فكها، لأن الوصول إلى حد جامع مانع كما يتطلب علم المنطق أمر عسير^(١).

وأما ما يتعلق بالتقسيمات في النحو، فقد أشار الدكتور/ إبراهيم مذكور في بحثه: (منطق أرسطو والنحو العربي) إلى أن تأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي من جانبين أحدهما موضوعي والآخر منهجي^(٢) ومثل للموضوعي ب التقسيم أرسطو للكلمة إلى اسم، و فعل، وأداة، وهو مطابق تقريراً لتقسيم الكلم عند سيبويه الذي حذا حذوه في هذا التقسيم^(٣).
والباحثون المحدثون يرون أن هذه القسمة الثلاثية قاصرة على استيعاب الطاقة اللغوية؛ لأنها قسمة بعيدة عن واقع اللغة، فهي قسمة عقلية قائمة على المنطق الأرسطي ولا تخضع لمقاييس علمية موضوعية، ولا تمت للنحو العربي بصلة.

ويتعدد الدكتور/ إبراهيم أنيس هذا التقسيم؛ مؤكداً أن النحاة حين قسموا الكلم إلى اسم، و فعل، حرف، قد اتبعوا ما جرى عليه فلاسفة اليونان، و المناطقة من أن أجزاء الكلام ثلاثة. ويعني ذلك - حسب قوله - أن النحاة أخضعوا اللغة لأحكام الفلسفة و لمنطق غير منطقها ولقوانين لا تمت بها صلة^(٤).

ويرى الدكتور/ فاضل مصطفى الساقي أن دوران النحاة في فلك هذا التقسيم الثلاثي الشكلي، أو ما اسمه طوق التقسيم الثلاثي الفلسفي: هو ما أدى إلى الاضطراب والمحيرة عند

دمشق، العدد ١٣ - ١٤ السنة الرابعة، محرم و ربيع الأول، ٤٠٤ هـ. و عبد الكريم الأسعد، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، ص ٢١٥.

(١) ينظر: جنان التميمي، الحدود النحوية في التراث كتاب التعريفات للجرجاني نموذجاً، ص ٤٠، وينظر أيضاً: علي مزهر الياسري، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، ص ٣٤٨.

(٢) ينظر: إبراهيم مذكور، في اللغة والأدب، ص ٤٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٤. وينظر أيضاً: محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية، ص ٨٠.

(٤) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩٣ - ١٩٥.

النحاة في تحديد كل قسم منها، وهو كذلك ما جعل كثيرا من الباحثين المحدثين ينتقدون هذا التقسيم، ويسارعون إلى كسر هذا الطوق، وإعادة النظر في هذا التقسيم من جديد، واقتراح تقسيمات جديدة تقوم على أساس ملاحظة الواقع اللغوي، منها محاولة الدكتور / إبراهيم أنيس في كتابه (من أسوار اللغة) ومحاولة الدكتور / مهدي المخزومي في كتابه (في النحو العربي، نقد وتجديه) ومحاولة الدكتور / تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها)^(١).

كذلك انتقد بعض الباحثين المحدثين تقسيم الفعل فهو كما يقول الدكتور / تمام حسان تطبيق لمقوله الزمان في المنطق، دون التفريق بين الزمان الفلسفي والزمن النحوي الذي يتبع من مجرى السياق، مما يجعلهم يعتذرون كلما خذلهم الاستعمال اللغوي في الدلالة "ولو أعطوا للزمن النحوي وظيفة التفريق بين الصيغ لا الدلالة على المضي والحضور والاستقبال لكان ذلك أشبه بالدراسة النحوية"^(٢).

ويؤكد الدكتور / كمال بدري في كتابه: (الزمن في النحو العربي) أن النحاة دخلوا بسبب هذا التفكير الفلسفي في متأهات خرجوا منها بنتائج لا تخدم النحو في شيء؛ لأنهم خلطوا بين منهجين مختلفين: المنهج النحوي، والمنهج الفلسفي؛ مؤكدا أن تقسيم سيبويه في كتابه؛ إنما يستند على الفلسفة والمنطق، ولا يستند إلى النحو، فالماضي ليس قسيما للمضارع، ولا المضارع قسيما للأمر من حيث الدلالة^(٣).

ومن خلال ما سبق ذكره من مآخذ للباحثين المحدثين على النحاة في هذا الموضوع، يمكن ملاحظة ما يلي:

- اختلاف الباحثين المحدثين في بداية تأثر النحو العربي بالمنطق والفلسفة كان كبيرا، غير أن المرجح لدى الباحث أن التأثر بالمنطق الأرسطي، لم يكن في عصر الخليل وسيبويه، وهم صاحبا التأثير الحقيقي في النحو العربي، إذ لا يثبت ذلك الزعم في تلك المرحلة؛ غير أنه كان أكثر وضوحا في البحث النحوي في المراحل التي تلت، وبخاصة في القرن الرابع الهجري وما

(١) ينظر السافي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م: ١٧٣-١٧٥.

(٢) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٩.

(٣) ينظر: كمال بدري، الزمن في النحو العربي، ص ٥٣، ٥٥.

بعده، وذلك واضح في الأقىسة، والعلل، والمصطلحات، والتصنيف، والتقسيمات، ومن الخطأ كما يقول الدكتور / عبد الرحمن الراجحي: "أن نتصور أن العرب كانوا يعيشون في عزلة محكمة، وأنهم أنشأوا من العلوم ما أنشأوا بداعي داخلية بحثة، وبقدراتهم هم وحدهم، ومن الخطأ الشديد أيضاً أن نتصور أن العرب أيضاً كانوا نقلة ليس لهم من فضل إلا نقل ما اتصلوا به من علوم الأوائل"^(١). فالنحاة العرب استطاعوا أن يقيموا نظاماً نحوياً شاملًا تأثروا بغيرهم في بعض مواضعه، وكانوا على أصالة تامة في كثير منه.

- أن أغلب من انتقدوا النحو العربي في الدرس النحوي الحديث بتأثره بالمنطق وبالفلسفة، إنما كانت منطلقاً لهم من المنهج الوصفي، حيث يرون أن ما علق بالنحو العربي من تأثيرات الفلسفة اليونانية جعله نحوًا معيارياً^(٢)، غير أنه من الضروري الإشارة إلى أن الجانب العقلي عاد بقوة من جديد بفضل المنهج التوليدي التحويلي المؤسس على أسس عقلية؛ والذي وجه بدوره نقداً عنيفاً للمنهج الوصفي الذي يركز عمله على الواقع اللغوي فقط، ويرفض ماله صلة بالجانب التفسيري لظواهر اللغة.

(١) ينظر: عبد الرحمن الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٥٩.

(٢) ينظر على سبيل المثال: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٩٢، و يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملاتين، الطبعة (١)، ١٩٨٢م، ص ٩٥.

المبحث الثاني

المأخذ على التصنيف

من أصعب الأمور على الباحث في الدراسات النحوية أن يتحدث عن المراحل التي سبقت ظهور **(الكتاب)** لسيبوه (ت ١٧٥هـ)، إذ إن ذلك لن يكون سوى ترديد لروايات لا يسلم بها، كذلك الحديث عن المصنفات التي في تلك المراحلة حيث لا نكاد نجد نصا واحداً أكيداً يُنسب إلى صاحبه قبل كتاب سيبوه. وإن كانت قد أشارت بعض الروايات إلى أن أباً الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) هو أول من عمل كتاباً في النحو^(١). كما أن روايات كثيرة أشارت إلى كتابي **(الإكمال)** و**(الجامع)** لعيسيى بن عمر (ت ١٤٩هـ) اللذين قال عنهما ابن الأنباري: "وهذان الكتابان لم نرهما، ولم نر أحداً رآهما"^(٢)، وعن هذه الفترة يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي: "أما تاريخ النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة"^(٣). ويقول الأستاذ/ أحمد أمين " وتاريخ النحو منشأه غامض كل الغموض، فإننا نرى فجأة كتاباً ضخماً ناضجاً هو: كتاب سيبوه ، ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء، وكل ما ذكروه من هذا القبيل لا يشفي غليلاً"^(٤).

وتنظر القيمة العلمية لكتاب سيبوه في كونه أول أثر متكامل مكتوب ومدون وصل إلينا في النحو العربي، حيث نجد أن كل ما سبق كتاب سيبوه من الآثار والمؤلفات النحوية لم تصل إلينا، أو مشكوك في نسبتها^(٥). وهو كذلك يعد تجمعاً لجهود كثير من النحاة السابقين عليه

(١) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، ت: الشیخ/أحمد شاکر، دار المعرفة، الطبعة (٢)، ٢٢٩/٢.

(٢) ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ٣٠.

(٣) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة (١) ١٩٩٧م، ٢٧٧/١ في الخامسة.

(٤) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٣٨٥/٢.

(٥) نحو: كتاب "الجمل" المنسوب للخليل بن أحمد، الذي جزم عدد من الباحثين بعدم صحة نسبته إليه، وكتاب "مقدمة في النحو" التي شكك عدد من الباحثين أيضاً في نسبته خلف الأحرم، منهم الدكتور/ محمود مغالسة في بحثه: نفي كتاب مقدمة في النحو عن خلف الأحرم، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٧)، العددان (٢٧-٢٨)، ١٩٩١م، ص ٣١-٧١.

كعيسى بن عمر (ت ٤٩١ هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ٤١٥ هـ)، والخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ)، وأبي الخطاب الأخفش (ت ١٧٧ هـ)، ويونس بن حبيب (ت ١٨٣ هـ)، وغيرهم، والذين تلمنذ سيبويه على أغلبهم، بالإضافة إلى جهده الشخصي وذكائه اللذين لا يمكن التقليل منهما، أو الحط من شأنهما.

والراجح أن سيبويه - رحمة الله - لم يضع اسمه لكتابه، كما أنه لم يجعل له مقدمة، ولا خاتمة، ولا يدرى لذلك سبب، إلا أن يكون على نية العود إليه، لكن يبدو أن عائقاً حال دون ما كان ينويه. ويفيد ذلك أنه لم يقرأه على أحد، ولم يقرأه عليه أحد^(١).

ومع هذه الأفضلية لسيبويه في السبق التأليفي في النحو، فإن الكتاب يمتلك - أيضاً - مقومات منهجية في التبويب والترتيب جعلته مثار جدل بين الباحثين المحدثين الذين درسوا بعمق - كما سيأتي - وهذه السمات كان لها أثر متفاوت في النحاة اللاحقين له من حيث التلقى، والتأثير، والالتزام المنهجي.

وقد وقف كثير من الباحثين المحدثين على مأخذ متعددة تتعلق بالتصنيف والتبويب عند سيبويه في كتابه، وعند النحاة اللاحقين له، ويمكن أن تقسم هذه المأخذ إلى قسمين:

الأول: المأخذ على أساليب (مناهج) التأليف:

ومن أبرزها ما يأتي:

- **الغموض والتعقيد:** وهو سمات مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، إذ إن الغموض في كثير من حالاته؛ إنما يكون ناشئاً عن التعقيد، كما أن التعقيد بدوره أيضاً قد يؤدي إلى الغموض. وقد كان النحاة القدماء يستصعبون كتاب سيبويه، ويستهولون دراسته، فالروايات تذكر لنا بأن المبرد (ت ٢٨٥ هـ) كان يقول لمن أراد أن يقرأه عليه: "هل ركبت البحر؟" تعظيمياً له، واستصعباً لما فيه^(٢)، ويقول ابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ): "نظرنا في كتاب سيبويه، فوجدناه في الموضع الذي يستحقه، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح؛ لأنه كتاب ألف في زمان كان

(١) ينظر: ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحو، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (٢)، د.ت، ص ١٢٩.

(٢) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط (٢)، ١٩٧٩ م، ٢٢٩/٢.

أهلة يألفون مثل هذه الألفاظ؛ فاختصر على مذاهبيهم^(١). وقال أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) عن: (باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور): هذا الباب فيه صعوبة، وقال الزجاج: هذا الباب لم يفهمه إلا الخليل وسيبوه". ويقول الدكتور / محمد المختار ولد أباه تعليقا على كلام السيرافي: "وفي هذا مثال عن الصعوبات التي تواجه قارئه اليوم"^(٢).

وقد أشار عدد من الباحثين المحدثين إلى سمة الغموض والتعقيد في كتاب سيبوه، وذلك لما لمسوه من غموض وتعقيد شديدتين في بعض عناوين كتابه، وفي أسلوبه في عرض عدد من أبواب كتابه ومسائله^(٣).

والواقع أن التعقيد والغموض لم يكن من سمات الكتب النحوية الأولى، إذ إنها في الغالب قد كتبت بأساليب سهلة لا تعقيد فيها، باستثناء ما نجده في موضع من كتاب سيبوه الذي يتفاوت - كما يقول الدكتور / كريم الخالدي - بين الوضوح والغموض "إذ ترى صفحات أو أبوابا واضحة سهلة لا غموض فيها، وتجد سطورا أو صفحات أو أبوابا في كتابه عسيرة الفهم"^(٤). غير أن كثيرا من المؤلفات في تلك المرحلة كانت واضحة، فكتاب (المقتضب) للمبرد؛ باستثناء موضع محدودة جدا؛ فإنه كما يقول الدكتور / محمد عبد الخالق عضيمة: "أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح، والعبارة المبسطة"^(٥).

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ١٧٩/١.

(٢) ينظر: ولد أباه، محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة (٢)، ٢٠٠٨م، ص ٨٢.

(٣) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٢٤، وينظر: أيضا: السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧١م، ص ٣٣ ، والخالدي، كريم حسين، مناهج التأليف النحوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م ص ١٢٥ . و محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ٨١.

(٤) كريم حسين الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٢٥ . وينظر أيضا: علي النجدي ناصف، سيبوه إمام النحاة، ص ١٦٠ .

(٥) المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ط (٣)، ١٩٩٥هـ، مقدمة المحقق، ٧٠/١ . وينظر أيضا: محمد المختار ولد

ويكاد يتفق الباحثون بأن التعقيد والغموض في المؤلفات النحوية بدأ بانتشار أساليب المناطقة والفلسفه والمتكلمين وعباراتهم، وهذا واضح في مؤلفات القرن الرابع، والخامس، والسادس، والسابع حيث تظهر بشكل كبير في مؤلفات الكثير من نحاة تلك المرحلة، وهو امتداد لتأثير الفلسفه والمنطق في الدرس النحوي بشكل عام، والأمثلة على ذلك كثيرة، فأبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) لا تخلو مصنفاته من الغموض والتعقيد، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) الذي يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي عن كتابه: (العسكريات): "ولئن كان أسلوب أبي علي في كتبه يبدو فيه الغموض؛ فإنه في العسكريات أغمض، ذلك أنه حشا بمسائل المنطق، ومسائل الخلاف، وأبجحه كذلك خروجه من دليل إلى دليل، ومن اعتراض إلى آخر..."^(١). وأبو الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ) في شرحه لكتاب سيبويه لا يخلو - أيضاً - من الغموض؛ وذلك "نتيجة لشيوخ المصطلحات المنطقية في أسلوبه، وعدم الانسجام بين بعض كلمات الجملة"^(٢)، كذلك ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) الذي يذكر الدكتور طارق عبد عون أن "أسلوبه أكثر تعقيداً، وأبعد توغلاً.. وأن المطالع المتبع يتبين له من الوهلة الأولى أن أسلوبه ليس سهلاً، ولا هين المأخذ، ويلوح للدارس أن عقلية الفقيه هي الطاغية في مباحثه، حتى لا تكاد تسلم مسألة من مسائل الكتاب من التأويلاط والترجيحات التي تخضع خضوعاً واضحاً لأنواع الفقهاء والأصوليين"^(٣).

وقد أشار الدكتور سعود أبو تاكى في كتابه: (خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري) إلى تشابه لغة التأليف النحوي في مؤلفات القرن الرابع، ولغة التأليف المنطقي، كما أشار أيضاً إلى تقارب أسلوب التأليف بين النحويين و المناطقة، وامتزاج ألفاظهم، وتشابه ثقافاتهم، وتقارب مستوى التفكير بينهم^(٤).

أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ص ١٣٩.

(١) عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٤٩٢.

(٢) ينظر: أبو تاكى، سعود، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة (١)، ٢٠٠٥م، ص ٨٤.

(٣) الجنابي، طارق عبد عون، ابن الحاجب النحوي آراؤه ومذهبه، دار التربية - بغداد، ١٩٧٤م، ٩١-٩٢.

(٤) ينظر: سعود أبو تاكى، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، ص ٤٤١.

ويرى الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد أن القرون المتأخرة في التأليف النحوي كانت أوفر حظا في هذا الجانب "إذ كانوا يجدون في تعقيدات تلك اللغة و التواءاتها مجالا رحبا لاستفراغ طاقاتهم، وللظهور بمظهر العلماء خاصة في العصور التي نضبت فيها ملكة التجديد والإبداع في هذا الفن" ^(١).

كما يؤكد بعض الباحثين بأن هذا الغموض والتعقيد قد لقي اهتماما عند بعض النحاة المتقدمين، فألفوا كتبا متعددة استهدفت تحقيق الوضوح في الدرس النحوي؛ وذلك بتجنيبه المناقشات، والجدل، والتعليلات المنطقية؛ ويتبين ذلك من عناوينها نحو: (الواضح) لابن الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، و(الإيضاح)، و(الجمل) للزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، و(الواضح) للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، و(اللمع) لابن جني (ت ٣٩٣هـ)، وغيرها، يضاف إلى ذلك جهود النحاة في الأندلس في هذا الباب ^(٢).

ولا بد أن أشير إلى أن العديد من الدارسين المحدثين اتخذوا من فكرة تعقيد النحو، وغموض لغته مبدأ ومنطلقا بنوا عليه أعمالهم ونماذجهم المقترحة من أجل تبسيط النحو العربي، وتيسيره، كما سارت مجموعة من الأبحاث والدراسات في طريق استبعاد كل مظاهر الصعوبة والغموض في الكتاب النحوي، وفي قواعد النحو العربي، وذلك في سبيل تقريب النحو إلى أذهان المتعلمين ^(٣).

- **التطويل والتفصيل:** يرى عدد من الباحثين المحدثين أن كثيرا من الكتب النحوية القديمة بشكل عام تعاني من الطول المفرط، والتفصيل، والإطالة، والإسهاب، وكثرة النقول لآراء الآخرين، وإيراد حججهم، وإعراب النصوص وشرحها، والتسابق في تكثير الأقسام، والجدل الإعرابي، وغير ذلك مما يرهق القارئ والمتعلم، ويشق عليه، ويعيث على الملل والسام من مواصلة قراءة الكتاب. ويرجع الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد هذه الظاهرة إلى تنافس

(١) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٢٧.

(٢) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٤١. و ينظر أيضا: فادي عصيدة، جهود علماء الأندلس في تيسير النحو العربي، ص ٣٥-٧٥.

(٣) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٥٩.

النحاة فيما بينهم، ورغبتهم في إظهار التفوق والسبق^(١).

وقد تنبه إلى ذلك بعض النحاة المتقدمين، وقدموا مجموعة من الكتب تدور حول فكرة اختصار النحو، ومنهم خلف الأحمر (ت ١٨٠ هـ) في الكتاب الوجيز المنسوب له، والذي جمع فيه أساسيات النحو العربي: (مقدمة في النحو)؛ حيث يقول في بدايته؛ مبينا الغاية من تأليفه له: "ولما رأيت النحوين، وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو المختصر... أمعنت النظر والتفكير في كتاب أهله، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين؛ ليستغنى به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق، فمن قرأها وحفظها ونظر إليها، علم أصول النحو كله"^(٢). كما أن هناك مختصرا في النحو ينسب للكسائي (ت ١٩٠ هـ)، وآخر - أيضا - لأبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ) سماه: (المقدمة)، كما ألف أبو علي أحمد بن جعفر الدينوري (ت ٢٨٩ هـ) كتابا مختصرا في النحو سماه: (المهذب)، جرده من الخلافات واكتفى فيه بمذهب البصريين، ثم ألف بعد ذلك أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) كتابه المختص: (التفاحة)، الذي يتسم بالسهولة والوضوح، والبعد عن الجدل والمناقشة، والخروج عن حدود المسائل التي يعالجها، وهو بمحكم التأثر الزمني النسيي؛ فهو أقرب من كتاب خلف الأحمر للعمل النحوي المنهجي المنظم^(٣). غير أنه لم يصلنا من هذه الكتب سوى مقدمة خلف الأحمر، وكتاب: (التفاحة) لأبي جعفر النحاس.

كما أنه لا بد من الإشارة بالمقابل إلى أن عددا من الباحثين المحدثين انتقد بعض النحاة لوقوعهم في الإيجاز المخل في بعض مصنفاتهم؛ وذلك بوضع المتون المختصرة للنحو التي تقوم على اختصار الألفاظ والعبارات، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة؛ مما يضطر النحوي إلى إهمال الشواهد، والبعد عن التوضيح والإبانة؛ فكان ذلك كان سببا - بحسب رأيهما - دفع عددا

(١) المصدر السابق، ص ٢٧، وينظر أيضا: عبد الله جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، ص ١٩٣.

(٢) خلف الأحمر، مقدمة في النحو، ص ٣٣.

(٣) ينظر: عبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٣٨-٣٩، وسعود أبو تاكي، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع المحربي، ص ١١٥، وينظر أيضا: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٢٩.

منهم إلى تصنیف الشروح الواسعة التي أوجبتها ظروف التوضیح والتیبین ^(١).

- الاستطراد: ظاهرة الاستطراد هي مظاهر من مظاهر الانحراف عن المنهج، أو المخطط المرسوم للمؤلف؛ ولذا فإنها كما يقول الدكتور / كريم الحالدي: ظاهرة عرفها التأیيف النحویة منذ أول کتاب وصل إلينا، غير أنها تتضح بشكل أوفى في المؤلفات الأولى ^(٢)، كما أشار عدد من الباحثین إلى وقوع عدد كبير من النحاة في هذه الظاهرة في مؤلفاتهم من نحو: سیبویه في کتابه، والمبرد في (المقتضب)؛ الذي يقول عنه الأستاذ / عبد الرحمن السيد بأن الاستطراد كان لديه واضحًا وظاهرًا ^(٣)، وأبو علي الفارسي كذلك وقع في الاستطراد في أكثر مصنفاته ^(٤).

وقد لاحظ الدكتور / سعود أبو تاکي شیوع هذه الظاهرة في كثير من مؤلفات التحويین في القرن الرابع المجري، وذلك بعدم اقتصارهم على الحديث عن الظواهر النحویة بالطرق إلى بعض فروع اللغة، أو في شرح الشواهد والتعرض فيها لمختلف الجوانب؛ باستثناء المؤلفات التي ألفها النحاة لغرض التعليم؛ حيث إنها في الغالب تكتفى بذكر القاعدة بجملة دون تفصیل، كما أنها تخلو - كما يقول - من الحشو، والتكرار، والاستطراد ^(٥).

ويعلل بعض الباحثین المحدثین لوجود هذه الظاهرة في الكتب النحویة؛ بأنها مرتبطة بمهنة التعليم، إذ إن كل من يشتغل بالتدريس، ومارسه لا بد أن يجتذبه الاستطراد في التأیيف ^(٦).

وهذا الرأي ربما لا يتوافق مع ما ذهب إليه الدكتور / سعود أبو تاکي في رأيه الآنف الذكر. وبعد فلا شك في أن أساليب النحاة تختلف، وتباين في عرض مادتهم النحویة، فمنهم من تكون عبارته معقدة تصعب على القراء والدارسين، ومنهم من يكون أسلوبه سهلا سلسا

(١) ينظر: كريم الحالدي، مناهج التأیيف النحوی، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) ينظر: عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة، ص ٥٥٤-٥٥٥.

(٤) ينظر: عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٤٨٨-٤٩١، وينظر أيضًا: كريم الحالدي، مناهج التأیيف النحوی، ص ١٣١. و سعود أبو تاکي، خصائص التأیيف النحوی في القرن الرابع المجري، ص ٤٧، ٧٦، ١٩١.

(٥) ينظر: سعود أبو تاکي، خصائص التأیيف النحوی في القرن الرابع المجري، ص ٢٨٣، ١٤٢، ٩٣.

(٦) ينظر: كريم الحالدي، مناهج التأیيف النحوی، ص ١٣١.

واضحا منسابة، كما أن بعضهم يميل إلى الاختصار والإيجاز، والبعد عن التطويل والاستطراد، والبعض الآخر يميل للشرح والتكرار، والتفصيل، والاستطراد، وربما الخوض في قضايا أجنبية لا صلة لها بال نحو، بل إن هذه الأساليب قد تختلف من كتاب إلى كتاب آخر عند النحوي الواحد كما هو الحال عند أبي علي الفارسي، وابن هشام في بعض مؤلفاتهم^(١)، وذلك يعود في رأيي - إلى سببين اثنين؛ وهما:

١. طبيعة الأهداف التي يتوخاها المؤلف من كتابه: فالمؤلفات النحوية وضعت لغايات مختلفة، وتحاطب طبقات متعددة؛ إذ إن بعضها كان تعليميا وضع لل المتعلمين والمبتدئين، وهي غالباً تميل إلى السهولة والوضوح، وتكفي بقدر محدود من التفصيات والشهاد، ولا تتعرض للخلافات، أو أنها تستغنى بذكر القليل منها. وبعضها الآخر كان يخاطب العلماء والمتخصصين المتبحرين في اللغة العربية وعلومها؛ فتكثُر فيها المصطلحات النحوية وغير النحوية، ومتلئ بالعلل، وأساليب الجدل وال الحوار، والحجج، كما أنها تكون مجالاً رحباً لاصطياغ أساليبها باصطلاحات المناطقة والمتكلمين؛ وتكثُر فيها النقول، والإحالات والتفصيل في الشروح، والاستطرادات.

٢. ثقافة المؤلف وشخصيته: وهي مؤثر كبير في أسلوب النحوي، فلم تكن ثقافة النحويين ومشاربهم واحدة؛ وإنما كانت تختلف، وتتنوع عمماً وضاحاً متأثرة ببيو لهم، ومذاهبهم الدينية والسياسية والفكرية. فمنهم من غابت عليه العربية دون غيرها، ومنهم من أتقن إلى جانب العربية علوم الفقه والقرآن، وكان منهم أيضاً من أتقن المنطق وعلم الكلام وغيرها من العلوم. فسيبويه، والفراء، والبرد كانت مؤلفاتهم تعكس ذلك المخزون اللغوي الشري الذي تجمع في حافظاتهم؛ لإدراكهم عصور الفصاحة، وسماعهم من العرب في البدية، أو من الرواية الثقات، أو من العلماء الذين عاصروهم. وأما ابن السراج، و السيرافي، والفارسي، والرماني، وابن جني، وابن الحاجب، وابن مالك،

(١) ينظر: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١١٧. وينظر أيضاً: ابن هشام، جمال الدين، شرح اللῆمة البدرية في علم اللغة العربية، تحقيق الدكتور: هادي نهر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، بدون تاريخ، ٧٢/١.

وابن هشام؛ فإن ثقافتهم تمتد إلى ميادين أخرى غير لغوية مثل: علم الكلام، والمنطق، والفقه، والتفسير، والحديث؛ لذا انعكست آثار هذه العلوم و الثقافات على أساليبهم، وعباراتهم، ومصطلحاتهم.

أيضاً كانت مذاهبهم الدينية و توجهاتهم السياسية تؤثر في أساليبهم تأثيراً واضحاً يقول الدكتور / مازن المبارك عن أبي سعيد السيرافي: "فقد تأثر أسلوبه بأساليب المتكلمين في الجدل ومحاولة الإقناع، كما تأثر بأساليب الفقهاء في بسط الموضوع واستقصاء مسائله"^(١). وأما أبو الحسن الرماني فيصفه الدكتور / أسعد طلس بأنه: "كان كثير المغالاة في المنطق، ومزجه في النحو؛ وهذا معقول فإن الرجل كان من كبار المعتزلة"^(٢). وينتقد الدكتور / عبد الفتاح شلبي أبي علي الفارسي قائلاً: "إن الفارسي لكتة ما منزج نحوه بالمنطق جاءت عبارته عسيرة الفهم، معقدة الأسلوب، ضاربة في الغرابة تكدر الذهن، وتصدع الرأس"^(٣).

ويوازن الدكتور / طارق عبد عون بين أسلوبي ابن يعيش وابن الحاجب قائلاً: "ولقد كانت ثقافة ابن يعيش نحوية لغوية خالصة، وكانت ثقافة ابن الحاجب خليطاً من علوم الدين والערבية؛ وكان لا بد والحال كذلك ألا يكون ابن الحاجب ضريباً لابن يعيش في مباحث العربية؛ لأن الثاني أصفى دبياجة، وأنصع أسلوباً، وأكثر أصالة"^(٤).

وبالجمل فان هؤلاء النحاة يخضعون في تأليفهم بقصد، أو بدون قصد لتأثير المذاهب التي ينتمون لها، ولتلك العلوم التي أحاطوا بها، بل وحتى مليوهم الخاصة، في أساليبهم، وعباراتهم، ومصطلحاتهم تبعاً لاختلاف ثقافاتهم الشخصية، وانتماءاتهم المذهبية والسياسية^(٥).

(١) المبارك، مازن الرماني النحو في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دار الفكر، دمشق، الطبعة^(٣)، ١٩٩٥م، ص ٤٧.

(٢) طلس، أسعد، أبو الفتح ابن جني، مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد^(٢)، العدد^(١)، ١٩٥٠م، ص ٨٣.

(٣) عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٥٨٨-٦١٢.

(٤) عبد عون، طارق، ابن الحاجب آثاره ومذهبة، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٩٢.

(٥) ينظر: سعود أبو تاكي، خصائص التأليف النحوية في القرن الرابع المجري، ص ٣٨٢-٣٨٨. وينظر أيضاً: كريم الحالدي، مناهج التأليف النحوية ، ص ١١٩ - .

الثاني: المآخذ على التبويب والتقسيمات الداخلية:

وتكمّن أهمية هذا الموضوع - أعني التصنيف والتبويب والتقسيم - في كونه يمثل صورة لتطور العقل العربي ونضجه، ووضوح الرؤية، والقدرة على التنظيم والتنسيق عند النحاة في تصميم خطط المؤلفات النحوية، وتبويتها، وتنظيمها وفق نسق واضح ومقصود؛ لتصل إلى القارئ بطريقه سلسة تمكنه من استيعابها، و استكناه مضمونها، وإدراك مرامي مؤلفها ومقاصده.

ولا شك في أن البحث النحوي القديم قد حظي منذ بداياته المبكرة بعدد هائل ومتتنوع من البحوث والدراسات، وخلفت لنا تلك الحقبة الزمنية - وهي طويلة نسبياً - عدداً ضخماً من المؤلفات التي رعاها يستعصي حصرها، والإحاطة بها جمياً، مابين تقنيين، وشرح، وتفسير، وتلخيص، وتعليق، وتحشية، منها المطبوع المتداول، ومنها المخطوط الذي يتضمن الخروج إلى النور، ومنها المفقود الذي لا يعرف عنه إلا عنوانه؛ وكان هدفهم في ذلك كله استكمال النحو، والإحاطة بمادته، وتسهيله للمتلقى بالشرح والتوضيح.

ولقد حاول بعض الباحثين المحدثين الوقوف على الأسس التي بني عليها النحاة تبويب مؤلفاتهم، والتي يمكن إجمالها بما يأتي^(١):

١- **العامل**: حيث خضعت كثير من المؤلفات النحوية في تبويتها لنظرية العامل وبخاصة المقدمة منها، وسيطرت على بحوثهم النحوية، وبناء عليه فقد اعتمدوا العامل أساساً في تبويب كتبهم، فقدموا الأبواب التي يكون فيها العامل الفعل، ثم تليها الأبواب التي يكون العمل فيها الاسم، وأخيراً تلك الأبواب التي يكون العامل فيها الحرف، فالعامل كان يملك تفكير كثير النحاة، ويهيمن على مناهجهم إلى الحد الذي وصل بعد منهم إلى تسمية كتبهم بالعوامل، كما فعل أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في كتابه: (العوامل)، وما فعله أيضاً عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه: (العوامل المائة)، "وجدير بالذكر هنا أن فكرة العامل لا يمكنها استيعاب جميع الموضوعات النحوية؛ ولذا كان الكثير من الموضوعات النحوية يحشر

(١) ينظر: كريم الحالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٣٨ وما بعدها. و ينظر أيضاً: فاضل السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ص ٣٦.

على غير ترتيب منهجي^(١).

٢- **الإعراب والبناء:** وهو من أهم الأسس التي اعتمد عليها النحاة في تبويب كتبهم النحوية؛ حيث كانت البحوث المتصلة بالإعراب والبناء مدار كثير من الدراسات النحوية، وعليها تم بناء أبواب الكتب النحوية المختلفة، "أول من اعتمد هذا الأساس في تبويب كتابه؛ علاوة على تقسيم الكلمة إلى اسم، فعل، وحرف هو: أبو بكر ابن السراج (ت ٣١٦هـ) في كتابه: الأصول في النحو"^(٢).

٣- **تقسيم الكلمة إلى: اسم و فعل و حرف:** وهو تقسيم ورد في كتاب سيبويه لأول مرة، ثم درجت كثير من المؤلفات النحوية على توزيع مباحثها على الاسم، والفعل، والحرف، وقد كان هذا التقسيم - كما يقول الدكتور/ كريم الخالدي - مساعدا على استيعاب معظم الموضوعات النحوية، ومفيدا في تبويب الكتب النحوية بجعلها سهلة الإدراك والفهم للمتعلمين^(٣).

٤- **المفرد والجملة:** وهو أساس لم يكن له أثر كبير في التأليف النحوي؛ لأن فكرة التقسيم الثلاثي للكلمة هيمنت على مناهج النحاة في كل عصور التأليف النحوي، وظل البحث في الجملة أمرا ثانويا لا يمتلك مقومات التأثير الإيجابي في تلك المناهج، إذ إنها درست في الغالب، وشغلت حيزا كبيرا من البحث النحوي - كما هو عند سيبويه - دون أن تجعل أساسا في التبويب.

٥- **علاقة المباحث النحوية بالباحث الصرفية:** وهذا الأساس كما يقرر الدكتور/ كريم الخالدي ظل طيلة مراحل التأليف النحوي يعيش حالة عدم استقرار بسبب تفاوت وجهات نظر النحاة العرب إلى تلك العلاقة، فمنهم من كان يعتقد علم العربية بنحوها وصرفها وصوتها لا يمكن أن تجزأ؛ بل يجب أن تدرس في كتاب واحد، ومنهم من كان يعتقد أن مباحث الصرف تدرس في كتاب منفصل عن الكتاب الذي يضم مباحث النحو^(٤).

(١) ينظر: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٤٢.

(٢) ينظر: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩.

وهذه الأسس - كما يقول الدكتور / كريم الخالدي - إنما هي أساس افتراضية مستنيرة من استقراء مناهج النحاة في تأليفهم؛ ولا يمكن افتراض توافرها في جميع المؤلفات النحوية، أو اجتماعها في مؤلف واحد؛ إذ إن تلك أمور يحددها النحوي وفق ما اختطه لكتابه؛ فقد يكون أساس واحد هو الذي يعتمد في بناء منهج كتاب ما، وقد يكون كتاب آخر مبنياً على أساسين، أو أكثر^(١).

ويرى عدد من الباحثين المحدثين أن النحاة المتقدمين قد وقعوا في أخطاء متعددة في أثناء التصنيف، سواءً أكان ذلك في تصنيف الأبواب وال الموضوعات داخل الباب الواحد، أم في التقسيمات الداخلية في الموضوعات النحوية، وبينوا أوجه التداخل، والاضطراب، والقصور فيها، كما أن بعضهم حاول معالجتها، وتخلصها مما شابها من عيوب، أو قصور بوضع البدائل التي يرى أنها مناسبة.

ففيما يتعلق في تصنيف الأبواب وال الموضوعات داخل الباب الواحد؛ فقد تناول كثير من الباحثين المحدثين هذا الجانب عند النحاة، وأكده عدد منهم بأن كثيرة من كتب النحاة - وبخاصة المتقدمة منها - يكتنفها الاضطراب في التبويب والترتيب؛ إذ لا تكاد توجد خطة واضحة ومحكمة يصدرون عنها في التبويب، وفي ترتيبهم الموضوعات، وتنسيقاتها؛ فهم ربما يقدمون أبواباً من حقها أن تتأخر، ويؤخرن أبواباً من حقها أن تقدم، وفي الباب الواحد ربما يضعون فصولاً في غير موضعها، ولا يذكرون مسائله متصلة متتابعة؛ بل يذكر بعضها في موضع، وبعضها الآخر في موضع ثان بعد أن يفصل بينها بأبواب غريبة. كما أنهم يخلطون الموضوعات الصرفية، والصوتية، والنحوية، بشكل متداخل، ودون منهج ثابت^(٢).

فكتاب سيبويه - وهو أقدم كتاب نحوی وصل إلينا - وعلى الرغم من ثناء العلماء المتقدمين منهم، والمتاخرين، وكذلك المحدثين عليه، وتعبيرهم عن تقديرهم، وتعظيمهم لهذا الكتاب وإجلالهم لمؤلفه؛ فإن كثيرة من الباحثين المحدثين أشاروا إلى ما فيه من اضطراب وخلل

(١) ينظر: كريم حسين الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٣٨.

(٢) ينظر: عبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٢٣ ، وينظر أيضاً: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، و فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص ٣٥.

في تبويبه، وتنظيمه، وتنسيقه، فهو في نظر كثير منهم لم يكن مرتبًا في تبويبه على أساس منطقي واضح يثبت أن في ذهن صاحبه خطة واضحة يسير عليها، ويلتزم بها، تقول الدكتورة/ خديجة الحديشي: إن سيبويه "لا يسير في ترتيب أبوابه وفصوله ترتيباً منطقياً سليماً؛ فهو يقدم أبواباً من حقها أن تتأخر، ويؤخر أبواباً من حقها أن تقدم، ويضع فصولاً في غير موضعها... ولا يذكر مسائل الباب الواحد متصلة متتابعة؛ بل يذكر بعضها في موضع، وبعضها الآخر في موضع ثان بعد أن يفصل بينهما بأبواب غريبة عنها؛ وفي هذا تحزئة للموضوع الواحد، وتفرقة لمسائله في موضع كثيرة"^(١).

فسيبويه في كتابه كما يرون قد وقع في الخلط والاضطراب في ترتيب الأبواب النحوية وتنسيقها "في بينما تراه يعرض في أول الكتاب باب: علم ما الكلم من العربية ثم باب: الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول تراه يقفز إلى باب ما ينتصب بالألف، ثم فيما بعد إلى باب الأمر والنهي، ثم باب من المصادر جرى مجرى الفعل المضارع في عمله، ثم تراه يخلص بعد سلسلة من الموضوعات إلى باب الجر، ثم يعود إلى الابتداء، ثم النداء، ثم الاستثناء"^(٢). كما أنه أقحم بين باب المسند والمسند إليه، وباب الفاعل أربعة موضوعات أجنبية هي: باب اللفظ والمعنى، وباب ما يكون في اللفظ من الأعراض، وباب الاستقامة من الكلام والإحالة، وباب ما يحتمل الشعر^(٣). وأما توزيع جزئيات الباب الواحد، وتشتيتها في أكثر من موضع من كتابه فأمثلته - كما يقول الدكتور/ عبد الوارث سعيد مبروك - كثيرة، منها: التمييز الذي تعرض له تحت عدة عناوين في موضوع مختلفة، والنعت الذي ذكر مباحثه متداخلة مع مباحث عن العطف والبدل، والبدل الذي توزعت مباحثه في أكثر من موضع وغيرها^(٤). يضاف إلى ذلك

(١) الحديشي، خديجة، كتاب سيبويه وشرحه، دار التضامن - بغداد، ط(١)، ١٩٦٧م، ص ٨٨. وينظر أيضاً: فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية وال نحوية عند الزمخشري، ص ٣٢-٣٣، و عبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٢٣.

(٢) فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية وال نحوية عند الزمخشري، ص ٣٢، وينظر أيضاً: عبد الحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، ص ٢٦١، و عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة، ص ٥٣٩-٥٤٥.

(٣) ينظر: عبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٤-٢٣.

ما أشار إليه بعض الباحثين من عدم التزامه بتحميم مباحث النحو، وتقديمها على مباحث الصرف ثم بعد ذلك مباحث الأصوات، حيث إنه أقحم بين المباحث الصرفية بعض مباحث النحو التي كان من حقها أن تقدم، وذلك حين أقحم مباحثاً عن القسم وحروفه، و مباحثاً آخر نحوياً عن العدد في ثنايا مباحث الصرف^(١).

ويستدل الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد على الاضطراب والخلط لدى سيبويه، بما ذكره الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة من صعوبة البحث والاهتداء إلى مسائل النحو في الكتاب حيث يقول: "الرجوع إلى سيبويه في كل مسألة من الصعوبة بمكان، ولا شيء أشق منه، وليس أدل على ذلك من أنه قد خفي بعض ما في سيبويه على كثير من الأئمة الأعلام؛ فكيف من لم يبلغ مبلغهم، ولم يدرك شاؤهم... إن تحريري مع سيبويه لا تشجعني على أن أقطع بأن شيئاً ما ليس في كتاب سيبويه؛ لأنني لم أتعثر عليه، جائز أن يكون عرض لها؛ ولكنني لم اهتد إلى مكانها"^(٢).

ولا شك في أن كتاب سيبويه يعد جهداً رائداً في ميدان التأليف النحووي، وسبقاً منهجياً في تبويبه وتنسيقه، ولا يقلل من قيمة هذا التنظيم - في نظري - وجود هنات وهفوات منهجية فيه؛ لأنّه الأول في ميدانه، وهذا وحده عذر كافٍ لكل هفوة ونقص فيه؛ وهي تعدّ ضئيلة إذا ما قورنت بهذا الجهد العظيم الذي بذل فيه. مع أنّ كثيراً من الباحثين أثبتوا أن الكتاب - وبرغم هذه المفوات في التبويب والتقطيع - قد بني على أساس متعدد كالعامل، والإعراب والبناء، والإفراد والتركيب، والعلاقة بين موضوعات النحو الصرف، والتزم بها إلى حد كبير فيه^(٣)، وليس من العدل والإنصاف أن يطالب سيبويه بأن يجعل كتابه؛ وهو أول كتاب نحووي

(١) ينظر خديجة الحديشي، كتاب سيبويه وشروحه، ص ٨٥-٨٦، وينظر أيضاً: حسن عون، التطور النحووي، ص ٣٤، وعبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٢٣، علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة، ص ١٧٥-١٨٥، ومانزان المبارك، الرمانى النحووي، ص ١١٤.

(٢) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، الطبعة (١)، ١٩٤٩م، مقدمة المحقق ص ١٢٧-١٣٠.

(٣) ينظر: علي النجدي ناصف، سيبويه إمام النحاة، ص ١٧٣-١٧١، وينظر أيضاً: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ٦٤-٧٥، و حسن عون، تطور الدرس النحووي، ٤١-٤٢، شاهين، عبد الصبور، المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت، العدد (٣)، السنة: ١٩٧٣م، ص ٥٦-٨٣.

مبوبا ومرتبًا على منهج دقيق كما هو الحال في الكتب النحوية التي مرت بمراحل عديدة من المحاولة والتجريب، والتصحيح، والتطوير، كما أنه لا وجه لموازنته بتلك الكتب؛ إذ إن هذه الموازنة لا تمتلك الأسس والمعايير، كما أنها تفتقر إلى الدقة في الحكم^(١).

أما كتاب: **(مقدمة في النحو) لخلف الأحمر** (ت ١٨٠ هـ) فيقول عنه الدكتور / فاضل السامرائي؛ منتقدا ترتيبه وتبويبه: "إن الرسالة ليست قائمة على ترتيب معين؛ وإنما هو يوزع المفوعات في أماكن متعددة، وكذلك المتصوبات والمخفضات، وليس المهم أن يرتتبها حسب نظرية العامل؛ وإنما المهم أن ينسقها وفق خطة معينة؛ ولا نستطيع أن نلمس خطة لهذا التبويب"^(٢).

كما أنّ كتاب: **(المقتضب)** لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، على الرغم مما له من مكانة مرموقة في الدراسات النحوية بشكل عام، وفي النحو البصري بشكل خاص، فإنه - أيضا - بحسب كثير من الباحثين لم يسلم من هذا الخلط والاضطراب، وعدم التنسيق والترتيب في أبوابه، وفي موضوعاته؛ حيث يقول عنه الأستاذ / عبد الفتاح شليبي: "وحدث أبا العباس المبرد في كتابه: المقتضب لا يخضع في ترتيبه لفكرة بعينها فهو مثلا: يورد باب التبيين والتمييز مسبوقا بباب: أمّا و إمّا و مذ و مذ، و متبعا بباب الثنوية على استقصائهما صحيحةا و معتلها، و باب الإملالة، و باب كم، ثم باب الأفعال التي تسمى أفعال المقاربة. وهلأنتم ترون ألا ترابط بين هذه الأبواب، وكان هذا منزع المبرد على وجه العموم في ترتيب سائر الكتاب"^(٣).

ويؤيد هذا الرأي كل من الدكتور / فاضل السامرائي الذي يرى أن عدم التنسيق والترتيب ييدو واضحًا فيه^(٤)، والدكتور / كريم الخالدي الذي يؤكد أنه ليست ثمة فكرة، أو أساس يربط موضوعات هذا الكتاب، إذ إن المبرد يخلط فيه الموضوعات، الصرفية، الصوتية، والنحوية بشكل متداخل، ودون منهج ثابت^(٥).

(١) ينظر: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ١٧٢.

(٢) فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص ٣٥.

(٣) عبد الفتاح شليبي، أبو علي الفارسي، ص ٥١٩.

(٤) ينظر: فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص ٣٥.

(٥) ينظر: كريم الخالدي، مناهج التأليف النحوي، ص ٢٥٠.

أما كتاب: (الجمل) للزجاجي (ت ٣٣٧هـ)؛ فرغم القبول الذي حظي به، والشهرة العظيمة التي نالها لأمور كثيرة منها: طريقة تأليفه التعليمية السهلة السلسة، ووضوح أسلوبه، وصفاء عباراته، وشموله لكل موضوعات العربية، إلا أنه لم يسلم هو أيضاً من النقد في منهجه، وتبويه، وتنسيقه؛ حيث يقول عنه الدكتور عبد الفتاح شلبي؛ بعد أن عدد مفرداته؛ ليعلق عليها قائلاً: "وهذا ترتيب مضطرب مشوه متعرّض كما ترى لا يخضع مللاك عام، ولا يصدر عن نظرة خاصة"^(١). ويفيد الدكتور فاضل السامرائي في هذا الرأي؛ حيث يقول عنه: "فراه مضطرب الترتيب والتنسيق أيضاً لا يخضع لفكرة معينة"^(٢).

وأما كتاب (التفاحة) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) فهو - في نظري - مثال واضح لاختلاف آراء الباحثين المحدثين في تقويم منهج الكتاب، وتبويه، وترتيبه فالدكتور فاضل السامرائي يقول عنه: "نرى الخلط، وعدم الخضوع إلى فكرة معينة في الترتيب واضحًا فيه"^(٣). بينما يخالفه في ذلك الدكتور عبد الوارث سعيد مبروك ليؤكد أنه أقرب إلى العمل المنهجي المنظم^(٤). في حين يرى الدكتور حسن عون في وصفه لتبويب هذا الكتاب أنه: "يبدو وكأنه يؤلف النحو وفقاً لما تعلمه نظرية العامل، غير أن هذه النظرية لا يستمر تأثيرها على المؤلف طويلاً، فتضطرّب أولاً، ثم تختفي بعد ذلك"^(٥).

لقد انتقد الأستاذ إبراهيم مصطفى عمل النحاة بشكل عام في التبويب بدون استثناء، حيث يرى أن النحاة فرقوا كثيراً من موضوعات النحو وأقسامه بدون داع لذلك بل إنه - كما يقول - مبعد عن فهم الأساليب النحوية؛ وإن كان منسجماً مع صناعة النحاة في الإعراب التي ينبغي التحرر منها، كما هو الحال بين الفاعل ونائب الفاعل، والفاعل والمبتدأ؛ حيث إن في أحكامها من الاتفاق والتماثل ما يوجب أن تكون باباً واحداً^(٦). كذلك يرى أن العطف

(١) عبد الفتاح شلبي، أبو علي الفارسي، ص ٥٢١.

(٢) فاضل السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥.

(٤) ينظر: عبد الوارث سعيد مبروك، في إصلاح النحو العربي، ص ٤١.

(٥) حسن عون، تطور الدرس النحووي، ص ٨٧.

(٦) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٥٣-٥٥.

ليس له إعراب خاص، "وليس جديراً أن يعد من التوابع، ولا أن يفرد بباب لدرسه"^(١). كذلك هو لا يرى فرقاً بين عطف البيان والبدل^(٢)، ولا يرى -أيضاً- أي وجاهة للتفريق بين التوكيد والبدل؛ لأنه أسلوب واحد^(٣).

وأما ما يتعلق بالتقسيمات الداخلية للأبواب فقد تناول كثير من الباحثين المحدثين جوانب القصور، والخلل، والتدخل فيها، وانتقدوا عمل النحاة في ذلك، وأقاموا دراسات متعددة للوقوف عليها ومعالجتها. و لعل من أبرز الموضوعات التي وقف كثير من الباحثين المحدثين عندها، وكثير فيها النقاش والجدل وتعددت فيها الآراء، وأخذت حيزاً من تفكيرهم ودراساتهم مسألة: **أقسام الكلام** حيث انتقد عدد منهم التقسيم الثلاثي للكلام المعروف عند النحاة المتقدمين وهو: اسم، و فعل، و حرف؛ وهو التقسيم الذي اعتمدته سيبويه في كتابه، وأقره النحاة من بعده، ونقل ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) إجماع النحاة عليها^(٤). ودافع عنه أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) بقوله: "إإن قيل: لم قلتم إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأننا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر على البال، ويتوهم في الخيال"^(٥).

لم يقبل عدد من الدارسين المحدثين هذا التقسيم؛ وانتقدوه لأسباب كثيرة، وحاولوا أن يعيدوا النظر في هذه الأقسام، ويعيدوا تصنيفها تصنيفاً حديثاً يكون أكثر ضبطاً، وشمولاً، وتمييزاً بين الأقسام، وتمثيلاً للكلام العربي ومن أبرز من انتقدوا هذا التقسيم: إبراهيم أنيس^(٦)، و مهدي المخزومي^(٧)، و عبد الرحمن أبوب^(٨)، و تمام حسان^(٩)، وأنيس فريحة^(١٠)، و محمود

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو ، ص ١١٦ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٤ .

(٤) ينظر: الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العربي في كلامها، ص ٤٨ .

(٥) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، عني بتحقيقه: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العربي بدمشق، ١٩٥٧م، ص ٣. كذلك دافع عن هذا التقسيم ابن عصفور الإشبيلي، ينظر ابن عصفور: المقرب، ت: عادل عبد الموجود و علي محمد معاوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(١)، ١٩٩٨م، ص ٦٨ .

(٦) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٧) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ٤٦ .

(٨) ينظر: عبد الرحمن أبوب، دراسات نقدية في النحو العربي ، ص ٩ .

(٩) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٨٦ وما بعدها.

(١٠) ينظر: فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، ص ١٨١-١٨٢ .

السعريان^(١)، وحسن عون^(٢)، وفاضل الساقي الذي حاول بدوره أن يقدم دراسة شاملة عن هذا الموضوع ذكر من خلالها آراء القدماء والمحاذين بشكل موسع، مدعماً دراسته بالنقد والتحليل، ومسانداً لأستاذة الدكتور/ تامر حسان في تقسيمه السباعي للكلام العربي؛ وذلك في كتابه **(أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة)**^(٣)، وغيرهم من الباحثين المحدثين من أقر نتائج هذه البحوث و الدراسات، وبarkanها، وأثني عليها^(٤).

وقد انطلق هؤلاء الباحثون من عدة منطلقات في نقدتهم هذه القسمة الثلاثية عند النحاة المتقدمين؛ وهي^(٥):

١. أنها قسمة عقلية قائمة على المنطق الأرسطي، وخاضعة له، ولا تمت للنحو العربي بصلة.

٢. أن النحاة المتقدمين لم يذكروا الأسس التي أقاموا عليها هذا التقسيم.

٣. أن النحاة المتقدمين اضطربوا في وضع مفهوم محدد للاسم وللفعل، وكانت من نتيجة هذا الاضطراب خروج كثير من الكلمات اعتبروها أسماء من قسم الاسم، وكذلك بالنسبة لجملة من الكلمات التي اعتبروها أفعال من قسم الأفعال.

٤. عدم اقتناع النحاة المتقدمين أنفسهم من تقسيمهم الثلاثي الذي درجوا عليه، وذلك من خلال استدراك بعضهم عليها، كما نقل عن ابن صابر أنه أضاف قسماً رابعاً؛

(١) محمود السعريان، علم اللغة، ص ٢٥٨.

(٢) ينظر: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٤١.

(٣) ينظر: فاضل الساقي، **أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة**.

(٤) ينظر على سبيل المثال: خرما، نايف، أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة^(٦)، ١٩٧٨م، ص ٢٣٣-٢٣٠، و سلوم، تامر، نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، الالاذقية، ط(١)، ١٩٨٣م، ص ١٠. ومذكور، عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٥٠ وما بعدها.

(٥) ينظر: فاضل الساقي، **أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة**، ص ١٠٦-١٣٧. وينظر أيضاً: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالياته، ص ٢٢٩-٢٣٩، و عبد الرحمن، ممدوح، العربية والفكر النحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، ص ٧٤-٩٣.

وهو (الحالفة) متحاوزاً بذلك القسمة الثلاثية^(١)، كما ذكروا أن الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) يرى الظروف غير الأسماء والمحروف^(٢)، كذلك مناقشتهم لهذه القسمة واعتراض بعضهم عليها، كما فعل ابن السيد البطليوسى (ت ٥٢١هـ) حين اعترض على النحاة في تحديد مفاهيم الأسماء، والأفعال، والمحروف، وناقشهم في ذلك^(٣).

وبالتالي فهم - ومن خلال هذه الحجج - كانوا يرون ضرورة إعادة النظر في هذا التقسيم القديم؛ وذلك بالاعتماد على أساس شكلية ووظيفية تضع حداً لاضطراب النحاة المتقدمين في تحديد مفهوم واضح لكل قسم، وبيان علاماته، وبناء على أساس مختلفة؛ فقد توصل كل باحث منهم إلى تقسيم جديد يرى أنه أكثر انسجاماً ودقة، وأبعد عن الاضطراب والتعقيد الذي نتج عن دوران النحاة في هذا التقسيم الثلاثي للكلام العربي، فالدكتور/ إبراهيم أنيس بعد أن انتقد التقسيم القديم، وعرض لجوانب الخلل فيه، حاول تدارك هذا النقص الذي شاب أعمال النحاة؛ حيث قدم أساساً ثلاثة رأى أنها صالحة للتفريق بين أقسام الكلام، وهي: المعنى - والصيغة - ووظيفة اللفظ في الكلام؛ وبناء عليها فهو يطرح تقسيماً رباعياً - لا ينسبة لنفسه - يرى أنه أدق من تقسيم المتقدمين؛ وهو: ١ - الاسم ٢ - الضمير ٣ - الفعل ٤ - الأداة^(٤)،

وأما الدكتور/ مهدي المخزومي فهو يجعلها أربعة بعد أن أضاف إلى الاسم، والفعل، والأداة قسماً رابعاً هو: الكنایات^(٥)، كما أضاف الدكتور/ محمود السعران إلى التقسيم القديم

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الموامع في شرح جمع الجوابع، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(١)، ١٩٩٨م، ٢٢١، ٨٢/٨٣.

(٢) ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، ت: مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة(٥)، ١٩٨٦م، ص ٥٢.

(٣) ينظر: البطليوسى، عبدالله بن السيد، إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، ت: حمزة النشرى، دار المريخ، الرياض، الطبعة(١)، ١٩٧٩م، ص ١٦. وينظر أيضاً: علقمة، حسن عبد الرحمن، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسى، دار البشير، عمان، الطبعة(١)، ١٩٨٨م، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٢٧٩ وما بعدها. وينظر أيضاً: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص ٢٣١-٢٣٣.

(٥) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ٤٦.

قسم رابعا هو: الصفة^(١) .

كذلك جعلها الدكتور/ أنيس فريحة في كتابه: (نظريات في اللغة) ستة أقسام؛ وهي:

١ - الأسماء ٢ - الضمائر ٣ - الأفعال ٤ - الصفات ٥ - الظروف ٦ - الأدوات^(٢) .

وأما الدكتور/ تمام حسان الذي فاق اهتمامه بالتقسيم - ولا شك - اهتمام الكثير من الباحثين المحدثين؛ لأنه يندرج ضمن مشروع طموح لديه لوصف ظواهر اللغة العربية ومستوياتها؛ فإنه بعد أن أورد الأسس التي ينبغي أن يبني عليها تقسيم الكلمات في العربية وهي: الشكل الإملائي، والتوزيع الصرفي، والأسس السياقية، ومعنى الوظيفة، والوظيفة الاجتماعية، فقد قسمها إلى سبعة أقسام وهي:

١ - الاسم ٢ - الصفة ٣ - الفعل ٤ - الضمير ٥ - الخالفة ٦ - الظرف ٧ - الأداة^(٣) ،

ووافقه على هذا التقسيم السباعي تلميذه الدكتور/ فاضل مصطفى الساقي^(٤) .

والحقيقة أن تصنيف النحاة المتقدمين للكلم لم يكن عشوائيا - كما يزعم هؤلاء الباحثون - بل كان عملا عقليا واعيا تونحوا فيه الدقة، العلمية، وال موضوعية، وانطلقوا فيها من أسس منهجية؛ وإن لم يصرحوا بها، أو يناقشوها نظريا في مصنفاتها^(٥) . كما أنهم لم يقدموا تصنيفا وحيدا للكلمة، فقد قدموا تقسيما واحدا أساسيا يضم الأقسام الرئيسية دون الفروع، وآخر تفصيليا ذكروا فيه ما يندرج تحت كل قسم من الأقسام الرئيسية من أقسام فرعية. وبالمقابل فإن تلك الجهدات التي بذلها هؤلاء الباحثون المحدثون في هذا الموضوع، والنتائج التي توصلوا إليها لم تخل بدورها من الملاحظة والنقد التي تناولها بعض الباحثين مؤكدين سلامتها

(١) ينظر: محمود السعراي، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ٢٥٨

(٢) ينظر: أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ص ١٨١-١٨٢

(٣) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٨٦ وما بعدها، وينظر أيضا: حافظ علوى، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص ٢٢١-٢٣٣، و مدوح عبد الرحمن، العربية والفكر التحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، ص ٨١-٨٨

(٤) ينظر: فاضل مصطفى الساقي، ، أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة، ص ١٣٧ وما بعدها.

(٥) ينظر: نحلاة، محمود أحمد، الأسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

١٩٩٤م، ص ١٤-١٦ .

التقسيم القديم وصلاحيته في البحث النحوي^(١).

وعلى الرغم من كل ما ردد من انتقاد لهذه القسمة الثلاثية؛ والاقتراحات الكثيرة التي بنيت عليها؛ فقد بقيت أقسام الكلام في العربية كما رسمها النحاة المتقدمون منذ النشأة الأولى للدراسات النحوية، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة صحة تقسيم النحاة القدماء للكلام؛ بقدر ما يطرح تساؤلات حول جدواه المحدثون من دراسات في هذا الموضوع، بعد الوقوف عليها.

كذلك تناول كثير من الباحثين المحدثين تقسيم النحاة المتقدمين للفعل، وانتقدوا هذا التقسيم، كما أثمن انتقدوا طريقة النحاة في دراسة الفعل، وعلاقته بالزمن؛ وكان من جملة ما آخذهم ما يلي:

- أن النحاة قسموا الفعل بحسب حركات الفلك، لا بحسب مراد المتكلم ومحض السياق، أو بعبارة أخرى "بدل أن يجعلوا التقسيم للزمان، ويزعوا الأفعال عليه جعلوا التقسيم للفعل، وزعوا الأزمنة عليه"^(٢). وهذا - كما يقول الدكتور/ كمال بدري: خلط بين منهجين مختلفين، هما: المنهج النحوي، والمنهج الفلسفى فيما يختص لتفصيلهم للزمن، كما يرى أن هذا الخلط لم يسلم منه كثير من الباحثين القدامى والمحدثين.^(٣)

وقد فرق الدكتور/ تمام حسان بين الوقت الفلسفى، والوقت النحوى؛ فأطلق على الأول: الزمان وأطلق على الثاني: الزمن؛ للتferiq بينهما، كما أيد النحاة في تسميتهم المضارع مضارعا؛ لأن هذه التسمية - كما يقول - ذات دلالة شكلية لا زمانية^(٤)، ولو جرت التسمية في

(١) ينظر: سلمان، عدنان محمد، الاستقراء في النحو، مجلة الجمع العلمي العراقي، جزء(٣) مجلد(٣٥)، شوال ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٤٧-١٥٥. وينظر أيضاً: عبدالدائم، محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، مصر، الطبعة(١)، ٢٠٠٦م، ص ٢١٤-٢١١، و التجار، لطيفة إبراهيم، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود - الآداب - مجلد(١٧)، ٤، ٢٠٠٤م، ص ١-٢٥.

(٢) ينظر: الفضلي، عبد المادي، دراسات في الفعل، دار القلم، بيروت، ط(١)، ١٩٨٢م، ص ٤٦ - ٦٠.

(٣) ينظر: بدري، كمال إبراهيم، الزمن في النحو العربي، دار أممية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة (١)، ٤، ١٤٠٤م، ص ٢٦-٢٧، و ينظر أيضاً: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٤٥-٢٤٩، وإبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٢٤.

(٤) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

الماضي والأمر على هذا النمط؛ لخلت اصطلاحات الزمن في اللغة العربية من عدوى التفكير في الزمان، ولكن اللاحقون من النحاة أقدر على تخلص النحو من براثن الفلسفة^(١).

- أن اعتبار الفعل هو: ما دل على معنى مقتن بزمن يفضي في ضوء استقراء الأمثلة الفعلية إلى أن الفعل في اللغة العربية ينقسم إلى قسمين فقط هما: الماضي والحاضر، أما صيغة الأمر فليس فيها دلالة على الزمان، " ومنه نخلص إلى أن الأمر ليس فعلا - كما يقول الأصوليون - وإنما هو أسلوب إنشائي شأنه في ذلك شأن الأساليب الإنسانية الأخرى من نهي، وشرط، واستفهام، ونداء، وغيرها"^(٢). كما - يرون - أن ارتباط الصيغ بالزمن لا يختص بالأفعال التي ذكرها النحاة وحدها؛ وإنما يلحظ - أيضا - في غيرها من نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر، وأسماء الأفعال في تراكيب بعينها؛ ولهذا السبب جعل الفراء القسم الثالث للأفعال - بعد اعتباره الأمر من المضارع وليس قسما مستقلا - ما أسماه: الفعل الدائم ويقصد به اسم الفاعل العامل^(٣). وبالمقابل فإن هناك بعض الصيغ المدرجة تحت باب الفعل لا تستحق - كما يرون - أن تدرج تحت هذا الباب لعدم دلالتها على الحدث والزمن معا مثل: الفعل الناقص، وأفعال المقاربة، وصيغ التعجب^(٤)

- أن هذا التقسيم الثلاثي، واختلاف صيغه على أقسام الزمن، وربط هذه الصيغ بزمان معين يحمل - كما يقول الدكتور / إبراهيم أنيس - دارس اللغة على الكثير من التكلف في فهم أساليبيها^(٥)، حيث إن هناك أمثلة كثيرة لخدلان الاستعمال اللغوي للربط بين الزمن والصيغة؛ لأنها خرقت ما وضعوه من قواعد صرفية زمنية داخل السياق، مما سبب لهم مشاكل في التطبيق، فاضطروا حينها إلى التأويل والتوجيه بعيد عن اللغة، فالزمن في الجمل الإنسانية،

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٢) عبد الهادي الفضلي، دراسات في الفعل، ص ٢٧ . وينظر كذلك: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتجهيز، ص ١٢٠ ، وإبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص ٢١ .

(٣) ينظر: أحمد مكي الأنباري، أبو زكريا الفراء ومذهبة في اللغة والنحو، ص ٤١٩ . وإبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ص ٢١ .

(٤) ينظر: كمال بدري، الزمن في النحو العربي، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٥) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٢٤ .

والجمل المنفية، والجمل الشرطية لا يتلاءم مع ما قرروه في الأزمنة المريوطة بالصيغ؛ فأجلأهم الحرص على القواعد التي وضعوها أن ينسبوا الزمن فيها إلى الأدوات فقالوا مثلاً: إن (لم) حرف قلب، ولم يعيدوا النظر في نظام الزمن في ضوء قرائن السياق وملابساته^(١).

- النحاة حين ربطوا دلالة الفعل على الزمن بالصيغة الصرفية انشغلوا بمحاجة أخرى، ولم يعنوا بالبحث في الدلالات الزمنية للصيغ الفعلية؛ وهي تتفاعل داخل التركيب، فهم لم يطيلوا النظر في الصيغ المركبة بسبب عدم عنايتهم الكافية بفكرة إعراب الفعل عن الزمن التي قد ترجع إلى أنها تتصل بالمعنى أكثر من اتصالها بالشكل^(٢).

وفي نظري أن النظام الزمني في النحو العربي مفصل وثري – كما يقول الدكتور / تمام حسان – غير أن النحاة أهملوه في دراساتهم؛ لأنشغالهم بالزمن الصرف عن الزمن النحوي^(٣)، فعند دراسة الصيغ المركبة في اللغة العربية يتبين لنا غنى العربية بتفاصيل الزمن وجهاته، ويظهر تهافت دعاوى بعض المستشرقين من أن العربية ناقصة الدلالة على الزمن في أفعالها، أو أنها اكتفت بفعلين ومن أجل ذلك لم يكن فيها سوى زمنين^(٤). وقد حاول كثير من الباحثين المحدثين تعويض ذلك القصور في دراسة الصيغ المركبة في اللغة العربية، ودلالاتها الزمنية المختلفة في الدراسات النحوية القديمة، ومنها ما فعل الدكتور / تمام حسان في كتابه: (اللغة العربية معناها وبناؤها)^(٥).

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٢٤٢-٢٤٣. و ينظر أيضاً: توامة، عبد الجبار، زمن الفعل في اللغة العربية قرائمه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤، ص ٨-٧.

(٢) ينظر: عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللغة العربية قرائمه وجهاته، ص ٧٦. و ينظر أيضاً: آيدن، فريد الدين، الأزمنة في اللغة العربية، دار العبر للطباعة وانشر، إسطنبول، ١٩٩٧، ص ٤.

(٣) ينظر، تمام حسان، الأصول، ص ٦.

(٤) ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٨٣م، ص ١٢٩-١٤٠.

(٥) يضاف إليها جهود كثيرة من الباحثين من نحو: مهدي المخزومي في كتابه: في النحو العربي نقد و توجيه، وأحمد الجواري في كتابه: نحو الفعل، و إبراهيم السامرائي في كتابه: الفعل زمانه وأبنيته ، وكمال بدري في كتابه: الزمن في النحو العربي، و سليمان فياض في كتابه: أزمنة الفعل العربي النحوية، و عصام نور الدين في كتابه: الفعل والزمن، ومالك المطلاعي في كتابه: الزمن واللغة، و عبد الجبار توامة في كتابه: زمن الفعل في اللغة العربية قرائمه وجهاته، وإبراهيم

كذلك تناول عدد من الباحثين المحدثين مفهوم (الجملة) وأقسامها عند النحاة العرب، وانتقدوا موقف النحاة المتقدمين من دراستها؛ حيث يرون بأن حظها من عناء النحاة كان قليلاً، وأن النحاة لم يعنوا بالبحث فيها ألا في ثنايا الفصول والأبواب، ولم يفردو لها أبواباً تحمل نظرة شاملة منسجمة لها، أو مباحث خاصة باستثناء ما فعله ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في كتابه: (المغني)؛ وذلك في فترة متأخرة من مراحل التأليف والبحث النحوي. وقد حاول عدد منهم تحصيص الجملة في بحوث خاصة، تناولت مفهومها، ومناقشة تقسيماتها عند النحاة المتقدمين، ودعوا فيها إلى إعادة النظر في تحديد مفهوم الجملة، كما حاولوا التغلب من إسار هذا التقسيم القديم، فعلى سبيل المثال؛ فقد أضاف الدكتور / فخر الدين قباوة إلى تقسيم النحاة الثنائي قسماً ثالثاً هو : الجملة الشرطية^(١)؛ محتذياً - كما يتضح - في ذلك نهج الزمخشري، ولم يأت بجديد على ما قدمه النحاة العرب المتقدمون.

كذلك قسمها الدكتور / محمد إبراهيم عبادة في كتابه: (الجملة العربية دراسة لغوية نحوية) إلى خمسة أقسام^(٢)، غير أن من يدقق في النظر في هذه الأنماط التي أشار إليها عبادة يستطيع ردها بسهولة إلى الأنماط التي نوه إليها النحاة^(٣). كما أضاف الدكتور / محمود نحلاً ما أسماه (الجملة الجملية)؛ ويقصد بها الجملة التي يكون الخبر فيها جملة اسمية أو فعلية^(٤)، وهو نط سبقه فيه ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) في كتابه: (معنى الليب) تحت اسم (الجملة الكبرى)^(٥).

ومن الباحثين من أقاموا تصنيفاتهم للجملة دون النظر إلى العامل، فقسموا الجمل إلى

الشمسان في كتابه: أبجية الفعل دلالاتها وعلاقتها، وغيرها.

(١) ينظر: قباوة، فخر الدين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (١)، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٢م، ص ٨١.

(٢) ينظر: عبادة، محمد إبراهيم، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص ٢٤.

(٣) عطا موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٦٣.

(٤) ينظر: نحلاً، محمود أحمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٣٧.

(٥) ينظر: ابن هشام، معنى الليب، ٤٥/٢.

إسنادية وغير إسنادية، وكان الذي حداهم إلى ذلك الرغبة في تجنب التقدير والتأويل، فقد قسم الدكتور / عبد الرحمن أبوب الجمل إلى إسنادية، وغير إسنادية، ثم جعل الجمل الإسنادية قسمين: اسمية؛ وهي التي تبدأ باسم، وفعالية؛ وهي التي تبدأ بفعل، وأما الجمل غير الإسنادية فهي تلك الأساليب التي تخلو في نظره من الإسناد كالتعجب، والتحذير، والإغراء، والنداء، وما شاكل ذلك من الأساليب^(١)، " وقد يظن بعض الباحثين أنه يحتذى على صنيع النحاة بتصنيفه الجملة الإسنادية إلى اسمية وفعالية؛ ولكن من ينظر إلى المسألة من خلال المدرسة اللغوية التي يتبناها أبوب؛ وهي مدرسة التحليل الشكلي يلاحظ أنه استند في تصنيفه إلى الشكل والوظيفة في آن معا، الشكل: ويمثله نوع الكلمة التي تبدأ بها الجملة سواء أكانت أسماء فعل، والوظيفة: وتمثلها فكرة الإسناد التي تربط بين المسند والمسنن إليه"^(٢).

كما قام الدكتور / إبراهيم أنيس بتصنيفها إلى قسمين: أو لهما: ما يكون فيه المسند فعلًا في جملة مثبتة أو منافية، والثاني: ما يكون فيه المسند وصفا مشتقا^(٣). مستندا في هذا التصنيف إلى طبيعة المسند فقط، غير أنه بتأثير موقع المسند من الجملة فتقديمه وتأخره في الجملة لا يحدث فرقا في المعنى، إلا في إطار تنويع الأسلوب فقط^(٤).

وأما الدكتور / مهدي المخزومي؛ فإنه بعد أن انتقد النحاة العرب، ورمأهم بالخلط والجهل والاضطراب في تحديد مفهوم الجملة وفي تقسيمها، فقد قسم الجملة بحسب طبيعة المسند إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: الجملة الفعلية: وهي التي يكون المسند فيها فعلًا، وقد عد الجملة الشرطية من عداد الجمل الفعلية ، كما يرى أن نحو: البدر طلع جملة فعلية – وإن كانت في نظر النحاة جملة اسمية - لأنه لم يطرأ عليها جديد إلا تقديم المسند إليه؛ وتقديم المسند إليه - بحسب قوله - لا يغير من طبيعة الجملة. القسم الثاني: الجملة الاسمية: وهي التي لا يكون

(١) ينظر: عبد الرحمن أبوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ١٢٩. وقد أشار الأستاذ / إبراهيم مصطفى إلى هذا النوع من التركيب وسماه: (الجملة الناقصة)، إحياء النحو، ص ١٤٢. وينظر أيضاً: عبد الحميد، ليث أسعد، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة (١)، ٢٠٠٦م، ص ٢٢.

(٢) عطا موسى، مناهج الدرس التحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٦٣.

(٣) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ٣١٩-٣٠٦.

(٤) ينظر: عطا موسى، مناهج الدرس التحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٦٤.

المستند فيها فعلاً، القسم الثالث: الجملة الظرفية: وهي التي يكون المستند فيها ظرفاً أو مضافاً إليه في الأداة^(١).

أما الدكتور / خليل عمایرة فقد اعتبر أن النحاة القدامى اعتمدوا في تقسيمهم للجملة على الشكل دون المضمنون، فكان من النتائج السلبية لذلك: عدم وضوح الإطار الذي تنتظم فيه الجملة، وكان من نتائجه أيضاً الخلط الواضح في إدراج بعض التراكيب اللغوية وحشرها في الاسمية أو الفعلية دون أن تقبلها، كما في نحو: هيئات العقيق، التي هي – كما يقول – جملة فعلية مع أنهم يسمون (هيئات) اسم فعل، ومع أنها - أيضاً - لا تقبل علامات الاسمية، ولا علامات الفعلية، كما أن هناك الكثير من الجمل التي صدرها اسم؛ ولكنهم أدرجوها في الفعلية، وأخرى صنفوها فعلية في حين أن لا فعل في صدرها، ومن هذا المنطلق فقد قسم الجملة إلى قسمين وهما: الجملة التوليدية الاسمية، والجملة التوليدية الفعلية، ولكل قسم منها أطر قد يجري فيها تغيير في مبانيها الصرفية، أو ما فيها من (فونيمات ثانوية)، كالنبر والتنعيم يترب على ذلك تغيير في المعنى، وانتقال في تسمية الجملة؛ فتصبح الجملة جملة تحويلية في معناها، اسمية أو فعلية في مبناها^(٢).

يضاف إلى ذلك كله فإن هناك دراسات كثيرة، وبحوثاً متنوعة أخرى تناولت هذا الموضوع، وتوسعت فيه، وانتقدت تعامل النحاة معه لا يسعني تناولها هنا^(٣).

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٣٩-٤٩.

(٢) ينظر: عمایرة، خليل، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، الزرقاء، ط(١)، ١٩٨٧م، ص ٨٧-١٠٠.

(٣) هناك الكثير من الدراسات والبحوث التي تناولت الجملة في النحو العربي سواء بالدراسة، أو النقد، أو التوضيح أو الإضافة أو إعادة التقسيم، من أبرزها:

- | | |
|-----------------------|------------------------------------|
| تمام حسان | - اللغة العربية معناها ومبناها |
| فاضل السامرائي | - الجملة العربية تأليفها وأقسامها |
| فاضل السامرائي | - الجملة العربية والمعنى |
| محمد حماسة عبد اللطيف | - في بناء الجملة العربية |
| مهدي المخزومي | - في النحو العربي نقد وتوجيه |
| خليل عمایرة | - في نحو اللغة وتراكيبها |
| محمد إبراهيم عبادة | - الجملة العربية دراسة لغوية نحوية |
| علي جابر المنصوري | - الدلالة الزمنية للجملة العربية |

=

والحق - في نظري - أن النحاة المتقدمين تناولوا الجملة في ثانيا الفصول والأبواب النحوية، ولم يفردوا لها مصنفات أو أبواباً أو فصولاً، لأنهم تركوا ذلك فيما بعد للدرس البلاغي. وما جاء به عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه: **(دلائل الإعجاز)** خير مثال على ذلك، حيث نالت الجملة على يديه العناية الكاملة ما جعل كثيراً من الباحثين المحدثين يعتقدون بأن ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في هذا الكتاب يمثل قمة الدراسة النحوية، وأن النحو لم يكن مجرد، ولا مرضياً إلا بمحاجة هذه الدراسة. كما يرون بأن تناوله للجملة فيها لا يختلف كثيراً عن دراسة الجملة بالمفهوم الحديث^(١).

ومن هذه الدراسات التي استهدفت التقسيمات النحوية بالنقد والمراجعة مقام به الدكتور / فاضل السامرائي حين تناول أقسام **(المفعول المطلق)** عند النحاة المتقدمين بالانتقاد، ورأى أنها قاصرة، ولم تستوف كل أقسامه، بالإضافة إلى أنها توقع في إشكالات وخلط، وبالتالي فلا بد من إعادة النظر في تقسيم النحاة العرب له؛ لتلافي ذلك القصور^(٢). أيضاً يضاف إلى هذا النوع من الدراسات مقام به الدكتور / سليم النعيمي في دراسته **الطريقة لـ(اسم الفعل)**؛ حيث ناقش فيها الأدلة التي استند عليها النحويون على اسمية هذه الصيغ، مؤكداً أنها لا تثبت أمام النقد الصحيح، ثم أعاد توزيع هذه الصيغ على أبوابها النحوية التي تنتمي إليها - كما يرى - في أصل وضعها^(٣).

-
- أصول تراثية في علم اللغة
 - بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو
 - الجملة بين النحو العربي واللسانيات المعاصرة مفهومها وبنيتها. وداد ميهوبي

(١) ينظر: دك الباب، جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني (نظريات الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث)، مطبعة الجليل، دمشق، الطبعة (١)، ١٩٨٠م، ص ١٣٣. وينظر أيضاً: اللغة العربية معناها وبنيتها، ص ١٧-١٩. وينظر أيضاً: وداد ميهوبي، الجملة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة مفهومها وبنيتها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٧٦-٨٤.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، أقسام المفعول المطلق بين النحاة وكلام العرب، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد (١٠)، ١٩٨٤م، ص ٨١.

(٣) ينظر: النعيمي، سليم، اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (١٦)، ١٩٦٨م، ص ٦٠-٦١.

هذه أبرز المآخذ على مستوى التصنيف، والتبويب، والتقسيم والتي كان لها أكبر الأثر في جهود الباحثين المحدثين، على مستوى التأليف والبحث النحوي.

المبحث الثالث

المأخذ على التعريف

تتردد كلمة: **(القاعدة)** بوصفها مصطلحا في ميادين علمية متنوعة، كالفقه، والعقيدة، والتفسير، والمنطق، واللغة، والنحو، وغيرها من العلوم. ويقصد بها في المعنى الاصطلاحي العام: مجموعة الضوابط، أو القوانين، أو الأحكام التي ينبغي مراعاتها في العلم. ويعرفها علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في كتابه: **(التعريفات)** بأنها: "القضية الكلية التي تطبق على جميع جزئياتها" ^(١).

ومصطلح **(القاعدة)** لم يكن معروفا في الجهد النحوية بهذا المفهوم الاصطلاحي عند النحاة الأوائل، ولم يستخدم حتى القرن الثالث؛ على الرغم من وضوح المفهوم في أذهان النحاة، "فإنهم حين ينظرون، أو يحللون الكلام يكون في وعيهم مجموعة من ضوابط النظام التركيبي التي استخلصوها بالنظر والتأمل في كلام العرب المخج به" ^(٢). غير أنهم استخدموها ألفاظا أخرى تؤدي المعنى المراد بالمصطلح؛ ومن أشهرها: القياس؛ حيث إنه ر بما "يطلق على القاعدة، أو القانون الذي يستنبط من استقراء الكلام" ^(٣) وما قول عبد الله ابن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ) لتلميذه يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) "عليك بباب من النحو يطرد وينقاد" ^(٤) إلا بهذا المعنى، كذلك استخدم سيبويه (ت ١٨٠هـ) كلمة **(القياس)** بمعنى **(القاعدة)** غير مرة في كتابه، كما أن النحاة المتقدمين استخدموها ألفاظا أخرى - أيضا - للتعبير عن هذا المعنى نحو: الأصل، والمذهب، والحد، والوجه، وغيرها من الألفاظ، ومع تطور الدرس النحوي وتشعبه، وتجريد الضوابط لنظام اللغة التركيبي أصبحت الكلمة تشيع عند النحاة الذين

(١) الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة (١)، ١٤٠٥هـ، ص ٢١٩.

(٢) الجاسم، محمود حسن، **القاعدة النحوية تحليل ونقد**، دار الفكر، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ص ٢٨.

(٣) مني إلياس، **القياس في النحو**، ص ٧٩.

(٤) ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ١٥/١.

جاووا بعد ذلك^(١).

وعندما ننظر في ميدان الدرس النحوي فيما بعد نجد أن هذا المصطلح يتداول بكثرة في الدراسات النحوية القديمة والحديثة في سياق التنظير أو التحليل، ويكون المقصود به في الدرس النحوي هو: تلك القوانين الثابتة، أو الأحكام الكلية والجزئية التي يتمثل بها النظام التركيبي لشواهد اللغة، وتكون معيارا يقاس عليه الكلام: أو هو: المقولات النظرية المجردة التي تضبط، وتعكس ثوابت النظام التركيبي للغة العربية، والتي تكون معايير ينبغي ألا تختلف في قياس الكلام، وتحليله نحويا^(٢). و من خلال هذا يمكن القول بأنها بمثابة "الأداة أو الآلة التي تتيح للإنسان أن يتكلم اللغة، والتي تحدد شروط التواصل والتفاهم، وضوابطها بين أبناء اللغة الواحدة"^(٣). ويعرفها الدكتور / حسام أحمد قاسم بأنها "جملة ذات شروط صياغية خاصة، تقنن الصفات المشتركة بين أقسام المادة اللغوية، وتحدد العلاقات بينها"^(٤).

وقد استخلص النحاة معظم القواعد النحوية من الظواهر المطردة في اللغة، وهذا قسم متفق عليه عند جمهور النحويين، أما القسم الآخر؛ وهو ما اختلف عليه، وشكل حينها ملمحا بارزا من ملامح الخلاف النحوي، ويعود السبب في عدم الاتفاق على هذه القواعد إلى أمرين: الأول هو اضطراب مفهوم المطرد عند النحاة أحيانا، فهناك أنماط تركيبية يعتقد بعض النحاة أنها تطرد في الكلام شرعاً ونثراً، فيجعل منها قاعدة يقيس عليها، على حين يعتقد بعضهم الآخر أن هذه الأنماط لا تطرد في كلام العرب؛ وبالتالي لا يجوز القياس عليها. أما السبب الآخر الذي أدى إلى الخلاف في بعض القواعد: فهو المعيار الذي يتحذذه النحوي للتعقيد، فهناك من يتشدد في المعيار، ولا يقبل التعقيد إلا للمطرد، كالبصريين، وهناك من يتسع في المعيار، فيقبل التعقيد لما لم يطرد كالكوفيين بشكل عام^(٥).

(١) ينظر: محمود الجاسم، القاعدة النحوية تحليل ونقد، ص ٣٥-٢٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠.

(٣) زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية ، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٥م، ص ٧٥.

(٤) حسام قاسم، الأسس المنهجية للنحو العربي، ص ١٧٢.

(٥) ينظر: محمود الجاسم، القاعدة النحوية تحليل ونقد، ص ٢٦-٢٧ . وينظر أيضا: محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية ، ص ٢٦ ، ٥١-٥٠.

ولا شك في أن الغاية الرئيسية من وضع علم النحو كانت حفظ اللغة العربية، وصيانتها من اللحن، وقد بذل النحاة المتقدمون في سبيل ذلك جهوداً كبيرة؛ حيث إنهم - في البداية - حددوا مفهوم اللغة العربية الصالحة للاحتجاج بها؛ منطلقين من معايير محددة تتعلق بالمكان، والزمان، والقبائل التي يؤخذ منها، والرواة الذين ينقل عنهم^(١). ثم إنهم بعد ذلك بدؤوا بجمع المادة اللغوية من الناطقين العرب الخالص الذين يفترض بأنهم لم يتأثروا بالأمم الأخرى المجاورة؛ سواء بالذهاب إليهم، أو تلقيهم، وفق الضوابط والمعايير التي اعتمدوها في ذلك، ثم قاموا بتصنيفها وتنظيمها، وذلك للوصول إلى الأقىسة، والأحكام، والقواعد التي تنتظمها.

ويبدو أنّ جهود النحاة العرب في استخلاص القواعد - مع صعوبتها - قد مرّت بمراحل عديدة، فإنهم بعد أن بينوا معايير الاحتجاج، وشروطه راحوا ينظرون في شواهد العربية متنقلين في مواطن العرب الصالحة لبناء القواعد عليها، يتأمرون ويتدارسون ما يقع بين أيديهم من مادة علمية، ويقيسون بعض الشواهد على بعض؛ حتى يستخلصوا مظاهر الاختلاف والاتفاق بين عناصر النظام التركيبي المتعددة، وخصوصية كل منها، ولما تمكنوا من ذلك شرعوا في تحريد مقولاتهم النظرية بمصطلحات معينة تعبّر عن الكليات التي قادت إليها القضايا المصنفة الجزئية التي تشكلها، والتي كانت في بداياتها قلقة، ثم استقرت، ونضحت بعد ذلك مع تطور الدرس النحوي؛ ليصلوا بعد ذلك إلى وصف العلاقات المتشابهة في قانون هو: (القاعدة)^(٢).

ونظراً لاختلاف الشواهد، وتنوع المسموع، فقد تنوّعت القواعد من حيث الإجماع والخلاف في أمرها؛ فإذا كانت الشواهد مطردة أي: شائعة بكثرة استخلصت لها قواعد مجمع عليها، أما إذا لم تكن الشواهد مطردة مثل: بعض الشواهد الشعرية، والظواهر اللهجية، فالقواعد المبنية عليها لم تحظ بالإجماع عند النحاة، وبالتالي فقد شكلت خلافاً في الدرس النحوي من حيث قبولها والاحتجاج بها من الأساس، أو في جعلها دليلاً في استخلاص القواعد، بعد الاعتراف بصحتها^(٣).

(١) ينظر: ص ٨٠-٧٥ من البحث.

(٢) ينظر: محمود الجاسم، القاعدة التحوية تحليل ونقد، ص ٥١، ١٦٨ . وينظر أيضاً، محمد حماسة عبد الطيف، الضرورة الشعرية، ص ٨٤ . و تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٦٢-١٦٤ .

(٣) ينظر: محمود الجاسم، القاعدة التحوية تحليل ونقد، ص ٦٧-٩٢ .

لقد كانت نظرة النحاة المتقدمين إلى اللغة - بشكل عام - نظرة عميقة و شاملة؛ وهذا واضح بشكل كبير في جهودهم، وفي مؤلفاتهم، فقد أشادوا قواعدها على أساس ثابتة و متينة، جعلها تصمد كثيرا أمام الانتقادات، و تتأبى على كثير من محاولات التغيير قد يها و حديثا، وهذه القواعد على دقتها، وإحكامها، وإخلاص العلماء فيها لم تخُل - بحسب نظر كثير من الباحثين المحدثين - من ثغرات في بنائها ربما أضعفها تمسكها، و لم تسلم - أيضا - من هفوات، وشوائب شوهدت جمالها، و ظهرت شيئا من بريقها؛ ومن أبرز تلك المأخذ التي تناولوها في دراساتهم ما يلي:

أ- فرض القواعد النحوية على الاستعمال اللغوي.

لقد بذل النحاة المتقدمون جهدا كبيرا في جمع اللغة، واستقرائها، وتقسيمها، ثم بعد ذلك في وضع القواعد النحوية التي تصفها، وكما قال الدكتور / تمام حسان: "فقد تم ذلك كله على نحو يثير الإعجاب، وقد بذل فيه من الجهد ما سوف يظل أثره ملحوظا، أبدا الدهر" ^(١). وفي رأي كثير من الباحثين المحدثين فإن تلك الخطوات التي اتخذت في سبيل ذلك قد توافرت فيها العناصر الأساسية للمنهج الوصفي السليم؛ رغم بعض الاعتراضات المنهجية في جمع المادة اللغوية واستقرائها؛ والتي سبقت الإشارة إليها في الفصل السابق.

ويرى عدد من الباحثين المحدثين أن النحاة؛ وبالرغم مما بذلوا من جهود في سبيل تعريف القواعد، فإنهم انحرفو عن الاتجاه الصحيح بعد ذلك، حيث إنهم بعد أن انتهوا زمن الاستشهاد كان عليهم أن يستمروا في دراسة اللغة دون أن تتجدد الشواهد لديهم، فاضطروا أن يدوروا حول ما وضعه السلف من قواعد، فجعلوا كلامهم عنها لا عن مادة اللغة ، وكما يقول الدكتور / تمام حسان: "لم يعد ثمة مكان للاستقراء، لأن السلف في نظرهم كانوا قد أتموا هذه العملية، وأوقفوا العمل فيها بفرض الجديد من الشواهد، وهنا بدأ فرض القواعد على الأمثلة، وببدأ التمرينات العقلية في تركيب الجمل، وببدأ القول بالوجوب والجواز، وأصبحت القواعد سيدة النص" ^(٢).

(١) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصيفية، ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢.

فالنحاة - بحسب نظرهم - جعلوا القواعد مقدمة على الاستعمال اللغوي، والمعايير على الواقع اللغوي، مخالفين في ذلك الفهم الصحيح للقاعدة. وهؤلاء الباحثون يرون أن القاعدة النحوية يجب أن يقتصر دورها على وصف الظواهر المشتركة في عبارة مختصرة محددة، ومسؤولية اللغوي - حينها - أن يصف الحقائق لا أن يفرض القواعد؛ إذ "ليست القاعدة هنا قانوناً يفرضه الباحث على المتكلمين باللغة؛ فمن وافقه كان محسناً، ومن خالفه كان مسيئاً، وإنما هو تعبير عن شيء لاحظه الباحث، وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة قدر الإمكان"^(١). وكما يقول الدكتور / حسن عون فإن النحاة "لم يظهروا في مواقف عدّة ينمّون فيها تمسّكهم الشديد بحرفية القواعد التي وضعوها أو تلقواها، من هذه المواقف ما نجده في بعض الشواهد الأدبية، وطريقة تحكمهم في فهمها، وفي بعض الآيات القرآنية، ومحاولتهم فرض قواعدهم على قراءاتنا، وتخطّطهم القراء إنهم أخلوا بتلك القواعد"^(٢).

ويرى هؤلاء الباحثون أن النحاة بهذا الأمر جعلوا اللغة حبيسة خلف قضبان قواعدهم العتيدة، إذ أصبحت مهمتهم سن المعايير للمتكلمين باللغة، والسيطرة عليها، وهو كما يصفهم الدكتور / تمام حسان: "فكروا في اللغة تفكير من يخضع الصواب والخطأ في استعمالها لا لمقاييس اجتماعي، بل لمجموعة من القواعد يفرضها عليها فرضاً، ويجعل كل مالاً تنطبق عليه هذه القواعد إما شاداً، أو خطأً ينبغي ألا يدخل في دائرة الاستعمال العام؛ ولو كان أشياع على الألسنة"^(٣). والسبب في ذلك كله - كما يقول الدكتور / تمام حسان - أنهم نظروا إلى اللغة من زاوية المتكلم، لا من زاوية الباحث الذي يفترض أن يقصر نشاطه على الملاحظة، والوصف، والتسجيل^(٤).

ويتقدّم الدكتور / السيد رزق الطويل صنيع النحاة هذا؛ حيث إن اللغة - كما يقول -

(١) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٦٢.

(٢) عون، حسن، اللغة والنحو دراسات تاريخية وتحليلية ومقارنة، مطبعة رویال خلف إسكندرية ، الطبعة (١)، ١٩٥٢م، ص ٨٧.

(٣) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٦.

(٤) ينظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٦.

صادرة عن المجتمع منذ وجوده؛ تتطور بتطوره، وتنمو بنموه؛ وهي ملك لكل أفراد المجتمع؛ لأنها لسان كل منهم، وبالتالي فمن المخالفة الواضحة والصريحة لطبيعتها ربطها بالمنطق، أو استعارة أصول الفقه، ومقاييس الجرح والتعديل، وتطبيقها على القواعد النحوية، ومن هذا المنطلق، فهو ينادي بتحريف قواعد النحو من كل آثار الجدل الفلسفية، والدراسات الفقهية^(١).

أما الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف فهو يقرر أن دور القاعدة النحوية يجب أن يقتصر على وصف الظواهر المشتركة في عبارة مختصرة محددة، مشددا على أنه ليس من مسؤولية الباحث أن يقف موقف الحارس على اللغة يذود عنها ما يخالف قواعدها؛ لأن القواعد النحوية ليست قانونا يفرضه الباحث على المتكلمين باللغة، وهذا هو الفهم الوصفي للقاعدة^(٢). لكن النحاة - بحسب تعبيره - حاولوا وضع اللغة خلف قضبان قواعدهم التي لا تلين، وكثير في كلامهم يجب كذا، ولا يجوز كذا، وأصبحت مهمتهم سن المعايير لآخرين وفرضها عليهم، والسيطرة على اللغة، كما أنهم نظروا إلى قواعدهم على أنها قوانين لابد أن تفرض على المتكلمين، ونصبوا أنفسهم حراسا على تلك القواعد، التي لم تنبع من اللغة وحدها، بل من القياس أيضا^(٣). وكان من نتائج هذا المنهج الذي سلكوه - حسبما يرى - ما يلي^(٤) :

- القول بتراتيب لم تسمع عن العرب ولم يقولوا بها: فقد أجاز النحاة أساليب لم يسموها عن العرب؛ معتمدين في ذلك على القياس المنطقي؛ وفي كتب النحاة المتقدمين مثل : سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ)، والزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، وغيرهم، نماذج كثيرة مثل هذا ؛ مما يعني أنهم وضعوا أنفسهم موضع المتكلم في اختراع تعبيرات في اللغة، وفرضها على المتكلمين.

- رفض بعض ما جاء عن العرب، وسمع عنهم: حيث رفض النحاة المتقدمون بعض ما سمع عن العرب، وأبوا أن يأخذوا به، والدافع في ذلك كله - كما يقول الدكتور / محمد

(١) ينظر: السيد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين، ص ٦١٨ - ٦٢١.

(٢) ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية، ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٥ - ١٠٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٢٥. وينظر أيضا: عبد الله المختران، مراحل تطور الدرس النحوي، ص ٢١٢.

حماسة -: محاولة طرد القاعدة، كرفضهم بعض القراءات القرآنية، وتحطيم القراء، ورفضهم الأخذ عن بعض القبائل العربية فغي تلك الفترة، وعدم الاعتداد بها في الاستشهاد؛ لاعتقادهم عدم فصاحة ذويها.

- **تحطيم العرب**: وذلك - كما يقول الدكتور / محمد حماسة - أن النحاة وضعوا هذه القواعد ثم فرضوها معايير على أصحاب اللغة أنفسهم؛ ولذا كثر في كلامهم تحطيم العرب وتلحينهم، وهذا - بالضرورة - ناشئ عن محاولة طردهم ظواهر اللغة. بل إنهم تحاولوا ذلك حتى أطلقوا على القراءات القرآنية. إذ يرى كثير من الباحثين أن من أسباب تلحين النحاة للقراءات القرآنية والطعن فيها، أن النحاة إنما كانوا يكتومون في ذلك إلى ماسنوه من قواعد ومقاييس، فيعرضون القراءات القرآنية على هذه القواعد والأقيسة؛ فإذا وافقت القراءة القاعدة قبلوها، وإذا خالفت القاعدة ردوها، وحنوها، وطعنوا فيها^(١).

- **لجوء النحاة إلى التأويل، والتقدير، والحدف، والاستثار، والتشبيه، والحمل على المعنى**: ويرى أن ذلك كان ضرورياً للنحاة، ذلك أن النحاة نظروا إلى قواعد اللغة على أنها قوانين لابد أن تفرض على المتكلمين، كما أنهم أرادوا أن يظهروا هذه القواعد في صورة محكمة حتى لا يتطرق إليها الشك، فأخذنوا يلتوون عنق النص كرهاً، ويتحاللون عليه، بوسائل شتى ليذعن للقاعدة، واعتراض في ذلك على الدكتور / علي النجدي ناصف الذي يرى أن التقدير والتأويل كليهما ضرورة في النحو العربي؛ لكثرة الإيجاز والحدف في اللغة العربية.

كذلك يرى الدكتور محمد حماسة أن التشبيه والحمل على المعنى؛ إنما لجأ إليها - أيضاً - النحاة تحت ضغط طرد القاعدة.

- **كثرة الحكم بالشذوذ، والندرة، والقلة**: وهي - كما يرى - ناتجة في كثير منها من محاولتهم طرد القاعدة، و من تدخل القياس المنطقي في التعريف النحوي، وهو يعيّب على النحاة في عدم تحديدهم نسبة الكثير إلى غيره تحديداً دقيقاً؛ مما فتح مجال لكثرة الخلافات

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوی عند العرب، ص ٢٥، وينظر أيضاً: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص ٣١-٣٣.

بينهم.

- **الضرورة الشعرية:** حيث يرى الدكتور / محمد حماسة أنها مظاهر من مظاهر معيارية القاعدة النحوية، وهي ناتجة - بحسب قوله - في جانب كثير منها إلى الخلط بين مستويات اللغة عند التقعيد؛ حيث ينتج عن هذا الخلط كثير من الظواهر التي تخرج عما وضعوه من قواعد أرادوا لها الاطراد.

ويقول الأستاذ / عباس حسن منتقدا سيطرة القاعدة على تفكير النحاة: "فإن أعزهم التأويل والتمحّل أسعفهم الحكم بالقلة، والندرة، أو الشذوذ، أو ما شابه ذلك يقضون بها على كل ما يخالف ضوابطهم وأحكامهم؛ وما مرد ذلك إلا أنهم ضيقوا، وتشددوا في الأخذ عن العرب، فوجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة؛ ولكنها تخالف مذهبهم، وتعارض مع قواعدهم، مما كان أمامهم إلا اللجوء إلى التأويل"^(١).

ويرى الدكتور / محمد عيد أن الذي يتحكم في مواقف النحاة هو القواعد المعيارية التي وضعوها لا منطق الحياة العادلة؛ وبالتالي "فقد دارت نظرتهم حول إخضاع اللغة لمنطق صارم وضعوه، ثم التزمواه. فالقواعد التي يصلون إليها يجب أن تراعي، وأن تطرد؛ فإذا حدث ما يخالف تلك القواعد - مما سبب بعضه التفرد أو الخطأ في النقل - رأوا فيها مخالفات ينبغي البحث عن تبريرها وتوجيهها موجهي نظرتهم إليها من خلال القواعد التي خالفتها النصوص، ومعرضين في غالب الأحيان عن التسامح المطلوب مع تلك الأمور العادلة"^(٢).

ويؤكد الدكتور / أحمد مكي الأنصاري أن النحاة تعاملوا مع القراءات القرآنية حين تعارض مع القواعد النحوية بشكل غريب؛ إذ إنهم كما يقول: "حينما تصدوا للنحو وضعوا القواعد النحوية في كفة، ووضعوا القراءات القرآنية في كفة أخرى؛ مما وافق منها القواعد النحوية وافقوا عليه، واعتمدوه وما تعارض مع القواعد عارضوه، أو تأولوه؛ إن قبل التأويل، وإن لم يقبل التأويل كان من نصيبيه المعارضة الصريحة أو الخفية"^(٣). وهو يتعجب من موقف النحاة

(١) عباس حسن، اللغة والنحو، ص ٩٩.

(٢) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص ٥٦.

(٣) أحمد مكي الأنصاري، نظرية النحو القرآني، ص ٥١.

الذي يرفض القراءات وينقطعها - كما يقول -: "بمجرد أنها خالفت شيئاً من القواعد النحوية"^(١) ثم يتساءل مستنكرة عليهم هذا الموقف "أليس من الأجرد بنا أن نعدل هذه القواعد بحيث تشمل جميع الوارد من الشواهد؟؟"^(٢) . فالنحاة لم يرتضوا قسماً غير قليل من القراءات النحوية؛ لأنها - كما يرى - اصطدمت بالقواعد النحوية التي وضعوها^(٣) .

وقد عَبَّرُ الدَّكْتُورُ / أَحْمَدُ حَاطُومُ فِي كِتَابِهِ: (اللُّغَةُ لَيْسَ عَقْلًا) عَنْ هَذِهِ الْفَكْرَةِ خَيْرًا تَعْبِيرًا حِينَ أَطْلَقَ مَسْمِيًّا: (قَاعِدَةُ النَّحَّاَةِ)، أَوْ (الْقَوَاعِدُ النَّحَّاتِيَّةُ) عَلَى تَلْكَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي اسْتَمْدَتْ - كَمَا يَقُولُ - مِنْ رَغْبَاتِ النَّحْوِيِّ، وَآرَائِهِ الْشَّخْصِيَّةِ، وَأَفْكَارِهِ، وَمَنْطَقَهِ الْعُقْلَيِّ بِمَقَايِيسِهِ الْمُعْرُوفَةِ، بَدْلًا مِنْ مَنْطَقِ الْلِّسَانِ وَالْحَكَامِ وَشَوَاهِدِهِ^(٤) .

لقد حاولَ الدَّكْتُورُ / عَلَيْ أَبُو الْمَكَارِمِ أَنْ يَقْفِي عَلَى فَهْمِ حَقِيقَةِ مَوْقِفِ النَّحَّاَةِ مِنَ النَّصُوصِ الْمُخَالِفَةِ لِلْقَوَاعِدِ النَّحَوِيَّةِ فِي عَصْرِ الْإِسْتَشَهَادِ، وَهُوَ يَرَى فِيهِ أَنَّهُ لَا خَلَافَ بَيْنَ النَّحَّاَةِ الْمُتَقْدِمِينَ فِي حَجِّيَّةِ النَّصُوصِ فِي تَلْكَ الْمَرْحَلَةِ؛ وَأَنَّ مَا وَرَدَ مِنْ عَدَمِ الْإِحْتِاجَاجِ بِعَضِ شُعَرِ الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ، أَوْ رَفْضِ بَعْضِ شُعَرِهِمْ فِي تَلْكَ الْمَرْحَلَةِ كَالْفَرَزِدِقِ (ت ١١٠هـ)، وَذِي الرَّمَةِ (ت ١١٧هـ)، وَالْكَمِيتِ (ت ١٢٦هـ)، مِنْ قَبْلِ بَعْضِ النَّحَّاَةِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقِ الْحَضْرَمِيِّ (ت ١١٧هـ)، وَعَيْسَى بْنِ عُمَرِ (ت ١٤٩هـ)، وَأَبِي عُمَرِ بْنِ الْعَلَاءِ (ت ١٤٩هـ)، لَا يَنْبَعُ مِنْ مَوْقِفِ لَغْوِيِّ صِرْفٍ؛ وَإِنَّمَا يَمْتَدِّ فِي حَقِيقَتِهِ مِنْ ذُوقِ فَنِيِّ خَالِصٍ، بِسَبَبِ مَيْلِهِمْ لِلشِّعْرِ الْقَدِيمِ، وَعِنْ اِنْتِهِمْ بِهِ؛ وَمِنْ الْطَّبَعِيِّ - كَمَا يَقُولُ - أَنْ تَرْتَكَ هَذِهِ الْعِنَايَةَ أَثْرَهَا فِي تَذْوَقِ النَّصُوصِ الْمُعَاصِرَةِ لَهُمْ؛ فَإِنَّ الْمُعَاصِرَةَ حِجَابٌ، كَمَا أَنْ رَفْضَ بَعْضِ النَّصُوصِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِ بِعَضِ الشُّعَرَاءِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَصُورَ هَذَا عَلَى أَنَّهُ يَدْلِلُ عَلَى عَدَمِ الْإِحْتِاجَاجِ بِهُؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ عَنْدَ النَّحَّاَةِ فِي عَصْرِ الْإِسْتَشَهَادِ؛ فَالْحُجَّيَّةُ عَنْدَ هَذَا الْفَرِيقِ مِنَ الْعُلَمَاءِ "إِنَّمَا تَعْنِي بِبِسَاطَةِ وَاضْحَاءِ وَقَاطِعَةِ مَعَا اِتْسَاقِ الْإِسْتَشَهَادِ" .

(١) أَحْمَدُ مَكِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، نَظَرِيَّةُ النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ، ص ٥٤.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص ٥٤.

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، وَيَنْظَرُ: ص ٤٢-٤٥ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ.

(٤) يَنْظَرُ: حَاطُومُ، أَحْمَدُ، الْلُّغَةُ لَيْسَ عَقْلًا مِنْ خَلَالِ الْلِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، دَارُ الْفَكْرِ الْلَّبَنَانِيِّ لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْرَ، بَيْرُوتُ، د.ت.

ص ١٥٥-١٥٧.

النصوص مع القواعد؛ وليس انتساب النصوص إلى عصر، وانتسابها إلى قائل^(١).

ويؤكد الدكتور / أبو المكارم أن هذا الفهم انعكس أيضاً على مواقف النحاة في عصر الاستشهاد من النصوص المخالفة للقواعد، إذ إنهم انقسموا في ذلك إلى اتجاهين وهما:

الاتجاه الأول: وقد ذهب إلى رفض النصوص التي تخالف القواعد التي وضعوها، والأحكام التي فرضوها. وقد بني أصحاب هذا الاتجاه قواعدهم على ما يطرد من الظواهر والنصوص جميعاً، وهم يرفضون ما يخالفها سواءً كانت ظواهر غريبة لا تشيع في النصوص، أم نصوصاً قليلة لا يؤيدها المروي والمسموع، ويردون هذه الظواهر والنصوص معاً إلى جهل أصحابها، أو إلى خطئهم في إدراك القواعد، أو في تطبيقها.

الاتجاه الثاني: ويدعو أصحابه إلى قبول كل النصوص المروية والمسموعة سواءً أوقفت القواعد التي يقررونها، أم لم توقفها. أما النصوص الموافقة للقواعد، فإنها عندهم مصدر التقنين النحوي، ومن ثم فإن قبولهم لا يحتاج إلى توضيح، وأما النصوص المخالفة للقواعد، فإنهم في إقرارهم لصحتها كانوا مدفوعين بظروف كثيرة، وبذلك أصبح أصحاب هذا الاتجاه - كما يقول - ملتزمين منهجياً بتصحيح كل ما يرد من النصوص التي كثيرة منها ينتمي إلى مستويات متعددة الخصائص، متباعدة العلاقات، ومن ثم مختلفة الأحكام، ولذلك فإنه مهما كان الالتزام بالنصوص، ومهما كان من اتساع القواعد، فإنه لابد من وجود اختلاف من نوع ما بين النصوص والقواعد، وهو ما حدث بالفعل؛ حيث لم يجد أصحاب هذا الاتجاه بدا من اتخاذ مسالك لا يتناقضون فيها مع أنفسهم، ولا تضطرب فيها العلاقة بين القواعد التي قرروها من جهة، والنصوص التي التزموا بها من جهة أخرى، فلم تكن المسالك تلك سوى المحاولات الأولى لتأويل النصوص؛ حتى تلتقي مع القواعد المتبعة، ثم تطورت تلك المحاولات في مراحل لاحقة لتشكل منهاجاً متكاملاً في تناول النصوص وتخرج ما يخالف القواعد منها؛ حيث امتد وتطور - كما يقول د/ أبو المكارم - بصورة أكبر عند علماء ما بعد عصر الاستشهاد^(٢).

(١) علي أبو المكارم، *أصول التفكير النحوي*، ص ٢٥٥.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، *أصول التفكير النحوي*، ص ٢٥٥ - ٢٦١.

والذي يظهر للباحث في هذا الموضوع أن ذلك حدث بسبب أن النحاة قعدوا قواعدهم، وبنوا أحکامهم معتمدين على ما توافر لهم من كلام العرب؛ وذلك من المادة المسموعة التي جمعوها وارتضوها للتقعيد، وهذا ولاشك لم يكن عملا سهلا؛ بل إنه احتاج منهم إلى تتبع طويل، وجهد ضخم، غير أن النحاة؛ وبالرغم من ذلك الجهد ندت عنهم شواهد كثيرة، وأساليب عديدة لم يعتمدوها في التقعيد، فصاغوا أحکامهم بناء على استقراء ناقص جعل كثيرا من القواعد النحوية التي وضعوها تصطدم بالاستعمال اللغوي في زمن الاحتجاج، سواء مما استبعدوه من تلك اللغات عمدا ، ثم اعتمدوا كثيرا منها في مراحل لاحقة، و التزموها في التقين النحوي، أو ما فاتهم من المادة اللغوية في اللغات التي أجازوا الاستشهاد بها، فاضطروا حينها إلى اعتساف التأويلات، أو التعليل بالضورات، أو الحكم بالشذوذ في كثير من الحالات، لتفق مع أحکامهم، وقواعدهم النحوية التي قرروها.

ب - فقدان القواعد النحوية خصائص الصناعة المنضبطة وضوابط العلم.

أشار الدكتور / تمام حسان في كتابه : (الأصول دراسة أسيستومولوجية للفكر اللغوي عند العرب) إلى الفرق بين العلم المضبوط وغير المضبوط، فالأول يتميز بعدد من الخصائص يتميز بها عن العلم غير المضبوط، وهي كما يلي^(١) :

- الموضوعية: ولها دعامتان تقوم عليهما وتحقق بهما، أولاهما: الاستقراء الناقص، وثانيتهما: صلاحية النتائج للتحقيق والضبط، وذلك باختبار صدق النتائج التي يصل إليها الباحث.
- الشمول: إذ لا يصح أن نقنع بدراسة بعض الظواهر دون بعض، وتحقق ذلك بوسائلين هما: الحتمية، ويقصد به: القياس، وتجريد الثوابت، بواسطة الاعتماد على المتغيرات. والمقصود بالمتغيرات: المفردات، والمقصود بالثوابت: الأطر الفكرية التي تعبّر عن المفردات.
- التماسك: والمقصود به ترابط عناصر الموضوع المدروس؛ ولهذا التمسك طريقان: عدم

(١) ينظر: تمام حسان، الأصول دراسة أسيستومولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ص ١٣ - ١٩ . وينظر أيضا: حسن الملحق، التفكير العلمي في النحو العربي، ص ١٤ ، ١٩ - ٣٠ .

التناقض بين فكرة وأخرى، ثم التصنيف.

٤. الاقتصاد: وله مظهران هما: الاستغناء بتناول الأصناف عن تناول المفردات، والمظهر الثاني هو: التعقيد.

ولقد انتقد الدكتور / أحمد عبد العظيم عبد الغني في كتابه: (**القواعد النحوية دراسة نقدية تحليلية**) القواعد النحوية التي وضعها النحاة منطلقاً من تلك الضوابط التي ذكرها الدكتور / تمام حسان؛ وخرج بنتيجة مفادها "أن الخصائص الأربع (الموضوعية، والشمول، والتماسك، والاقتصاد) التي أدعى وجودها في النحو العربي، واكتملها له، ليست غائبة فقط؛ بل يكاد يرى نقاضها في كل قاعدة، ومع كل أصل، وخلال كل باب، ولا يحتاج الأمر إلا إلى النظر في القواعد على أنها اكتشاف ما هو قائم بالفعل في الظاهرة اللغوية المقصود لها، تحكمها، وتجعل التفاهم بها ممكناً وواقعاً، وإلى تجاوز حدود الأبواب للربط بين الشيء ونظيره؛ ليدرك المرء أن النحاة كأنما كانوا يفترضون أن كل قاعدة بمعزل في جزئيتها عن بقية الباب الذي تنتهي إليه، بله الأبواب الأخرى في تصنيفاتهم التي توحّي غرائبها بغير ذلك، لكن من يعيش النحاة يدرك أن من مألف صنعتهم الحكم على الشيء الواحد في الموقع الواحد بالإعراب والبناء، أو التعريف والتنكير، أو الاسمية والحرفية، أو الاتصال والانفصال، أو الرفض والقبول، أو القياسية وعدمها، أو الطلب والإنشاء، أو وجوب الذكر وجواز الحذف، أو حتمية افتقار الشيء إلى غيره تركيباً، ووجوب استغنائه عنه تركيبياً كذلك، ويقود منطق الأمور - كما سنرى - إلى أن القواعد النحوية التي خلفها لنا أسلافنا من النحاة تفقد خصائص الصناعة المنضبطة المشار إليها، وتختلف فيها ضوابط العلم المتحدث عنها سابقاً، ينطبق ذلك على قواعد الأبواب، وقواعد المسائل، وضوابط التوجيه، وأصول المنهج" ^(١).

لقد تناول المؤلف جانباً واحداً من جوانب التماسك؛ وهو عدم التناقض، ويقصد فيه: فقدان النحاة لمبدأ اطراد القوانين فيها، ونقض بعضها بعضاً، واصطدام القاعدة النحوية مع ما أنسست عليه من أصول وضعها النحاة أنفسهم، وعدم المصالحة بين هذه القواعد والأصول من

(١) عبد الغني، أحمد عبد العظيم، **القواعد النحوية دراسة نقدية تحليلية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١١٠ - ١١١.

ناحية، وبين هاتين الأخيرتين واستعمال اللغة المعتف لها من قبل النحاة بأنها مصدر الاحتجاج^(١).

وقد انتقى الدكتور / أحمد عبد الغني في دراسته تلك ستة موضوعات؛ تناول فيها اضطراب القواعد النحوية عند النحاة العرب، وتناقضها؛ وهي: البناء والإعراب، والضمير، والتوابع، والتعريف والتنكير، والتنوين، والرتبة^(٢).

ففي موضوع: (البناء والإعراب) تطرق إلى موضع كثيرة تتناقض فيها – كما يقول – القواعد النحوية، وتصادم؛ ومنها – على سبيل المثال – (موقع الإعراب من الكلمة)^(٣)، ففي حين يقرر النحاة – كما يقول – في تعريفهم أن موضعه ظاهرا، أو مقدرا: هو الحرف الأخير من الكلمة المفردة، فإن قواعد النحاة في الأبواب كما يقول تنقض هذه المقوله؛ إذ إن النحاة أنفسهم يذهبون إلى أن الإعراب قد يقع على غير آخر الكلمة، وقد ورد ذلك عنهم في أبواب متعددة مثل:

- باب الترخييم: فالنحاة – كما يقول – يتحدثون عن أن الترخييم لا يختص بالنداء (عند قوم)، وأنه – عند الجميع – قد تعامل فيه الكلمة على صورتها التي بقيت عليها بعد حذف عجزها، أو حذف الحرف الأخير منها، أو الحرف الأخير وما قبله من رموز أصوات المد بشرطها المقررة، وحين يضم هذا إلى بعضه؛ فإنه – حسبما يرى – يجوز أن نقول: جاء محمد ومنص^(أي: جاء محمد ومنصور)، وهذا ما يعني أن موضع الإعراب قد ورد على ما أجمعوا على قواعد الصرف، وقواميس العربية على أنه ليس آخر الكلمة، "ولا يغير من تلك الحقيقة إطلاق مصطلح مثل: (لغة من لا ينتظر)، لأن ذلك لا يخص في نظر القاعدة بابا هو النداء، ولا يتعلق بلهجة غير مأخذوها، وإنما ينطبق على الأبواب التي تعالج الأسماء المختومة بالباء عموما، وما زاد على ثلاثة مما لم يختتم بها"^(٤).

- أبواب المثنى، وجمع المذكر السالم، وما أحق بهما، والأسماء الستة: حيث إن الحرف

(١) ينظر: عبد الغني، أحمد عبد العظيم، القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية، ص ١١-١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٠.

الأخير من المثنى ومن جمع المذكر السالم ليس هو الألف والياء من الأول، ولا الواو والياء من الثاني؛ وإنما الحرف الأخير هو النون، وأما الأسماء الستة؛ فإن إعرابها -أيضاً- ليس على آخر الكلمة حقيقة؛ لأن من شروط إعرابها بالحروف نيابة عن الحركات ضرورة إضافتها، وبدونها تفقد إعرابها بالحروف، ويصبح شأنها شأن الكلمات الأخرى المعربة بعلامات أصلية على الحرف الأخير، ومن ثم فإن تحقق مصطلح (الأسماء الستة) يعني أن كل اسم منها لا يتم حقيقة إلا بال مضاف إليه، وعليه فإن المضاف إليه -كما يقول الدكتور/ أحمد عبد الغني- جزء من الاسم مadam الحديث عن الإعراب بالحروف، وهذا يعني -بحسب رأيه- أنه ليس على الحرف الأخير في نحو: جاء أبوك؛ فالإعراب هنا ليس على الباء، كما أنه ليس على الكاف، إلا إن قلنا: إن حركة الباء هي الضمة الطويلة في حالة الرفع، وأن حركتها في نحو: رأيت أباك هي الفتحة الطويلة، وأن حركتها في مثل: مررت بأبيك هي الكسرة الطويلة، أي ليس هناك إعراب بالنيابة، وهذا -بحسب قوله- مرفوض عند النحاة، وبالتالي فإن إعراب الأسماء الستة ليس على آخر الكلمة حقيقة، لأنه لو كان على آخرها؛ لخرجت من هذا الباب إلى غيره^(١).

- باب المنقوص: حيث يرى النحاة -كما يقول- جواز ظهور الإعراب على النون من (ثاني) بعد حذف الياء منها، ولو صح ذلك في نحو: قاض وداع؛ حملا على جوازه في نون ثمان، لصارت قواعد الإعراب في باب الاسم المنقوص -كما يقول- نسيا منسيا. كما يعجب من حمل حالة النصب في الاسم المنقوص المجرد من (أل) في مثل رأيت قاضيا، على حالي الرفع والجر اللتين يقدر فيهما الإعراب نحو: جاء قاض ومررت بقاض، إذ إن ذلك الحمل يترب عليه -كما يقول- أن يرد الإعراب الظاهر مقدرا دون تبرير، على مخدوف لا تبرير لحذفه، مستدلين بالشاهد النحوي:

فألفيته يوما يير عدوه وبحر عطاء يستحق المعابرا

فالنحاة حملوا النصب على الرفع والجر؛ فحذفوا الياء، وعوضوا عنها التنوين، ثم يتساءل "وإذا كان قد صح ذلك الحمل، فلم لا يحمل على (ثمان) في ظهور الإعراب على ما قبل الياء"

(١) ينظر: أحمد عبد العظيم عبد الغني، القاعدة النحوية، ص ٦٢-٦٣.

من المنقوص؟^(١) .

وفي حديثه عن الإعراب في الوصل والوقف نجد أنه يحاول أن ينقض فيه مقوله النحاة من أن الإعراب يثبت وصلاً ويحذف وقفاً؛ مؤكداً أن ذلك لا يتحقق في كل المعربات، ومن ثم تنقضه القواعد، وينقضه أيضاً الاستعمال، ويرى أن هذا إن صح قبولة وتصوره في المعربات بالعلامات الأصلية: "فإن تصوره متذر، وغير متأت في المعربات بالحروف نيابة عن الحركات الأصلية (المثنى، وجمع المذكر السالم، والأسماء الستة، والأفعال الخمسة، والفعل المعتل الآخر) وفيما يقدر عليه الإعراب -من الأسماء- للتذر مطلقاً: (المقصور مطلقاً)، أو للتلقل: (المنقوص في حالي الرفع والجر) وفيما يقدر عليه الإعراب من الأفعال وهو: (الناقص): معتلاً بالألف مثل: يسعى (ويقدر عليه الإعراب في حالي الرفع والنصب)، ومنتلاً بالواو مثل: يعدو، أو معتلاً بالياء مثل: يرمي (ويقدر عليهما الإعراب في حالة الرفع فقط)، وذلك كله لا يتحقق فيه ما يذهب إليه أصحاب هذا الرأي، ومن ثم فهو تصور تنقضه القواعد، وينقضه الاستعمال على السواء"^(٢) .

وفي تناوله لمسألة: (تعريف الضمير وتنكيره) يؤكّد - أيضاً - تناقض النحاة فيما قرروه من قواعد في هذا الشأن، فالضمير في قواعد النحاة يندرج تحت مقوله الاسم، وتحت مقوله التعريف، وتحت مقوله البناء، ومع ذلك فإن المزع - بحسب تعبيره - حين يرجع البصر كرتين في كتب النحاة يجد تصدعاً وفطوراً؛ إذ إن قواعد النحاة أنفسهم سلخت الضميرية منها، ووصفت هذه الضمائر في مواضع متفرقة من الأبواب النحوية بأنها حروف، وذلك في باب الضمير نفسه نحو: ضمير الفصل، أو العماد، أو الدعامة. وفي باب الفاعل فيما أطلقوا عليه: لغة (أكلوني البراغيث) نحو: يقونان المحمدان أي ما جاء على غير ما تصوره من وجوب تحريد الفعل من علامات الثنوية والجمع السالم بنوعيه حين يكون الفاعل غير مفرد ، وفي باب المبتدأ حين يكون وصفاً مطابقاً لمرفوعه في غير الإفراد نحو: أقائمان المحمدان؟ أقائمون المحمدون؟

(١) ينظر: أحمد عبد العظيم عبد الغني، القاعدة النحوية، ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

حيث يطلقون على الضمير في تلك الموضع مصطلح: (حرف)^(١).

وفي حديثه - كذلك - عن (الرتبة) يؤكّد الدكتور / أحمد عبد الغني أنه في حين أن النحاة يؤكّدون أن الرتبة بين الفاعل وعامله محفوظة؛ حيث يتقدّم فيها العامل، ويتأخر فيها الفاعل وجوباً، وينطبق القول نفسه على نائب الفاعل، ضرورة أن هذا الأخير يأخذ أحکام الفاعل جميعاً، ومنها: إعرابه، ورتبته، ومطابقة الفعل له، وغير ذلك مما هو مفصل في أحکام الفاعل، وضرورة أن تصنّيف الجملة إلى اسميه وفعليّة قد أرسى، وأسس على تلك الحقيقة الشكليّة التي تقرّر فعلية الجملة إن هي بدأّت بفعل، واسميتها إن هي بدأّت باسم، غير أنّهم - أي النحاة - في الوقت نفسه يقرّون جواز إهاد الرتبة بين نائب الفاعل وعامله؛ فيجيزون تقدّم نائب الفاعل على عامله الظرف، والجار والمحرر في الشعر وفي غيره، وهذا كما يقول: "ينقض قواعد الرتبة التي نص على وجوب تحقّقها في الجملة الفعلية (في باب الفاعل ونائبه)، ويؤدي إلى الخلط بين مفهومي الجملة الاسمية، والفعليّة اللتين يتوقف التميّز بينهما على صدارة الاسم الأولى، وصدارة الفعل للثانية"^(٢).

هذه بعض الأمثلة التي تناولها الدكتور / عبد الغني ليؤكّد من خلالها أن القواعد النحوية التي خلفها النحاة تفتقد خصائص الصنعة المنضبطة، وتختلف فيها ضوابط العلم التي ذكرها الدكتور / تمام حسان، فهذه القواعد - كما يرى - لا تطرد، وتتناقض في كثير منها، وتصطدم مع ما أُسّست عليه من أصول.

هذا؛ وقد آثرت أن أكتفي بما قدمه الدكتور / أحمد عبد العظيم عبد الغني في كتابه: *(القاعدة النحوية)*، لأنّه استوفى - تقريراً - جوانب الموضوع، وأمثلته وبسط الحديث فيه، فأغنى بإحاطته وشمله عن استعراض ما ذكره من الباحثين من سبقوه^(٣)، ولا يعني هذا اتفاق الباحث مع معالجة الدكتور / أحمد عبد العظيم لهذا الموضوع، أو إقراره بنتائجها.

(١) ينظر: أحمد عبد العظيم عبد الغني، *القاعدة النحوية*، ص ٩٤-٩٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٠.

(٣) ينظر على سبيل المثال: إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو*، ص ١٦٩-١٧٣، محمد حماسة عبد اللطيف، *الضرورة الشعرية*، ص ٨٤-١٠٠.

المبحث الرابع

المأخذ على المصطلح النحوي

المصطلحات في كل علم هي مفاتيحه وأدواته التي لا غنى عنها؛ بها يضبط، و بها يسهل التعبير عن الظواهر؛ ولذا فإن دراستها تناول أهمية خاصة؛ ذلك لأن مبادئ العلوم تبنى على مصطلحاتها، إذ لا يمكن أن يكون هناك تواصل معرفي بين المتخصصين من دون توظيف استعمالي دقيق لها. فإن لم يتيسر لنا استيعاب هذه المصطلحات، وفهمها فهما دقيقاً؛ فإن خلا ما - بدون شك - سيقع في تحديد هذه المفاهيم و المصطلحات، كما أن المصطلح يكتسب قيمته الأخرى من كونه معبراً مهماً إلى دراسة فكر منتجيه.

ولا يخلو التراث العربي من آثار، وكتابات تدل على عناية علمائه بالمصطلحات، ووعيهم بأهميتها، وهذا واضح بخلاف من خلال جهود المتقدمين منهم، والمتاخرين ومنهم: جابر بن حيان (ت ٢٠٠هـ)، وأبو يوسف الكندي (ت ٢٥٢هـ)، وأبو نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، وأبو حامد الغزالى (ت ٥٥٠هـ)، وسيف الدين الأدمي (ت ٦٣١هـ)، ثم علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) في كتابه الهام: *(التعريفات)*^(١).

ولعل الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في كتابه: *(مفاتيح العلوم)* يعكس هذا الوعي بمنزلة المصطلح في أي علم من العلوم؛ حيث يقول في مقدمته: "وسميت هذا الكتاب مفاتيح العلوم؛ إذ كان مدخلاً إليها، ومتاخراً لأكثرها، فمن قرأه، وحفظ ما فيه، ونظر في كتب الحكمة؛ هذها هذأ، وأحاط بها علماً؛ وإن لم يكن زاولها، ولا جالس أهلها"^(٢). الأمر الذي جعل بعض الباحثين الحديثين يعد ماقام به الخوارزمي في كتابه هذا الخطوات الأولى في طريق تبني المصطلح

(١) ينظر، الأعسم، عبد الأمير، المصطلح الفلسفى عند العرب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٨ و مابعدها.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٩م، ص ١٥.

العلمي^(١). فالمصطلحات -كما وسمها الخوارزمي في كتابه- إنما هي مفاتيح للعلوم، والباحث لا يمكنه الولوج إلى أقسامها، وأبواها، وفصولها إلا بهذه (المفاتيح)، فالتسمية على اختزالها دالة دلالة عميقة بذاتها على منزلة المصطلح، ووظيفته، وأهميته في أي علم أو فن.

والباحث في المصطلح النحوي للسعى إلى تاريخ ظهوره، وتبليور مفهومه، وتطوره، يصطدم بالمصاعب نفسها التي تعرّض الباحث في تاريخ نشأة النحو، وتطوره في بداياته الأولى قبل ظهور كتاب سيبويه؛ إذ إن تلك الفترة كانت غامضة، وكثيراً من حقائقها لم تخرج إلى النور، والسبب في ذلك أنه لم تصلنا مؤلفات، أو وثائق يمكن أن تكون شاهدة، أو مماثلة لتلك الفترة المبكرة؛ وهو ما يمثل عقبة في سبيل تبع ميلاد تلك المصطلحات وتطورها، حتى لقد عد بعض الباحثين المحدثين هذا التبع ضرباً من المستحيل^(٢). وكل ما نملكه لا يعدو أن يكون روایات لا ينبغي أن يدفعنا الحماس إلى تصديقها، والوثوق بها، كالمحدث عن تفصيلات في قواعد النحو، وأصطلاحاته، وتقسيماته تلك المنسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- - مما تذكره وتتناقله كتب التراث^(٣)؛ والتي لو قارناها بما هو موجود في كتاب سيبويه في نفس الموضوع؛ لوجدناها -كما يقول أحد الباحثين- ربما تتفوّق على ما عند سيبويه من حيث الدقة، والعمق والتحديد، والإيضاح^(٤).

ولا شك في أن المصطلحات النحوية، كغيرها من المصطلحات في سائر العلوم المختلفة؛ لم تنشأ دفعة واحدة، لأن ذلك مخالف لطبيعة الأشياء ونحوها وتدرجها، وإنما تنشأ بحسب الملابسات، والظروف، وال الحاجة للفهم والإفهام، وبالتالي فالمتصور ألا يكتمل نضجها إلا بعد

(١) ينظر: شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٦م، الطبعة (٢) ص ١٧١.

(٢) ينظر: أحمد مكي الأنصاري، أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة ص ٤٣٦. و ينظر أيضاً: عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص ١٦٨. و حدوارة، عمر، المصطلح النحوي وأثره على النحاة المحدثين تمام حسان ومهدي المخزومي غودجين، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في الدراسات اللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م، ص ٢٢.

(٣) ينظر: الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٤-١٥.

(٤) ينظر: القوزي، عوض، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث المجري، جامعة الرياض - الرياض، الطبعة (١)، ١٩٨١م، ص ٣٩.

نضج، ووعي حقيقين لهذا العلم^(١).

وإذا كانت الروايات القديمة تكاد تجمع على أن أبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، هو واضح علم النحو مؤسسه، ونسبوا له بعض المصطلحات النحوية في ذلك، كالفتح، والضم، والكسر، والغنة، وغيرها من المصطلحات التي ذكرتها الروايات التاريخية، ولقي هذا الرأي قبولاً لدى أكثر الباحثين المحدثين ؛ فإن الفترة التي أعقبت تلاميذ أبي الأسود، وامتدت حتى ظهور الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) هي كما أطلق عليها الدكتور / عوض القوزي: (مرحلة التهيئة لظهور المصطلحات النحوية)، وهي تلك الفترة التي تبدأ بابن أبي إسحاق (ت١١٧هـ)، وتنتهي بابي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وفيها عرف النحو بمعناه الاصطلاحي^(٢). غير أن الكتب التي قيل إنهم ألفوها في تلك المرحلة لم تصل إلينا، وبالتالي فإنه يصعب تتبع التطور الذي شهدته المصطلح النحوي في تلك الفترة. كما أن النهاة - أيضاً - لا يصرحون باسم من وضع المصطلح الجديد، أو من شدّبه وطوره؛ مما يزيد الأمر صعوبة بصورة أكبر^(٣).

إن كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) هو أول كتاب في النحو العربي - تثبت نسبته - يصل إلينا، أثبتت فيه صاحبه جملة التراث النحوي في ذلك العصر، وفيه أرسى باكورة الاصطلاح النحوي من خلال تدوينه اصطلاحات النحو العربي المعروفة آنذاك، وما أضافه هو من اصطلاحات نحوية ابتكرها، على الرغم مما يؤخذ على هذه المصطلحات من عدم تحديد واضطراب، وتدخل الأمر الذي جعل بعض الباحثين يصف هذه الحقبة من عمر المصطلح النحوي بالطفولة المبكرة^(٤).

والحديث عن المصطلحات النحوية في الكتاب يعني بالضرورة الحديث عن مصطلحات الخليل بن أحمد؛ حيث إن سيبويه أجرى على لسان الخليل كثيراً من المصطلحات النحوية، فهو

(١) ينظر: عبد الله الخشان، مراحل تطور الدرس النحوي، ١٠٢.

(٢) ينظر: عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث المجري، المقدمة.

(٣) ينظر: قيرية، توفيق، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، دار محمد علي - تونس - صفاقس، الطبعة (١)، ٢٠٠٣م، ص ١٢.

(٤) ينظر: عبد الغني، أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص ٤، وأسماها د/ المهيري "فترة المخاض"، ينظر: المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص ١٦٧.

مصدر سيبويه الهام، كما أنه هو الذي وضع معظم مصطلحات النحو العربي، وأبوابه: كتسمية علامات الإعراب، وعلامات البناء، وتسمية كثير من الأبواب النحوية^(١)، وفي هذا الخصوص يقول الدكتور / يحيى عبابة: "لا نعد الصواب إذا قلنا إن المصطلحات المتعددة التي يمتليء بها كتاب سيبويه ترد كلها - تقريباً - على لسان الخليل"^(٢). وهو ما جعل بعض الباحثين يرى بأن الخليل بن أحمد هو المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي^(٣).

وقد نقل سيبويه (ت ١٨٠هـ) في كتابه مصطلحات الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، وأضفى عليها من ذكائه، وفطنته، وقدرته على الابتكار، والتحليل، والاستنتاج. كما قفزت مصطلحات كثيرة قفزات واضحة على يديه حين توسع في استخدامها، ووضع المصطلحات النحوية وضعاً أشرف على الاستقرار، فكانت مصطلحاته سهلة واضحة في غالبيها، ولم يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي إذا أراد من اللفظ أن يؤدي معنى اصطلاحياً، وفسر بعض المصطلحات بعض، ورها عبر عنها بأكثر من تعبير، وما لم يسعفه جهده بالظفر به بجأ إلى وصفه، وتصويره بالأمثلة الكثيرة الموضحة^(٤)، وهو ما جعل بعض الباحثين المحدثين؛ من تعرضوا لتأريخ النحو العربي يرون بأن المصطلح النحوي عند سيبويه لا يمكن أن يوصف بالثبات والاستقرار؛ لأن وصف المصطلح وشرحه يدل على عدم وضوحه لديه^(٥).

ويؤكد بعض الباحثين المحدثين بأن مصطلحات سيبويه (ت ١٧٥هـ) بحاجة إلى دراسة مستقلة، ومفصلة؛ واستقراء دقيق، ووقوف متثبت أمام عباراته^(٦)، ولاشك في أن من يقف

(١) ينظر: ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف - القاهرة، الطبعة (٧)، د.ت، ص ٣٣، ٣٤، و العبيدي، النحو العربي و مناهج التأليف والتحليل، ص ٣٩١.

(٢) عبابة، يحيى، مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو، دار الفكر، الطبعة (١)، ١٩٨٤م.ص ١٦٠.

(٣) ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١٣١٢/٢، وينظر أيضاً: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ٣٤.

(٤) ينظر: عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص ١٢٩.

(٥) ينظر: حسن عون، تطور الدرس النحوي، ص ٤٤، و ينظر أيضاً: النجدي ناصف، علي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة (٢١٩٧٩)، ص ١٧٢، و المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ص ١٦٧، و العبيدي، النحو العربي و مناهج التأليف والتحليل، ص ٣٩٩. و الحمد، علي توفيق، قراءة في مصطلح سيبويه، مجلة العلوم اللغوية، القاهرة مجلد (٩)، ٢٠٠٦م، ص ٥.

(٦) ينظر: عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص ١٢٩، والحديد، إيناس كمال، المصطلحات النحوية في

على كتاب سيبويه سوف يدرك أهمية ذلك، فهو مدونة العربية الأولى، الذي لم تتحمله المصنفات من بعده، وهو معين النحاة المتقدمين والمتاخرين.

وبعد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) تابعت الدراسات النحوية، وظهر نحاة كبار من البصريين ومنهم: قطرب (ت ٢٠٦ هـ)، والأخفش الأوسط (ت ٢١١ هـ)، وأبو عمر الجرمي (ت ٢٢٥ هـ)، والمازني (ت ٢٤٩ هـ)، والمبزد (ت ٢٨٦ هـ). ومن الكوفيين نحو: الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، وثعلب (ت ٢٩١ هـ)، وجميع هؤلاء ارتفوا بالمصطلح النحوي، ووقفوا حقه من الدقة، والوضوح، والإيجاز، واستطاعوا بمناقشاتهم الخصبة أن يصلوا بمصطلحات النحو إلى مرحلة من النضج قاربت الكمال، فكان دورهم رائداً في استقرار المصطلح النحوي ونضجه؛ إذ إنه "لم يكد ينتهي القرن الرابع المجري، حتى استقرت المصطلحات النحوية على ما نعرفه عليها اليوم، ولم يعد من دور للنحاة المتاخرين سوى تهذيب بعض المصطلحات" (١).

وقد لاحظ الباحثون من خلال تتبعهم للمصطلحات النحوية في التراث العربي ودراستها أن هذه المصطلحات قد تختلف باختلاف المدارس اللغوية، أو ما أسمتها الدكتور / علي أبو المكارم بـ(الجمعات النحوية)؛ إذ حاول النحاة الكوفيون أن يستقلوا بمصطلحاتهم، فلا يكاد يخلو كتاب (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٨ هـ) على سبيل المثال من بدائل للمصطلح البصري؛ رغم أن المادة كانت واحدة (٢)؛ إذ كان لاختلف المنهاج - كما يرى بعض الباحثين - بين هاتين المدرستين أثر كبير في اختلاف المصطلحات، وتعددتها (٣). غير أن الخالفين من النحاة

التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية، ط (١)، ٢٠٠٦، ص ١٤٦. علماً أن هناك بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، من أبرزها: قراءة في مصطلح سيبويه، للدكتور / علي توفيق الحمد، أيضاً هناك رسالة ماجستير تحمل عنوان: "القاب المعمولات في كتاب سيبويه، دراسة في المصطلح النحوي" للباحث / فؤاد مهنيوب عبد المخلافي، كلية الآداب، جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، م. ٢٠١٠.

(١) شعبان العبيدي، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، ص ٤١٢.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٣٨، وينظر أيضاً: عمر حدوارة، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، ص ٢٢ - ٢٥.

(٣) ينظر: عمر حدوارة، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، ص ٢٢ - ٢٥. وينظر أيضاً: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص ١٤٣، و توفيق قريرة،

آثروا — بشكل عام — مصطلحات البصريين على مصطلحات الكوفيين في تصانيفهم، كما أن المتأخرین منهم کابن یعيش (ت ٦٤٣ھ)، وابن مالک (ت ٦٧٢ھ)، وأی حیان الأندلسی (ت ٧٤٥ھ)، وابن هشام الأنصاری (ت ٧٦١ھ)، والسيوطی (ت ٩١١ھ)، وأمثالهم استطاعوا أن يكتبوا بمصطلحات البصرة أضخم المصنفات النحویة في لغة العرب؛ فکان لها الغلبة والذیوع والشیوع. حتى جاء بعض الباحثین المحدثین بعد ذلك، واهتموا بالنحو الكوفی و بمصطلحاته، وألفوا فيه، ووظفوا كثيراً من هذه المصطلحات الكوفیة في دراساتهم؛ لأنها — حسبما یرون — أكثر دقة، وقرباً من المفاهیم اللغویة الدالة عليها من بعض مصطلحات البصريین، وربما بنوا عليها تصورات، ووجهات نظر، ودراسات تطبیقیة في النحو العربي^(١). غير أنه يجب أن أشير إلى أن الدكتور / سعید جاسم الزبیدی وجد بعد البحث، والتقصی أن أغلب مصطلحات الكوفین لها أصول عند نحاة البصرة^(٢).

ومن الأمور المسلم بها في البحث العلمي أن المصطلح النحوی جزء هام من البناء النظري للدراسة النحویة، وهو في علم النحو من أهم أسس الصناعة النحویة، وبالتالي لابد أن تكون هذه المصطلحات موسومة بالدقة والوضوح على نحو يدفع للبس، وینفي الغموض؛ ولا يستدعيه، ویتجانف عن الخلط؛ ولا یسببه، وینأی عن التداخل، ولا یؤدی إليه^(٣).
وإذا كان الباحث في التراث النحوی یدرك ما عاناه النحاة المتقدمون للفکر النحوی

المصطلح النحوی وتفكير النحاة العرب، ص ٥٩ - ٧٥.

(١) منها مثلاً: الكغراوی، صدر الدين، المولی في النحو الكوفی، شرح محمد بمحجة البيطار، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، والمخزومی، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، و المختار دیره، دراسة في النحو الكوفی من خلال معانی القرآن للفراء، دار قتبیة - طرابلس. الحتران، عبد الله حمد، مصطلحات النحو الكوفی دراستها وتحديد مدلولاتها، هجر للطباعة والنشر، الطبعة(١)، ١٩٩٠م. و حدوارة، المصطلح النحوی الكوفی، وكاظم، إبراهیم کاظم، النحو الكوفی (مباحث في معانی القرآن للفراء)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزیع، بيروت، ١٤١٨ھ - ١٩٩٨م، وغيرهم.

(٢) ينظر: الزبیدی، سعید جاسم، مصطلحات ليست کوفیة، دار أسامیة للنشر والتوزیع - عمان، ١٩٨٨م. ص ٤١.
وقد أشار الدكتور / عبد الله الحتران إلى هذا التأثر والتداخل بين مصطلحات المدرستین، وتأثير المصطلح البصري — وبخاصة — في البدایات، ينظر: مصطلحات النحو الكوفی دراستها وتحديد مدلولاتها، ص ١٥١.

(٣) ينظر: أحمد عبد العظیم، ينظر القاعدة النحویة، ص ٢.

عامة، والفكر الاصطلاحي منه على وجه الخصوص، ويشكر تلك الجهود التي بذلوها؛ فإنّ هذه المجهودات لم تسلم من ملحوظات نقدية أشار إلى عدد منها بعض النحاة السابقين؛ معتبرين، ومراجعين، ومعالجين للمبحث الاصطلاحي في شكله، ومضمونه؛ وهي تكشف عن وعي نقدي يثير إعجاب القارئ^(١).

أما الباحثون المحدثون فقد وقفوا أمام هذه المصطلحات؛ ناقدين، ومراجعين لها، شكلاً ومضموناً، وسوف استعرض عناصر الاعتراض والنقد التي وجهت إلى تلك المصطلحات النحوية، وأسلط عليها الضوء؛ وإن اختلفت مناهجهم، وتبينت أساليبهم في التعاطي مع هذه الموضوع.

وإذا كان النحاة القدماء قد وضعوا مصطلحاتهم النحوية؛ دون أن يخبرونا كيف تم ذلك، وما منهجهم في وضعها، أي أنهم لم يتعرضوا للإطار النظري في المصطلح النحوي؛ وهذا بحسب رأي الدكتور / توفيق قريرة: "طبيعي؛ لأن هذا الجانب من الدراسة لم يلق أهميته إلا في عصرنا"^(٢). إلا أن هذا لا يعني أنهم لم يهتموا به، فهم بحسب وصفه: "كانوا في علاقتهم بالمصطلح كعلاقة الحرف بحرفه: تجربته، وتطبيقه أعظم، وأمن من علمه النظري بأسرار مهنته، بل قل: إنه حرف حينما يشتغل بصنعته يكون صامتاً؛ وقلما يرشدنا إلى ما استلهمه من تجربته من خبرة نظرية"^(٣).

أما الدراسات العربية الحديثة فقد تناولت المصطلحات النحوية، وعالجتها من زوايا متعددة أبرزها: ما يتعلق بالتاريخ للمصطلح النحوي العربي وتطوره، وهي دراسات رغم مشروعيتها، وأهميتها إلا أنها - في نظري - ذات مسالك وعرة بسبب غموض تلك المرحلة كما ذكرت في موضع سابق، يضاف إلى ذلك تلك الدراسات التي عنيت بدراسة المصطلحات المدارس النحوية المختلفة والمقارنة بينها، غير أن دراسات محدودة - وهي الأهم في نظري - تلك التي تناولت المصطلحات النحوية من حيث الصيغة، والدلالة، و مدى استيفائها للشروط

(١) ينظر: الراشدي، محمد ذنون، الأسس النظرية في دراسة المصطلح النحوي. وهو بحث مستل من رسالته للماجستير: (مباحث المصطلح النحوي في شرح القطر)، جامعة الموصل، ١٩٩٦ م.

(٢) توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، ص ٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٥.

التي يتطلبها علم المصطلح بمفاهيمه، وأسسه المنهجية، وبيان موقع المصطلح النحوي التراثي منها.

ويرى كثير من الباحثين المحدثين أن دراسة المصطلح النحوي العربي تعترضه صعوبات غير قليلة، وذلك نتيجة للاضطراب، والتدخل، والخلط بين المصطلحات، مما أدى إلى الغموض في حالات كثيرة منها، وهو أمر لا يقتصر على المتعلمين؛ بل ربما يقع فيه الباحثون المتخصصون في الدراسات النحوية. وقد كان من أبرز تلك المأخذ التي اتضحت، وتكشفت لهؤلاء الباحثين بعد البحث، والاستقصاء في المصطلح النحوي التراثي ما يلي:

١. **تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد:** لقد أشار عدد من الباحثين المحدثين إلى مسألة تعدد المصطلحات للظاهرة النحوية الواحدة، أو ما يمكن أن يسمى: المصطلحات المترادفة الدالة على مفهوم واحد، وهي - كما يرون - أدت إلى التداخل، والإرباك، والتشتت الاصطلاحي في النحو العربي، فوجود مثل تلك المترادفات الدالة على مفهوم واحد كانت، كما يقول أحد الباحثين: "سبباً ومظهراً للتشتت في آن" ^(١). وذلك كان ابتداء من الخليل بن أحمد؛ حيث أشار الدكتور / عبد القادر المهيري إلى أن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) في كتابه: (العين) قد وقع في التردد، والتنوع بين تسميات المفهوم الواحد التي كرس الاستعمال اللاحق مصطلحاً واحداً لها، ومثل لهذا التنوع بمصطلحي: المحاوز، والمتعددي؛ وكان ذلك في الحديث عن تعددية الفعل؛ حيث أولاً ما كانت تسمية: للمتعددي إلى مفعول واحد، والثانية: للمتعددي إلى مفعولين. كما قدم مثالاً للتردد في المصطلح للمفهوم الواحد: باستخدام الخليل بن أحمد لمصطلح يخالف بعض الشيء ما شاع في التراث النحوي؛ وهو (جماعة الجماعة) عوض: (جمع الجمع). وهذه الأمثلة وغيرها؛ مما ساقه الدكتور / المهيري يرى أنها تصور ما مرت به تلك المفاهيم النحوية من الفوضى الاصطلاحية في مرحلة النشأة ^(٢).

وإذا كان سيبويه (ت ١٨٠ هـ) في كتابه يعد صورة صادقة لجهود من سبقه من النحاة، فإنه

(١) عثمان، رياض، المصطلح النحوي وأصل الدلالة دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزخشي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة (١)، ٢٠١٠م، ص ١٢٨.

(٢) ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، ص ١٦٨-١٦٩.

- كما يقرر هؤلاء الباحثون - قد أطلق هو كذلك عدة مصطلحات للتعبير عن فكرة واحدة، بما يوحي - كما يقول الدكتور / رياض عثمان - بأن المصطلحات في تلك المرحلة لم تنضج أو تستقر بعد^(١). فهو مثلاً: يستخدم مصطلحات العطف، والشركة، والإشراك، وهي مصطلحات متزادفة استخدمها سيبويه، للدلالة على العطف بالحروف أي: عطف النسق^(٢). كذلك استخدم مصطلحات الحلف، واليمين، والقسم في مواضع متعددة من الكتاب، فهو يكرر مصطلح القسم، ويرواح بينه، وبين اليمين، والحلف. أيضاً استعمل مصطلحي الصفة، والنعت للدلالة على مفهوم واحد^(٣). وربما عبر عن الحال بالحال تارة وبالخبر تارة أخرى^(٤)، وغيرها من المصطلحات المختلفة ذات الدلالة الواحدة . وهذا التعدد المصطلحي يتكرر - أيضاً - مع غيره من النحاة اللاحقين كالفراء (ت ٢٠٨ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ)، وغيرهم من النحاة المتقدمين، "ولم يكن يعنهم أن هذا سيحدث إرباكاً، وتكدساً في المصطلحات"^(٥).

ويؤكد بعض الباحثين أن هذه المشكلة اتضحت وتفاقدت بصورة أكبر في مراحل لاحقة بسبب الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة؛ حيث إنه وبالرغم من غلبة المصطلح البصري وشيوخه، وتأثير كتاب سيبويه ومصطلحاته في الدرس النحوي حتى على النحاة الكوفيين أنفسهم؛ إلا أن المصطلح الكوفي بدأ يزاحمه في الوجود، منسجماً مع منهجهم في دراسة اللغة، ومتافقاً مع طابعهم النحوي الذي يخلو في كثير من الأحيان من روح الفلسفة والمنطق، "حتى شاع بين الدارسين المتأخرين أن هذا مصطلح بصري، وذاك مصطلح كوفي"^(٦). فلا يكاد يوجد

(١) ينظر: رياض عثمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

(٣) ينظر: ديرة، المختار أحمد، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، دار قتبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (١)، ١٤١١هـ، ص ٢٣٠.

(٤) ينظر: رياض عثمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ص ١٧.

(٥) أبو شهاب، حمدة عبدالله، منهج تقرير مسائل النحو من سيبويه حتى ابن جني، دار الضياء، الأردن، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ص ٩٢.

(٦) عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره، ص ١٥٦.

مصطلح بصري؛ إلا ويوجد له مقابل كوفي تقربيا^(١). وهناك أمثلة كثيرة ذكرها الباحثون في هذا الباب فالنعت، مثلاً: غالب على استعمالات الكوفيين مرادفاً للصفة والوصف عند البصريين، وقد استعملت هذه المصطلحات الثلاثة للدلالة على مفهوم واحد، أي أنهما استخدما متاردين نحوياً. والجحد من المصطلحات الكوفيين، ويعادل النفي عند البصريين. كما أن مفهوم البدل في النحو كان من أكثر المفاهيم تداخلاً، وخلطاً؛ بسبب كثرة المترادفات التي تعاورت عليه من النحاة البصريين والكوفيين^(٢). بل إن استخدام المصطلحات متعددة ذات مفهوم واحد لم يقتصر - كما يؤكدون - على ما وقع من اختلاف بين المدرستين؛ بل قد نجد اختلاف المصطلحات داخل المدرسة الواحدة؛ وهو كثير عند النحاة الكوفيين - كما يذكر بعض الباحثين - وهو ما يلاحظ في مفهوم التمييز مثلاً، وهذا الأمر لا يقتصر على الكوفيين فقط؛ فإنّ البصريين أنفسهم أيضاً اختلفوا في المصطلح عندهم للمفهوم الواحد، كما هو الحال في المصطلحي العطف وعطف النسق، وهكذا تعددت المصطلحات الدالة على المفهوم الواحد داخل المدرسة الواحدة. وقد أورد كثير من الباحثين أمثلة متعددة مثل هذا التعدد المصطلحي في الدرس النحوي^(٣).

ويشير هؤلاء الباحثون إلى أنّ هذا الأمر استمر حتى عند بعض النحاة المتأخرین كالزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، وغيرهم. وهم يرون أنّ هذا الترافق المصطلحي ربما يتراكّز آثاراً جانبية، ويؤدي إلى الخلط بين المصطلحات النحوية، كما أنه قد يصعب ترجمة المصطلحات إلى لغات أخرى؛ وذلك لتنوع المصطلحات وتدخلها.^(٤) ويرى الدكتور /علي أبو المكارم أنّ تعدد المصطلحات النحوية الدالة على الظاهرة الواحدة؛

(١) ينظر: عمر حدوارة، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٥٨ وما بعدها، وينظر أيضاً: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) من أبرزها: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، وعلي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، و إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، والمحترر ديره، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للقراء، و عمر حدوارة، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، وعبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، و رياض عثمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، وغيرها.

(٤) ينظر: رياض عثمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ص ١٩٨.

الناتج عن تعدد المدارس النحوية -أو ما أسماه التجمعات النحوية- إنما ينطلق في حالات منه إلى دوافع ذاتية عند بعض النحاة، ولا يستند في بعض الأحيان إلى مقومات موضوعية^(١).

ولعل من الواضح -بعد هذا العرض- أن هذه المصطلحات المترادفة التي تناولها الباحثون المحدثون بالفقد في كثير منها إنما تمثل المراحل المتقدمة في الدراسات النحوية، أي في مرحلة ما قبل استقرار المصطلح النحوي ونضجه، فالمصطلحات -كما ذكرت من قبل- إنما تنشأ حسب الملابسات والظروف، حتى تصل إلى مرحلة النضج والاستقرار؛ وبالتالي فلا عجب أن تتعدد، أو تضطرب وتتدخل مصطلحات تلك المرحلة. أو أنها -كما هو واضح من أمثلة كثيرة- مصطلحات ناجمة عن اختلاف المصطلحات بين مدرستي البصرة والكوفة، وهو ما أشار إليه كثير من الباحثين المحدثين، غير أن هذا التعدد المصطلحي -بشكل عام- لا يعد ظاهرة إيجابية، تدل على سعة الأفق، وغزارة الشروء اللغوية، كما يصف الدكتور/ المختار أحمد ديره الترافق المصطلحي عند الفراء (ت ٢٠٨ هـ) في كتابه (معاني القرآن)^(٢)؛ لأن اللغة العلمية تتطلب الدقة، والحسن في تحديد المفاهيم، وصوغ المصطلحات؛ لتلافي الوقع في الاضطراب والخلط.

وقد أضافت الدكتورة/ إيناس الحديدي سبباً لتعدد المصطلحات عند الكوفيين، وعدم الوقوف على مصطلح علمي تقني واضح، ومحدد لديهم، مؤكدة أن ذلك "إنما مرجعه إلى غلبة المنهج التفسيري عليهم، فكانوا يقصدون قصداً إلى الشرح بشتى المفردات، بل قد يتتجاوزون ذلك إلى استخدام أكثر من صيغة للمفردة الواحدة"^(٣). وهذا ما خلص له -أيضاً- الدكتور/ يس أبو الهيجاء في دراسته للمصطلح النحوي عند الفراء (ت ٢٠٨ هـ) في كتابه (معاني القرآن)، حيث يرى أن التعدد المصطلحي عند الفراء الذي يكاد -بحسب تعبيره- يس حد الفوضى أحياناً؛ إنما يعود إلى أن الفراء في كتابه "معني بالدرجة الأولى بصياغة المفهوم في محاولة لتحديده؛ لذلك نجده يذكر المصطلحين للمفهوم الواحد في السياق نفسه، والمصطلحات

(١) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٤٠.

(٢) ينظر: ديره، المختار أحمد، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص ٢٢٦.

(٣) إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٥٨.

للمفهوم الواحد في غير سياق^(١)؛ مثيراً في المقابل إلى أن الفراء ليس حفياً بمخالفة البصريين في مصطلحاته - كما يزعم بعض الباحثين - إذ إنه على الرغم من مصطلحاته التي توسم بالجدة؛ إلا أنه لا يأنف من استخدام الكثير من مصطلحات البصريين إلى جانب مصطلحه الجديد^(٢).

٢. **تعدد دلالات المصطلح الواحد:** حيث يرى عديد من الباحثين المحدثين أن النحاة القدماء ربما استخدمو المصطلح الواحد لعدة مفاهيم في آن، أي أن المصطلحات النحوية ارتبطت فيما بينها بعلاقة "الاشتراك اللغظي"؛ وبعض هذه المفاهيم ربما يندرج في باب نحوي واحد، وبعضها الآخر قد يتوزع في عدة أبواب نحوية.

ويقول الدكتور/ علي أبو المكارم شارحاً هذا الخلل المصطلحي: "ولقد كان المفروض إزاء استخدام المصطلحات وسيلة لنقل الصور الذهنية المحددة في مجالات البحث العلمي المختلفة ألا تتعدد دلالات المصطلح الواحد في العلم الواحد، بحيث إذا أطلق في العلم المحدد لم ينفل إلى الذهن إلا صورة واحدة محددة؛ ولكن الأمر الواقع أن هذا الذي كان مفروضاً ليس مطرياً؛ إذ إن بعض المصطلحات تتعدد دلالتها في العلم الواحد بتعدد الموضوعات التي استخدمت فيها فكأنها - في هذه الحالة - من قبيل المشترك اللغظي؛ حيث تدل على معانٍ مختلفة - وكلها معانٍ اصطلاحية - في العلم الواحد. وهكذا لا يجد الباحث مفراً لمعرفة هذه المعاني من تحديد ما تستخدم فيه من موضوعات"^(٣).

وهناك أمثلة كثيرة على هذا النوع من التعدد ذكرها الباحثون المحدثون، وأكثر ما تتضح هذه العلاقة في المصطلح النحوي: (مفرد)؛ حيث إنه استخدم في أكثر من باب من أبواب النحو؛

(١) أبو المحياء، يس، منهجية الفراء في صياغة المصطلح التحوي واستخدامه في كتابه "معاني القرآن" من خلال طائفة من المصطلحات النحوية، الحلقة الأردنية في اللغة العربية وأدابها، جامعة مؤتة، المجلد (١)، العدد (٣)، كانون الثاني ٢٠٠٧م، ص ٥٣، وينظر أيضاً: الحمد، قراءة في مصطلح سبيوبيه، ص ٢٥، وشوقى ضيف، المدارس التحوية، ص ٢٠١.

(٢) ينظر: يس أبو المحياء، منهجية الفراء في صياغة المصطلح التحوي واستخدامه في كتابه "معاني القرآن" من خلال طائفة من المصطلحات النحوية، ص ٥٣-٥٤.

(٣) علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٢٩.

ليدل على أكثر من مفهوم، وفي موضوعات مختلفة، وأبواب نحوية متعددة، ومن ثم كان من الصعب - كما تقول الدكتورة/ إيناس الحديدي - إدراك مفهوم هذا المصطلح دون وضعه في سياق يدل على الباب النحوي الذي استخدم فيه^(١). ففي باب العلم - مثلاً - يدل مصطلح (المفرد) على ما ليس بمركب وذلك في أكثر من باب نحوي، وفي باب الحال، والخبر، والصفة، والصلة؛ فهو يعني: ما ليس بجملة، ولا شبه جملة، وفي باب النداء، يقصد به: كون المنادى ليس مضافاً، ولا شبيهاً بالمضاف، وفي تحديد أنواع الأسماء، وعلاماتها الإعرابية؛ فإنه يدل على ما ليس مثنى، أو جمعاً^(٢). ويقول الدكتور/ أحمد عبد العظيم؛ معلقاً على هذا التعدد المفهومي لمصطلح مفرد: "لعل أكثر مصطلحات النحاة، تداخلها، واضطربابها، وتوزعاً في الأبواب مصطلح (مفرد)، فقد تبين لي من استخداماً لهم له، ومن المقولات التي اصطلاح عليها به، أن ثلاثة عشر ضرباً من الاستعمال الاصطلاحي توزعت بها السبل في الأبواب في كتبهم؛ لا يتفق ضرب منها مع آخر في الدلالة، أو في المقوله النحويه"^(٣). وهو ما أدى - بحسب رأي الدكتورة/ إيناس الحديدي - إلى تداخل وخلط، فكثيراً ما نجد أن ما يدخل في مفهوم المفرد في باب يتنافي معه في باب آخر^(٤).

كذلك الأمر ينطبق - كما يرون - على المصطلح النحوي (مشتق) الذي يتبعه مدلوله، ويتعدد المراد به؛ تبعاً للأبواب المستخدم فيها، فالمشتقة هو: ما دل على معنى وذات. أو هو: ما دل على معنى وזמן أو مكان وآلية، أو هو: ما صيغ من غيره. وغير ذلك من معاني المشتق المتنوعة والمتعلقة في أبواب النحو المختلفة. وهذا - كما يرى د/ أحمد عبد الغني -: "يُوقع في اللبس، والغموض اللذين يجب أن تبرأ منهما المصطلحات على المستويين العلمي،

(١) ينظر: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٧١. وقد أشار الأستاذ/ إبراهيم مصطفى إلى اضطراب مصطلح (مفرد)، ينظر: إحياء النحو، ص ٦١.

(٢) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٣٠-١٣١، وينظر أيضاً: أحمد عبد الغني، المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، ص ٥ وما بعدها، و إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، ص ٥.

(٤) إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٧٢.

والتعليمي^(١). وهناك أمثلة كثيرة ذكرها الباحثون على هذا النوع من التعدد الدلالي للمصطلحات؛ سواء عند النحاة بشكل عام، أو عند مدرسة منهم، أو في مصطلحات يكون التعدد الدلالي فيها بين فرعين الدراسة النحوية وليس المجال هنا لحصرها^(٢).

ويرى الدكتور / علي أبو المكارم أنه إزاء هذا التعدد في استخدام لفظ المصطلح دلالاته نشأت مجموعة من الصعاب في دراسته، كالخلط بين الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية، أو احتمال الخلط بين الدلالات الاصطلاحية المتعددة التي يستخدم فيها لفظ المصطلح، أو احتمال الخلط بين الدلالات الاصطلاحية المختلفة في الموضع والموضوعات المتعددة في إطار العلم الواحد؛ فإذا لم يفطن الدارس إلى خصوصية المعنى في نطاق الموضوع؛ فقد ينزلق إلى خطر الخلط بين ما للمصطلح من معان مختلفة في تناوله له في الموضع المختلفة^(٣).

٣. تداخل المصطلحات واحتلاطها: أشار كثير من الدارسين المحدثين إلى مأخذ ثالث على المصطلحات النحوية العربية؛ وهو تداخل بعض هذه المصطلحات النحوية، واحتلاط مفاهيمها بعضها البعض، ولعل اشتراك عدة مفاهيم نحوية في مصطلح واحد أسهם بشكل كبير في هذا الأمر، فسيبيويه (١٧٥هـ) "استخدم مصطلح (الخبر) للدلالة على (الحال) إضافة إلى مصطلح الحال"^(٤). كما استخدم مصطلحي: الصفة والنتع؛ للدلالة على مفهوم واحد. وهذا وإن كان تعددًا للمصطلح؛ ولكنه لم يحدث إشكالاً عند من تبعه من النحاة، لأن المصطلح كما يقول الدكتور / خالد بسندى كان مضبوطاً للدلالة على مفهوم الصفة، مع

(١) أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، ص ٧٥.

(٢) ينظر: عمر حدوارة، المصطلح النحوي الكوفي وأثره على النحاة المحدثين، ص ٦٠ و مابعدها، وينظر أيضاً: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٨٧. و علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٢٩، و جالو، أحمد التيجاني، إشكالية المنهج في المصطلحات النحوية في القرنين الثاني والثالث المجريين، مجلة كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا، العدد ١٨، السنة ٢٠٠١م، ص ٢٨٧-٣٠٣. و بسندى، خالد، تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي، بحث منشور في مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد ٩٨، حزيران ٢٠٠٥م، ص ٢٤ و مابعدها.

(٣) ينظر: علي أبو المكارم، المدخل إلى دراسة النحو العربي، ص ١٣١-١٣٣.

(٤) خالد بسندى، تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي، ص ٢٥، وينظر أيضاً: رياض عنمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ص ١٧.

أن الأولى توحيده بمصطلح واحد، غير أن التداخل حدث عندما تغير المفهوم، فقد أطلق سيبويه مصطلح النعت على عطف البيان كما أطلق على التوكيد مصطلح الصفة^(١). وأما مصطلح الصفة فقد أخذ عند الكوفيين دلالة أخرى فأطلق على حروف الجر، والظرف^(٢). وهو كما يقول الدكتور/ خالد بسندى: "يسبب إرباكا لدى الدارسين ويقع في خلط كبير"^(٣).

ويتكرر الأمر كذلك عند أصحاب سيبويه - كما يقول الدكتور/ رياض عثمان -: "فهذا خلف الأحمر البصري لا يفرق بين علامات البناء، وعلامات الإعراب؛ فيجعل الأمر مجزوماً، ولم يقتصر عدم استقرار المصطلح على سيبويه وأصحابه، بل طال الفراء الكوفي الذي استعمل مصطلحات الضم، والفتح، والكسر للبناء والحركات داخل الكلمة، ويستعمل مصطلحات الرفع والنصب والخض للإعراب"^(٤).

ويرى الدكتور/ أحمد عبد العظيم عبد الغني أن مصطلح (مفرد) يمثل هذا التداخل خير تمثيل؛ فهو مصطلح يطلق على عدة مفاهيم في أبواب متعددة، وقد أدى هذا إلى تداخل، واضطراب؛ فكثيراً ما يلاحظ أن ما يندرج في مفهوم المفرد في باب معين يتنافى معه في باب آخر، فيما يندرج - مثلاً - تحت مصطلح مفرد في باب معنى الكلمة؛ ربما يندرج تحت مصطلح مركب في باب العلم نحو: عبد الله، وجاد الحق، وغيرها من الأعلام المركبة^(٥). كذلك "في باب النعت نلحظ أن الإعراب أحياناً يتوقف على فهم المصطلح (مفرد) مقابلًا للمصطلح (مركب) (أبو علي)؛ وهو في باب العلم من المركب يعد في باب النعت (مفرداً) يقصد طرفاً بالصفة، ولا يقصد جزءه الذي يراعي فيه الإعراب؛ فهو (مركب) من حيث الإعراب، وفي باب العلم،

(١) خالد بسندى، تعدد المصطلح وتدخله قراءة في التراث اللغوى، ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥ ، وينظر أيضاً: المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، ص ٢٤٦.

(٣) خالد بسندى، تعدد المصطلح وتدخله قراءة في التراث اللغوى، ص ٢٦.

(٤) رياض عثمان، المصطلح التحوى وأصل الدلالة، ص ١٧-١٨.

(٥) ينظر: أحمد عبد العظيم، المصطلح التحوى دراسة نقدية تحليلية، ص ١١ ، وينظر أيضاً: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوى، ص ١٧٢.

وهو (مفرد) من حيث المقصود بالنعت^(١)؛ كما أن ما اصطلاح عليه في باب العدد بـ(معطوف و معطوف عليه) عد في باب النداء؛ إذا سمي به من قبيل (المفرد). وفي باب العدد نجد أن ما اصطلاح عليه بـ(الأعداد المركبة) يتواجد عليه في باب النداء مصطلحان؛ بسبب اضطراب مصطلح (مفرد) الذي يقابله (مركب)؛ إذ يعد بعض النحاة هذه الأعداد جميعها من قبيل المركب الإضافي الذي يقتضي حكم الإعراب، ويرى آخرون أنها مفردة ومن ثم فهي مبنية^(٢). كما أن ما يندرج تحت ألفاظ العقود في باب (تمييز العدد) ويطلق عليها بعضهم مصطلح (مفرد) يلحق بالجامعة في موضع آخر من النحو في باب جمع المذكر السالم^(٣). ويتساءل الدكتور عبد العظيم قائلاً: "إن ما يندرج تحت (الفاظ العقود) في باب تمييز العدد، ويطلق عليه بعضهم مصطلح (مفرد) يلحق بالجامعة في موضع آخر من النحو، في باب جمع المذكر السالم، فهو حيناً يعامل على أنه جمع في الدلالة، عقد في العدد، مفرد في النداء، وإذا لم يكن هذا هو الاضطراب، والتداخل المؤديان إلى غموض التعلم، إن كانت غاية النحو تعلمية، وإلى غموض الدرس إن كانت غايتها علمية تهدف إلى وصف اللغة، والكشف عن قوانينها المطردة، واستخدام مصطلحات دقيقة لا تتدخل، ولا تؤدي إلى تناقض في صياغة قوانين اللغة، فما التداخل؟ وما الاضطراب؟"^(٤).

وتري الدكتورة إيناس الحديدي أن مفهوم البدل، و دراسة ما تعاور عليه من مصطلحات نحوية بصرية، و كوفية، نشأت بينها علاقة ترافق كان من أكثر المفاهيم التي نالت جهداً مضنياً من البحث؛ لما يحيط بمصطلحاته من تداخل أدى إلى وقوع بعض دارسيه في خلط بين مفاهيم نحوية. فالترافق هنا لا يمثل مجرد علاقة من علاقات المعنى، وهي علاقة الترافق، " وإنما يشير إلى تداخل المصطلحات في دلالتها على المفاهيم المختلفة، كأن يستخدم الكوفيون، أو من تأثر بمصطلحاتهم مصطلحات قد استخدموه للدلالة على مفهوم آخر"^(٥). فالكوفيون

(١) ينظر: أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، ص ١٨-١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٥) إيناس الحديدي، المصطلحات نحوية في التراث النحوي، ص ٥٩.

يستخدمون مصطلح (التفسير)، للدلالة على البدل، في حين استخدمو المُصطلح نفسه للدلالة على التمييز. وهو الأمر الذي أدى ببعض من تعرضوا لأعمالهم بالدراسة، أو الشرح بالخلط^(١).

وقد ذكر الدكتور / أحمد عبد العظيم عبد الغني وغيره من الباحثين أمثلة عديدة لمصطلحات نحوية أخرى، لا تخلو من التداخل والاضطراب، نحو: صرف، تصرف، جملة، وشبه جملة، بالإضافة، وغيرها من المصطلحات النحوية التي تداخلت، واختلطت مفاهيمها، وشابها الاضطراب الذي كان في الغالب بسبب الترافق، أو الاشتراك اللغظي بين تلك المصطلحات نحوية.

٤. النطويل في المصطلح النحوي: يرى بعض الباحثين المحدثين أن هنالك مجموعة من المصطلحات الشارحة، أو ذات التركيب المعقد، تمثل -في غالبيها- مرحلة الطفولة المبكرة من المصطلح النحوبي؛ حيث لم يكن المصطلح قد استقر حينها وتبلور، بعضها طور فيما بعد، واستبدل به مصطلح أكثر تركيزاً، واحتصاراً في دلالته على مفهومه، بينما ظل بعضها الآخر يستخدم كما هو من دون تغيير، وأكثر ما يتمثل هذا النوع من المصطلحات في كتاب سيبويه، ومن نماذج تلك المصطلحات:

- باب من الفعل يستعمل في الاسم، ثم تبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر، فيعمل فيه كما عمل في الأول = البدل.

- باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى، وما يعمل فيه = المشتقات العاملة عمل الفعل.

- المفعول الذي لم يسم من فعل به = نائب الفاعل.

وتشير الدكتورة / إيناس الحديدي إلى أن المصطلح الأخير ظل يستخدم عند النحاة المتأخرين، مثل أبي حيان (٧٤٥هـ) الذي سماه (المفعول الذي لم يسم فاعله)، كما استخدمه ابن عصفور (٦٧٠هـ) بعبارة (ما لم يسم فاعله)، ولا يخفى -كما تقول- ما في هذه العبارة من خلط واضطراب، حيث أطلق ابن عصفور عبارة دالة على مصطلح الفعل المبني

(١) إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، ص ١٥٩.

للمجهول؛ قاصداً مفهوماً آخر؛ وهو نائب الفاعل. كذلك استعمله ابن السراج (ت ٢٣٧هـ) بعبارة: المفعول الذي لم يسم من فعل به، وقبله المبرد (ت ٢٨٥هـ) بعبارة المفعول الذي لا يذكر فاعله^(١). كما تذكر أن ابن عصفور أورد هو – أيضاً – مصطلحات من هذا القبيل نحو:

- باب الأفعال الجارية مجرى كان وأخواتها = أفعال المقاربة.

- باب الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر = إن وأخواتها.

وتؤكد الدكتورة/ إيناس الحديدي أن "الأولوية في جودة المصطلح للفظة المفردة؛ كلما أمكن ذلك عند التعبير عن المفاهيم التي لابد من إرサئها، وتحديدها أولاً قبل صياغة المصطلح"^(٢).

ويرجع الدكتور/ عبد الله الخشان طول بعض المصطلحات النحوية أحياناً عند المدرستين إلى أنها تقوم على الوصف الوظيفي للظواهر اللغوية، وهو ما يؤكد – بحسب قوله – أنها غير مأخوذة من اليونان أو غيرهم من خارج البيئة الإسلامية العربية^(٣).

وربما عدّ بعض الباحثين هذا النوع من العبارات أنها مفاهيم من غير اصطلاحات^(٤).

٥. **تأثير الفلسفة والمنطق في المصطلح النحوي:** وقد تم الإشارة إلى هذا النوع من التأثير في المبحث السابق.

وأخيراً: وعلى الرغم مما تم الوقوف عليه من مأخذ على المصطلح النحوي في التراث النحووي، والتي هي في نظري ترجع في كثير منها إلى مرحلة ما قبل استقرار المصطلحات النحوية، أو إلى الاختلاف المذهبي بين البصريين والكوفيين؛ فإن هذا لا يلغى تلك الجهدات الكبيرة التي بذلها النحاة المتقدمين منهم والمتاخرين، في سبيل استقرار المصطلح النحوي، كما أن جهود الباحثين المحدثين كان استجابة لشకوى دارسي اللغة العربية من كثرة المصطلحات، وتعددتها وما سببها ذلك – في نظرهم – من تداخل، وغموض، واضطراب، في بعض الأحيان.

(١) ينظر: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحووي ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) ينظر: عبدالله الخشان، مصطلحات النحو الكوفي، ص ١٥٣.

(٤) ينظر: رياض عثمان، المصطلح النحوي وأصل الدلالة، ص ٢٠٣.

ولعلي لا أنسى أن أشيد على وجه الخصوص ببحث الدكتورة/ إيناس الحديدي الذي تناولت فيه قضية المصطلح النحوي في التراث العربي بعرضه على ما استقر عليه علم الاصطلاح الحديث، من مناهج وأدوات؛ للوقوف على مدى تحقق شروط علم الاصطلاح على تلك المصطلحات، بهدف توحيد تلك المصطلحات وتسخيرها؛ مؤكدة أن مجموعة كبيرة من المصطلحات النحوية قد تحققت فيها الشروط الشكلية، والدلالية لصياغة المصطلح، وأن تعدد المصطلحات ناتج - في كثير منه - عن اختلاف المنهج؛ بسبب تعدد المذاهب، والاتجاهات النحوية عبر العصور التي مر بها النحو العربي، كما أن تعدد المصطلحات الكوفية بشكل خاص إنما يعود إلى أنها مصطلحات تفسيرية أكثر منها علمية تقنية، موصية بالأخذ بأسس وضع المصطلحات وتطبيقاتها -بداية- مع مصطلحات التراث، والسعى لإنشاء بنك مصطلحات خاص لكل علم؛ ولا سيما مصطلحات النحو العربي^(١). وهي دراسة فريدة وحادة، -وتستحق من وجهة نظرى - الإشادة والثناء.

(١) ينظر: إيناس الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي، الخاتمة.

الباب الثاني الآثار

الآثار النظيرية	الفصل الأول
الآثار التطبيقية	الفصل الثاني

مدخل

شهدت الفترة الحديثة الممتدة منذ نهاية القرن التاسع عشر، حتى وقتنا هذا نشاطاً مميزاً في مجال الدراسات النحوية واللغوية، وقامت على إثر ذلك محاولات كثيرة في تحديد النحو العربي، وإصلاحه مدفوعة برياح التغيير التي هبت على المشرق، ومتأثرة بتلك الدعوات والانتقادات التي وجهت للنحو العربي؛ مما تم الحديث عنه مفصلاً في الباب الأول من هذا البحث.

وقد ظهرت هذه المحاولات في أماكن متعددة: في مصر، والشام، وال العراق، وكذلك في المغرب العربي في فترات لاحقة، وذلك من خلال أهداف متعددة، ومنطلقات منهجية مختلفة متباعدة: من الاتجاه التقليدي محافظ؛ سواءً أكان ذلك على مستوى تيسير النحو وتقريره من أذهان الدارسين أم على صعيد النظرية النحوية الحالصة، وأخر يتبنى ما كان الغرب ينتجه في دراسة الظاهرة اللغوية من مناهج ونظريات حديثة بطرق علمية وسمت بالموضوعية؛ إيماناً منهم بأن النحو العربي لا بد أن يتخد موقعاً في النظر النحوي المشترك بين الأنظمة المختلفة ، وقد بذلت جهود ضخمة في هذا الباب، وألفت كتب متنوعة، وبحوث كثيرة في مجال تحديد الدرس النحوي العربي وإصلاحه على امتداد هذه الحقبة.

وتلك الدراسات على تنوعها، وتبنيها، واختلاف مشاربها وأهدافها كانت تدعو إلى إعادة دراسة التراث النحوي العربي من جديد؛ حيث "أدرك المهتمون بالنحو من المحدثين أن لا بد من الاتجاه إلى إعادة درس النحو من جديد، وأن الأسباب التي كانت مدعاه لنشأة النحو الأولى هي - على وجه التقرير - الأسباب نفسها التي تدعو إلى إيقاظه من سباته" ^(١).

لقد كان إيمان كثير من الباحثين المحدثين قوياً وراسخاً بحتمية التجديد في النحو العربي من جهة؛ لأن "اللغة تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية، أما قواعدها فتتولد من البحوث التي يقوم بها العلماء، وتتبدل بتبدل النظريات التي يضعونها، فهي من الأمور الاجتهادية التي يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام، ولا يجوز لنا أن نقبلها من غير مناقشة وتفكير؛ بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها، ونطيل التفكير حولها؛ لنكشف فيها مواطن الخطأ والصواب، ونسعى في إصلاحها؛ وفقاً للطرق المنطقية المتبعة في البحوث العلمية بوجه عام" ^(٢).

(١) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٠.

(٢) الصعيدي، عبد المتعال، النحو الجديد، الناشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ١٤٥-١٤٦.

و من جهة أخرى فقد كان شعور بعض هؤلاء الباحثين المتخصصين بمقدار الوهن والضعف في النحو القديم سببا آخر لتلك المحاولات، فقد دخل النحو القديم – كما يقول الأستاذ/ عباس حسن - في طور من الوهن والضعف لم يشهده من قبل، وتمالأت عليه الأحداث، فأظهرت من عييه ما كان مستورا^(١).

وكما اختلفت تلك المحاولات في أهدافها ومشاربها، اختلفت أيضا في اعتدالها وتطرفها؛ ففي حين كان عدد من الباحثين المحدثين يمثل نزعة تيار المحافظة، ويدعو إلى التيسير وإعادة النظر دون المساس بأي أصل من أصول النحو، ويمثله كثير من علماء الأزهر آنذاك ومن حذا حذوهم، ومروراً من ينادي بتقريب النحو العربي إلى أفهم الدارسين باستخدام معطيات علم اللغة الحديث بنظرياته المختلفة، وانتهاء بتلك الدعوات المتطرفة التي تنادي بالتحلل من قيود الإعراب، أو استخدام لغة وسطى بين العامية والفصحي، أو التحرر تماماً من الفصحي واستبدال العامية بها^(٢).

ويمكن حصر المنطلقات في محاولات الإصلاح والتجديد عند الباحثين المحدثين في النحو العربي إلى أحد ثلاثة أسباب، وهي^(٣):

- ١ - استغلاق الدرس النحوي، وتعقد مباحثه، ونفور الدارسين منه.
- ٢ - ظهور آراء ابن مضاء القرطبي (ت ٩٥٩هـ)، بعد أن نشر الدكتور/ شوقي ضيف كتاب: (الرد على النحاة).
- ٣ - الاطلاع على الدراسات اللغوية الحديثة المختلفة في الغرب، وما فيها من نظريات منظمة المناهج.

(١) ينظر: عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والمحدث، ص ٧٠.

(٢) ينظر: سعيد، نقوس ركريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المدى، الطبعة (٢)، ١٩٨٠م، ص ١٩٥ - ٢٢٢ ، و ينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٨٧-٨٨، وأحمد بن جار الله الزهري، اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين، ص ٣٧٨-٣٨٨.

(٣) ينظر: الياسري، علي، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٧. وينظر أيضاً: شعبان العبيدي، العربية ومناهج التأليف والتحليل، ص ٤٩٥. وحلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنية، ص ٤٩-٨٩. و حافظ إسماعيلي علوى، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص ٢٠.

وأمام هذا التعدد والاختلاف في تلك الدراسات فقد كان من الضروري قبل الحديث عنها وتحليلها وتقويمها، أن أضع لها تصنيفا يجمع ما تشابه منها، رغم صعوبة هذا الأمر بسبب تداخل تلك الجهود في مشاركتها واتجاهاتها وآهدافها، وقد رأيت بعد الوقوف على تلك المحاولات أن أضع هذا الباب في فصلين اثنين هما:

- الفصل الأول: الآثار النظرية.

- الفصل الثاني: الآثار التطبيقية.

الفصل الأول

الآثار التنظيرية

محاولات انطلقت من منطلقات تراثية خالصة	المبحث الأول
محاولات انطلقت من الفكر اللغوي الغربي الحديث متجاوزة النظرية القديمة	المبحث الثاني
محاولات جمعت بين التراث والفكر اللغوي الحديث	المبحث الثالث

المبحث الأول

محاولات انطلقت من منطلقات تراثية خالصة

لقد بذل النحاة المتقدمون جهوداً كبيرة ومحلصة من أجل الحفاظ على اللغة العربية، وهذه الجهود - على جلالتها وأهميتها - لم تخل من التغرات، والهنات، والقصور، ما دفع بعض الباحثين العرب المحدثين إلى الدعوة ما وصفه بعضهم بـ(إحياء النحو وتحديده) وذلك عن طريق إعادة النظر في أصوله ومبادئه ونقدتها، ومحاولة تقديم بدائل للنظرية النحوية القديمة، أو سد التغرات فيها.

وقد كان بعض هذه المحاولات ينطلق من منطلقات تراثية خالصة، أي أنها كانت في إطار النظرية النحوية القديمة وثيقة الاتصال بأصولها ومبادئها؛ وليس معارضة لها أو خارجة عنها؛ حيث إن هؤلاء الباحثين وجهوا النقد للتراث من التراث، كما أن محاولاتهم الإصلاحية انطلقت منه. وبالتالي فقد كانت تلك المحاولات بعيدة كل البعد عن علم اللغة الحديث ومناهجه وتأثيراته، على الرغم من أن بعض أصحاب هذا الاتجاه كانوا يعملون في الجامعات " وقد تراءت إلى أسماعهم بلا شك أصياء من علم اللغة التاريخي المقارن، بل ربما أيضاً أصياء من علم اللغة الوصفي..... إلا أن هذه المناهج العلمية الحديثة؛ والتي لم تعرفها العربية من قبل لم تؤثر في عملهم إلا قليلاً؛ ولعل السبب في ذلك هو شدة ارتباط أغلب دعاة الإحياء بالتقاليid اللغوية القديمة كما عرفوها وتعلموها، سواء في الأزهر أو دار العلوم؛ حتى إنهم؛ وهم في أشد مواقفهم نقداً للقدسي مرتبطين بأصوله ومبادئه، ولم يفكروا في وضع غيرها، أو استبدالها على هدى ما يسمعون أو يقرؤون من مناهج جديدة في دراسة اللغة"^(١).

وقد بدأت تلك المحاولات الإصلاحية منذ بداية القرن العشرين بعد الحملات القوية التي شُنّت على النحو العربي بدعوى صعوبة قواعده وتعقيدها " وكانت في أول الأمر عبارة عن ملاحظات جزئية، واعتراضات تقتصر على الدعوة إلى حذف أو تعديل بعض أبواب النحو

(١) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ٦١.

ومسائله^(١)، ثم توالى هذه المحاولات بعد ذلك لتحول إلى مشاريع ومنجزات لغوية متكاملة كان المدف منها تفسير اللغة العربية ووصفها، استمدت مشروعيتها وجودها من نقد النظرية النحوية القديمة.

ومن أوائل تلك المحاولات الجزئية النظرية ما نشرته مجلة: (المقططف) عام ١٩٠٤، بحرجس الخوري المقدسي وكانت تحت عنوان: العربية وتسهيل قواعدها، حيث هاجم الأستاذ/ جرجس المقدسي في هذه المقالة ظاهرة: (الإعراب) في اللغة العربية، ورأى أنه هو منبع الصعوبة في قواعد اللغة العربية ، واعتذر الحركات الإعرابية عقبة في طريق درس العربية، كما دعا الباحث في الوقت نفسه إلى معالجة بعض الأبواب النحوية، أو الظواهر النحوية التي يرى فيها صعوبة واضحة؛ فاقتصر على سبيل المثال: نصب المنادي مطلقا، وجعل ضميري الجمع والمؤنث والمذكر واحدا، ونصب جمع المؤنث السالم بالفتحة، وصرف الممنوع من الصرف نثرا كما تصرف شرعا، ورفع الاسم والخبر حتى مع التواسخ، وإلغاء تعدد أحكام العدد، وغيرها من الاقتراحات^(٢). والهدف من هذه المقترفات في رأيه إنما هو "تسهيل قواعد اللغة؛ حتى لا يجد أولادنا ما يجدونه من العناء في دروسها"^(٣).

ثم تلا ذلك محاولة قاسم أمين التي استهلها - أيضا - بحملة شديدة على الإعراب الذي يعد - في رأيه - مصدرا لكثير ما يقع من لحن في قراءة العربية، والحل في تصوّره هو: "أن تبقى أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك بأي عامل من العوامل، بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الإفرينجية والتركية أيضا، يمكن حذف قواعد النواصب، والجوازم، والحال، والاشتعال... إلخ، بدون أن يترب عليه إخلال باللغة؛ إذ تبقى مفراداتها كما هي"^(٤).

وفي عام ١٩٣٨ نشر الأستاذ/ حسن الشريف في مجلة: (الهلال) بحثا بعنوان: تبسيط

(١) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ٨٧.

(٢) ينظر: الخوري، جرجس، العربية وتسهيل قواعدها، مجلة المقططف، المجلد (٢٩)، ١٩٠٤، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٤٣.

(٤) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٠ - ٩٤، و ينظر أيضا: نفوس زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص ٢٠٢، و عبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، ص ١٤٣.

قواعد اللغة العربية، في محاولة تبدو أكثر جدية ونضجاً وموضوعية من المحاولتين السابقتين، حرص الباحث فيها أن يؤكد أكثر من مرة بأنّ ما يدعوه إليه من إصلاح يمكن - بحسب قوله - : "أن يتم من دون أن نزعزع أساس اللغة، أو نغير في جوهرها"^(١). كما أشار إلى أن القواعد التي يراها بحاجة إلى الإلغاء أو التعديل "ليست أيسراً، ولا أهوناً، ولا أفيد ما في كتب النحو، وإنما هي أكثرها طولاً، وأشدّها تعقيداً، وأقلّها فائدة"^(٢). وبناء على هذا الأساس النظري، ومنهج الإصلاح الذي يتبنّاه، فقد كان له اقتراحات لحل مشكلات يراها في بعض الأبواب النحوية، والتي يمكن إصلاحها، أو تعديلها، أو تحدّيّها للتخلص من نواحي الصعوبة فيها، ومنها^(٣) :

- إلغاء باب موانع الصرف؛ مدعماً رأيه هذا بأدلة من واقع اللغة، ومن مذاهب النحاة، فقد "تحلل الشعراً من موانع الصرف، فلم يفسد الشعر، ولم تفسد اللغة، ولقد أقرّهم النحاة على ما فعلوا فماذا عليهم إذا قالوا: والناثر أيضاً يصرف مالاً ينصرف"^(٤).
- التسوية بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث، حيث يرى الأستاذ/حسن الشريف أنّ "السهل والمعقول أن نوفق بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث؛ بلا استثناء"^(٥).
- اقترح الباحث إبقاء المفعول به منصوباً في حالة بناء الفعل للمجهول، والاكتفاء بقلب الفعل فقط^(٦).

(١) الشريف، حسن، تبسيط قواعد اللغة العربية، نشر في مجلة الملال المجلد (٤٦)، أغسطس عام ١٩٣٨م، ص ١١٠٩، وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٣-٩٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١١١٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١٣-١١١٥. وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٤-٩٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١١١٠.

(٥) المصدر السابق: ص ١١١٣.

(٦) المصدر السابق، ص ١١١٣-١١١٤.

- إلزام المستثنى والمنادى حالة واحدة من الحالات، فيكون منصوباً دائماً، أو مرفوعاً دائماً؛ وذلك كما يقول: "لأنها تخلق الاضطراب في الذهن؛ لتراكم قواعدها، وتعقد أصولها وفروعها"^(١).

- إلغاء صيغ جموع التكسير في الأسماء التي يجوز جمعها مذكراً سالماً وجمع تكسير والاكتفاء بصيغة جمع المذكر السالم، أما الأسماء التي لا تجمع جمعاً مذكراً سالماً، فتبقى لها صيغة واحدة من صيغ جموع التكسير.

وبغض النظر عن التوایا والمقاصد والأهداف التي انطلقت منها بعض هذه المحاولات السابقة^(٢)، وما قيل سداحة بعض الاقتراحات وسطحيتها؛ بسبب عدم ارتكازها على أساس نظري، وطابع السرعة، والانفعال، والاقتضاب الذي غالب على أكثرها؛ فإنّ أصحابها - أيضاً - ينطلقون في عملهم هذا من فكرة خاطئة، وغير مقبولة؛ "وهي أنّ من حق الباحث الذي يريد إصلاح قواعد اللغة العربية أن يلغى، أو يغير من أبوابها ما يراه مصدراً للصعوبة؛ حتى ولو كانت تلك الأبواب تمثل عناصر جوهرية في نظام اللغة؛ وفي حذفها أو تغييرها هدم لشيء من مقومات تلك اللغة، إن هذا الأسلوب في الإصلاح مرفوض لغويًا ولاعتبارات أخرى لها وزنها؛ لأنّه ينتهي لا إلى إصلاح قواعد اللغة كما هو الهدف، وإنما إلى تحويل هذه اللغة إلى شيء آخر مختلف تناقض النصوص اللغوية التي استقينا منها تلك القواعد"^(٣).

لقد كانت تلك المحاولات وعلى الرغم سداجتها العلمية، تعكس بشكل كبير مواقف كثير من الباحثين المحدثين من قواعد النحو العربي وأصوله، وما أثير من صعوبته وعقمه، ووقف هذه القواعد عقبة في طريق الراغبين في تعلم العربية وإتقانها، كما أنها كانت خطوة هامة في التعرف على مشاكل النظرية النحوية العربية القديمة، والاهتمام بها ومعالجتها، بالإضافة إلى ذلك فإنّها كانت محفزاً لمحاولات جزئية أخرى انطلقت في بعض البلدان العربية؛ وبخاصة في

(١) حسن الشريف، تبسيط قواعد اللغة العربية، ص ١١٤.

(٢) ينظر: نفوس زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص ٢٠٠-٢٠٦. وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٦.

(٣) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٥. وينظر أيضاً: نفوس زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص ٢٠٣-٢٠٦.

العراق من أبرزها ماقام به القس / حنا رحmani، والدكتور / مصطفى جواد، والدكتور / طه الراوي، والأستاذ / شاكر الجودي، والأستاذ / محمد علي الكردي وغيرهم من الباحثين، مما لا يمكن حصره والوقوف عليه، والإحاطة به هنا؛ لكثرته وتشابهه، كما أن أغلب هذه المحاولات التجددية - في نظري - لم تتعذر في مضمونها محاولات الإصلاح والتيسير التي ظهرت في مصر، ولم تخرج عنها بكثير إضافة، وقد تناول كثيرا منها الدكتور / عبد الجبار جعفر القزاز في كتابه: **(الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين)**^(١). غير أنني سأقف أمام محاولة تستحق - في نظري - الاستعراض قدمها الأستاذ / شاكر الجودي في كتابه: **(تشذيب منهج النحو)**؛ لما لها من أهمية في مضامينها، ومقترحاتها، بالإضافة إلى قيمتها التاريخية.

وهذا الكتاب في أصله مقالة نشرها في مجلة: **(المعلم الجديد)** عام ١٩٤٥م، ثم أعاد نشرها في هذا الكتاب، وأضاف إليها مقترحات أخرى على مقترحاته الأولى، وكان من أبرز مقترحاته فيها الآتي^(٢):

- حذف موضوع كان وأخواتها ، وإلحاقه بموضوع الحال؛ فيكون اسم الفعل الناقص فاعلا له، وخبره حالا صاحبه هذا الفاعل، وعاملها ذاك الفعل الناقص.
- حذف موضوع الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، حيث يعد مفعولها الأول مفعولا به، ومفعولها الثاني حالا صاحبها المفعول به، وعاملها الفعل.
- حذف موضوع الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا، حيث يعد المفعول الأول مفعولا به، والمفعول الثاني تمييزا.
- حذف موضوعات المفعول المطلق، والمفعول فيه، والمفعول لأجله، وأن تجمع كلها في باب واحد هو: وصف الفعل.

فصل الأستاذ / شاكر الجودي في هذه الاقتراحات، واستشهد بالكثير من أقوال النحاة

(١) ينظر: القزاز، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، كلية الآداب، جامعة بغداد، شوال ١٣٩٩هـ.

(٢) لم أتمكن من الوقوف على هذا الكتاب؛ وما أوردته هنا نقلته عن: عبد الجبار جعفر القزاز، الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، ص ١٧٠-١٧٣.

المتقددين، لإثبات صحة رأيه، وذكر أمثلة، ونماذج إعرابية متعددة؛ لتوضيح مقتراحاته ودعمها^(١).

أما تلك المحاولات التي اتصفت بالشمول والتكميل، واستهدفت النظرية النحوية كاملاً، فإنّ أبرزها ماقام به الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه الشهير: (إحياء النحو) الذي ظهر سنة ١٩٣٧م، وهو - كما يصفه الدكتور/ عبد الرحمن أبوب - "أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية"^(٢)؛ ولذا فإنّ هذا الكتاب بلا شك يعد منعرجاً أساسياً في تاريخ التفكير اللغوي العربي الحديث بالنظر إلى المحاولات التي سبقته، بما فيه من أفكار مبتكرة وجريئة في نقد النحو العربي وإصلاحه، حدد فيه الأستاذ/ إبراهيم مصطفى مجموعة من أوجه القصور والتعقيد التي شابت النحو العربي قديماً، وحاول أن يفتّد هذه الأمور، وينقضها؛ مقدماً ما يراه حلاً لها.

لقد شن الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في هذا الكتاب هجوماً شديداً على النحاة بسبب اهتمامهم الزائد بنظرية العامل؛ لأنّه عدّها الأساس في مشكلات النحو، ودعا إلى إلغائها من أساسها، واستبعاد ما جرته للنحو - كما يقول - من تعليقات وأقيسة وخلافات تملأ كتب النحو، كما يرى أن النحاة غفلوا عن معانٍ حركات الإعراب بسبب اهتمامهم بالعامل، ثم قدم تصوراً لمعانٍ هذه الحركات، فالضمة علم الإسناد، والكسرة علم الإضافة، أما الفتحة فهي ليست علامة في نظره، وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، كما انتهى إلى أن التنوين علم التنكير في العربية، وقد ترتّب على هذا أن أعاد ترتيب بعض الأبواب النحوية، فالمبدأ، والفاعل، ونائب الفاعل باب واحد؛ لأنّ كلاً منهم مسند إليه، كما أنّ التوابع عنده هي النعت، والبدل لا غير، ويدخل في النعت عنده خبر المبدأ؛ لأنّ الخبر تابع للمبدأ كما تابع الصفة الموصوف، ويدخل في البدل عنده التوكيد وعطف البيان، أما العطف فليس نوعاً من التوابع لأنّ إعراب المعطوف هو الأصل لا على الإتباع ومن ثم فإنّ العطف يشارك المعطوف

(١) ينظر: عبد الجبار جعفر الفزار، الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، ص ١٧٣.

(٢) عبد الرحمن أبوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٤ هامش ١.

عليه في الحكم ولذا يستحق أن يشاركه في الإعراب^(١).

هذه هي الأصول والمبادئ التي أقام عليها الأستاذ/إبراهيم مصطفى محاولته في كتابه: *(إحياء النحو)*، والتي كان لها أعظم الأثر فيمن لحقه من الباحثين المحدثين من ردوداً كثيرة من آرائه وموافقه في جهودهم في نقد النحو العربي وإصلاحه، وسوف أتناول هذا الكتاب بشيء من التفصيل؛ لأهميته التاريخية بعد عرض المحاولات اللاحقة.

أما المحاولة الثانية فهي محاولة وزارة المعارف المصرية عام: (١٩٣٨م)^(٢) حين شكلت لجنة للنظر في تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة، والتي انبثقت بوجي، أو بإيحاء وتأثير من كتاب: *(إحياء النحو)*، وقد كان من أبرز أعضاء هذه اللجنة الدكتور/ طه حسين، والأستاذ/ إبراهيم مصطفى، والأستاذ/ أحمد أمين، والأستاذ/ علي الجارم، وقد حددت اللجنة القواعد والأسس النظرية التي تسير عليها، وتلخص فيما يأتي:

- ١ - عدم المساس من قريب أو بعيد بأي أصل من أصول اللغة أو شكل من أشكالها.
- ٢ - العمل على تيسير القواعد والأصول بحيث تصبح قريبة من العقل الحديث.
- ٣ - الحرص على عدم العدول عن القديم لأنه قديم، وعدم التغيير فيما اتفق عليه النحاة من القواعد والأصول إلا بمقدار، حين لا بد من هذا التغيير.
- ٤ - إثمار ما عسى أن يكون أقرب إلى العقل الحديث، وأيسر على الناشئين من مذاهب النحاة القدماء.
- ٥ - تخليص النحو مما يعسره ويعقده، وأهم ما يعسره - في نظر اللجنة - ثلاثة أشياء: فلسفة حملت القدماء على الإسراف على أن يفترضوا ويعلّلوا مسربين، وإسراف في

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو، المقدمة، وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ٩٩-١١٢.*

(٢) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، *النحو الجديد*، ص ٨٤-٩٦. و ينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١١٣-١١٨، و عبد الجبار جعفر القزاز، *الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين*، ص ١١٥. و شاهين، يوسف محمود محمد يونس، *محاولات التجديد في النحو: اتجاهات، و تفسيرها، ونتائج، رسالة علمية قدمت للحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو، جامعة اليرموك، الأردن*، ١٩٨٩م، ص ٢١٧-٢١٨.

القواعد والمصطلحات، ثم إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

وقد كان من أهم ما تضمنه تقرير هذه اللجنة من اقتراحات في النحو والصرف ما يأتي:

أ- وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديرية، والإعراب المحلي، في المفردات، وفي الجمل.

ب- إلغاء التمييز بين علامات الإعراب الأصلية والفرعية، واعتبار كل منها في موضعه أصلا، فليست فيها علامات نائبة عن أخرى. وعليه فقد قسمت الأسماء العربية إلى الأقسام الآتية:

- اسم تظهر فيه الحركات الثلاث، وهو أكثر الأسماء.

- اسم تظهر فيه الحركات الثلاث مع مدها، وهو الأسماء الخمسة.

- اسم تظهر فيه حركتا الضم والفتح، وهو الممنوع من التنوين.

- اسم تظهر فيه حركة واحدة هي الفتح، وهو ما آخره ياء لينة، ويسمى المنقوص.

- اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون، وهو المثنى.

- اسم تظهر فيه واو ونون، أو ياء ونون، وهو المجموع بهما.

ج- تسمية ركني الجملة بـ (الموضوع والمحمول)، وترى اللجنة أنها بذلك قد يسرت الإعراب، وقللت من المصطلحات، وجمعت أبواب الفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ، واسم كان، واسم إنّ في باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ، وخبر كان، وخبر إنّ في باب واحد هو: المحمول.

د- إلغاء ضمائر الرفع المستترّة جوازاً أو وجوباً، في الماضي والأمر و في المضارع كذلك؛ مع اعتبار أحرف المضارعة إشارات إلى الموضوع ألغت عنه. أما الضمائر البارزة المتصلة؛ فإن كانت للغائب فهي - اتباعاً للمازني - تعتبر إشارة لا ضميراً، أما في حالي التّكلم والخطاب فهي موضوع، والفعل الذي قبلها محمول، وإذا ذكر معها ضمير منفصل مثل : قمت أنا، فهو في هذه الحالة تقوية له.

ه- رأت اللجنة عدم تقدير المتعلق العام للظرف والجار والمحرر، حتى يكون محمولاً، واعتبار الظرف نفسه أو الجار والمحرر: هو المحمول.

و- رأت اللجنة - طلباً للاختصار والتسهيل - ضم عدد من أبواب النحو تحت اسم واحد، فضمت المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، وكل ما يذكر في الجملة -

غير الموضوع والمحمول - تحت اسم: التكملة، وحكمها أنها مفتوحة دائمًا؛ إلا إذا كانت مضافاً إليها، أو مسبوقة بحرف إضافة، ثم عادوا وجعلوا للتكميلة أغراضاً بحسب تلك الأنواع التي يدرسها النحو التقليدي كلا على حدة.

ي - أطلقت اللجنة مصطلح : **(الأساليب)** وهي كما يعرفونها: أنواع من العبارات تعب النحوة كثيراً في إعرابها، وفي تحريرها على قواعدهم مثل: التعجب، والتحذير، والإغراء ورأت اللجنة فيها أن تدرس على أنها أساليب ثابتة بين معناها، وتوجه العناية في درسها إلى طرق الاستعمال، لا إلى تحليل الصيغ، وفلسفة تحريرها. وعلى الرغم مما بذل في هذه المحاولة من جهد في سبيل فرضها على مناهج التعليم في المدارس آنذاك إلا أن تلك الجهد قد فشلت في ذلك، كما أنّ كثيراً من مقتراحاتها قد تعرضت للنقد والمعارضة من عدد من العلماء والباحثين؛ وذلك لشكليّة علاجها لصعوبات النحو، ثم أهملت بعد ذلك^(١).

أما محاولة الأستاذ/ محمد أحمد برانق في كتابه: **(النحو المنهجي)** التي بين فيها أنّ هدفه من الكتاب هو: التيسير على الدارسين ؟ مع التزامه بعدم الخروج عن الحدود التي رسمها المتقدمون من النحوة؛ فإنها لا تختلف كثيراً - في مضمونها - عن المحاولتين السابقتين، بل إنّ "هذا الكتاب - في أغلب مباحثه الخاصة بتيسير النحو - صورة مكررة لما سبقه من محاولات في هذا الميدان، وعلى رأسها: **(إحياء النحو)**، ومشروع وزارة المعارف ١٩٣٨م، و**(الرد على النحوة)**، لابن مضاء، وقد أشار الكتاب في أكثر من موضع إلى هذه المحاولات، وإلى أخذه عنها"^(٢). وهذا واضح في مباحث كثيرة؛ حيث نجد أن المؤلف نقل عن هذه المحاولات وجهة نظرها كاملة دون إضافة في مواضع كثيرة نحو: إلغاء العوامل، وجمع معاني الباب الواحد أو الأسلوب الواحد في باب واحد، وضم أبواب المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل تحت اسم: المسند

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١١٨. وينظر أيضاً: عبد الله أحمد جاد الكريم، الدرس النحووي في القرن العشرين، ١٧٩ - ١٨٠، وعطا محمد موسى، مناهج الدرس النحووي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٤٧ - ٤٨. و عبد العزيز عبده أبو عبد الله، المعنى والإعراب عند النحوين ونظريّة العامل، ص ٨٦٥ - ٨٦٧.

(٢) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ١١٩.

والمسند إليه، واعتبار الضمائر المتصلة بالفعل حروفًا، ورفض تقسيم علامات الإعراب إلى أصلية وفرعية، وغيرها من المقترفات التي تضمنتها المحاولات السابقتان^(١). وأما ما قدمه من مقترفات جديدة فقد كان في موضع محدودة، وذلك على سبيل المثال كما في : الاسم الواقع بعد (لا) النافية للجنس، والمنادى، والمقصور والممدود^(٢)؛ ولذا فإن هذه المحاولة - في نظري - لا تضيف كثيراً إلى ما تم تقديمه في المحاولات السابقة.

ويحسب للدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد إشارته إلى محاولة الأستاذ / يعقوب عبد النبي في كتابه: **(النحو الجديد)**^(٣)، كما أنه قد أشاد بها في كتابه، واعتبرها من أنضج المحاولات تلك المرحلة، وأقرها منهاجاً، ومضموناً من المحاولات التجددية القائمة على المنهج اللغوي الحديث^(٤).

وتتألف هذه المحاولة - كما يصفها الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد - من قسم نظري هو: **(إصلاح النحو)** عرض فيه المؤلف آراءه ومقترفاته الجديدة لإصلاح النحو العربي؛ مدعومة بالأدلة العقلية واللغوية، ومن قسم آخر تطبيقي قدم فيه المؤلف قواعد النحو مركزة، في منهج أشبه بمناهج الكتب المدرسية، على أساس النظريات التي يرى أنها طريق لإصلاح وسماع: **(النحو الجديد)**؛ مؤكداً أنه يريد من هذه المحاولة أن يهدم أكثر ما بناه النحاة من قواعد مضطربة غامضة، ويبوّبوا من أبواب فاسدة الأساس، ملتزماً في الوقت ذاته بـألا يخل بأي أصل من أصول العربية، ولا فرع من فروعها المطردة، ثم بعد ذلك حدد المؤلف الخطوات والأسس العملية لتحقيق هذا الإصلاح، ويتلخص ذلك في نظره الآتي: ^(٥).

(١) ينظر: برانق، محمد أحمد، **النحو المنهجي**، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، بدون تاريخ. ص ٥٣-٨٣.

(٢) ينظر: أحمد برانق، **النحو المنهجي**، ص ٨٤ - ١١٦ . وينظر : عبد الوارث مبروك سعيد، في **إصلاح النحو العربي**، ص ١٢٠-١٢٢.

(٣) وهذه المحاولة، كما يقول الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد، ما تزال مخطوطة، ومحفوظة لدى مجمع اللغة العربية. ولم أجد من الباحثين من تناولها، واستعرض فحواها باستثناء الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد في كتابه: **(في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية)**، ص ١٢٣-١٣٢.

(٤) عبد الوارث مبروك سعيد، في **إصلاح النحو العربي**، ص ١٢٣.

(٥) المصدر السابق، ص ١٢٦.

١ - جمع الأبواب المتشابهة كالمفوعات، و المنصوبات تحت باب واحد بقواعد محكمة.

٢ - إلغاء الأبواب التي يظهر فساد التبويب لها، وإلحاقها بغيرها.

٣ - إحكام قواعد الأبواب، واحتصارها، ومنع الشذوذ عنها.

وأما أبرز الإضافات التي قدمتها هذه المحاولة فتتركز في المباحث الآتية^(١):

أ- **أقسام الكلمة:** يرى أن حصر النحاة لأنواع الكلمة في ثلاثة فقط هو حصر تعسفي وباطل، ومن هنا جاء المؤلف بتقسيمه الجديد الذي اعتبره خطوة هامة في سبيل إصلاح النحو العربي، وفيه يقسم المؤلف الكلمة إلى الأقسام الآتية:

- **الاسم:** وهو ما دل على مسمى.

- **الضمير:** وهو الكلمة التي تخل محل الاسم، وتنوب عنه، وهو خمسة أنواع: شخصي، وإشاري، وموصول، وشرطي، واستفهامي.

- **المصدر:** وهو لفظ الحدث الجاري على الفعل.

- **الصفات** التي تدل على وصف وصاحبها، وتؤخذ من ألفاظ الأفعال.

- **الظرف:** وهو ما دل على زمان الفعل ومكانه.

- **الفعل:** وهو ما دل على حدث وزمن وقبل التصرف.

- **الحرف:** وهو ما دل على معنى يظهر كاملا في غيره.

- **الأفعال والأصوات:** فال الأولى كلمات تؤدي معنى الأفعال وعملها ولا تتصرف تصرفها، والثانية ألفاظ محبكة عن الإنسان.

والمؤلف يعطي لكل قسم من هذه الأقسام الثمانية شخصيته المستقلة؛ وإن كان لا يلغى ما يحدث بينها - في بعض السياقات - من تقارب أو تطابق، كما فصل الحديث في الفروق الجوهرية بين هذه الأنواع .

ب - **الإعراب والبناء:** المبنيات عنده تشمل: الحروف كلها، والضمائر ماعدا ما جاء منها على صيغة المثنى، والظروف، والمصادر غير المتصرفة، وأسماء الأعداد المركبة، والأفعال كلها

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ، ص ١٢٦-١٣٠.

ماعدا المضارع، والأسماء الأعجمية التي لم تشتهر في لغة العرب قديما فتصقلها، مثل برلين، ولندن، وأندرسون. أما المعربات، فتشمل عند المؤلف: الأسماء، والصفات، والظروف، والمصادر المتصرفة، والفعل المضارع.

والمبنيات التي لها محل من الإعراب يكفي - حسبما يرى - أن يقال عن كل كلمة أنها عمدة، أو خبر، أو فضلة، أو مضافة إليها، ولا يقال بعد ذلك أنها مبنية على الضم، أو الفتح، أو الكسر، أو السكون، أو في محل رفع، أو نصب، أو جر^(١).

وأما علامات الإعراب فهي - كما يرى - الحركات فقط، أما حروف المد واللين الزائدة على بنية فقد جعلت للدلالة على الصيغ: من ثنائية، وجمع، وإضافة، كذلك فإن نياية الحركة عن الحركة - في نظره - أمر غير معقول، لا في الصوت، ولا في لغة المنطق؛ لأن الحركة عرض؛ والأعراض لا ينوب بعضها عن بعض. وأما الأبواب التي تشدّ عن هذه القاعدة من نحو: المقصور، والمنقوص، والمثنى، والجمع السالم بنوعيه، والأسماء الخمسة، فقد جعل لكل قسم منها تفسيرا^(٢).

ويرى المؤلف أن الطريقة التقليدية في الإعراب عقيمة من وجهين: فلسفتها الصوتية، ثم طول الصيغ الإعرابية، ومن وجهة نظره فإنه يكتفى أن يقال: (عمدة)، فيعلم أنه مرفوع بالضمة، و(مكمل)، فيعلم أنه منصوب.

ج - أنواع الجمل: قسم المؤلف الجمل إلى أربعة أنواع:

- ابتدائية: وهي التي تكون في أول الكلام مستقلة بنفسها.
- تبعية: وهي التي يكون لها تعلق فيما قبلها، كأن تقع خبرا، أو صلة، أو حالا، أو جوابا لشرط، أو جوابا لقسم، أو صفة.
- اعترافية: وهي التي تقع بين جملتين الثانية لها تعلق بالأولى.
- اقترانية: وهي التي يقترب مضمونها بمضمون السابق عليها، ويقصد بها جملة الحال، التي لا رابط لها سوى الواو نحو: السماء تمطر والرعد يرعد،

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٠.

وهي ليست في رأيه حالية كما يزعم جمهور النحاة.

أما: المكملات، فقد قسمها المؤلف إلى قسمين: مكملات الاسم؛ وهي: الحال، والتمييز، والمستثنى، ومن الحال عنده: خبر كان، والمفعول الثاني لظن؛ إذا كانا مشتقين، على الرغم من اعترافه بأن كليهما ركن في الإسناد، وليس بفضلة، غير أن هذه الركينة إنما هي في المعنى لا في الصياغة اللغظية، والنحو - كما يقول - عمله مع الأقىسة اللغظية. أما النوع الثاني من المكملات؛ فيضم مكملات الفعل؛ وهي المفاعيل الخمسة، وتتابع محل الفعل؛ وهي المنادى، والمحخصوص، والمحدّر منه أو المغري به^(٢).

ومن الواضح بأنّ الدكتور عبد الوارد مبروك سعيد كان محقاً، بأنّ هذه المحاولة على الرغم من نصّجها المنهجي، لم تتحظّ بما تستحقه من عناية، وبأنّ من حقّها - كما يقول - "أن تطبع وتنشر؛ لتصل إلى أيدي الباحثين، والمهتمين بإصلاح النحو، ولعلّها كانت أحقّ بذلك من كثير ما نشر حول هذا الموضوع" ^(٣).

ومن المحاولات الحامة في هذا الباب: محاولة الأستاذ/ أمين الخولي في كتابه: (مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب)^(٤)، التي استهلها المؤلف بانتقاد بعض المحاولات السابقة، وإبداء ملاحظاته عليها؛ لتكون توطئة لمحاولته التي وصفها بأنها خطة معتدلة لإصلاح النحو العربي وتجديده التزم فيها أصول النحوة ولم يعتمد على شيء أبعد مما أباحوه، وهي تقوم

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٣١.

٢) المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦٥ في المامش رقم: ١٦٣.

(٤) ينظر: الخولي، أمين، مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، الطبعة (١)، ١٩٦١م.

على الأسس الآتية^(١):

- ١ - ملاحظة التيسير والرفق في الإصلاح.
- ٢ - جمع كل ما يوجد من المذاهب النحوية، حيثما وجد، والتوسع في فهمه دون الوقوف عند ظاهره.
- ٣ - تخثير ما يوافق حاجة الأمة، ويساير رقيتها الاجتماعي، على ضوء التجارب العملية، والخبرة التعليمية، والشكاوى الحقة من المصاعب اللغوية.
- ٤ - عدم التقيد بمذهب نحوى واحد في مسألة بعينها، وعدم التقيد بالأفضل، أو الأرجح، أو الأصح الذي نصّوا عليه.

على أَنَّ أَخْطَرَ مَا فِي مَحَاوِلَتِهِ أَنَّ مَا انتَهَى إِلَيْهِ فِي بَعْضِ مَقْرَحَاتِهِ يَمْسِ أَصْوَلَ الْلُّغَةِ لَا أَصْوَلَ النُّحُوْ فَقْطًا، كَمَا سَيَتَضَّعُ.

وعلى هدي من هذه الأفكار والمنطلقات التي ذكرها اتجه الأستاذ/أمين الخولي إلى معالجة فكرة: (اضطراب الإعراب) في النحو العربي، وتناول فيه الموضوعات الآتية:

- **الأسماء الخمسة:** ويرى فيها أن نطق (أب و أخ) بالواو دائماً، وبحعل (الحم) بالألف دائماً؛ وذلك وفقاً لغة الحياة اليومية. وقد استدل لذلك بقراءة: "تبت يدا أبو هب وتب" التي أوردها الرمخشري في (الكتشاف)^(٢)، أو أن تلزم الألف كلها كالمثنى؛ فتقل الأقسام، وهو مالا يتعارض - بحسب قوله - مع الاستعمال اللغوي الشائع والمقبول في نصوص اللغة؛ إذ إنها لغة بنى الحارث بن كعب.

- **المشي:** يختار المؤلف فيه لغة بنى الحارث بن كعب التي تلزمه الألف دائماً، وكان يود - كما يقول - أن يلزمها الياء في كل حالاته، كما في العامية؛ ولكنه لم يجد لذلك سندًا من

(١) المصدر السابق، ص ٤٣. وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ١٣٣، و إسماعيل، عبد الله أحمد خليل ، إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، الطبعة (١)، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

(٢) ينظر ، الرمخشري، الكشاف، ٤/١٩٠، وينظر أيضاً: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، عني بنشره: ج. برحيشتراسر، دار المحرر، ١٩٣٤م، ص ١٨٢.

- جمع المذكر السالم وما على صورته: ويرى أن يجرى جمع المذكر السالم على الياء التي بابها أوسع من باب الواو مع فتح النون، أو إعرابها إعراب المفرد^(٢).

- الجمع بالألف والياء: ويرجح الأستاذ/ الخولي إجراءه على مذهب الكوفيين، وهو أن ينصب بالفتحة مطلقا^(٣).

- مala ينصرف: دعا المؤلف إلى صرفه في كل الأحوال، وحجته في ذلك أن النحاة القدامى أجازوا صرف الممنوع من الصرف في الاختيار؛ رعاية للتناسق، واتساق اللفظ^(٤).

- الاسم المنيقوض: دعا إلى حذف الياء في المذكر منه، وتسكينها في المعرف في النصب؛ بناء على أنّ من العرب من يسكن ياء المنيقوض في النصب أيضاً، وبذلك تتوحد طريقة إعرابه في الحالتين^(٥).

- الأفعال الخمسة: دعا إلى حذف نون رفعها؛ لأن فيه - كما يقول - تخفيها مريحا واختصارا.

- المضارع المعتل الآخر: واقتراح فيه الإبقاء على حرف العلة عند الجزم.
وأما ما يتعلق بـ(اضطراب القواعد)، فقد جرى في علاجه على نفس المنهج الذي اتبّعه في علاج: (اضطراب الإعراب)؛ حيث دعا إلى إثارة ما تطرد معه القاعدة؛ ولو أدى ذلك إلى التسوية بين وجه لغوي قوي، ووجه أقوى ، أو إلى الجري على ما هو أقل قوة، وإلى اختيار ما هو أيسر إعراباً، وأقرب فهماً، وأكثر رواجاً في حياتنا اللغوية الحاضرة، وضرب مثلاً لهذه المعالجة بقاعدة الاستثناء بخلاف، وعدا، وحاشا، وهي أن المستثنى بعدها يجوز فيه النصب والجر؛ ما لم تتقدم (ما) عليها فالنصب لا غير، وهنا اقترح الأستاذ/ الخولي أن يجعل المستثنى بعد هذه

(١) ينظر: أمين الخولي، مناهج تحديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، ص ٥٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠-٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٣.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٤.

الأدوات منصوباً دائماً؛ مادام النصب مشتركاً في كل الأحوال^(١).

أما الدكتور / شوقي ضيف فقد كانت جهوده متواصلة في هذا الموضوع، وكانت البداية في ذلك عندما عقد مبحثاً خاصاً في مدخل كتاب: (الرد على النحاة) لابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، حاول فيه أن يدلي برأيه في إصلاح النحو العربي وتجديده، فقدم بعض النظريات والمقترنات؛ مؤسسة على الأصول والافكار التي جاءت في كتاب: (الرد على النحاة)؛ وهي: إلغاء نظرية العامل، ومنع التأويل والتقدير، وانطلق من هذين المبدأين ليصنف النحو تصنيفاً جديداً كما يلي^(٢):

أولاً: إلغاء نظرية العامل: وعلى أساس إلغاء نظرية العامل؛ فإنه يمكن إعادة تنسيق الأبواب النحوية، وهذا التنسيق نوعان:

أ- **التنسيق على مستوى الباب:** وفيه يمكن جمع ما تفرق من جزئيات هذا الباب وأحكامه؛" ولعل مما يصور ذلك تصويراً واضحاً باب التمييز، فإن النحاة يفتتحون له باباً خاصاً في كتب النحو؛ ولكنهم لا يجمعون فيه كل صوره، ولذلك كنا نجد أبواباً أخرى مفتوحة في هذه الكتب؛ وهي تدرس صوراً من صور كتاب العدد، وباب اسم التفضيل، وباب فعل التعجب، وباب نعم و بئس، وباب كم وكذا، وليس هذا فقط؛ فإن هناك صوراً له قلماً عرضوا لها، مثل صوره بعد الفعل اللازم، والصفة المشبهة، وبعد الضمير في نحو: "الله دره فارساً"^(٣). وهذه الصور - كما يرى - ينبغي أن تجتمع في باب التمييز؛ مع صور المكاييل والموازين والمساحة؛ حتى يفهم الباب، كما يرى - أيضاً - أن يضم لها المنصوب على الاختصاص في مثل: (نحن العرب أكرم الناس للضيوف)؛ "إذ إن الأقرب للعقل والمنطق أن تكون كلمة العرب تميزاً، لا مفعولاً لفعل مخدوف"^(٤).

كذلك باب الفاعل؛ حيث اقترح فيه أن يضم إليه زيادة على المألوف في كتب النحو من مباحث: مجئه مجروراً بـ(من) الزائدة بعد النفي والاستفهام، والباء الزائدة في نحو: (كفى بالله

(١) ينظر: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، ص ٥٩-٦٠.

(٢) ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مدخل الكتاب، ص ٥١-٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥.

شهيداً) و (أسمع بحه وأبصر)، وبجيئه جملة باطراد بعد: (أن، و أن، و لو، و ما)، وفي مواطن أخرى متعددة^(١).

ب - التنسيق على مستوى الأبواب: وفيه يلغى المؤلف كثيراً من الأبواب النحوية مثل: أبوب: (كان، وكاد، وظن، وأعلم، وأرى) و (ما، ولا، وإن) العاملات عمل ليس، غير أن صور أمثلتها اللفظية التي يحفظها الواقع اللغوي لم تخرج من كتب النحو؛ حيث أدرجت في أبواب أخرى أساسية، فالنواصخ الفعلية نقلت إلى الجملة الفعلية؛ على اعتبار أن أفعالها تامة، والمرفوع بعدها فاعل، والمنصوب حال أو مفعول؛ وفقاً لنوع الفعل من حيث التعدد واللزوم. وأما أبواب: (إن)، و (لا) النافية للجنس، و (ما و لا و إن) المشبهات بليس، فيرى الدكتور / شوقي ضيف ضمها إلى الجملة الاسمية، على أن الركن الأول مبتدأ : منصوباً مع إن وأخواتها، ولا النافية للجنس، ومرفوعاً مع الباقيات، و الركن الثاني هو الخبر: مرفوعاً مع الأولين، ومنصوباً مع الباقيات^(٢).

كذلك دعا المؤلف إلى ضم الأسماء التي لا تنون بعضها إلى بعض، ويعني بها: الممنوع من الصرف، والمنادى المفرد العلم، ولا النافية للجنس؛" وذلك لأنها تعالج حالاً واحدة؛ وهي الاسم الذي يحرم التنوين... وأن قرن هذه الأبواب بعضها إلى بعض لا نفيده منه فقط التجانس في التبويب؛ بل نفيده منه أيضاً أن نوحد التفسير، فإذا قلنا: إن الاسم الممنوع من الصرف معرب، قلنا أيضاً: إن اسم لا النافية للجنس معرب، وكذلك المنادى المفرد العلم، وقد قال بذلك بعض الكوفيين... أو نبنيها كلها، فيكون الممنوع من الصرف مبنية مثل اسم لا، والمنادى المفرد العلم في رأي البصريين"^(٣).

- ثانياً: إلغاء التأويل والتقدير: هذا هو الأصل الثاني - كما يقول - الذي ينبغي أن نتکئ عليه في تصنيف النحو تصنيفاً جديداً، وتطبيق هذا الأصل، أو المبدأ - بحسب رأيه - يريحنا من ثلاثة أشياء: إضمار المعمولات، وحذف العوامل، وبيان محل الجمل والمفردات

(١) ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة ، ص ٥٨.

(٢) ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مدخل الكتاب ، ص ٥١ ، وينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣ .

المقصورة والمنقوصة والمبنية.

أما إضمار المعمولات، فيقصد بها الفاعل المضمر الذي يقدرها النحاة مستترا جوازاً أو وجوباً، وهو استثار - كما يقول - وهو لا دليل عليه، ففي جملة: (زيد قام) يرى أن من التكليف اعتبار (قام) بها فاعل مستتر يعود على (زيد) و(زيد) معنا في الجملة، فلا داعي لتقديره مع وجوده، فال فعل - بحسب قوله - يدل بعاته على الفاعل؛ كما يدل على الحدث والزمن، ويتبين هذا في الصيغ (أعلم، ونعم، وتعلم)، فلماذا نقدر فاعلاً مستتراً وجوباً في الصيغ الثلاث هو (أنا، نحن، أنت)؟ بل ينبغي - كما يرى الدكتور شوقي ضيف - ألا نتحدث عنه مادام لا يمكن ظهوره، وخير من ذلك أن نقول: إن (أعلم) فعل مضارع للمتكلم، ونسكت، وليس من الضروري أن يكون لكل فعل فاعل، فقد يوجد الفاعل مع فعله، وقد يحذف؛ لأن الفعل يدل عليه بنفسه، ويتبين هذا أكثر في فعل التعجب، وأفعال الاستثناء (خلا، عدا، حاشا)، وفي (نعم وبئس)، وفي باب التنازع مثل: (قام وقعد الناس)، فالفاعل المضمر غير معروف، ومن ثم ينبغي - كما يقول - ألا نتحدث عنه؛ حتى لا نخيل على أشياء لا يراها الناس في الصيغة التي يقرؤونها^(١).

وأما الجانب الثاني؛ وهو: حذف العوامل فيعنينا عن البحث - كما يقول - عن العوامل المحدوفة في شبه الجملة، وفي نواصي الفعل المضارع، والاشغال، والتحذير، والإغراء، والمصادر المنصوبة، والنداء وغيرها^(٢).

أما الجانب الثالث؛ وهو: بيان محل الجمل، والمفردات المقصورة، والمنقوصة، والمبنية، فيرى أن يمنع التأويل فيها حين تقع مبتدأ، أو أخباراً، أو فاعلات، أو معمولات، أو غير ذلك؛ ويكتفي حينها أن نبين الوظيفة النحوية للكلمة في الجملة ولا نزيد على ذلك، فنقول في نحو: هذا محمد؛ هذا: مبتدأ مبني، وهذا يقود بشكل عام إلى أن يستغني عن إعراب أي كلمة لا توجد حاجة إلى إعرابها؛ لأن الإعراب - كما يراه - ليس غاية في ذاته؛ وإنما هو وسيلة لتصحيح النطق؛ ومادام إعراب الكلمة لا يفيدها شيئاً في لساننا، ولا في نطقنا، فينبع ألا

(١) ينظر: ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مدخل الكتاب ، ص ٦٤-٦٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٥.

نقف عنده، ولا نفكّر فيه، وينبغي أن ينفي من النحو^(١).

أما ما أضافه الدكتور/ شوقي ضيف استلهاماً من مبدأ التأويل والتقدير، فهو دعوته إلى إنشاء باب جديد في النحو أطلق عليه اسم: باب الصيغ الشاذة، أو باب شبه الجملة، وهي تلك التراكيب التي يفهمها النحاة على أساس وجود شيء ممحض في كل منها، وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام وهي^(٢):

١. شبه جملة مرفوعة: وتنقاس في صيغ معروفة، منها: بعد لولا، وفي جواب

الاستفهام، وفي جواب الشرط، وفي القسم، وغيرها.

٢. شبه جملة منصوبة: وتنقاس في الاستغلال، والتحذير، والإغراء، والنداء المنصوب،

وبعد لات، وغيرها.

٣. شبه جملة مجرورة: وذلك نحو: والله، ولولاك، ولولي، وغيرها.

لقد مرت فكرة التجديد والإصلاح عند الدكتور/ شوقي ضيف بثلاث مراحل: المرحلة الأولى يمثلها مدخل كتاب: (*الرد على النحاة*)، أما المرحلة الثانية فتمثلها مشروعه الذي قدمه للمجمع اللغوي بالقاهرة في دورته الثالثة والأربعين في عام ١٩٧٧ م ، والمرحلة الثالثة من مراحل التجديد والإصلاح كانت في عام ١٩٨٢ م: وتمثلها كتابه الهام: (*تجديد النحو*) الذي يمثل الجانب التطبيقي لمشروعه في تجديد النحو وإصلاحه، حيث استكمل في مدخله ما قدمه في المرحلتين السابقتين من جهود في تبويب النحو وتصنيفه تصنيفاً جديداً؛ حيث أضاف المؤلف ثلاثة أسس أخرى للأسس السالفة الذكر؛ لتصبح ستة أسس لا غنى عنها - كما يقول - في التصنيف الجديد للنحو العربي وهي^(٣):

(١) المصدر السابق ، ص ٦٤-٦٦.

(٢) ينظر: ابن مضاء القرطبي، *الرد على النحاة*، مدخل الكتاب ، ص ٦٦ ، وينظر أيضاً: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص ١٤٥.

(٣) ينظر: ضيف، شوقي، *تجديد النحو*، دار المعارف، القاهرة، الطبعة(٢)، ١٩٨٦ م، ص ١١-٤٥ . وينظر أيضاً: حلمي خليل، *العربية وعلم اللغة البنوي*، ص ٨٠-٨٣ . و الحمازوي، علاء، موقف شوقي ضيف من الدرس النحوي دراسة في المنهج والتطبيق. و عيساني، عبد الحميد، ملامح المدرسة الحديثة في النحو العربي، الآخر، مجلة جامعية محكمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، العدد(٧)، مايو ٢٠٠٨ ،

١. تنسيق أبواب النحو تنسيقاً يؤدي إلى الاستغناء عن بعض أبوابه بردتها إلى أبواب أخرى؛ اعتماداً على مبدأ التجانس بين أبواب النحو.

٢. إلغاء الإعراب التقديرية، والإعراب المحلي في الجمل، والمفردات المقصورة والمنقوصة والمبينة.

٣. إهمال الإعراب؛ ما لم يفده شيئاً في تصحیح الكلام، وسلامة النطق.

٤. وضع تعریفات وضوابط دقيقة لبعض أبواب النحو.

٥. حذف زوائد كثيرة من أبواب النحو تُعرض فيه دون حاجة إليها، مثل مسائل الصرف العویصة كمسألة الإعلال، والمیزان الصرفي، وشروط صياغة فعل التعجب، وغير ذلك.

٦. زيادة إضافات ضرورية لبعض الأبواب؛ لتمثيل الصياغة العربية وأوضاعها تمثلاً دقيقاً. وذلك نحو: زيادة باب الحروف، و باب الحذف والذكر لعناصر الجملة الاسمية والفعلية، وباب التقسيم والتأخير لعناصر الجملة العربية وغيرها.

لقد حاول الدكتور/شوقی ضیف أن يقدم للنحو العربي تصنیفاً جديداً، ويسمی بشکل ما في تیسیره وإصلاحه، وقد رحب عدد من الباحثین ببعض تلك الاقتراحات، غير أن بعضهم انتقد جوانب كثيرة منها سواء فيما يتعلق بالمنهج، أو التطبيق، ورأوا أنها لا ترقى لأن تكون تحدیداً بمعنى الكلمة^(١).

ومن المحاولات الهاامة - أيضاً - مقام به الشیخ/ عبد المتعال الصعیدي في كتابه: (النحو الجديد)؛ وفيه استفاد من المحاولات التي سبقته، والتي عرض لأربع منها في كتابه^(٢) بالإضافة

ص ٥٦-٥٨.

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعید، في إصلاح النحو العربي، ص ١٤١-١٤٦، و ينظر أيضاً: محمد عید، قضایا معاصرة، ص ٢٤، و عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوی في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٦٥-٨٦.

علاء الحمزاوي، موقف شوقی ضیف من الدرس النحوی دراسة في المنهج والتطبيق.

(٢) وهي محاولة الأستاذ/إبراهيم مصطفی في كتابه: "إحياء النحو"، ومشروع وزارة المعارف المصرية لتیسیر النحو ١٩٣٨م، وكتاب "هذا النحو" للأستاذ/أمين الحولی، بالإضافة إلى محاولة الدكتور/ شوقی ضیف في مدخل كتاب "الرد على النحاة" لابن مضاء القرطبي.

إلى محاولته التي أثني عليها، ووصفها بكونها "مثل" تحدیداً نحوياً يطفر بال نحو من طور الجمود إلى طور التجديد،...، ولم ير مثله منذ ألف سيبويه فيه كتابه،...، وسيعودونه فتحاً جديداً في ميدان التجديد بعد محاولات كثيرة كانت لا تعتمد على مثل ما أعتمد عليه"^(١). وقد تضمنت هذه المحاولة كثيراً من الاقتراحات أوردها أثناء دراسته التقييمية لتلك المحاولات ومن أبرزها:

- **مفهوم الإعراب وعلاماته:** فالإعراب في رأيه هو: "تصريف أهل العربية في آخر أسمائها، وأفعالها، وحروفها بين رفع، ونصب، وجر، وجذم"^(٢). حيث إنه بهذا المفهوم ألغى البناء، وجعل الإعراب شاملًا لكل أنواع الكلمة،؟ وبهذا لا يكون هناك فرق بين إعراب الأسماء، والأفعال، والحروف إلا في أن كل حرف من الحروف له إعراب خاص به، أما الأسماء والأفعال، فتقسم إلى أنواع لكل نوع منها إعراب خاص به"^(٣) وهو بهذا التصور يخالف النحاة مخالفة جوهرية في مفهوم الإعراب.

كما يؤكد المؤلف على أهمية الإعراب التقديرى وعدم الاستغناء عنه في المفردات والجمل، إذ يرى أنه "لابد من تقدير هذا الإعراب، ولا يصح عدم تقديره،...، لأنه إذا كان لا يظهر في صاحبه فإنه يظهر في تابعه"^(٤) غير أنه لا يرى ضرورة ذكر سبب التقدير؛ لأنّ هذا فلسفة لا طائل تحتها، والاشتغال بها في النحو حشو لا فائدة فيه "^(٥).

وأما ما يتعلق بعلامات الإعراب فقد أبقى المؤلف على التقسيم التقليدي لحركات الإعراب إلى أصلية وفرعية، والأخيرة إلى حركات وحروف" ولكن يجب أن تزداد فيها عالمة في باب النداء، وقد دعا إليها الاستغناء عن الإعراب المحلي؛ لأن المنادى إذا كان مفرداً - أي ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف - ينصب بالضمة وما ينوب عنها من الألف والواو، فتكون الضمة

(١) الصعيدي، عبد المتعال، النحو الجديد، دار الفكر العربي، بيروت، بدون تاريخ، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٨، وينظر أيضاً: الرمالي، مدوح عبد الرحمن الرمالي، العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، ص ١٩٩٦م، دار المعرفة الجامعية، ص ٣٢ - ٣٣، و عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٩.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٩.

في ذلك نائبة عن الفتحة^(١)

- في نطاق الجملة: يرى الشيخ / عبد المتعال الصعيدي أن يحتفظ ركنا الجملة بهذه التسمية؛ حتى بعد دخول التواسخ عليهما، وبذلك يكون للمبتدأ والخبر عنده عدة صور إعرابية، مبتدأ وخبر مرفوعان، ومبتدأ مرفوع وخبر منصوب: (بعد كان وأخواتها)، ومبتدأ منصوب وخبر مرفوع: (بعد إن وأخواتها)، يضاف إلى ذلك المبتدأ الذي يتعدد بين الرفع والنصب، وهو الاسم المتقدم في باب الاستعمال^(٢). وأما المبتدأ الذي لا فاعل له، فالرأي عندـه أن يعرب الوصف على أنه اسم فاعل مرفوع، و يعرب المرفوع بعده على أنه فاعل فقط، ولا يذكر في إعرابه أنه سد مسد الخبر، لأنـه – كما يقول – ليس هناك مبتدأ حتى يكون هناك ما يسد مسد خبره^(٣). كما يرى أنـ بـ (نائب الفاعل) يجب أن يلحق بـ بـ (باب المفعول ونحوه) ما يذهبون إلى أنه ينوب عن الفاعل "وعلى هذا يكون لنا مفعول به مرفوع في مثل: قـضـيـ الـأـمـرـ، ومـصـدـرـ مـرـفـوعـ فيـ مـثـلـ: (ـفـإـذـاـ نـفـخـ فيـ الصـورـ نـفـخـةـ وـاحـدـ وـاحـدـةـ)، وـظـرـفـ مـرـفـوعـ فيـ نـحـوـ: صـيـمـ الـنـهـاـئـ؛ وـهـذـاـ إـعـرـابـ أـوـلـىـ مـنـ إـعـرـابـ كـلـ مـنـهـمـ نـائـبـ فـاعـلـ"^(٤).

وبغض النظر عن مواطن الضعف والقصور في هذه المحاولة ؛ فإنـها تمتاز – كما يقول الدكتور / عبد الوارث مبروك سعيد – عنـ كـثـيرـ منـ الـمـحاـوـلـاتـ بـأـنـ ماـ قـدـمـتـهـ مـنـ اـقـتـرـاحـاتـ بـعـيـدةـ كلـ الـبـعـدـ عـنـ مـصـادـمـةـ الـوـاقـعـ الـلـغـوـيـ، أوـ النـصـوـصـ الـلـغـوـيـةـ؛ إـذـ إـنـهـ لـمـ تـتـجـهـ بـالـإـصـلـاحـ إـلـىـ قـوـاعـدـ الـلـغـةـ ذـاـكـهـاـ كـمـاـ فـيـ الـمـحاـوـلـاتـ الـتـيـ سـبـقـتـهـ؛ وـإـنـمـاـ اـتـجـهـتـ إـلـىـ مـنـاهـجـ الـنـحـاـةـ وـفـهـمـهـمـ لـظـواـهـرـ الـلـغـةـ، وـمـنـاهـجـ الـنـحـاـةـ وـاسـتـبـاطـاـتـهـمـ – كماـ يـقـولـ – شـيـءـ آـخـرـ غـيرـ الـلـغـةـ، وـهـيـ بـعـكـسـ الـلـغـةـ قـابـلـةـ لـلـتـعـدـيـلـ وـالـتـطـوـيـرـ دـوـنـ أـنـ يـمـسـ ذـلـكـ الـلـغـةـ^(٥).

أما محاولة الباحث العراقي الدكتور / أحمد عبد الستار الجواري في كتابه: (نـحـوـ التـيـسـيرـ درـاسـةـ وـنـقـدـ مـنـهـجـيـ)، فإنـ المؤـلـفـ يـؤـكـدـ فـيـ اـسـتـرـشـادـهـ، وـتـأـثـرـهـ بـتـجـرـيـةـ الـأـسـتـاذـ/ـإـبرـاهـيـمـ مـصـطـفـيـ،

(١) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، النحو الجديد، ص ١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥١.

(٤) عبد المتعال الصعيدي، النحو الجديد، ص ١٣١.

(٥) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٥٠.

وبتجربته الخاصة في ممارسة النحو وتدریسه^(١).

تناول الدكتور / الجواري في كتابه *أسباب الشكوى من صعوبة الدرس النحوي العربي* في شقه التعليمي، وتعقيده؛ مرجعاً السبب في ذلك إلى ما وصفه بالدراسة *الخاطئة* " فهي إما دراسة ضحلة مهلهلة لا يعني فيها المؤلف والمدرس ما يقول، وإنما تلفيق من آثار القدماء لا أصالة فيه ولا تطور ولا تطوير..."، وإنما دراسة تقليدية، مرهقة، مضنية لا ماء فيها، ولا رونق، ولا ارتباط وثيقاً بينها وبين واقع الحياة العقلية..."^(٢). ويرى أن التيسير إنما يتحقق بعدة أمور، ومن أهمها^(٣):

١. الدراسة الوعية العميقية التي لا تغفل عن الغاية، ولا تتجاهل *أسباب الالخارف* عنها.

٢. معرفة ما احتلط بالدرس النحوي العربي من أمور غريبة بعيدة عن طبيعته، ثم إبعادها عنه.

ويؤكد الدكتور / الجواري أن النحاة قد سلكوا منهاجاً خاطئاً عند وضع القواعد النحوية؛ وذلك - كما يقول - "لأنهم قد اهتموا باستخراج القاعدة من كل ما وصل إليه علمهم من كلام العرب شرعاً، أو نثراً، أو عبارة... إلخ، فتفرعت عندهم القواعد، واصطنعوا لكل قاعدة منطقاً حكموه فيما رووا من كلام العرب"^(٤).

وقد تضمن هذه الكتاب كثيراً من الآراء، والاقتراحات، والباحث في تيسير النحو العربي، وإصلاحه، وتجديده، ومن أبرزها :

- يرى أن الشواهد الشعرية والمصنوعة لا تصلح للتعييد النحوي، وأنّ من الحكمة الاعتماد على القرآن الكريم والاستغناء بشهادته عنها^(٥).

- دعا إلى التخفيف من سيطرة نظرية العامل في توجيه القواعد النحوية، وتنقية النحو

(١) ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، *نحو التيسير دراسة ونقد منهجي*، ص ٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ١١.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٢.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٤.

من الفلسفة والمنطق^(١) .

- اتفق الدكتور/ الجواري مع أستاذه الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في معظم الخطوط العامة لصلاح النحو ووافقه في كثير من آرائه، إلا أن هناك خلافاً بينهما في بعض التفصيات، منها أن الدكتور/ الجواري لا يرى أن خبر(كان) حال – كما يرى الأستاذ/ إبراهيم مصطفى - بل يذهب إلى أن الخبر هنا مسند أدخل عليه قيد هو (كان) فنزل به عن مرتبة الرفع إلى مرتبة النصب^(٢). كما أنه لا يوافق الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في أنَّ اسم (إنَّ) منصوب على التوهم؛ بل يرى أنه مسند إليه دخل عليه قيد هو: (إنَّ)؛ فأصبح منصوباً^(٣).

ومن الأمور التي لم تلق قبولاً لدى الدكتور/ الجواري من آراء أستاذه: القول بأن التنوين علم التنكير، وهو يرد على الزعم بافتقاره إلى الاطراد؛ إذ إن هناك - كما يقول - كثيراً من الأسماء منونة؛ ولكنها ليست نكرات مثل: محمد، وعلي^(٤) .

وبعد، فقد كانت محاولة الدكتور/ الجواري محاولة جادة في الدعوة إلى إعادة دراسة النحو العربي، على الرغم من كونها لا ترقى إلى مستوى العمل المتكامل، كما أنها لم تتجاوز الإطار النظري إلى مجال التطبيق.

ومن بين تلك المحاولات التي استهدفت التجديد والإصلاح في النحو، ما قام به الباحث السوري/ محمد الكسار في كتابه: (المفتاح لتعريب النحو)؛ وفيه استبعد المؤلف ربط الحركات الإعرابية بالعوامل النحوية، وعَدَ ذلك تعليلاً غير عربي، وإنما هو مأخوذ من المنطق اليوناني، ورأى أن النحو لا بد أن يكون عربياً أصيلاً خالصاً يتوافق مع ذهن العربي وبيئته^(٥). وهذا فقد حاول إيجاد نظرية يمكن من خلالها تفسير الإعراب وعلاماته، ويلم بكل حاله من حالاته،

(١) ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، ص ٤٦، ٤٧، ٦١، ٦٠٦٠.

(٢) ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٠.

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٧.

(٥) ينظر: الكسار، محمد، المفتاح لتعريب النحو، المكتب العربي للإعلان، دمشق، ١٩٧٦م، ص ١٧٠-١٧٢.

وأطلق عليها: (نظريّة الفعاليّة) ^(١).

ربط المؤلف بين الحركة الإعرابية والفعالية؛ حيث صنف الحركات الإعرابية وفق هذه النظرية إلى ثلات درجات، هي: حركة قوية وهي الضمة، وحركة متوسطة وهي الكسرة، وحركة راكدة أو خفيفة وهي الفتحة، وسمى مرتبة القوة بالعمدة، ومرتبة التوسط بال وسيط، ومرتبة الركود بالفضلة، ثم حصر أبواب النحو تبعاً لذلك في ثلاثة أبواب:

- ١ - العمدة للمرفوعات جميعاً.
- ٢ - الوسيط للمجرورات.
- ٣ - الفضلة للمنصوبات.

ثم بين أن تلك الحركات تتلاءم مع فعالية الأسماء؛ فللفاعل الضمة؛ نظراً لشدة اتصاله بالفعل ومساهمته بالفعالية، وللفضلة الفتحة؛ لضعف مشاركتها في الفعالية، وللمجرورات الكسرة؛ لدلالتها على فعالية متوسطة ^(٢).

وبناءً على هذا التصور فإن الأفعال كلها معربة، وتعبر العلامات الإعرابية التي تظهر في آخرها عن درجة الفعالية؛ فيدل الماضي على فعالية ضعيفة؛ لأنها حدثت في الماضي ولم تعد باقية في ذهن المتكلم، وعلامة هذه الفعالية الفتحة، ويأخذ المضارع - أو الفعل المستمر كما أطلق عليه - أقوى الحركات وهي الضمة عندما يعبر عن فعالية حية واقعة في الحال، وتعبر الفتحة عن ضعف الفعالية والشك في حصولها واستمرارها مستقبلاً، وذلك في حالة نصب الفعل المضارع، في حين أن الجزم يفيد انقطاع الاستمرار أو الفعالية، وكذلك فعل الأمر حيث السكون فيه علامة انقطاع الفعالية ^(٣).

هذا يحمل نظرية الفعالية كما قدمها الأستاذ/ الكسار، وأرادها أن تكون بديلاً للعامل

(١) ينظر: الكسار، محمد، المفتاح لتعريب النحو ، ص ١٧١.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٤-٢٢١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٤-١٩٦. ولإيضاح مدى ملائمة هذه النظرية للعرب فقد رأى المؤلف أكّم "جعلوا عناصر هذه الجملة مشابهة لعناصر بيت الشعر، فخصصوا الضمة بالعمدة ، ليكون مرفوعاً كالعماد في الخيمة، والكسرة بال وسيط، ليكون مجروراً كالطنب المشدود، والفتحة بالفضلة؛ إشعاراً بضآلته الدور الذي تؤديه في قيام الجملة الصحيحة، شأنها في ذلك شأن الوتد الصغير". المفتاح لتعريب النحو، ص ٢٢٧-٢٢٨.

النحوي المأخذ من المنطق اليوناني في تفسير العلامات الإعرابية، فجاءت تفسيراته هو أيضاً أقرب إلى الفلسفة منها إلى النحو، كما أن هذه الدراسة لم تشرع بدراسة تطبيقية متكاملة تدعم هذا التفسير ما أضعف هذه المقولات والأنظار التي عرضها في كتابه.

ومن أبرز الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه، محاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، وسوف أستعرضها فيما يأتي بشيء من التفصيل.

كتاب: (إحياء النحو) لالأستاذ/ إبراهيم مصطفى

صدر هذا الكتاب سنة ١٩٣٧ م، بعد موجة انتقادات شديدة ظهرت في العصر الحديث لمنهج النحاة القدماء في درسهم النحو العربي، " وهو أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية" ^(١). انتقد فيها المؤلف النحاة المتقدمين وخطأهم، ونادى فيه بإصلاح النحو وتبسييره، وتغيير هيكله ومصطلحاته؛ ليتناسب مع مقتضيات العصر.

وقد أثار هذا الكتاب ضجة واسعة في الأوساط العلمية آنذاك، وتناوله بال النقد والتعليق غير واحد من العلماء، والباحثين، وأساتذة الجامعات ^(٢). وكان قد قدم له الدكتور/ طه حسين، ونوه في مقدمته الطويلة بشأن هذا الكتاب وأثره، وأشار فيها إلى إبراهيم مصطفى وبعمله، كما ذكر أن تسمية الكتاب، إنما جاءت بإشارة من عنده؛ إذ إنه يتصور إحياء النحو على وجهين: "أحدهما: أن يقربه النحويون من العقل الحديث؛ ليفهمه ويسيغه ويتمثله، ويجري عليه تفكيره إذا فكر، ولسانه إذا تكلم، وقلمه إذا كتب، والثاني: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه، ومناقشة مسائله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه" ^(٣).

لقد حدد الأستاذ/ إبراهيم مصطفى بشكل واضح هدفه من هذه المحاولة في مقدمة كتابه، وهو التيسير والإصلاح، فقال: "أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة، تقربهم من العربية، وتحديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها" ^(٤).

(١) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، المقدمة.

(٢) منهم: الشيخ/ محمد محمد عرفة في كتابه: (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة)، والشيخ/ عبد المتعال الصعيدي في كتابه: (النحو الجديد)، والشيخ/ محمد الخضر حسين في كتابه: (دراسات في العربية وتاريخها)، وغيرهم.

(٣) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص، س من مقدمة الدكتور/ طه حسين للكتاب.

(٤) المصدر السابق ، ص، أ من مقدمة المؤلف.

- قيمة الكتاب التاريخية والعلمية.

يعد كتاب: *(إحياء النحو)* أول محاولة علمية منهجية اتصفت بالتكامل والشمول ظهرت في القرن العشرين، المدف منها نقد النظرية النحوية العربية القديمة، وتغيير هيكلها ومصطلحاتها، أنفق في سبيلها الباحث سبع سنوات من عمره - كما يقول - في سبيل إنجازها، فتوالت من بعده جهود الإصلاح، والتغيير، والتجديد في النحو العربي؛ "ولذلك فهو منعرج أساسي في تاريخ التفكير اللغوي العربي الحديث، بالنظر إلى من سبقه، وخاصة بالنظر إلى من لحقه من الباحثين الذين سيردون الكثير من أقواله وأهدافه"^(١)، وبحسب تعبير الدكتور عبد الله أحمد إسماعيل: "فإنّ بوسع المرء أن يقرر وهو مطمئن أنّ كتاب: *(إحياء النحو)* يعد بحق أهم بحث نحوي عربي في العصر الحديث، لتصنيفه الأكاديمي، وتضمنه آراء شغلت الدارسين كثيراً، وأشاعت جوا من البحث العلمي افتقده الدرس النحوي منذ زمن طويل"^(٢).

وأما القيمة العلمية للكتاب فيمكن أن نلتمسها في الجوانب التالية:

١. إنّ من الإنصاف أن نقول بأن حركة الدرس النحوى الحديثة، تدين في كثير منها بالفضل للأفكار التي تضمنها هذا الكتاب كموقفه من نظرية العامل، وصلة الإعراب بالمعنى، وإعادة تبويب النحو، واهتمامه بالجملة، وغيرها من القضايا والأفكار التي تناولها المؤلف فيه، فقد فتحت هذه المحاولة باب التيسير، ومحاولات الإصلاح أمام كثير من الدارسين، و ذلك باعتراف كثير من الباحثين الذين رددوا كثيراً من أهدافه وآرائه في منجزاتكم^(٣).

(١) عز الدين مجدوب، المنشال النحوى العربى قراءة لسانية جديدة، ص ١٣.

(٢) عبد الله أحمد إسماعيل، إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ١٨. وينظر أيضاً: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البيهوي، ص ٦١.

(٣) ينظر على سبيل المثال: أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير، ص ٨. و مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص ١٥.

٢. إنّ كثيراً من الدراسات النقدية المعاصرة التقليدية في الدرس النحوي العربي هي صناعة مدرسة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى الإحيائية، أو هي في أحسن أحوال استقلاليتها ناشئة عن الأجواء التي تهّألت بظهور هذا الكتاب، وما فيه من آراء، و أفكار جريئة تبناها كثير من الباحثين المحدثين فيما بعد^(١).

٣. إنّ آراء الأستاذ/ إبراهيم مصطفى لفتت الأنظار بشكل خاص، و غير مسبوق إلى النحو الكوفي، وفتحت أعين الباحثين المحدثين عليه، من نحو: الأستاذ/أمين الخولي، و الدكتور/أحمد عبد الستار الجواري، و الدكتور/مهدي المخزومي، وغيرهم على ما في النحو الكوفي من آراء وتوجهات يمكن توظيفها في دعواهم إلى تيسير النحو، وإصلاحه.

٤. على الرغم مما أحدثه هذه المحاولة من دوي في الأوساط العلمية والثقافية بوصفها محاولة جريئة وجادة، إلا أنها بالمقابل لم تأخذ طريقها إلى هيئة علمية، ولم يأخذ أحد بها مع ما بذل من جهود مضنية في سبيل فرضها على مناهج التعليم في المدارس الحكومية في مصر، وقد تنازل الأستاذ/ إبراهيم مصطفى عن كثير مما دعا إليه من اجتهادات؛ ولم يستطع - مع نفوذه ومكانته - أن يضع فيها شيئاً من الأفكار و الآراء النحوية التي ضمنها كتابه؛ باستثناء فكرة المسند والمسند إليه" التي تجمع أبواب المبدأ والفاعل ونائبه، وكان ذلك لأول مرة عام ١٩٥٨ م في كتاب تحرير النحو، وقد بذلت جهود لتعيم هذه الفكرة في الكتب المدرسية في كل من مصر وسوريا أبان الوحدة؛ ولكنها رفضت بشدة من جانب السوريين، ثم أهملت تماماً، ولا تزال كذلك حتى الآن"^(٢). مما جعله - على ما يبدو - يتخلى عن تأليف كتابه الثاني في الأفعال الذي كان قد وعد به^(٣).

(١) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٤٦-٦٢، و ينظر أيضاً: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ٦١، والمسلمي، عبد السلام، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة (١)، ص ٨٣.

(٢) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١-١١٢، و ينظر أيضاً: بلحبيب، رشيد، المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة قراءات في الحديث

- أقسام الكتاب وموضوعاته.

قسم المؤلف كتابه إلى موضوعات متعددة تسبقها مقدمتان، الأولى للدكتور / طه حسين وقد أطال فيها، والثانية للمؤلف، وتتدليه خاتمة، وأما الموضوعات التي تناولها في الكتاب، فقد كانت على النحو الآتي:

- حد النحو كما رسمه النحاة.

- وجهات البحث النحوي.

- أصل الإعراب.

- معاني الإعراب.

- الضمة علم الإسناد.

- الكسرة علم الإضافة.

- الفتحة ليست علامة إعراب.

- الأصل في المبني أن يسكن.

- العلامات الفرعية للإعراب.

- التوابع.

- مواضع أجاز فيها النحاة وجهين.

- الصرف.

- المبادئ والأصول التي أقام عليها الكتاب:

أقام الأستاذ / إبراهيم مصطفى محاولته إحياء النحو وإصلاحه على أصلين هما:

الأول: أن النحو هو قانون تأليف الكلام، وليس دراسة أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناء

حسب؛ لأن تحديد النحو في هذا المفهوم الأخير - كما يقول - تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، وحصر لدراسته له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله؛ ولذا فهو يطالب بدرس واف

اللغوي وأبعاده الدلالية والأسلوبية، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة (١)،

٢٠٠٥ م، ص ٦٩ - ٧٠.

لأحكام نظم الكلام، وأسرار تأليف العبارات بما لها من صلة بالمعنى، كما يطالب بوجه خاص بدراسة بعض الأساليب العربية بشكل خاص: كالإثبات، والنفي، والتأكيد، والزمن، والتقديم، والتأخير، وجمع ما تشتت منها في الأبواب النحوية المختلفة^(١).

الثاني: استبعاد الفلسفة الكلامية، وذلك بالتحلل من فلسفة العامل النحوي، وما يترب عليها من اختلاف العوامل والمعمولات، والتي – بحسب رأيه – رانت على النحو العربي طويلاً فأفسدت الذوق، وأذهبت المعنى، مما اصطنعه النحاة من ضروب العوامل، والتعليلات، والتقديرات المستهجنة^(٢).

وانطلاقاً من هذين الأصلين حاول المؤلف في كتابه أن يقدم نظريته الخاصة في تحديد معانٍ حركات الإعراب، وأن يعيد تصنيف بعض الأبواب النحوية بناءً عليها، وذلك كما يلي:

١. ليست حركات الإعراب حكماً لفظياً، وأثراً يجلبه العامل فحسب، وإنما هي دوال على معانٍ تركيبية، فلكل علامة إعرابية – في نظره – معنى تشير إليه، فأماماً الضمة فهي علم الإسناد، ودليل على أن الكلمة مرفوعة يُراد أن يسند إليها ويُتحدث عنها، ولا تخرج عن ذلك إلا في بناء أو تبعية. وأما الكسرة؛ فإنها علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها، سواءً كان هذا الارتباط بآداة أو بغير آداة، وأما الفتحة فليست علامة إعراب، ولا دالة على شيء؛ بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة نظير السكون في العامية^(٣).

وما كان للتنوين صلة وثيقة بعلامات الإعراب، وهو يلحق بعض الأسماء دون البعض الآخر، فقد حاول المؤلف أن يحدد له معنى كما فعل مع علامات الإعراب، وانتهى في ذلك إلى أن التنوين علم التكير، وغيابه علامة التعريف، والأصل في العلم ألا ينون، ولك في كل علم ألا تنونه؛ وإنما يجوز أن تلحقه التنوين، إذا كان فيه معنى من معانٍ التكير، وأردت

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ١-٨، وينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٤٢-٤٣.

(٢) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٢٢-٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٨-٥٣.

الإشارة إليه^(١). وطبق هذه القاعدة التي خالف فيها جميع النحاة في التنوين على باب الممنوع من الصرف^(٢).

٢. مادامت حركات الإعراب دوالا على معان يقصدها المتكلم، وما دامت من عمل المتكلم، فقد دعا الأستاذ/ إبراهيم مصطفى إلى إلغاء نظرية العامل من أساسها، وكذلك إلغاء كل ما أقامه النحاة حولها من أصول فلسفية، وما رتبوه وبنوه عليها من أحكام أصابت الدرس النحوي - كما يقول - بالتعييد والصعوبة^(٣).

٣. قرر الأستاذ/ إبراهيم مصطفى - بناء على رأيه في دلالة الرفع في العربية - وجوب التوحيد بين المبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل؛ لأن حكمها الرفع، ولأننا - كما يقول - "إذا تبعنا هذه الأبواب وجدنا فيها من الاتفاق والتماثل ما يوجب أن تكون بابا واحدا"^(٤). وهذا التوحيد - كما يقول - سوف يعني عن تكثير الأقسام، وعن فلسفة العامل، ويجعل الحكم النحوي أقرب إلى الفهم، وأدنى إلى روح العربية^(٥). وقد جمعها المؤلف في كتابه تحت باب واحد، وهو: المسند إليه^(٦).

وأما ما شد عنده عن هذا الأصل الذي قرره؛ وهو أن الرفع دلالة على أن الاسم مسند إليه فقد حاول تخريجها، أو قلل من شأنها؛ وهي ثلاثة أبواب:

- **المنادي المضموم:** وخلاصة رأيه في هذا الموضوع أن ظهور الضمة فيه ليست دليلا على أن الكلمة المرفوعة مسند إليها، أو متحدث عنها، ولكن إذا قصد تعين المنادي المنون حرم التنوين الذي هو علامة التنكير، ومتى حرم التنوين ضم آخره فرارا من شبهة الإضافة إلى ياء المتكلم؛ لأنها تقلب في باب النداء ألفا، وقد تمحف وتبقى الحركة القصيرة مشيرة إليها، ففروا في هذا الباب من النصب والجر إلى الضم؛ حيث لا شبهة

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو ، ص ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨١-١٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣-٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٣-٦٠ .

بيان المتكلّم^(١).

- اسم إنّ: ويرى المؤلف أن حقه الرفع، ولكنه ورد منصوباً؛ وكان النصب عليه هو الغالب، ويرى أنه منصوب على التوهم، ذلك أنه لما كثر ضمير النصب بعد (إنّ)؛ توهموا أن الموضع للنصب، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضاً على التوهم، في حين أن حقه الرفع؛ لأنّه مسند إليه أو متحدث عنه، وقد ورد مرفوعاً وعطف عليه بالرفع، ولكن النحاة - كما يقول - تأولوا أعنف تأويل؛ ليمضي لهم حكمهم بنصبه، ويرى بأنّهم أخطئوا في فهم هذا الباب وتدوينه، ثم تحرؤوا على تغليط العرب في بعض أحكامه^(٢).

- اسم (لا) النافية للجنس: وهو يرى أنه ليس مسنداً إليه، ولا متحدثاً عنه؛ بل

يشكّل مع (لا) النافية جملة ناقصة لا تحتاج إلى خبر؛ إذ تتمّ الفائدة بدونه، وما يليه من ظرف ونحوه؛ ليس إلا تكميلة بدليل أن المعنى يتم بدونه؛ فنقول: لا ريب، ولا شك^(٣).

٤. ينكر الأستاذ/ إبراهيم مصطفى وجود علامات فرعية للإعراب؛ "لأنّه يمكن إجراء العلامات الأصلية فيما جعلوه معرباً بالعلامات الفرعية"^(٤). وبالتالي فلا حاجة إلى أبواب فرض لها النحاة استقلالاً نتيجة لذلك، حيث وضعوا باباً للأسماء الخمسة، وباباً لجمع المذكر السالم، وباباً لجمع المؤنث السالم، وباباً للمثنى، وباباً لما لا ينصرف.

والرأي عنده أنّ الأسماء الخمسة، وجمع المذكر السالم لا تعرب بالحروف، وإنما تعرب بحركات طويلة تكتب على صورة الحرف، ويشّدّ عن ذلك إعراب المثنى، لأنّ الألف ليست من جنس الضمة ولا مطلاً لها، غير أنّ هذا الشذوذ - كما يقول - لا يقدح "في أمر تقرّر فيسائر العربية، واستقام في كلّ أبوابها"^(٥).

وأما جمع المؤنث السالم، وما لا ينصرف فيجريان على الأصل في الإعراب؛ ولكنهم - كما

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٤ - ٧١. وقد تابعه في رأيه هذا كل من: الدكتور/ أحمد عبد الستار الجواري، ينظر: نحو التيسير، ص ٨٠، والدكتور/ مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتجزية، ص ٨٤ - ٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤١.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٩ - ١١١.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٣.

يقول - أغلبوا النصب في الأول حملا على جمع المذكر السالم الذي أغلبوا فيه الفتح، وأغلبوا إعراب الثاني بالكسرة؛ حتى لا يختلط في حالة الكسر بال مضاد إلى ياء المتكلّم؛ إذا حذفت ياءه؛ وحذفها كثير في لغة العرب^(١).

٥. يرى المؤلف أنّ الأصل في البناء هو: الفتح، و هو بذلك يخالف النحاة القائلين؛ بأن السكون هو الأصل في البناء، و يتهم النحاة بأنهم بنوا ما ذهبوا إليه على نظره فلسفية، ولم يعتمدوا على الإحصاء والاستقراء، أما هو فقد بنى نظريته - بحسب قوله - على استقراء حروف المعاني، فقال: "وقد وجدنا عدد حروف المعاني سبعين حرفًا، الساكن منها اثنان وعشرون، والمتّحرك منها ثمانية وأربعون، وأما المتّحرك، فالمفتوح منه اثنان وأربعون، والمكسور خمسة، والمضموم واحد، فالساكن في البناء أقل من المتّحرك؛ بل هو أقل من المتّحرك بالفتح وحده"^(٢). فاستنتج من هذا الاستقراء أن المبني على الفتح أكثر من غيره، ومن ثم كان البناء على الفتح - في نظره - هو الأصل. أما بالنسبة للأسماء المبنيّة، فقد صرّح أنه لا يستطيع إحصاءها، غير أن المبني منها على السكون قليل^(٣).

٦. التوابع عنده هي: النعت الحقيقى، والبدل، وعطف البيان، والتوكيد، ويدخل في النعت خبر المبتدأ؛ لأن الخبر - كما يقول - تابع للمبتدأ؛ كما تبع الصفة الموصوف، وهو في ذلك خالف النحاة القدامى والحدثين كل المخالفة، وبالمقابل فإنه أخرج بابين من التوابع هما: - عطف النسق: لأن الثاني - كما يقول - شريك الأول، وله مثله صفة الاستقلال، فيعرب مثله إن كان مسندًا إليه، أو مضافًا أو غير ذلك، ودعا إلى أن توجه العناية إلى معانى حروف العطف^(٤).

- النعت السبّي: يرى أنه ليس من التوابع، "وكل ما عُدّ عند النحاة نعتا سبّيًا فحقه أن ينفصل عمّا قبله، وألا يجري عليه في إعرابه؛ ولكنّه إذا وافقه في التعريف والتنكير جرى

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو ، ص ١٠٨-١١٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) المصدر السابق ، ص ١١٥-١١٨.

عليه في الإعراب، وكان ذلك من باب الإعراب بالمحاورة^(١).

- يدخل في البدل عنده التوكيد، وعطف البيان، أما العطف فليس نوعا من التوابع؛ لأن إعراب المعطوف هو الأصل لا على الإتباع، ومن ثم فإن العطف يشارك المعطوف عليه في الحكم، ولذا يستحق - بحسب رأيه - أن يشاركه في الإعراب^(٢).

٧. لا يجوز - كما يقول - أن يكون للكلام وجهان من الإعراب، يلبس المتalking أيهما شاء، فمتي ثبت أن للحركة أثرا في تصوير المعنى تتحلبه لتحقيقه، لم يكن للمتكلم أن يعدل من حركة إلى أخرى حتى يختلف المعنى الذي يقصد إلى تصويره فيختلف الإعراب تبعا له^(٣). ومن ثم ناقش الموضع التي أجاز النحاة فيها وجهين، وأطال في عرض آراء النحاة حول تلك الأبواب، وحاول أن يخرجها تخرجا قائما - بحسب قوله - على أساس المعنى؛ وذلك في الأبواب الآتية:

- اسم لا . - باب ظن . - الاستعمال . - المفعول معه .

٨. يقرر الأستاذ/ إبراهيم مصطفى أن الأصل في العلم ألا ينون، وأنه لك في كل علم ألا تنونه، وإنما تتحققه التنوين إذا كان فيه حظ من التكير، ولا تحرم الصفة التنوين حتى يكون لها حظ من التعريف^(٤).

ثم نراه يحاول أن يطبق قاعده هذه في التنوين على باب الممنوع من الصرف، وفي رأيه أن منع العلم الأعجمي، والمركب المزجي، وما كان على وزن الفعل، وما كان معدولا من الصرف، إنما يعود إلى أنها مأخوذة من أصل لا تنوين فيه، وأما العلم المؤنث، فالعلمية لا التأنيث - بحسب رأيه - سبب الممنوع من الصرف، وقد أخطأ النحاة في عد التأنيث من موانع الصرف، كذلك فإن صيغة متهى الجموع، ونحو: أُخر وجُمع، وزن (أفعَل)، إنما منعت من التنوين؛ لوجود شيء من التعريف، أو نيته في كل منها^(٥). أما ما ختم بآلف التأنيث المقصورة

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو ، ص ١١٥-١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٩-١٨٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٨٥-١٨٧ .

والمحدودة، وما فيه زيادة الألف والنون، فقد أورد لمنعها من الصرف علاً أخرى لا صلة لها بالتعريف^(١). ولا شك أن هذه التحريجات فيها كثير من التتكلف؛ وذلك بسبب ضعف القاعدة التي انطلق منها، وخالف فيها جميع النحوة.

- موقف الباحثين المحدثين من الكتاب:

أحدثت محاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه: *(إحياء النحو)*؛ لجرأتها ردة فعل قوية، وتضمن الكتاب آراء شغلت الدارسين كثيراً، وأشاعت جواً من البحث العلمي افتقده الدرس النحوي منذ زمن طويل، وحركت كثيراً من القناعات الوثيقية الراسخة في الدرس النحوي، وقد اختلفت ردات الفعل تجاه هذا الكتاب من قبل هؤلاء الباحثين، وانقسموا حيال موقفهم من هذه المحاولة، وذلك كما يلي:

الموقف الأول: النقد والاعتراض أو الرفض: حيث ووجهت تلك المحاولة من أصحاب هذا الاتجاه بسلسلة من النقدات والاعتراضات التي حاولت أن تبين عدم استقامة أحکامها، واطرادها على كلام العرب، كما حاول بعض الباحثين أن يبرهن أن الأفكار التي زعم الأستاذ/ إبراهيم مصطفى أنها جديدة في الدرس النحوي ليست كذلك. ومن أبرز تلك الآراء المحاولات:

١. انتقاد الشيخ/ محمد أحمد عرفة في كتابه: *(النحو والنحوة بين الأزهر والجامعة)* كتاب: *(إحياء النحو)*؛ حيث اتهم مصنف الكتاب بأنه "نخل النحوة مذاهب لم يقولوها، ونقدوها، وأبان خطلها، فصور النحوة لقارئي كتابه قوماً بلها، أو مرورين يقولون ما لا يعقل، ويفهمون ما لا يفهم"^(٢)، كما أنكر منه - كما يقول - أنه انتحل مذاهبهم، وهجنهما، وأنه قعد قواعد في العربية، لو أخذ الناس بها لغيرت من روح العربية، ولأفسى ذلك إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله على غير وجههما، كما أنكر منه - أيضاً - أنه عمم الطعن ولم يخصص حتى أدخل سبيوبيه وكتابه، وهذا - بحسب قوله - يصرف

(١) ينظر: إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو*، ص ١٨٨-١٩٠.

(٢) عرفة، محمد أحمد، *النحو والنحوة بين الأزهر والجامعة*، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٧م، ص ٩.

المتعلمين ويصدّهم عن هذه المناهيل العذبة^(١). ثم يقول بعد ذلك: "أنكرت ذلك كله، ورأيت حتماً على أن أكتب كتاباً أصحّ به تاريخ العربية الذي أفسد الكتاب، وأردّ الأمور إلى نصابها"^(٢).

ويعد هذا الكتاب - في نظري - من أهم الكتب التي ردت على محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى رداً علمياً، وفي فترة مبكرة من صدور كتابه^(٣)؛ غير أنه يعبّ عليه اتسامه باللهمّة في الرد أحياناً، والفحش والثناء على النفس في مواضع كثيرة من الكتاب.

٢. رد الدكتور / محمد محمد حسين في كتابه: **(حصوننا مهددة من داخلها)**، على محاولة الأستاذ / إبراهيم مصطفى، وغيرها من المحاولات التي تهدف إلى تيسير النحو، وهاجمها، واعتبر كل دعوات تيسير النحو - ومنها محاولة الأستاذ / إبراهيم مصطفى - إنما هي وسائل لخدم التراث وقطع الصلة به، وأن محاولته ليس سوى مسخ لقواعد اللغة والنحو، وسمى كتابه **بـ(الميت)**^(٤).

٣. رد الشيخ / عبد المتعال الصعيدي على هذه المحاولة في كتابه: **(النحو الجديد)**، وذلك بعد أن أثني على رد الشيخ / محمد أحمد عرفة، حيث قال: "ولكني أشهد مع هذا أنّ الأستاذ محمد عرفة قد كفاني مشقة ما أريده من هذه الناحية؛ لأنّه أثبت أنّ أهم ما جاء في كتاب: إحياء النحو لا جديده فيه، ومن هذا رأيه في نظرية العامل، ورأيه في معانٍ الإعراب، وإذا كان مثل هذا لا جديده فيه؛ فإنه لا يكون هو التجديد المطلوب في النحو؛ لأنّ محاولة التجديد تكون بالرأي الجديد، ولا يمكن أن تكون بالرأي القديم؛ لأنّه هو الذي يراد التجديد فيه"^(٥). وهذا تكون محاولة الأستاذ / إبراهيم مصطفى - كما يرى - ليست هي التجديد المطلوب، وبحسب البحث - بحسب رأيه - عن محاولة غيرها

(١) المصدر السابق ، ص ٩-١٠ .

(٢) المصدر السابق، ص ١٠ .

(٣) فرغ من تأليفه في أواخر ١٩٣٧ م، أي في السنة نفسها التي صدر فيها كتاب: **(إحياء النحو)**.

(٤) ينظر: حسين، محمد محمد، **حصوننا مهددة من داخلها**، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ٦، ص ١٤٥، ١٥٦، ١٧١، ١٧٠، ١٧٢ .

(٥) عبد المتعال الصعيدي، **النحو الجديد**، ص ٧٩ .

لتتحقق ذلك^(١).

٤. الأستاذ/ علي النجدي ناصف في كتابه: (من قضايا اللغة والنحو)، وقد هاجم في هذا الكتاب جميع دعوة التيسير بدءاً بابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، وانتهاء بالأستاذ/إبراهيم مصطفى^(٢).

٥. الدكتور/ تمام حسان في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها)، وقد وصف في هذا الكتاب محاولة الأستاذ/إبراهيم مصطفى في تفسير العلامات الإعرابية، بأنها مبهمة، وقاصرة في فهم طبيعة الحركات الإعرابية، لأنها يقصر فهم الإعراب على العلامة الإعرابية وحسب، مع أنها – كما يقول – ليست سوى قرينة واحدة من قرائن فهم الإعراب، بل إن الإسناد نفسه هو قرينة من قرائن الإعراب^(٣).

٦. الدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة، في بحثه: (النحو بين التجديد والتقليل)، وقد انتقد فيه جوانب كثيرة من محاولة الأستاذ/إبراهيم مصطفى، وذلك ضمن حديثه عن محاولات متعددة في نقد النحو العربي وإصلاحه^(٤).

٧. الدكتور/ حلمي خليل في كتابه: (العربية وعلم اللغة البنوي)، حيث رأى في هذا الكتاب أن محاولة الأستاذ/إبراهيم مصطفى لا تجديد فيها على الرغم من أنه ادعى التجديد "لأن أهم ما جاء فيه؛ حتى فيما يتصل بإلغاء نظرية العامل قديم، لأن محاولة التجديد؛ إنما تكون بالرأي الجديد، ولا يمكن أن تكون بالرأي القديم، لأنه هو الذي يراد إحداث التجديد فيه"^(٥).

٨. الدكتور/ عبد الوارث مبروك سعيد في كتابه: (في إصلاح النحو العربي دراسة

(١) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، النحو الجديد ، ص ٨١.

(٢) ينظر: ناصف، علي النجدي، من قضايا اللغة والنحو، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢١، ٨٢-١١٩.

(٣) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٥.

(٤) ينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، النحو بين التجديد والتقليل، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٦)، ١٩٧٦م، ص ١١-١٠٥.

(٥) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ٦١-٦٨.

نقدية)، وقد تناول فيه المؤلف هذه المحاولة بالتفصيل، ووصفها بالمحاولة الجريئة التي نفضت الهيبة والقدسية عن النحو العربي، مؤكداً بعد ذلك أن الدعاوى والأمال التي أعلنها المؤلف في مطلع كتابه كانت أكبر بكثير مما أمكن تحقيقه، وأن الكتاب ليس فيه من الجديد إلا القليل مما يمكن الأخذ به^(١).

٩. الدكتور/ عز الدين مجدوب في كتابه: (*المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة*، وفيه فند كثيراً من حجج الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه، وفي غيرها من مقاريات الباحثين المحدثين للتراث النحوي، مؤكداً أن أهم العرائيل التي منعت بشكل أو آخر من قراءة التراث النحوي قراءة صحيحة، هي برأيه: التجريبية، حيث يقول: " التجريبية *Empirisme* التي تمثل العيب الأساسي لمقاريات المحدثين للتراث النحوي، ونقصد بالتجريبية: قلة التنظير للممارسة العلمية، وعدم تفكير الباحث في منطلقاته ومسلماته"^(٢).

١٠. الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي، في كتابه: (*إحياء النحو والواقع اللغوي دراسة تحليلية نقدية*)، وقد تناول هذه المحاولة بالدرس والتحليل وأطال في ذلك؛ ليؤكد بعد ذلك كله قصور هذه المحاولة وعجزها - كما يقول - عن الوفاء بالغرض المنشود^(٣).

الموقف الثاني: التأييد والقبول: ومن أبرز الباحثين الذين أيدوا هذه المحاولة، وأثروا عليها:

١. الدكتور/ طه حسين: وهو الذي اقترح عليه تسمية الكتاب بهذا الاسم، وكتب مقدمة الكتاب، ونوه - ببالغة - بشأن هذا الكتاب وأثره، وأبدى إعجابه الشديد بفكرته^(٤).

٢. الدكتور/ أحمد عبد الستار الجواري، الذي أثني على تلك المحاولة، ورأى بأنها محاولة

(١) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص. ٩٩-١١٢.

(٢) عز الدين مجدوب، *المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة*، ص. ٥. وينظر الصفحات، ١٤، ٢٠، ١١٤، ١٢٠، ١٣٨ - ١٤٥.

(٣) ينظر: عبد الراضي، أحمد محمد، *إحياء النحو والواقع اللغوي دراسة تحليلية نقدية*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م، ص. ٦-٧.

(٤) إبراهيم مصطفى، *إحياء النحو*، المقدمة.

رائدة مهدت السبيل للباحثين من بعده، ووافقه في كثير من آرائه وأفكاره، حيث يقول في كتابه: **(نحو التيسير دراسة ونقد منهجي)**: " ولا يفوتي هنا أن أنوه من مهد سبيل هذا البحث، وأنار طريقه للباحثين، وحال فيه جولات موفقة، وخطا فيه خطى مسددة، ذلك أستاذنا الفاضل إبراهيم مصطفى (رحمه الله وأحسن مثواه)"^(١).

٣. الدكتور / مهدي المخزومي، وقد أشاد بهذه المحاولة في مقدمة كتابه: **(في النحو العربي نقد وتوجيه)**، حيث يقول عنها: " وكان خير المحاولات ما قام به المرحوم الأستاذ / إبراهيم مصطفى في **(إحياء النحو)**، وكان عمله هو البادرة الأولى للعمل الجاد في إصلاح ما أفسدته القرون"^(٢)، بل إنه احتذى سنته في كثير من آرائه واجتهاداته.

٤. الدكتور / عبد الجيد عابدين، وذلك في كتابه: **(المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية)**، وقد أكد في كتابه هذا أن دعوة الأستاذ / إبراهيم مصطفى لإلغاء العامل كانت أشمل وأوضح من دعوة ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ)، كما أنه لخص مبادئ هذه النظرية وبين عيوبها - كما يقول - في عبارة عالية جلية^(٣).

٥. الدكتور / عبد الله أحمد إسماعيل، وقد تناول في كتابه: **(إحياء النحو وتجديده** بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي) جهود إبراهيم مصطفى، وآرائه في كتابه؛ مؤكداً أنه رائد الدرس النحوي الحديث في العالم العربي قاطبة، وأن حركة الدرس النحوي في جميع البلاد العربية تدين بالفضل للأفكار التي تضمنها، أو بعثها كتاب **(إحياء النحو)**^(٤).

- كتاب: **(إحياء النحو) بين التأثر والتأثير:**

لم يشر الأستاذ / إبراهيم مصطفى في كتابه إلى استفادته من جهود سابقة، أو تأثره بآراء النحاة المتقدمين أو المتأخرین في هذا الكتاب؛ مما جعل الباب مفتوحاً أمام الناقدين بالتكهن،

(١) أحمد عبد الستار الجواري، **نحو التيسير**، ص ١٤.

(٢) مهدي المخزومي، في **النحو العربي نقد وتوجيه**، ص ١٥.

(٣) عبد الجيد عابدين، **المدخل إلى دراسة النحو العربي**، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٤) ينظر: عبد الله أحمد إسماعيل، **إحياء النحو وتجديده** بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ١٤، ١٤٤ - ١٤٦.

والتحمين، والاستنتاجات، وهذا ما جعل الباحثين ينقسمون فريقين تجاه هذا الموضوع: الفريق الأول: يؤكّد بشكل قاطع تأثير الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في هذا الكتاب بجهود النحاة السابقين وآرائهم، واستفادته منها، وبخاصة فيما يتعلق بمسألة العامل، ودلالة علامات الإعراب على المعاني. وأما الفريق الثاني، فيرى أن هذه الآراء إنما هي من إبداعه القائم على ثقافته الواسعة، وتحريه الدقيق، وفهمه العميق لأساليب اللغة العربية، وأنه ليس من الحكمة في شيء أن يجرد كل صاحب نظرية من نظريته؛ بجرد أن باحثين سبقوه في رأي، ثم بني هو على رأيهم، وأقام نظريته. كما هو الحال عند الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه.

فأما موقفه من نظرية العامل، فإن عددا من الباحثين يرون أنه قد تأثر فيه بابن مضاء القرطبي (ت ٩٥٢ هـ)، وأنه اطلع على كتابه، وأقام نظرته على هدي منه؛ وإن لم يشر إلى ذلك في كتابه. ومن يرى ذلك الرأي الدكتور/ إبراهيم السامرائي؛ وذلك حين تناول دعوات التيسير الحديثة للنحو، حيث يقول معرضا بمحاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى: "ومنها ما تناول مسألة العامل والعمل، ونادى بإلغاء هذه المسألة الدخيلة على مادة النحو، وكأن أصحاب هذا الرأي أرادوا أن يفجأوا الناس بجديدهم، حتى إذا نشر كتاب ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة عرفنا من أي مصدر كانوا يستقون هذا المعين الشر" ^(١). وفي حديثه عن كتاب: (إحياء النحو) يقول الدكتور/ عبده الراجحي: "وحل ما وضعه الأستاذ في كتابه مأخوذه من كتاب ابن مضاء" ^(٢). كما افترض هذا الافتراض أيضا كل من الدكتور/ عبد الوارث مبروك سعيد ^(٣)، والدكتور/ حلمي خليل ^(٤). و الدكتور/ خليل عمایرہ ^(٥)، و الدكتور/ عبد العزيز عبده أبو عبد الله ^(٦)،

(١) السامرائي، إبراهيم، مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م، ص ٣١.

(٢) الراجحي، عبده، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٧٢.

(٣) ينظر: عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٠٣.

(٤) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ٦٥.

(٥) ينظر، خليل عمایرہ، العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، ص ٧٣.

(٦) ينظر: عبد العزيز أبو عبد الله، المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، ص ٨١٠.

في حين ينفي ذلك التأثر عدد من الباحثين منهم تلميذه الدكتور/ مهدي المخزومي^(١)، والدكتور/ عبد الله أحمد إسماعيل، الذي يقول عن هذا الموضوع مدافعاً عن جهد الأستاذ/ إبراهيم مصطفى: "إننا نرى أن نبذ العامل وسائر الأصول والمبادئ التي اتخذها إبراهيم مصطفى أساساً لصرح النحو المربحي هي من إبداعه القائم على ثقافته الواسعة، وتحريه الدقيق"^(٢)، في حين يرجع الشيخ/ عبد المتعال الصعيدي أن هذا الالقاء بين ابن عيسى مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ)، والأستاذ/ إبراهيم مصطفى في الدعوة إلى إلغاء العامل؛ إنما هو من باب توافق الخواطر لغير^(٣).

أما ما يتعلق بدلالة الإعراب على المعاني، فيرى بعض الباحثين من تناولوا هذا الموضوع أن الأستاذ/ إبراهيم مصطفى مسبوق أيضاً بذلك^(٤)، فقد أدرك النحاة من قبل - كما يرون - حركات الإعراب، وحددوها وذلك عندما قالوا: إن الضمة علم الفاعلية، والكسرة علم الخفظ، ومنهم أبو القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في كتابه: (المفصل)^(٥). وفي ذلك يقول الدكتور/ خليل عماد: "هذا الرأي في حقيقة الأمر هو رأي صاحب المفصل، ورأي شارحه؛ وذلك لأن كتاب المفصل وشرحه لابن عيسى من مصادر الأستاذ مصطفى في كتابه: إحياء النحو...؛ ولكنه لم يشر إلى ذلك، ولا أدرى لماذا؟"^(٦).

ويدافع الدكتور/ عبد الله أحمد إسماعيل عن الأستاذ/ إبراهيم مصطفى، فيقول: "إننا لا ننكر أن المفصل وشرحه من مصادر (إحياء النحو)، وأن صاحب الإحياء كانت واسع الثقافة، كثير الاطلاع، وأنه قد أفرغ خلاصة ثقافته في نظريته القائلة بأن الضمة علم الإسناد، والكسرة

(١) ينظر، مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في اللغة والنحو، ص ٣٣.

(٢) عبد الله أحمد إسماعيل، إحياء النحو وتحديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ٢٥.

(٣) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، النحو الجديد، ص ٢٣٢.

(٤) منهم: الشيخ/ عبد الحادي الفضلي، في كتابه: دراسات في الإعراب، دار القلم، بيروت، الطبعة (٣)، م ١٩٨٥، والدكتور/ خليل عماد، العامل النحوي بين مؤيدية ومعارضية، ص ٧٤-٧٥، و الدكتور/ أحمد عبد الراضي، أحياء النحو والواقع اللغوي، ص ٦٧، والدكتور/ عبد الوارث مبروك سعيد، ص ١٠١، و الدكتور/ حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنية، ص ٦٥ . . .

(٥) ينظر: ابن عيسى، شرح المفصل، ١/٧١.

(٦) خليل عماد، العامل النحوي بين مؤيدية ومعارضية، ص ٧٤.

علم بالإضافة، والفتحة ليست علما على شيء، وليس من الحكمة أن مجرد كل صاحب نظرية من نظرته مجرد أن باحثين سبقوه في رأي، ثم بني هو على رأيهم وأقام نظرته، إننا لو فعلنا ذلك فإن كثيراً من يبشرون بنظريات لهم قد يجدون أنفسهم في حرج؛ إذا ما ردنا أصول ما يبشرون به إلى أصحابها الأولين؛ بل إننا لو جربنا على هذه الحال في تحرير الباحث مما وصل إليه من خلال تجاربه الثقافية، فإن الأمر لن يقتصر على تحرير إبراهيم مصطفى فحسب؛ بل سيمتد إلى التاريخ القديم إلى سيبويه علم الطبقة الرابعة، بل إلى أستاذه الخليلشيخ الطبقة الثالثة؛ ولذلك فإني أميل إلى القول بأن آراء إبراهيم مصطفى في دلالة الحركات الإعرابية على المعاني، هي له مفصلة كانت أم مجملة بما لها من حسنات وما عليها من ملاحظات^(١).

أما فيما يتعلق بتأثير هذه المحاولة فلا شك في أنها محاولة رائدة تجرأت على تحريك القناعات الوثيقية الراسخة في كثير من قضايا التراث النحوي ، وأسهمت بشكل كبير في تسارع محاولات إصلاح النحو العربي وتسهيله في جميع أنحاء العالم العربي، فتوالت من بعده تلك المحاولات، كما أن هناك محاولات تأثرت بآرائه وأفكاره في نظرية العامل، ودلالة الحركات الإعرابية؛ وذلك نحو ما نجده عند: الدكتور / عبد الرحمن أبوب في كتابه: (دراسات نقدية في النحو العربي)، و الدكتور/أحمد عبد الستار الجواري في كتابه: (نحو التيسير)، الذي صرخ باسترشاده في تحريره بمحاولات الأستاذ/ إبراهيم مصطفى^(٢)، و الدكتور/مهدي المخزومي في كتابه: (في النحو العربي نقد وتوجيه)، وغيرهم من الباحثين، وفي هذا يقول الدكتور / عبد الله أحمد إسماعيل: "إن من الإنصاف أن نقرر أن حركة الدرس النحوي الحديثة في بلادنا تدين بالفضل للأفكار التي تضمنها، أو بعثها كتاب: إحياء النحو"^(٣) .

ومهما يكن من اختلاف حول قيمة هذا الكتاب العلمية، وأصالحة الأفكار التي نادى بها؛ فإن الحقيقة الناصعة - في نظري - أنه كان تجربة جريئة في إعادة قراءة التراث النحوي، والاستدراك على النحاة القدماء، وقد ظلت آراؤه ضاربة في أغوار الدرس النحوي مدة طويلة،

(١) عبد الله أحمد إسماعيل، إحياء النحو وتحديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ٢٢.

(٢) ينظر: أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير، ص ٨.

(٣) عبد الله أحمد إسماعيل، إحياء النحو وتحديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ١٤.

واحتذى سنهما كثير من الباحثين، والمهتمين في تيسير النحو وإصلاحه في الدرس النحوى الحديث؛ فهو بحق رائد الدرس النحوى الحديث في العالم العربى.

المبحث الثاني

محاولات انطلقت من الفكر اللغوي الغربي الحديث متتجاوزة النظرية النحوية القديمة

وتحدف هذه المحاولات بشكل عام إلى تطوير بعض النظريات الحديثة، وجعلها صالحة لوصف اللغة العربية، ويمثل هذا الاتجاه عدد من الباحثين يشكلون اتجاهات مختلفة باختلاف النظريات الحديثة التي درسوها، ومن أبرزها ما يلي.

أولاً: النظرية التوليدية التحويلية:

نشأ المنهج التوليدي التحويلي في منتصف القرن العشرين؛ وذلك بعد أن وضعه وسطر مبادئه العالم الأمريكي نعوم تشومسكي على صفحات كتابه المشهور: (التركيب النحوية) Syntactic structures الذي صدر عام ١٩٥٧م، حيث حاول فيه أن يستدرك على الوصفيين البنويين أوجه القصور في المنهج الوصفي البنوي؛ ولذا فهو يعتبر رداً عنيفاً وثورة على المناهج والمفاهيم التي سادت في النصف الأول من القرن العشرين^(١).

(١) وقد ترجمه إلى العربية الدكتور / بؤيل يوسف عزيز بعنوان: (البني النحوية)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٧م. وللتعرف أكثر على الإطار النظري لهذه النظرية، ينظر:

- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج. ص ١٠٩ - ١٦٠.
- الوعر، مازن، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التركيب الأساسية في اللغة العربية.
- الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث.
- زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٦م.
- ستية، سمير، اللسانيات، عالم الكتب الحديثة، ٢٠٠٥م. ص ٢٠٠.
- العلوي، شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠٠٤م. ص ٤٠ وما بعدها.
- الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، الرياض، الطبعة (١)، ١٩٨١م، ص ٤٩ - ٢١.
- غلغان، مصطفى، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة (١)، ٢٠١٠م.
- ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، تحقيق: حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- بارتشيت، بريجيه، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار

=

ويعد تشوسم斯基 اللغة قدرة فعالة فطرية مختصة بالإنسان قائمة على عدد من الكلمات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل المنتجة، وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجهما المتكلم، ومن هنا فهو يرى أن التحليل اللساني ينبغي أن يشرح اللغة من الداخل، وليس من الخارج، وعدّ شرح الظاهرة اللغوية بمصطلح سلوكي؛ إنما هو غضّ للخلق اللغوي الامتناهي^(١). ولذا فالمنهج التوليدى التحويلي يوصف بأنه منهج ذهني يهتم بالحقيقة الكامنة، أي أنه يركز على التمييز بين الكفاية اللغوية وهي : ملكة ذاتية تتمثل في القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها، وتمثل البنية العميقية للغة، وبين الأداء اللغوي: وهو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وتمثل البنية السطحية للكلام، ومن ثم ركز المنهج على بناء نماذج فرضية استنباطية للغات تنطلق من وجود تركيب باطني، أو (بنية عميقية) لكل جملة؛ وهو الأساس الذهني المجرد الذي يعطي المعنى المقصود للجملة، أما ما ينطق به فعلاً فيسمى بـ(بالبنية السطحية)، والعلاقة بينهما تتم بواسطة ما أسماه تشوسم斯基 (تحويلاً)، أي أنه يفترض لكل بنية لغوية ظاهرة بنية أخرى عميقية كامنة في ذهن المتكلم، وهو يحاول الكشف عن كيفية تحول البنية العميقية الثانية إلى السطحية الأولى، ومن أجل هذا رفض تشوسم斯基 المنهج الوصفي؛ لقصوره وعجزه عن الإيغال فيما وراء الأشكال الظاهرة للغة، لأن نظريته إنما تقتضي بما كان يرفضه النحويون الوصفيون مما أخذوه على النحو التقليدي^(٢).

هذا الأمر يقتضي أن اللغة المنطوقة تكمن تحتها عمليات عقلية عميقية، فدراسة الأداء(البنية السطحية) تقدم التفسير الصوتي للغة، أما دراسة الكفاءة(البنية العميقية) فهي تقدم

للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة(١)، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٥-٢٩٦. خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، الطبعة(١)، ١٩٧٩م.

(١) ينظر: الوعر، مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طлас، دمشق، الطبعة(١)، ١٩٨٨م، ص ١١٥. وعبدة الراححي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٢٤، وينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٣٦، وبوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) ينظر: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٣٣. بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص ١٥٣-١٥٤. وعلي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، الطبعة(١)، ٢٠٠٤م، ص ٨٦-٨٨.

التفسير الدلالي لها^(١).

وقد مرّ هذا المنهج في مراحل ومراجعات عدّة، وكان من أبرز أسباب ذلك ما وجه إليه من نقد يتعلّق بدراسة التراكيب على حساب الجانب الدلالي، أو بعبارة أخرى لم يكن هذا المنهج عند منتقديه يعير أدنى اهتمام لدراسة الجملة^(٢)؛ إذ إنّ تشومسكي اعتبر العملية التحويية مستقلة عن العملية الدلالية أو المعنى، فقد ذكر في منهجه الذي وضعه في كتابه: (التركيب التحويية)، ثلاثة مستويات لدراسة اللغة، لم يكن من بينها المستوى الدلالي، وهي^(٣):

- **المكون التوليدي المركبي**: والذي يمكن من خلاله للقواعد التوليدية المركبة أن تعيد كتابة الرموز اللغوية الفردية، وذلك من أجل إنتاج سلاسل لغوية مماثلة من خلال بنية عميقّة مشجرة.

- **المكون التحويلي**: وهذا المكون قادر على تحويل الجملة التوليدية إلى جملة تحويالية.

- **المكون الصافي الصوتي**: وهو مجموعة القواعد الصوتية والصرفية التي تعمل على صياغة التركيب الأساسي في شكله النهائي.

وبذلك فإنّ تشومسكي لم يشر إلى المكون الدلالي على الإطلاق، ما جعل بعض الباحثين الذين سموا فيما بعد بـ(أصحاب المدرسة التوليدية الدلالية)، ينتقدونه بسبب ذلك، ويؤكّدون على ضرورة التركيز على الجانب الدلالي في دراسة اللغة، فكما أنّ التحويل يتم على المستوى التركيبي؛ فإنه يمكن أن يتم على المستوى الدلالي، ومن ثم فقد طور تشومسكي منهجه من جديد؛ مستفيداً من هذا النقد عام ١٩٦٥م، بما أسماه بـ(المنهج المعياري) أضاف فيه المستوى

(١) ينظر: بارتشيت، بريجيه، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: الدكتور / سعيد بحيري، ص ٢٨٧ - ٢٧٩. وينظر أيضاً: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ١٨٤ . و محمد الخولي، قواعد تحويالية للغة العربية. ص ٢٢.

(٢) ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ١٠٢ ، وينظر أيضاً: مصطفى غلغان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص ٣٥ .

(٣) ينظر: مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص ٥٢ - ٥٣، وينظر أيضاً: عميرة، حلّيمة، الاتجاهات التحويية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٦م، ص ٥٣ .

الدلالي إلى جانب المستويات السابقة^(١). ثم طور منهجه أيضاً مرة أخرى سنة ١٩٧٧ م بأعمال من أجل ضبط القواعد التوليدية والتحويلية المتمثلة في منهج الضوابط على القواعد؛ مكوناً إطاراً لنظرية تعرف بـ(نظرية العامل والربط الإحالي). ركز فيها على ربط التمثيل الدلالي بالبنية العميقة، والبنية السطحية، من خلال تقديمِ نوعين من القواعد التفسيرية والدلالية، وذلك للتغلب على المشكلات الدلالية، وهما^(٢):

أ- قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

ب- قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية.

وإذا كان القرن العشرين يتميز بظهور العديد من النظريات اللسانية، والتصورات المتعلقة بدراسة اللغة؛ فإن النحو التوليدي أَسْتَطَاع - وبلا شك - أن يتزعم في وقت وجيز مختلف هذه التصورات، وأن يكون مرجعاً ومقاييساً لأي نظرية مناسبة لها، أو مختلفة عنها.

والمتابع للدراسات اللغوية العربية الحديثة لن يجد عناًء يذكر؛ ليكتشف أن اللغويين والباحثين العرب قد تلقوا في مرحلة مبكرة تصورات النظرية التوليدية التحويلية، ووقفوا على منجزاتها وتحللت صور التلقى - بحسب تبعي لها - في اتجاهات متعددة، وهي:

١. ترجمة أهم الدراسات والبحوث التأسيسية فيها لروادها إلى اللغة العربية^(٣).
٢. محاولة التعريف بها، وتقرير مفاهيمها النظرية تأليفاً مبسطاً للقارئ العربي^(٤).

(١) ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٥٦، وينظر أيضاً: بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) ينظر: مازن الوعر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٨٨. وينظر أيضاً: مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص ٦٤.

(٣) ومن أبرزها ترجمة: الدكتور / يؤيل عزيز لكتاب تشومسكي: (البني النحوية)، وترجمة الدكتور / حلمي خليل، لكتاب جون ليونز (نظرية تشومسكي اللغوية)، وترجمة الدكتور / حمزة المزيني لكتاب تشومسكي: (اللغة ومشكلات المعرفة)، وترجمة الدكتور / محمد فتحي لكتاب تشومسكي: (المعرفة اللغوية)، وغيرها.

(٤) ومنها كتاب: الدكتور / ميشال زكريا: (الأنسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية)، وكتاب الدكتور / عبده الراجحي: (النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج)، وكتاب الدكتور / نايف خرما: (أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة)، وكتاب الدكتور / صالح الكشو: (مدخل في اللسانيات)، وكتاب الدكتور / عطا محمد موسى: (مناهج الدرس النحووي في العالم العربي في القرن العشرين)، نعمان بوقرة، (المدارس اللسانية المعاصرة)، وغيرها.

٣. البحث في مدى تلاقيها مع النظرية النحوية العربية، عن طريق الربط بين جهود اللغويين العرب المتقدمين في هذا المجال، والأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية التحويلية^(١).

٤. محاولة الاستفادة من إجراءاتها التطبيقية بجعل اللغة العربية، أو بعض أبوابها ميداناً للتطبيق والتحليل^(٢).

٥. الكتابات النقدية التي تستهدف النظرية التوليدية التحويلية، أو رصد المنجز العربي فيها، وذلك على نحو ما نجده عند الدكتور/ محمد الحناش من نقد شديد للاتجاه التوليدية بشكل عام في بحثه: (البحث اللساني بين العمق والعمق)^(٣)، أمّا الدكتور/ حافظ إسماعيلي علوى في كتابه: (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته) فهو يمثل مراجعة نقدية شاملة لمؤلف اللسانيين العرب، ويعود هذا الكتاب - في نظري - من أهم ما كتب في رصد الحركة اللسانية في الثقافة العربية، وتشخيص الإشكالات والعوائق التي تحول دون تطور الدراسات اللسانية العربية بشكل عام^(٤). أيضاً يمكن أن يضاف إلى ذلك - وإن من زاوية ثقافية مختلفة - ما خطه الدكتور/ علي حرب في كتابيه: (الماهية

(١) وهناك مؤلفات كثيرة نجت هذا الاتجاه ومن أبرزها: كتاب الدكتور/ عبد الرحيم: (النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج)، وكتاب الدكتور/ خاد الموسى: (نظريات النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث)، وكتاب الدكتور/ حسام البهنساوي: (أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث)، وصالح، عبد الرحمن الحاج، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية وقائع ندوة جهوية ١٩٨٧ م - الرباط، دار الغرب الإسلامي، الرباط، الطبعة(١)، ١٩٩١ م، ص ٣٦٦ وما بعدها، وغيرها.

(٢) ومنها على سبيل المثال: كتاب الدكتور/ محمد علي الحولي: (قواعد تحويلية للغة العربية)، وكتاب الدكتور/ مازن الوعر: (نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية). وكتاب الدكتور/ ميشال زكي: (اللسانية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة)، وغيرها.

(٣) ينظر: الحناش، محمد، البحث اللساني بين العمق والعمق "سفر النهافت"، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد(٤)، ١٩٨٦ م، ص ١١٣-١٤٢.

(٤) ينظر: علوى، حافظ إسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، الطبعة(١)، ٢٠٠٩ م.

والعلاقة نحو منطق تحويلي، وفيه خصص فصلاً لنقد تشومسكي تحت عنوان: **تشومسكي ومتارق النحو التوليدية**^(١)، وفعل الأمر نفسه في كتابه الآخر: **(أصنام النظرية، وأطيات الحرية نقد بورديو وتشومسكي)**؛ حيث خصص أيضاً القسم الثاني من الكتاب لنقد تشومسكي؛ وذلك بعنوان: **تشومسكي من الناطق الفطري إلى الفاعل اللغوي**^(٢).

ومن الباحثين العرب الذين عكفوا على وصف النحو العربي بأدوات غربية خالصة، واستفادوا من هذه النظرية، الدكتور / ميشال زكريا، حيث أصدر عدداً من المؤلفات استوعب فيها بشكل كبير المنهج التحويلي التوليدية في المستويين النظري والتطبيقي؛ وبخاصة ما يتعلق بدراسة الجملة، ويوضح ذلك الجهد في كتابيه: **(الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: النظرية الألسنية)**، و **(الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة)**. ففي الكتاب الأول عرف المؤلف أولاً بالنظرية التوليدية التحويلية تناول فيه أهمية هذه النظرية، وأبرز مكوناتها، وقواعدها، ومصطلحاتها، كما طرحتها مؤسسها نعوم تشومسكي؛ موضحاً أنّ هذه النظرية تسعف في تعميق دراسة اللغة، ثم حاول بعد ذلك أن يتناول بصورة مفصلة قواعد اللغة العربية، وتحليل قضائها وإشكالاتها بمنظار توليدية تحويلي، ولا شك في أن محاولة المؤلف هذه تعد من أبرز المحاولات في تعريف القارئ العربي بنظرية تشومسكي ومرجعاً هاماً في هذا الموضوع^(٣). وأما في كتابه الثاني، فقد أشار فيه أولاً إلى الأهمية التي تتحذّرها إعادة كتابة الجملة بالقواعد التوليدية التحويلية، ثم تناول مفهوم الجملة عند اللغويين العرب، بعد ذلك حاول المؤلف استثمار أدوات النظرية التوليدية التحويلية، في تفسير البنية الجملية في اللغة

(١) ينظر: حرب، علي، **الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة (١)، ١٩٩٨، ص ١٠٥-١٠٨.

(٢) ينظر: حرب، علي، **أصنام النظرية وأطيات الحرية نقد بورديو وتشومسكي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة (١)، ٢٠٠١، ص ٧١-٩٢.

(٣) ينظر: زكريا، ميشال: **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: النظرية الألسنية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٦.

العربية، جاعلا الجملة البسيطة أنموذجاً تطبيقياً لذلك^(١).

كما خاض الدكتور/ مازن الوعر تجربة هامة في هذا الموضوع، وكان له إسهامات بارزة وقيمة، ومتعددة في درس النحو العربي على أساس المنهج التحويلي التوليدى؛ و من ذلك كتابه: **(نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية)**، حيث سعى من خلال هذه الكتاب إلى صياغة مبادئ لنظرية لسانية توليدية عربية، تتحذّز تراكيب العربية ميداناً فسيحاً للتطبيق والتحليل؛ موضحاً أنّ هذه الدراسة إنما تسعى لتحقيق هدفين اثنين هما^(٢):

الأول: أن تسهم بتوسيع بعض المفاهيم اللسانية العربية؛ لتصبّ في المعرفة الواسعة للنظرية اللسانية الغربية.

الثاني: أن تطبق بعض التقنيات اللسانية الحديثة الغربية على التراكيب الأساسية في اللغة العربية.

ويمكن الوقوف - بإيجاز - على أبرز ما في هذه المحاولة من أفكار، وهي:

١. حدد المؤلف مصادر دراسته، فكانت على النحو الآتي^(٣):

- اللسانيات التوليدية والتحويلية التي أقام بنائها نعوم تشومسكي (١٩٥٧م - ١٩٨١م).

- اللسانيات الدلالية التوليدية التي وضعها ولتر كوك (١٩٧٠م - ١٩٧٨م).

- اللسانيات العربية التقليدية.

ويرى الدكتور/ مازن الوعر أنه بالإمكان إيجاد وصف شامل للتراكيب العربية، وذلك

بدمج النموذج الدلالي التصنيفي الذي وضعه عالم الدلاليات الأمريكي (ولتر كوك) مع القواعد التوليدية التحويلية لعالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي، وذلك من أجل وصف

(١) ينظر: زكريا، ميشال: **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٨٣م. وينظر أيضاً: حافظ إسماعيلي علوى، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية**، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) ينظر: مازن الوعر، **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية**، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٥-١٦.

التركيب العربية، وشرحها نحوياً ودلالياً^(١).

٢. نوه المؤلف بأهمية العالمة الإعرابية بوصفها أداة مهمة لوصف البنية العميقه للجملة العربية، إيماناً منه بأن الظاهرة الإعرابية في العربية إحدى العوامل الدلالية^(٢).

٣. تبني الدكتور/ مازن الوعر رأي النحاة المتقدمين من النحاة من أمثال: الرمخشري (ت ٥٣٨هـ)، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في تمييزهم لأنواع الجمل في العربية؛ فيرى معهم أن الجملة إما أن تكون اسمية: (ت تكون من مبتدأ + خبر) نحو: زيد شاعر، أو فعلية: (ت تكون من فعل + فاعل) نحو: جاء زيد، وهم النمطان الأساسيان في العربية، أو ظرفية: (ت تكون من مبتدأ وخبر شبه جملة)، أو شرطية: (ت تكون من تركيبين اثنين يعلمان كتركيب واحد) نحو: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته، وهم متفرعان عما سلف^(٣).

٤. يرى من خلال ماسبق أن التركيب الأساسية في العربية يمكن أن تمثلها المعادلة الآتية^(٤):

ك (التركيب) : ————— ← أ (أداة) ————— ← إس (إسناد)
إس (إسناد) [———— ← م (مسند) ————— ← م إ (مسند إليه) ————— ← ف (فضيلة)].

٥. انطلق الباحث بعد ذلك مطبقاً معاييره في التحويل في وصف البنية العميقه للتركيب العربية الأساسية، (باب الاستفهام)؛ مستخدماً في ذلك الأدوار الدلالية التي اقترحها ولتر كوك في منهجه الدلالي التصنيفي^(٥).

وقد أضاف الدكتور/ الوعر: الأداة (نفي، أو استفهام، أو شرط....) على البنية العميقه، لأنها تسهم في تحويل التركيب الأساسي إلى تركيب مشتقة جديدة.
ويرى الدكتور/ عطا موسى أن محاولة الدكتور/ الوعر السابقة تكاد تكون مطابقة لأنظار

(١) ينظر: مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التركيب الأساسية في اللغة العربية، ص ٩٣-٩٤.

(٢) ينظر: مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التركيب الأساسية في اللغة العربية ، ص ٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧ - ٣٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٥) المصدر السابق، ص ١٦٧ وما بعدها.

النحو العربي، وذلك يتفق مع توجهه باستثمار معطيات النحو العربي في بناء النظرية النحوية العربية الحديثة. غير أنه يعبأ عليها أنها لم تكن شاملة في مجال التطبيق؛ إذ إن الدكتور / الوعر لم يتناول في تطبيقه سوى الاستفهام، بالإضافة إلى ذلك فإن تناوله يكاد ينحصر في عنصر واحد من عناصر التحويل، وهو التقديم والتأخير، في حين أن هناك غير عنصر من هذه العناصر مثل: الحذف، والزيادة، والحركة الإعرابية، والتنعيم وغيرها، كما يرى أن الباحث أغفل تحليل بعض الأساليب الانفعالية، كالتحذير، والإغراء، والتعجب. غير أن هذه المأخذ لا تقلل من جهوده المشرمة في تطوير الدرس اللساني العربي^(١).

ومن بين المحاولات التي استهدفت وصف النحو العربي على أساس القواعد التوليدية التحويلية ما أنجزه الدكتور / محمد علي الخولي الذي استخدم فرضية العالم الأمريكي تشارلز فلمور التي طورها في نهاية السبعينيات من القرن العشرين عن نظرية تشومسكي، وعرفت بـ(قواعد اللغة الإعرابية)، والتي يرى الدكتور / الخولي أنها الأنسب لدراسة العربية، بعد أن عدل فيها بما يتواءم وطبيعة اللغة العربية، وحاول أن يصف بها جانباً من تركيب النحو العربي، وقد تعرضت هذه المحاولة لنقد من قبل بعض الباحثين المحدثين^(٢)، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل^(٣).

أما الدكتور / أحمد المتوكل فقد تبنى (المنحي الوظيفي) . الذي يعد ثالث اتجاهات البحث اللساني المعاصر - في مشروعه اللغوي الذي بدأه سنة ١٩٨٥ م - في إعادة وصف اللغة العربية معجماً، وتركيبة، وصرفًا، ودلالة، بتطبيق مفاهيم النحو الوظيفي وتحليلاته عليها، متوكلاً في بناء نموذجه على نظرية اللغوي الهولندي (سيمون ديك) التي صاغها في أواخر السبعينيات الميلادية، ووجد فيها إطاراً مناسباً للاشتغال، واتخذها إطاراً في جميع مؤلفاته التي شارفت العشرين كتاباً، وهو في أبسط تعريف له: دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل؛ إذ إن

(١) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحووي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٨٧-٢٨٨ ، وينظر أيضاً: حليمة عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص ٦٥ . وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ٢٨١ .

(٢) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحووي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٤٨ ، وينظر أيضاً: حليمة عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص ٦١ .

(٣) ينظر: ص ٣٢٤-٣٣٢ من هذا البحث.

الباحث على هديه يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فيدرسها على هذا الأساس^(١).

يقول الدكتور/ المتوكل في ذلك: "يعتبر النحو الوظيفي الذي اقترحه سيمون ديك في السنوات الأخيرة في نظرنا، النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، ولقتضيات(النماذج) للظواهر اللغوية من جهة أخرى"^(٢).

وهو يوضح في كتابه: (دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي) أهم المبادئ المنهجية العامة التي حفزته إلى هذا التوجه، وتتلخص فيما يلي^(٣):

١. وظيفة اللغات الطبيعية الأساسية هي التواصل.

٢. موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصيلية للمتكلم - المخاطب.

٣. النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية، الأمر الذي يمكن مستخدما اللغة من إنجاز الكلام في مقامات مختلفة.

٤. يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفايات، النفسية والتداولية، والنمطية.

ولعل ما دفع الدكتور/ أحمد المتوكل إلى تبني هذا المنهج هو أوجه النقص و القصور التي تبدت له، ولغيره من الباحثين في طرح تشومسكي، إذ إن نظرية تشومسكي لم تعن بشكل كاف بما يكتنف المادة اللغوية من ملابسات خارجية مثل: موقف المتكلم وحال المخاطب، كما أنها غفلت عن الوظيفة الأساسية للغة والمتمثلة في: الاتصال؛ إذ يجمع الوظيفيون على أن

(١) ينظر: نحلا، محمود نحلا، آفاق من البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة(١)، ٢٠٠٢، وعلوي، حافظ إسماعيلي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة(١)، ٢٠١١، ص٧-٢٥، وللمؤلف نفسه، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية، ص٣٤٣-٣٥٢، و توفيق بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٦٤-١٩٦٤، والسيد، عبد الحميد، التركيب التحويي من الوجهة التداولية، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، المجلد(١٦)، العدد(٢)، ٢٠٠١.

(٢) المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة(١)، ١٩٨٥، ص٩. وينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية، ص٣٤١-٤٠١.

(٣) ينظر: المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص٩. وينظر أيضا، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية، ص٣٤٥.

الوظيفة الأولى للغة هي التواصل.

لم يكن المدف من مشروع الدكتور/أحمد المتوكل دراسة اللغة العربية دراسة وظيفية فقط؛ بل كان يهدف - أيضاً - إلى إغناء النحو الوظيفي وإثرائه بمجموعة من المعطيات الواردة في اللغويات العربية القديمة، وإضافة ما يمكن إضافته من آليات وتقنيات تسهم في تطوير هذا النموذج، ما جعل هذا المشروع أشبه" بحوار مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم، والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض؛ رغم انتماء الفكرين إلى حقلين نظريين متباينين^(١).

لقد أنفق الدكتور/ المتوكل على مشروعه هذا بسخاء، وتفرغ لخدمته أزيد من ثلاثين عاماً، ما جعله من أضخم المشاريع اللسانية العربية الحديثة وأكملها؛ حتى إنّ بعض اللسانين المعاصرین اعتبر مشروعه بمثابة رد الاعتبار للفكر اللساني العربي القديم؛ حيث إن الدكتور/ المتوكل يصنف مشروعه ضمن الاتجاه التوفيقی القائم على حلق حوار بين التراث اللغوي العربي، واللسانیات الحديثة، مؤكداً أن هذا الاتجاه هو الأقرب والأنسب لدراسة معطيات اللغة العربية^(٢).

ومن أبرز الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه، محاولة الدكتور/ عبدالقادر الفاسي الفهري في كتابه (اللسانیات ولغة العربية نماذج تركیبیة ودلالیة)، وسوف أستعرضها فيما يأتي بشيء من التفصیل.

(١) أحمد المتوكل، الوظائف التداویلیة في اللغة العربية، ص ١٧٩.

(٢) ينظر: حافظ إسماعيلي علوی، اللسانیات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحلیلیة نقدیة، ص ٣٤٨.

كتاب: (اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية)
للدكتور / عبد القادر الفاسي الفهري

من المحاولات الحادة والهامة والشاملة أيضاً في الكتابة اللسانية التوليدية العربية، تلك التي سطّرها الباحث اللساني الدكتور / عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه: (اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية)، ثم عبر مشاريعه العلمية اللاحقة؛ والتي حاول فيها الدكتور / الفهري إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً على هدي من القواعد التوليدية التحويلية، مستنداً في ذلك إلى النموذج اللساني المعروف بـ(القواعد الوظيفية والمعجمية) الذي قام بتطويره الباحثة اللسانية الأمريكية بروزان (عام ١٩٧٨م)^(١).

- أهم المنطلقات التي ارتكزت عليها هذه المحاولة:

يقتضي تأسيس نظر لساني مجدد إعادة النظر في الخطاب اللغوي السابق ونقدّه، من أجل ذلك أعاد الدكتور / الفاسي الفهري طرح مسألتي الموضوع والمنهج في البحث اللساني العربي القديم والحديث، وذلك كما يلي:

أولاً: يرى الدكتور / الفهري أن اللغة العربية لغة طبيعية خضعت لبنية التطور والتغيير كسائر اللغات الأخرى، كما أن هناك ما يدل - بحسب قوله - على أن اللغة التي وصفها سيبويه في كتابه ليست هي الموجودة حالياً؛ وذلك بالنظر إلى كثير من خصائصها التركيبية، والصرفية، والصوتية^(٢).

ثانياً: يرى الدكتور / الفهري أنه مهما كانت قيمة الأناء التي وضعها القدماء أو المحدثون لهذه اللغة، فإن الحاجة تستلزم بناء أناءاً أخرى بجهاز مفاهيمي أو نظري جديد^(٣). بمعنى أن النحو العربي القديم غير صالح لوصف اللغة العربية في وضعها الراهن، فهو يقول: " فاللغة

(١) ينظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت - باريس، الطبعة (١)، ١٩٨٦م، ص ٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣، ٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٣.

العربية قديمة أو حالية، توجد مستقلة عن النحو الذي يمكن أن يبنيه اللسانى لوصفها، وواضح كذلك أننا لا ننتظر من أي لسانى قديم أو حديث أن يصف اللغة العربية بما لا يدع مجالا للحاجة إلى وصفها مرة ثانية^(١).

ثالثاً: يؤكد أن المعطيات النحوية العربية القديمة ناقصة، و ذلك لعدم استيفائها لجميع صور الكلام المسموع، كما أنها في بعض الأحيان - كما يقول - تكون زائفة ومصطنعة^(٢).

رابعاً: أن اللغة العربية وإن تفردت ببعض الخصائص؛ فإنها تشتراك مع سائر اللغات في خصائص كثيرة، كما تضيّطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات^(٣). وبالتالي فهي لا تستعصي على الوصف باستخدام النماذج الغربية التي يرى أنها أثبتت كفايتها الوصفية بشكل كبير، ولا أحد يستطيع - بحسب قوله - أن يدعي أننا نحتاج إلى نموذج آخر يبني بالاعتماد على العربية لوصفها^(٤).

خامساً: أن الباحث لا يرى أية فائدة يمكن أن تبنيها اللغة العربية من نموذج ملفق من النحو القديم، واللسانيات الحديثة لوصف اللغة العربية^(٥)، وهو بذلك يخالف كثيراً من الباحثين المحدثين من أصحاب الاتجاه التوفيقى.

سادساً: أن الكتابات اللسانية العربية الحديثة - كما يراها الباحث - هي خطاب لسانى هزيل، لكونها تفتقد لمقومات الخطاب العلمي، وترجع هزالة هذا المنتوج - في نظره - إلى جملة من المغالطات منها: ادعاء العلمية والمنهجية، والتجريبية الساذجة، والتصور الخاطئ للتراث، وكذلك التصور الخاطئ للغة العربية^(٦). فـ"ادعاء العلمية لا يعني بالضرورة أن الخطاب علمي بالفعل"^(٧).

(١) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٦.

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢-٥٣، ٥٧، ٦٠.

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٩-٦١.

(٧) المصدر السابق ، ص ٥٩.

سابعاً: هناك علاقة وثيقة - كما يرى - بين القواعد التركيبية، والصرفية، والصوتية، والدلالية، وبين المعجم، ومضمون هذه العلاقة أن النحو ما هو إلا إسقاط للمعجم، فهذه القواعد يمكن اعتبارها إلى حد (قواعد حشو) تكرر جزءاً مما يوجد في المعجم، وهو الجزء المنتج الذي يمثل المعلومات التي لا يحتاج الطفل إلى تعلمها كل مرة^(١).

- ما البديل الذي يطرحه الباحث لوصف اللغة العربية؟

إذا كان هذا هو موقف الدكتور/ الفاسي الفهري من الدراسات اللسانية القدィمة والمعاصرة مما البديل الذي يطرحه الباحث لوصف اللغة العربية؟

يؤمن الدكتور/ عبد القادر الفاسي الفهري بأن النماذج الغرية الحديثة الواصفة قد أثبتت كفايتها في وصف اللغة، وتفسير ظواهرها، كما يؤمن - أيضاً - بأن هناك روابط وثيقة بين القواعد التركيبية، والصرفية، والصوتية، والدلالية، وبين المعجم، ومن هذه المنطقات، فقد اختار: (النظرية المعجمية الوظيفية) التي طورتها الباحثة الأمريكية (برزنان) عام ١٩٧٨ عن نظرية العالم الأمريكي : ناعوم تشومسكي؛ لتكون المنهج الذي تبناه في تفسير قواعد اللغة العربية^(٢).

- أبرز القضايا والمواضيعات التي تناولها في هذا الكتاب:

مما سبق يتضح للقارئ أهمية المشروع اللساني للدكتور/ الفاسي الفهري، غير أن المتابعة الدقيقة، والرصد المعمق لكل جزئياته رعا تطلب بحثاً مستقلاً كغيره من المشاريع اللسانية العربية الحديثة؛ لذا سأعرض لأبرز القضايا والمواضيعات التي عرض لها الدكتور/ الفهري في كتابه: (اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية)، وهي كما يلي:

١. قضية الرتبة في الجملة العربية: يأتي اهتمام التوليديين بقضية الرتبة في كونها في إطار البرنامج التوليدي تمثل مدخلاً لمعالجة مجموعة من القضايا، ومفتاحاً لفهم مجموعة من الظواهر التركيبية الأخرى^(٣).

(١) ينظر: عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، ص ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٨٠-٨١ .

(٣) ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية، ص ٢٨٤ .

وقد انطلق الدكتور/الفاسي الفهري فيها من افتراض أن الجملة العربية الفصيحة هي من نوع : فعل(ف) + فاعل(فا) + مفعول(مف)، وألمح إلى أن ما يكون من اختلاف في نمطية هذا التركيب الأصل؛ إنما يكون في اللغة المحكية، أو بناء على تحويل قواعدي؛ لذا يمكن التعرف على موقع الفاعلية- عند أمن اللبس- من الرتبة الأصلية لبنية الجملة نحو: ضرب عيسى موسى؛ فإن (عيسى) فاعل بالضرورة، كذلك في نحو: ضرب موسى عيسى، كان (موسى) فاعلا؛ وذلك بالانطلاق من النمطية المذكورة^(١). ويدعم الدكتور/ الفاسي الفهري هذا التوجه بحجج متعددة منها: ظاهرة التطابق في العربية في نحو: الأولاد جاؤوا؛ إذ يقتضي هذا التطابق إجراء تحويل بإلحاق الواو بالفعل: (جاء)، في حين أن الجملة: جاء الأولاد لا تحتاج إلى ذلك الأمر؛ ما يدل - في نظره - على أنها الأصل، وبالتالي فال فعل هو رأس الجملة الفعلية^(٢). أما الجمل التي ليس فيها فعل، فقد اضطرر الدكتور/ الفاسي الفهري أن يفترض لها رابطا مقدرا هو: (كان)، في نحو: في الدار رجل^(٣).

٢. من الموضوعات التي عالجها الدكتور/ الفاسي الفهري ضمن الإطار السابق موضوع: (البني الاستخبارية)؛ معتبرا على النهاة في قوله: إن أسماء الاستفهام لها الصدارة في الجملة؛ مستشهدا على هذا بنمطين من الاستفهام لا تكون فيهما أسماء الاستفهام في صدر الجمل، هما: الاستفهام الصدري^(٤) نحو: جاء من؟ (بني من)، والاستفهام المتعدد^(٥) نحو: من ضرب من بماذا؟، فالتركيب في جاء من؟ يمثل البنية العميقه للعبارة: من جاء؟ واسم الاستفهام واقع في هذه البنية داخل الجملة، ثم انتقل بالتحويل إلى موقع خارجها، وعلى هذا فهو يعد الاسم موضع الحديث مولودا داخل الجملة؛ ليثبت بذلك تصوره لرتبة

(١) ينظر: عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية ، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٥-١١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٤) وهو استفهام يكرر الجملة الخبرية محافظا على الرتبة فيها. ينظر: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص ١١٠ .

(٥) هو استفهام تصوري ينصب على أكثر من مكون، السابق، ص ١١٠ .

الجملة العربية: (ف + فا + مف) ^(١).

٣. كما يرتبط بموضع الرتبة - أيضا - موضع: (التبير أو الموضعة)، وهو كما يعرفه الباحث: عملية صورية يتم بمقتضها نقل مقوله كبرى كالمركبات الاسمية، أو الحرفية، أو الوصفية من مكان داخلي(أي داخل ج) إلى مكان خارجي (خارج ج) أي مكان البؤرة مع جمع المركب للموقيعين معا داخل الاستعمال وخارج دون وجود أثر ضميري في الموقع السالف؛ مع احتفاظ العنصر المبأر بإعرابه الذي كان أسندا إليه في ذلك الموقع، ومن أمثلته: إياك نعبد - الله أدعوه - في الدار وجدته - غدا سنتقى. فالمقولات إياك ، الله، الدار، غدا، انتقلت - كما يقول - من داخل جملها إلى موقع خارجها، إذ إن الأصول التي ترتد إليها الأنماط السابقة هي على التوالي: نعبدك - أدعوه الله - وجدته في الدار - سنتقى غداً^(٢)؛ وهو حين يجعل الأركان المبأرة المتقدمة خارج الجمل؛ فإنّه بذلك يحافظ على رتبة الجملة العربية التي ينادي بها.

٤. يفرق الدكتور/ الفهري بين تغييرات الرتبة التي تحدث قبل الفعل والتي يصورها تحويل التبير، والتغييرات التي تحدث بعد الفعل، وتغير محلها رتب الفضلات، ويسمي: الحقن نحو : ضرب الولد زيد، مؤكدا بذلك أن تسوية البلاغيين لبني التقديم المختلفة غير صالحة^(٣).

٥. تناول الباحث في آخر الكتاب نظرية تشومسكي الجديدة للعناصر الفارغة، أو ما تسمى بـ(نظرية الربط العامل)، حيث تحصر العناصر الفارغة في هذه النظرية في عنصرين هما: الأثر والضمير ، وهو يرى أن هذه النظرية لا تنطبق على عدد من اللغات التي يعمل فيها الفعل في الفاعل والمفعول معا، ومنها اللغة العربية، وبذلك فإن هذه النظرية تحتاج إلى تعديل^(٤).

(١) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٠-١١٢.

(٢) ينظر: الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ، ص ١١٤-١١٦.

(٣) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٤١-٣٤٧. وينظر أيضا، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية، ص ٣١٢.

- تقييم محاولة الدكتور / الفاسي الفهري.

١. يمثل الدكتور / عبد القادر الفاسي الفهري إحدى أبرز العلامات في البحث اللساني العربي المعاصر، كما أن جهوده - بشكل عام - تتسم بالدقة، والموضوعية، والعمق، والشمول.

٢. تمسك الدكتور / الفاسي الفهري بمسألة الفصل التام بين تراث العربية، واللسانيات الغربية، مؤكدا في أكثر من موضع أن الاشتغال بأحددهما مانع من الاشتغال بالآخر، ومنطلقا من اعتقاد راسخ بأن اللسانيات الغربية الحديثة قد نجحت في وصف اللغة العربية؛ حيث فشل النظر اللغوي القديم^(١)، وهذا الأمر في رأيي غير مقبول من جانبين:

الأول: أن القول بأن معطيات القدماء لا تنفع إلا للاستئناس بها، ويمكن أن يستغنى عنها باستعمال النصوص القديمة هو: "كلام فيه نظر، وغير كاف لدحض اتجاهات تحليلية نحوية ما تزال راسخة؛ من أجل إثبات اتجاه نحوي بعينه"^(٢).

الثاني: أن الزعم بأن النماذج الغربية قد أثبتت كفايتها، ونجحت في وصف اللغة العربية، في حين أن معطيات النحاة القدماء غير صالحة لمعالجة قضايا العربية، وأنها ناقصة، وربما مكذوبة، وزائفة، وأنها تولدت عن تعميمات لا دليل عليها؛ فإنه وحتى الآن لم يتمكن الفكر اللساني العربي الحديث من خلق ثقافة لسانية حديثة فاعلة في المحيط العربي فكريًا واجتماعياً، على غرار ما فعل النحو العربي قديماً وحديثاً؛ ومن ثم لم يتمكن الفكر اللساني الحديث من ملء الحيز الفكري الهام الذي كان وما يزال الفكر اللغوي العربي القديم يتمتع به

(١) ينظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، البناء الموزاي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ص ٩-٦، و ينظر أيضاً: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، ص ٥٧، ٦١.

(٢) بحيري، سعيد، عناصر النظرية النحوية في كتاب سبيويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة (١)، ١٩٨٩م، ص ١٢٩ (في المامش).

في ثقافتنا العامة والخاصة^(١). وفي هذا السياق النقدي يتساءل الدكتور/ محمد صاري قائلاً: "ما التطوير الذي أضافته نظرية النحو التوليدية؟ ولماذا لم تستطع لسانيات الفهري الكليلية أن تصلح ما زعم أن اللسانين العرب القدماء والمحدثين قد أفسدوه،... ييدو أن الآلة الناقلة لدى الفهري أنضج بكثير، وأوضح من آلته الواصفة والمعللة"^(٢).

٣. اتسمت لغة الجدل عند الدكتور/ الفاسي الفهري بالغموض، والتعقيد، والصعوبة في العبارات والمصطلحات اللسانية التي يستخدمها، وإقحام الفكر النحوي بالجدل الرياضي والفلسفي، وملاحظة هذا الأمر لديه لا تحتاج إلى عناء كبير^(٣). مما يشكك في جدوئ ما تقدمه اللسانيات التوليدية التحويلية في تجاوز صعوبات النحو القديم.

٤. من النقوص التي وجهت للدكتور/ الفاسي الفهري اتكاؤه على اللهجة المغربية واعتداده بها في تفسير الظواهر النحوية؛ معتدماً كونها مستوى طبيعياً ووظيفياً للغة "الأمر الذي يحول دون أن تتحذّل تعليماته صيغة التعميم الشامل، كما أن التعقيد في النحو يتم للغة الفصحي، وليس للهجة من اللهجات"^(٤).

٥. يرى بعض الباحثين افتقار هذه المحاولة – كغيرها من الدراسات التوليدية التحويلية – إلى الشمول والتكامل في معالجة الظواهر النحوية؛ مقارنة بالنظرية النحوية القديمة^(٥). وإذا كانت الدراسات اللسانية في الثقافة العربية المعاصرة تتفاوت من حيث أهميتها

(١) غلavan، مصطفى، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠١٠م، ص ١٠٥.

(٢) صاري، محمد، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد (٤)، العدد (٤)، شوال ١٤٢٩هـ، ص ١٨٨.

(٣) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٧٧، وينظر أيضاً: بوقرة، نعمان، الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصياغة، مجلة الدراسات الأدبية واللغوية، الجامعة الإسلامية بمالزب، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الأولى، العدد (١)، ٢٠٠٩م، ص ٢٨-٢٩، وينظر كذلك: محمد صاري، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، ص ١٨٨، وقد أجاب الباحث عن هذا في أكثر من مناسبة بأنه لا يكتب لغير المتخصصين.

(٤) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٧٦.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٧٧.

وتجديتها، فإن من المؤكد أن جهود الدكتور / الفاسي الفهري في هذا الميدان تظهر أن صاحبها ذو كفاية عالية، وأنّ ما قام به - مهما بلغ الاختلاف معه - يعد خطوة من خطوات العمل الجاد في إثراء الدراسات اللسانية العربية المعاصرة، وتقربيها من البحث اللساني العالمي، كما أن محاولته من أهم المحاولات الشمولية المتكاملة في الكتابة اللسانية التوليدية العربية.

المبحث الثالث

محاولات جمعت بين التراث والفكر اللغوي الحديث

تميزت محاولات هذا الاتجاه باعتمادها على نظريات ومناهج لسانية غربية حديثة مختلفة، في نقد التراث النحوي العربي، وكشف مواطن القصور في مناهج النحاة المتقدمين، والإشارة أحياناً إلى موقف المنهج اللغوي الحديث من بعض القضايا والمسائل النحوية، أو اقتراح نظرية بديلة كاملة لوصف النحو العربي، وهذه المحاولات تختلف عن سابقتها بأنها لم تصرح بالاستغناء عن معطيات التراث النحوي وتوظيفه، كما أنها لم تدع إلى الفصل التام بين تراث العربية واللسانيات الغربية، واعتبار الأول مرحلة تاريخية تجاوزها الزمن.

ومن أبرز هذه المحاولات ما قام به الدكتور / عبد الرحمن أبوب في كتابه: (دراسات نقدية في النحو العربي)، وكما قال الدكتور / حلمي خليل فهو كتاب: "عنوانه يدل على محتواه دلالة مباشرة"^(١). حيث إن هذا الكتاب يمثل وجهة نظر المؤلف في نقد التراث النحوي العربي، والذي يلخصه في عبارة: (نحو تقليدي)؛ قياساً على النحو الحديث الذي تقدمه اللسانيات الوصفية بوصفه بدليلاً علمياً وموضوعياً للأول^(٢).

اعتمد الدكتور / أبوب في مناقشاته ونقوذه للمنهج النحوي العربي منهج المدرسة التحليلية الشكلية الذي تتضمن معالمه وطرقه الإجرائية الوصفية في كتاب العالم الأمريكي زلنج هاريس: (مناهج في اللسانيات البنوية) الذي يوضح فيه كيفية تصنيف الوحدات اللسانية في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية لا الدلالية؛ أي أن شكل الكلمة هو أساس التقسيم، وبالمقابل فإنّ المعنى ليس عنصراً رئيساً في تقسيم الجمل، وتوزيع مفرداتها، مؤكداً أن تطبيق هذا المنهج يمثل قمة العلمية في الفكر اللغوي الحديث^(٣)، ولم يقف الدكتور / أبوب كثيراً عند هذا

(١) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ١٦٨.

(٢) ينظر: عبد الرحمن أبوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١١.

المنهج؛ وإنما أشار إليه إشارة مجملة، مكتفيًا بالإحالة إلى الكتاب السابق^(١)، وهو ما عدّ عند بعض الباحثين مأخذًا عليه، ففي الوقت الذي "يستعد القارئ لتلقي النظرية غير التقليدية في الدرس النحوي، ليعرف أصولها، ومنهجها، ومصطلحاتها، سرعان ما يزول هذا الظن، إذ بعد صفحات قليلة يبدأ المؤلف في نقد التفكير النحوي العربي، مكتفيًا بإشارات سريعة للمبادئ والأصول التي يستند إليها في هذا النقد"^(٢).

- أهم عيوب التفكير النحوي العربي في نظر المؤلف:

١. أنه من نوع التفكير الجزئي الذي يوجه عنايته بالمثال قبل العناية بالنظرية.
٢. أنه لا يخلص إلى قاعدة من مادته، بل يضع القاعدة على وفق اعتبارات عقلية معينة، ثم يفرضها على المادة اللغوية.
٣. الخلط بين القبائل، وعدم التمييز بين اللهجات في استخلاص القاعدة.
٤. التأثر بالمنطق اليوناني، وبآراء أفلاطون اللغة.

هذه هي أبرز المآخذ التي حدت الباحث على أن يتسم درس النحو العربي، ويعالج قضيائاه ومسائله في منهج المدرسة التحليلية الشكلية. ومضى في تتبع أبواب النحو؛ وفق الترتيب التقليدي لها في كتب النحو، محاولاً تطبيق منهجه، وكان من أبرز الموضوعات التي عالجها في كتابه ما يأتي:

أ - التقسيم الثلاثي للكلمة: رفض الدكتور /أيوب التقسيم الثلاثي للكلمة؛ لأنه يتسم بالقصور، فالنحوة قبسوا - كما يقول - هذا التقسيم من اللغة اليونانية القديمة، وهو قاصر لأنّه عاجز عن أن يتنظم في نطاق تقسيماته جميع الأفراد التي يمكن أن تدرج تحت كلّ قسم، ويرى بأن النحوة بسبب هذا القصور أضافوا إلى تعريفاتهم هذه الأقسام أنماطاً من العلامات وهي - من وجهة نظره - أدلة على هذه التقسيمات من تلك التعريفات، وهذا الأمر يتساوق مع ما تذهب إليه مدرسة التحليل الشكلي في التعويل على الشكل دون المعنى^(٣).

(١) المصدر السابق ، ص ٣.

(٢) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ١٦٩.

(٣) ينظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٢١-٧. وينظر أيضًا: حافظ إسماعيلي علوى، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص ٢٤٣. و بگوش، فاطمة الماشي، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث

ب - علل الإعراب والبناء: كما حكم المعيار الشكلي في تقسيم الكلام، ورفض المعيار الدلالي، يرفض الدكتور /أيوب- أيضاً - علل الإعراب والبناء، التي قال بها النحاة؛ لأنها تقوم على علل منطقية من حيث القوة والضعف، فالكلمات القوية تتميز بالإعراب، والكلمات الضعيفة تتميز بالبناء، مع أن اللغة كلها تتكون - كما يقول - من مجموعة من الأصوات لا مجال لافتراض القوة أو الضعف فيها^(١). "وعلى هذا النحو يمضي في بقية أبواب المفرد، مثل المعرفة والنكرة، والضمائر، والعلم، والأسماء الموصولة، وفي جميع هذه الأبواب يرفض المعيار الدلالي، ويقول بالمعيار الشكلي الذي يحدد وظائف العناصر اللغوية"^(٢).

ج - مفهوم الإعراب: يفرق الدكتور /أيوب بين مفهومات أربعة، وهي: الإعراب، والموقع الإعرابي، والحالة الإعرابية، والعلامات الإعرابية، حيث يرى أن كلاً من المبني والمعرف يشغل موقعاً إعرابياً معيناً، فيكتسب بذلك الحالات الإعرابية المختلفة، وهذا يعني أن الحالة الإعرابية من مستلزمات الموضع الإعرابي لا الكلمة التي تشغله، ثم إن العالمة الإعرابية من مستلزمات الموضع الإعرابي، وبالتالي فإنه من غير اللازم أن تكون هناك عالمة لكل حالة إعرابية، وهو ينطلق من ذلك إلى المناداة باطراح نظرية تقدير العلامات الإعرابية^(٣). ومن الواضح أن نقد الدكتور /أيوب للإعراب والبناء إنما هو امتداد لنقده للعلن المنطقية التي انطلق منها النحاة واعتمدوا عليها في كثير من مقولاتهم وتفسيراتهم.

د - مفهوم الجملة: عاب على النحاة المتقدمين أنهم لم يفرقوا بين نماذج الجمل التجريبية والجمل الواقعية، وأنهم قصدوا بالجملة الحدث الواقعي، مقرراً أن نماذج الجمل في لغة من اللغات هو ما يسمى بعلم النحو، أما الأمثلة التطبيقية لهذه النماذج فليست علماء، وإنما هي أحداث واقعية أطلق عليها علماء اللغة المحدثون: الكلام^(٤).

دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م، ص ٤٥.

(١) ينظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٢٢-٣٣.

(٢) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ١٧٤.

(٣) ينظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٥٥. وينظر أيضاً: فاطمة بکوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص ٤٥-٤٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٥.

هـ- الإسناد في الجملة: انتقد الدكتور /أيوب موقف النحاة العرب من علاقة الإسناد في الجملة العربية، حيث إنهم اعتدوا كلا من الفعل والخبر مسندًا، وكلا من الفاعل والمبتداً مسندًا إليه، وهو يرى أن هذا التقسيم لا يستقيم على نحو مطرد؛ لاستناده على التقسيم الأرسطي الذي يعول على أن تكون الجملة خبرية وحسب، ثم يضرب مثلاً على عدم استقامته بالمثال: أقائم زيد؟، فيذهب إلى أن هذه العبارة تشتمل على مسند إلىهما؛ إذا ما أعرينا كلمة: (قائم) مبتداً، وكلمة: (محمد) فاعلاً، وهو ما يحمل – كما يقول – في طياته تناقضًا واضحًا^(١).

وانطلاقاً من فكرة الإسناد هذه لم يوافق الدكتور /أيوب على تقسيم النحاة للجملة، ورأى بدوره أن تقسم الجمل في العربية إلى قسمين : "إسنادية وغير إسنادية، والجمل الإسنادية تناصر في الجمل الاسمية والجمل الفعلية، أمّا الجمل غير الإسنادية، فهي جملة النداء، وجملة نعم وبس، وجملة التعجب، وهذه لا يمكن أن تعتبر من الجمل الفعلية ب مجرد تأويل النحاة لها بعبارات فعلية"^(٢).

هذه أبرز الأفكار التي تناولها الدكتور / عبد الرحمن أيوب في كتابه، وأسهم بها - على الرغم من أنه لم يقدم مشروعًا بديلاً - في لفت الأنظار إلى النظريات اللغوية الغربية الحديثة، وضرورة الانتفاع بها في البحث النحوي، غير أنها كغيرها من المحاولات لم تسلم من المراجعة والنقد لدى عدد من الباحثين المحدثين^(٣).

ومن تلك المحاولات التي يجدر الإشارة إليها، والوقوف عندها في هذا الموضوع ما قام به الدكتور / مهدي المخزومي في كتابه: (في النحو العربي نقد وتوجيه) وهي محاولة تأثرت تأثراً

(١) ينظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي ، ص ١٥١ .

(٢) ينظر: عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص ١٢٩ . وينظر أيضًا: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ١٦٣ .

(٣) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنبوى، ص ١٧٣-١٧٨ ، وينظر أيضًا: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢١٧-٢١٨ ، والعبودي، حيدر محمد جعفر، الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أيوب، رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٥، ص ١٠٢ - ١٧٠ ، والسلمي، رفيع غازي، قراءة في تجديد النحو (كتاب دراسات نقدية في النحو العربي لعبد الرحمن محمد أيوب أنموذجاً)، ورقة مشاركة في المؤتمر الدولي للغة العربية الذي عقد بقسم اللغة العربية في جامعة الأزهر الإنوسية، حاكمتنا، في الفترة بين ١٠-١٣ شعبان/١٤٣١ .

واضحا بمحاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه: *(إحياء النحو)*، وهذا الكتاب يمثل الجانب النظري من محاولته في نقد النحو العربي وإصلاحه، في حين أن كتابه الآخر: *(في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث)* يمثل الجانب التطبيقي في هذه المحاولة، وهو بعد أن أثني على محاولة الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في إصلاح النحو العربي، وبتجديده، وأكد بأنّ المحاولات بعده لم تقدم جديداً يمكن أن يضاف إلى الدرس النحوي، ذكر بعض جوانب المنهج الذي يراه مناسباً لوصف اللغة العربية، ومنها^(١):

- النحو دراسة وصفية تطبيقية.
- النحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور.
- وظيفة النحوي أن يصف اللغة ويسجل ملاحظاته، وليس له أن يفلسف، أو يبني على حكم من أحكام العقل.
- اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له المجتمع.

و من الواضح أن هذه المبادئ تتصل في كثير من جوانبها بالدراسة الوصفية للغة، بل هي من أهم دعائم الدراسة الوصفية اللغوية الحديثة، و هذا ليس هذا بغريب على الدكتور/ مهدي المخزومي، حيث إنّه لم يكن غافلاً عما يجري من تطور في الدراسات العربية، نحوها وصرفها، وبوادر التحديث في هذه الدراسات؛ بسبب الاطلاع على المناهج اللغوية الغربية الحديثة، وقربه من مراكزها في الجامعات؛ إلا أنه - في رأيي - ربما يكون قد اطلع على المنهج الوصفي، وتمثله، وتشرب مبادئه، في كتابه إلا أنه لم ينفصّم عن التراث اللغوي العربي، بل استفاد من الدراسات اللغوية القديمة بشكل كبير - وبخاصة النحو الكوفي - في محاولته هذه، ما جعل عدداً من الباحثين يرون بأنّ سمات المنهج الوصفي غير واضحة عنده^(٢)، أو الرعم بأنّ ما دعا إليه وقدمه في مؤلفاته؛ إنما هو أصداء لأفكار المنهج الوصفي الذي لم يطلع عليه من مصادره، ولا يحيل في تحصيلها على مصادر محددة؛ وإنما قال بها أهل عصره وسرت مع قلمه^(٣).

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتجهيز، ص ١٥، ١٩-٢٠.

(٢) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ٧٠.

(٣) ينظر: عز الدين جدوب، المنشال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، ص ٢٦-٢٧.

وأما أبرز الأفكار التي يمكن الإشارة إليها في مشروعه النحوي فتتمثل بالأتي:

- الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل، وما يرتبط بها من أبواب، كالتنازع، والاشغال، والإعراب المحلي والتقديري^(١).

- رفض التقسيم الثلاثي الشائع الذي اعتمدته النحاة القدامى للكلم العربي، ويقترح تقسيما رباعيا جديدا يقوم على :اسم، و فعل، وأداة، وكنایات^(٢).

- يرى أن موضوع الدرس النحوي هو: الجملة من حيث تأليفها ونظامها، وما يطرأ لأجزائها من تقسيم وتأخير وحذف، أو ما يعرض لها من معان عامة تؤديها بوساطة أدوات التعبير: كالتوكيد، والنهي، والاستفهام، وغيرها^(٣).

- اعتدّ التشابه في المعنى لا التشابه في العمل الإعرابي أساسا للتبويب والتصنيف النحوي، ومن أمثلة ذلك: تفريقه بين أدوات العطف: (الواو، والفاء، وثم)، وبين (لا وبل)^(٤)، كذلك إخراجه الاستثناء المفرغ من باب الاستثناء، وإضافته إلى باب آخر وهو: القصر^(٥).

- قسم الدكتور / المخزومي الجملة تقسيما جديدا، فذهب إلى أن الجملة الفعلية هي: "التي يدلّ المسند فيها على التجدد، أو التي يتصنّف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متقددا، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند فعلا؛ لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها... أما الجملة الاسمية فهي: التي يدلّ فيها المسند على الدوام والثبوت أو التي يتصنّف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متقددا، أو بعبارة أوضح هي التي يكون فيها المسند اسما"^(٦). وهو بذلك يرى أن نحو جملة:

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص ١٦ ، ٦٢ .

(٢) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد و تطبيق، ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص ص ٣٠ .

(٤) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد و تطبيق، ص ٩١ .

(٥) المصدر السابق، ص ٢١٠ .

(٦) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، ص ٤١ - ٤٢ .

البدر طلع إنما هي جملة فعلية تقدم فيها المسند إليه لإظهار الاهتمام به^(١)، وهو بذلك يريد أن يتخلص من تقدير فاعل للفعل: طلع، تماشيا مع منهجه في رفض التأويلات والتعليق الفلسفية.

- تناول الدكتور/ مهدي المخزومي حركات الإعراب الثلاث ودلالتها، كما تناولها أستاذه/ إبراهيم مصطفى من قبل، غير أنه كان أكثر وضوحا، وأوسع أفقا. فحركة الإعراب عنده ليست كما يتصورها النحويون القدامى: أثرا يجلبه العامل في آخر الكلمة المعربة، بل هي بيان ما للكلمة من وظيفة لغوية، أو من قيمة نحوية، ككونها مسندًا، أو مضافاً إليه، أو فاعلا، أو مفعولا، أو غير ذلك، وهو في تناوله دلالة الضمة والكسرة يقارب الأستاذ/ إبراهيم مصطفى، غير أنه لا يذهب إلى أن الفتحة ليست بعلم إعراب كما ذهب الأستاذ/ إبراهيم مصطفى؛ وإنما يرى أن الفتحة علم لما ليس في موضع الإسناد، ولا في موضع الإضافة، ويندرج هذا في موضوعات كثيرة كالحال، والتمييز، والمقاييس، وغيرها^(٢).

- ضمن الدكتور/ المخزومي مجموعة من الموضوعات تحت دائرة: الأساليب التي عدّ دراستها جانباً مهماً من جوانب الدرس النحوي، وهي جميع الموضوعات التي تخضع لصيغ يمكن القياس عليها؛ وذلك نحو: أسلوب التوكيد، وأسلوب النفي، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب الشرط، وأسلوب النداء، وغيرها^(٣).

وعلى الرغم مما ووجه لهذه المحاولة من نقد من قبل بعض الباحثين المحدثين^(٤)، إلا أن هذا لا يغضّ من قيمة هذه المحاولة، وتميزها في هذا الميدان: " فهو من القلائل الذين قدموا تطبيقات

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧ و ٨١، وينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٥٨، و زاهد، زهير غازي، الإعراب وحركاته في العربية مجلة بجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٩)، الجزء (٤)، ص ٧١٥.

(٣) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ٢٢٥-٢٣٣.

(٤) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ٧٩-٨٠، و عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٥٨-٥٩، كذلك عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة.

لأفكارهم النظرية، وحاول من خلال هذا التطبيق رجع النظر في جانب من الموضوعات النحوية، وكان له على هذا الصعيد حلول لا تخلو من الجدة، ووضوح المقصد والتناول^(١).

ومن أبرز الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه، محاولة الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها وبنها)، وسوف أستعرضها فيما يأتي بشيء من التفصيل.

(١) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوية في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٥٩.

كتاب: (اللغة العربية معناها وبنها)

للدكتور تمام حسان

لاحظ بعض الباحثين المحدثين أن النحاة قد أكثروا الحديث عن: (العامل النحوي) بوصفه تفسيرا للعلاقات النحوية، وأنهم قسموا هذا العامل إلى لفظي ومعنوي، وجعلوه تفسيرا لاختلاف العلامات الإعرابية، ومن ثم قالوا بالإعراب التقديرية والإعراب المحلي، وخصوصه بمؤلفات تتحدث عنه. ثم جاء بعدهم من الباحثين من أنكر عليهم آراءهم، لكنه لم يقدم بديلا، ولم يأت بتفسير مقبول لاختلاف العلامات الإعرابية باختلاف المعانى النحوية؛ حتى جاء الدكتور/ تمام حسان بنظرية تستطيع - كما يرى - تفسير العلامات الإعرابية، وتغنى بشكل قاطع عن القول بالعامل النحوي الذي تعلق به النحاة القدامى، سميت نظرية: (القرائن النحوية)^(١).

لقد أقام الدكتور/ تمام حسان نظرته على فكرة: (التعليق) أو (العلاقات السياقية)، وهي الفكرة المركزية في النحو العربي كما قال؛ ولذلك فقد اعتبر "أن فهم التعليق على وجهه، كافٍ وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي، والعوامل النحوية؛ لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معانى الأبواب في السياق، ويفسّر العلاقات بينها على صورة أوفى، وأفضل، وأكثر نفعاً في التحليل اللغوي لهذه المعانى الوظيفية النحوية"^(٢).

ويعتبر الدكتور/ تمام حسان هذه النظرية بديلا عن نظرية العامل القديمة التي عقدت الدراسات النحوية العربية القديمة؛ لما ترتب عليها - بحسب قوله - من قول بالحذف، والتقدير، والتأويل، والتعليق، وتغلغل المقولات المنطقية في دراسة النحو نتيجة ذلك، في حين أن هذه النظرية - كما يرى - هي نظرية خالصة من كل مقوله لا تعتبر لغوية؛ حيث إنها "تنفي عن النحو العربي كل تفسير ظي أو منطقى لظواهر السياق، وكل جدل من نوع ما يجّ فيه النحاة حول منطقية هذا العمل أو ذلك، وحول أصالة بعض الكلمات في العمل، وفرعية الكلمات

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبنها، ص ١٨٩ - ١٩١، ٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٩.

الأخرى، وحول قوة العامل، وضعفه، أو تأويله، أو تعليله، مما ازدحمت به كتب النحو دون طائل يكون تحته"^(١).

ويلاحظ أن الدكتور / تمام حسان قد استمد فكره: (التعليق)، التي أقام عليها تحليله للمستوى النحوي من عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) في كتابه: (دلائل الإعجاز)، وعدّها "أذكى حماولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن"^(٢).

ويذهب كثير من الباحثين، ومنهم الدكتور / محمد صلاح الدين الشريف إلى أنّ الدكتور / تمام حسان قد تأثر في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها) بشكل كبير بأصحاب المدرسة اللغوية التي ترى في السياق الاجتماعي عنصراً مهماً مكملاً للدلالة؛ وذلك من خلال العالم اللغوي الإنجليزي (فيرث) الذي كان يجعل المعنى غاية الدراسة اللغوية^(٣).

- النظام النحوي والقرائن النحوية.

يمكن تلخيص نظرية: (القرائن النحوية) كما يراها الدكتور / تمام حسان في الآتي:

١. بين الدكتور / تمام حسان في البداية أنّ النظام النحوي للغة العربية يبني على خمسة أسس، وهي^(٤):

أ- طائفة من المعاني النحوية العامة، وتسمى معانٍ الجمل أو الأساليب، كالنفي، والإثبات، والأمر، والنهي، والتأكيد والاستفهام، والتمني، والترجح، والقسم، والشرط، والنداء، والتحضيض، وغيرها.

ب- مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معانٍ الأبواب المفردة، كالفاعلية،

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٠٧ ، ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٣) ينظر: الشريف، محمد صلاح الدين، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب د. تمام حسان: (اللغة العربية معناها ومبناها)، حلويات الجامعة التونسية، العدد (١٧)، ١٩٧٩ م، ص ٢٠١، وينظر أيضاً: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنائي، ص ٢٢٦، وعطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٣١٥. و فاطمة بگوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م، ص ٦١، وشوكت درويش، الرخصة النحوية، ص ٢٤٤-١٦٥ .

(٤) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧٨ .

والمفعولية، والإضافة، وغيرها.

ج- مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة، بحيث تكون صالحة عند تركيبيها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد، والتحصيص، والنسبة، والتبعية؛ وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنوية على معانٍ الأبواب النحوية الخاصة كالفاعلية، والمفعولية.

د- ما يقدّمه علم الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية، أو صرفية: كالحركات، والحرروف، ومباني التقسيم، ومباني التصريف، ومباني القرائن اللفظية.

هـ - القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق، وبين بقية أفراده^(١). وهي التي تفرق بين بعض هذه المعاني وبعضها، والتي تجعل إدراك القرائن المعنوية أمراً ممكناً، كما أنها تفرق كذلك بين قرينة لفظية وأخرى، فيؤمن اللبس.

٢. تحدّث الدكتور/ حسان بعد ذلك عن التعليق النحوي تحت عنوانين، أحدهما: (**العلاقات السياقية**) أو ما يسميه الغربيون: **Syntagmatic Relations**؛ وهي التي تربط بين الأبواب، وهي في حقيقتها: (**قرائن معنوية**)، والعنوان الآخر هو: (**القرائن اللفظية**)، والتعليق عنده هو الإطار الضروري للتحليل النحوي، أو كما أسماء النحاة بـ "الإعراب"^(٢).

٣. ثم فصل القول في هذه العلاقات السياقية أو القرائن المعنوية، وهي التي تفيد في تحديد المعنى النحوي، ومن خلالها تتضح العلاقات السياقية بين عناصر التركيب النحوي، ويضم هذا النوع قرائن: الإسناد، والتحصيص، والنسبة، والتبعية، والمخالفة.

قرينة الإسناد هي: العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل الفاعل أو نائبه (بين طرفي الجملة)؛ وتأتي لتمييز المسند إليه من المسند في الجملة؛ في ظل ما أسماه: (**تضافر القرائن**)^(٣).

قرينة التخصيص - ويقصد به المنصوبات - وهي علاقة سياقية كبرى، أو قرينة معنوية

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٩. وقد وضع حداول بين القرائن التي ذكرها.

(٣) المصدر السابق، ص ١٩٤-١٩١.

كبير تتفرع عنها قرائن معنوية أخص منها، مثل: قرينة التعدية؛ وتدل على المفعول به. وقرينة الغائية: ومن أقسامها: غائية السبب، وتشمل المفعول لأجله، والفعل المضارع بعد اللام وكيفي والفاء وحتى، وغائية الزمان: وتشمل المضارع بعد لن وإذن وحتى والواو، وغائية المكان: وتشمل المضارع بعد حتى. وقرينة المعية: ويستفاد منها المصاحبة، وتدل على المفعول معه، والمضارع بعد الواو. وقرينة الظرفية: وتدل على المفعول فيه. وقرينة التحديد والتوكيد: وتدل على المفعول المطلق. وقرينة الملابسة: وتدل على باب الحال. وقرينة التفسير: وتدل على التمييز. وقرينة الإخراج: وتدل على الاستثناء^(١).

وقد تأتي قرينة المخالفة: وتدل على الاختصاص وبعض المعاني الأخرى كالمتعجب منه، والمصدر بمعنى الأمر، وغيرها^(٢).

ثم تأتي قرينة النسبة: وهي قيد عام على علاقة الإسناد، أو ما وقع في نطاقها؛ وهذا القيد يجعل علاقة الإسناد نسبية، ويقصد بها الجر بالإضافة أو بحروف الجر^(٣).

ثم تأتي أخرى قرينة التبعية: ويقصد بها التوابع الأربع: النعت، والعطف، والتوكيد، والإبدال^(٤).

٤. ذكر الدكتور / تمام حسان بعد ذلك (القرائن اللغوية)، وهي في جملتها مستمددة من مبان صوتية وصرفية. وهذه القرائن عددها ثانية، هي:

- العالمة الإعرابية: وهي - كما يقول - إحدى القرائن اللغوية؛ ولا يمكن أن تستقل بالدلالة على المعنى، على الرغم من أن النحاة منحوها من الاهتمام الكبير ما جعل النحو ييلو وكأنه علم أواخر الكلم في السياق، وبنوا على ذلك منهجهم في النحو^(٥).

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ١٩٤-١٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٨-٢٠١.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠١-٢٠٤.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٥-٢٠٧، وينظر أيضا: حسان، تمام، القرائن التحوية واطراح العامل والإعراب التقديري والمحتوي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، المملكة المغربية - الرباط، المجلد (١١)، الجزء (١)، ١٩٧٩م، ص ٤٧.

- **الرتبة**: وهي إما محفوظة، أو غير محفوظة، فالرتبة محفوظة بين الفعل والفاعل، وبينه وبين نائب الفاعل، وكذلك بين حرف الجر والاسم المجرور، وحرف العطف والمعطوف، وغيرها، وأما الرتبة غير المحفوظة فهي - كما يقول - الرتبة التي قد تقدر إذا أمن اللبس، أو اقتضى السياق تخلفها؛ ولكنها تحفظ إذا توقف المعنى عليها، أو اقتضى السياق الاحتفاظ بها، وتلك هي الرتبة بين المبتدأ والخبر، وبين الفاعل والمفعول به ونحوها^(١).

- **الصيغة (البنية)**: أو صورة الكلمة وهي قرينة لفظية هامة في الدلالة على استعمالها النحوية، فنحن لا نتوقع - كما يقول - للفاعل، ولا للمبتدأ، ولا لنائب الفاعل أن يكون غير اسم، ولو جاء فعل لكان بالنقل اسمًا محكيا^(٢).

- **المطابقة**: ومسرح المطابقة هو الصيغة الصرفية، فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف مثلاً إلا النواصخ المنقوله عن الفعلية؛ فإن علاقتها السياقية - كما يقول - تعتمد على قرينة المطابقة. وتكون المطابقة في العلامة الإعرابية، والشخص، والعدد، النوع، والتعيين^(٣).

- **الربط**: وهو أيضاً قرينة لفظية هامة تعين على فهم الجملة؛ لأنها تربط بين أجزائها، ويكون الربط بالضمير العائد، أو بالحرف، أو بإعادة اللفظ، أو إعادة المعنى، أو باسم الإشارة، أو (أي)، أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر^(٤).

- **التضام**: والمقصود به أن تستدعي الكلمتين الكلمة الأخرى أو تنفيها، ويكون استدعاء إحدى الكلمتين للأخرى إما على سبيل الافتقار كحرف العطف؛ حين يستدعي المعطوف، وإما على سبيل التطلب كال فعل حين يتطلب الفاعل أو نائبه، وأما تنافي اللفظين فمثاليه انتفاء أن يكون ما بعد الضمير نعتاً للضمير أو مضافاً إليه، كما أن حرف الجر لا

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٢٠٧-٢١٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٠-٢١١، ٢١١-٢١٢، وينظر أيضاً: تمام حسان، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١٢، وينظر أيضاً: تمام حسان، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي، ص ٤٧-٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٣-٢١٦.

يدخل على الأفعال^(١).

- **الأداة: الأدوات** وضعت للدلالة على المعاني الصرفية العامة التي حقها أن تؤدي بالحرف، فلا بد – كما يقول الدكتور / تمام حسان - أن تكون كل أداة بالضرورة قرينة لفظية على المعنى الذي سيقت له، فالاستفهام يفهم من (هل)، والتحضيض من (هلا)، والاستثناء من (إلا)، والشرط من (إن)، وهكذا^(٢).

- **النغمة في الكلام** : قرينة لفظية لا يمكن تصوّرها إلا من خلال الكلام الملفوظ، وهي في معظم الحالات تصاحب القراءن الأخرى لكل أسلوب من أساليب الجمل العربية كالإثبات، والنفي، والتأكيد، والاستفهام، والأمر، والنهي، والتمني، والترجي، والتحضيض، والقسم والشرط، وغيرها من الأساليب؛ حيث يقترن الكلام به بكل تعبير عربى مخصوص يعرف به الأسلوب المعين فتكون النغمات مشتركة في الدلالة مع البنية، والعلامة الإعرابية، والمطابقة، والربط، والتضام، والأدوات. وقد تستقل النغمة في حالات بالدلالة فتكون القرينة الوحيدة في الكلام؛ وأكثر ما يكون ذلك عند حذف الأداة من الكلام؛ ولا سيما أدوات الصدارة^(٣).

وقد أكد الدكتور / تمام حسان بعد ذلك أنّه لا يمكن تحديد المعنى بالاعتماد على قرينة واحدة؛ بل لابد من تضافر القراءن، وهذا صادق على كل القراءن المعنوية واللفظية^(٤).

٥. بين الدكتور / تمام حسان أنّ تلك القراءن المقالية - المعنوية واللفظية - هي التي تحدد المعاني الوظيفية، أو معاني النحو الخاصة، أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية، والفعولية، والإضافة. وهي بديلة عن فكرة العامل النحوي الذي قال به النحاة، واعتمدوا عليه في تفسير الظواهر التحوية وال العلاقات السياقية؛ وذلك أكّهم وأوضّحوا في ظل القول بنظرية العامل قرينة لفظية واحدة فقط؛ وهي قرينة الإعراب أو العلامة الإعرابية التي يرى أنها قاصرة، وعاجزة وحدها عن تفسير المعاني التحوية^(٥).

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها ، ص ٢١٦-٢٢٤.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٦-٢٣١.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

(٥) المصدر السابق. ص ٢٣٣.

٦. يؤكد الدكتور / قام حسان دور هذه القرائن في تحديد المعنى الوظيفي للتركيب، منها إلى أنه يجب أن ينظر إلى قرائن التعليق كلها لا إلى العالمة الإعرابية وحدها، فالقرائن كلها مسؤولة عن أمن اللبس، وعن وضوح المعنى، كما أنه لا يمكن استعمال قرينة واحدة للدلالة على معنى معين، بل لابد من اجتماع القرائن متضافة للدلالة على المعنى النحوي. فتضافر القرائن إذن يفسر التعليق النحوي كلها، على حين لا يفسر العامل النحوي منه إلا قرينة واحدة، وهي العالمة الإعرابية، وهذا المبدأ ييسر - بحسب رأيه - إدراك العلاقات النحوية بما يحدد من الأمور المحسوسة؛ على حين يفسح العامل النحوي الطريق أمام التخريج والتأويل والتقدير، وهي أمور فردية لا ضابط لها، وكثيراً ما اختلف النحاة فيها، فانفرد كل واحد منهم بتخريجه وتأويله وتقديره، وليس هناك مجال للتقدير في حدود مبدأ تضافر القرائن؛ لأن كل شيء محدود أو ملفوظ^(١).

٧. بالإمكان - أحياناً كما يقول - الترخص في بعض القرائن اللفظية التي لا يؤثر احتفاؤها في ضمان أمن اللبس، وإهدارها ومنها قرينة الإعراب نفسها، والذي سوغ هذا الترخص أن القرائن الأخرى تقوم بهذه الوظيفة، ففي عبارة مثل: خرق الشوب المسمار أهدرت القرينة اللفظية؛ وهي العالمة الإعرابية؛ لأن اللبس مأمون بسبب توافر قرينة الإسناد بين (خرق) و(المسمار)، وقرينة التعدية بين (خرق) و(الشوب)^(٢).

وهذا المبدأ - كما يقول الدكتور / حسان - "يذهب تماماً بالإعراب التقديرية والإعراب المحلي، وينفي الخلافات النحوية حول المسائل كما يزيل فكرة: الشذوذ، والندرة، والقلة،... إلخ"^(٣). ثم ذكر بعد ذلك أمثلة كثيرة لما ترخص له العرب من استعمال القرائن اللفظية في العالمة الإعرابية، والرتبة، ومبني الصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداة، والنغمة^(٤).

(١) ينظر: قام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٢٢ - ٢٣٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ . وينظر أيضاً: قام حسان، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي، ص ٥٤ . و: شوكت درويش، الرخصة النحوية، ص ٤٥٢ - ٤٨١ .

(٣) قام حسان، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي ، ص ٦٢ .

(٤) ينظر: قام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٣٣ - ٢٤٠ ، قام حسان، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي ، ص ٥٣ - ٦٠ .

وقد نبه الدكتور / تمام حسان بعد ذلك إلى أن الاعتماد على القرائن في فهم التعليق النحووي له فائدة كبيرة تتصل بالنحو العربي، وتمثل في^(١):

- نفي كل تفسير ظني أو منطقي لظواهر السياق.

- نفي كل جدل يدور حول منطقية هذا العمل أو ذاك، وحول أصالة بعض الكلمات في العمل وفرعية الكلمات الأخرى، وحول قوة العامل وضعفه، أو تعليله أو تأويله؛ مما ازدحمت به كتب النحو دون طائل تحته.

٨. وضع الدكتور / تمام حسان مثلاً للإعراب، ليكون تطبيقاً لما قاله سلفاً عن القرائن النحوية، فأعرب جملة: (ضرب زيدٌ عمراً)، ورأى أننا إذا "نظرنا في الكلمة الأولى (ضرب)، فوجدناها قد جاءت على صيغة (فعل)، ونحن نعلم أن هذه الصيغة تدل على الفعل الماضي؛ سواء من حيث صورتها، أو من حيث وقوفها بإزاء (يَفْعَل، افْعَل)، فهي تدرج تحت قسم أكبر من بين أقسام الكلم يُسمى (الفعل)، ومن هنا نبادر إلى القول بأنّ: (ضرب فعل ماض)، ثم ننظر بعد ذلك في (زيد) فنلاحظ ما يأتي:

- أنه ينتمي إلى مبني الاسم (قرينة الصيغة).

- أنه مرفوع (قرينة العالمة الإعرابية).

- أن العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق).

- أنه ينتمي إلى رتبة التأخر (قرينة الرتبة).

- أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظ (قرينة الرتبة).

- أن الفعل معه مبني للمعلوم (قرينة الصيغة).

أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب (وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائمًا) (قرينة المطابقة). وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أنّ (زيد) هو الفاعل. ثم ننظر بعد ذلك في (عمراً)، ونلاحظ:

أ- أنه ينتمي إلى مبني الاسم (قرينة الصيغة).

ب- أنه منصوب (قرينة العالمة الإعرابية).

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٢٣٢-٢٣٣.

- ج- أن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدي (قرينة التعليق).
- د- أن رتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر (قرينة الرتبة).
- هـ- أن هذه الرتبة غير محفوظة (قرينة الرتبة).

وبسبب هذه القرائن نسأر إلى القول بأن (عَمِّا) مفعول به^(١).

٩. وصل الدكتور / تمام حسان إلى أن الإعراب فرع المعنى الوظيفي، فإن كان المعنى واضحاً يمكن إعراب الجملة دون حاجة إلى المعجم أو المقام^(٢). وللتدليل على هذا أوجد نصاً لامعنى لكلماته، ولكنها مصوحة على شروط اللغة العربية، وهذا النص هو: (حَنْكَفَ الْمُسْتَعْصُ بِسَقَاحَتِهِ فِي الْكَمْضِ فَعَنِّدَ التَّرَانِ تَعْنِيَّدَا حَسِيَّلَا)، فلما اصطف التران، وتحنّكف شقله المستعصي بحشه فانحكَرَ سُحَيْلَاً حَتَّى خَرَبْ)، ثم قال بعد ذلك: "لَكَأْنِي بِالْقَارِئِ الْآنَ قَدْ بَدَأْ فِي إِعْرَابِ هَذَا النَّصِّ، وَلَكَأْنِي أَسْمَعْهُ يَقُولُ: حَنْكَفْ: فَعَلْ مَاضِ، وَالْمُسْتَعْصُ: فَاعِلْ، وَبِسَقَاحَتِهِ: جَارْ وَمُجْرُورْ مُتَعْلِقْ بِحَنْكَفْ، إِلَى أَنْ يَتَمْ لِهِ إِعْرَابُ الصَّحِيحِ"^(٣). وقد بيّن كيف يستطيع القارئ أن يعرف كلمات ليس لها معنى في المعجم، ولا يدل نصها المذكور على معنى دلالي خاص، وذلك - كما يقول - لأن هذه الكلمات المهائية تحمل في طيّها معنى وظيفياً. فالكلمة الأولى في النص تؤدي وظيفة الفعل الماضي لسبعين: الأولى أنها جاءت على صيغته، والثانية أنها وقعت موقعه، وتقوم الكلمة الثانية بدور آخر، والثالثة بوظيفة ثلاثة، وهلم جرا^(٤).

ولتأكيد هذه الفكرة أورد أيضاً بيّناً من الشعر لامعنى لكلماته من الناحية المعجمية، ومع هذا فقد أعراب مفرداته، وهذا البيت هو:

فَاخْرِيْ فَلْمَ يَسْتُفْ بِطَاسِيَّةِ الْبَرِّ^(٥)
قاصِ التَّجَرِّيْ شَحَالَهِ بِتَرِيسِهِ الْ
وقد جاء بهذا البيت على هذه الصورة؛ ليكون موافقاً - كما يقول - لشروط حدها، وهي: اشتتماله على حروف عربية، والمحافظة على إدغام ما تمايل أو تقارب من هذه الحروف

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ١٨١-١٨٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٢.

(٣) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١٩٣.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٣-١٩٤.

(٥) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ١٨٣.

على الطريقة العربية، وتقليد المباني الصرفية العربية، سواء مباني التقسيم، أو التصريف، أو القرائن، والمحافظة على مظاهر العلاقات النحوية، ولكنه بالمقابل تجاهل فيه الاعتبارات المعجمية، ولذا لا يكون النسق النطقي جملة عربية بأي صورة من صور الجملة^(١). وقد تناول مفرداته بالإعراب، فكان على الصورة الآتية:

قاص: فعل ماض مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

التجين: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

شحال: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة... إلخ، ويستمر على هذه الصورة إلى أن يعرب البيت كاملاً^(٢).

لقد أراد الدكتور/ تمام حسان من خلال إعرابه لهذا البيت إيضاح الصلة الوثيقة بين الإعراب وبين المعنى الوظيفي، حيث كان الإعراب الكامل - بحسب رأيه - معتمداً على دور التحليل اللغوي، أو ما أسماه بـ(المعنى الوظيفي)؛ لأنّه هو الذي "يحدد الفهم صوتيّاً من حيث إنّ الحرف مقابل استبدالي، وصرفياً من حيث إنّ المبني إطار شكلي يتحقق بالعلامة، ونحوياً من حيث إنّ العلامة السياقية تكشف لنا عن ترابط المباني التي تتحقق بالعلامات في سياق النصّ أما ما فوق ذلك من معنى الكلمة المفردة، أو معنى المقام: أي المعنى الدلالي الكامل، فذلك ما لا يوصل إليه بواسطة المبني فقط"^(٣).

ولقد أشار الدكتور/ تمام حسان في موضع متعدد من مؤلفاته إلى أنّ المعاني ثلاثة أنواع، الأول: **المعاني النحوية الوظيفية**، كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة، وغيرها، وتأتي هذه المعاني عند تحوّل الكلمات بالتحليل الإعرابي إلى أبواب؛ لتتضاعف العلاقات التي بينها، وكل باب منها هو معنى وظيفي للكلمة المعربة به. والثاني: هو **المعاني المعجمية**، وهي التي تشير إليها الكلمة المفردة كما وردت في المعاجم. والثالث: هو **معنى المقام**، وهو الظروف (أو القرينة) الاجتماعية التي قيلت فيها الجملة، ثم يأتي بعد ذلك المعنى الدلالي من خلال إضافة معنى المقام

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها ، ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٣-١٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٣.

للمعنى الوظيفي والمعجمي ، ورأى أن النحاة القدماء قد أصابوا في التنظير عندما قالوا: إن الإعراب فرع المعنى؛ لكنهم وقعوا في الخطأ عندما طبقوه ذلك؛ لأنهم صرفوا المعنى إلى المعنى المعجمي حيناً، والدلالي حيناً، ولم يصرفوه إلى المعنى الوظيفي^(١).

- موقف الباحثين من: (نظريّة القراءن النحوية).

لقد أراد الدكتور / تمام حسان من تفصيله للقراءن أن تكون أساساً للتحليل النحوي، ومحض عن القول بنظرية العامل في النحو العربي، من أجل ذلك فقد نظر إلى اللغة نظرة شاملة تكشف عن العلاقات بين أنظمتها اللغوية المختلفة، والعلاقات التي تربط تلك الأنظمة بالدلالة المعجمية، وربط ما ينتج من معنى المقال بمعنى المقام؛ وذلك للخروج بالمعنى الدلالي للجملة؛ وهذه النظرة الشاملة هيأت إلى أن تضع ما خرج به الدكتور / تمام حسان بمصاف النظريّة الشاملة.

وما هو جدير بالذكر أن محاولة الدكتور / تمام حسان قد لقيت اهتماماً خاصاً - وإن تأخر نسبياً - من عدد كبير من الدارسين الذين تناولوها بالتحليل والمناقشة، وعرضوا الأفكار الأساسية التي تضمنتها بوصفها محاولة حادة للاستفادة من التراث اللغوي العربي من جانب، ومن البحوث اللغوية الحديثة من جانب آخر؛ ولقد تعددت الآراء وتضاربت حول هذه النظريّة، وكان من أبرز المواقف والآراء ما يلي:

- محمد حماسة عبد اللطيف: تابع في رأيه الدكتور / تمام حسان القول بنظرية القراءن، وأثني عليها، كما أكد على أهميتها في عدّة موضع. وبعد أن درس الجملة العربيّة في مفهومها وصورها، أشار إلى قرائن الجملة، ووصل إلى "أن دراسة النحو في إطار القراءن النحوية يعني عن القول بالعوامل، وما تبعه من تكلف في التقدير، وتعسف في التأويل"^(٢). كما أكد هذا الأمر في موضع آخر، حيث قال: "وصفوة القول أنه في ضوء دراسة القراءن في الجملة من لفظيّة

(١) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٨٢ ، وينظر أيضاً: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١٩٣-١٩٤.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف، العالمة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص ١١٥.

ومعنىٌ تنتفي الحاجة إلى العامل النحوي، وما جرّه من مشكلات في النحو العربي^(١).

غير أنه بالمقابل يؤكد أن النحاة الأوائل لم يهملوها فقد أشاروا إليها، واعتمدوا عليها في مسائل كثيرة، فابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) مثلاً قد اعتمد عليها في كثير من الأحكام النحوية التي ذكرها عند مناقشته بعض المسائل النحوية، كما راعى ابن هشام (ت ٧٦١هـ) بعض تلك القراءن، ووجه وفقها بعض الآيات القرآنية؛ كذلك صرّح الرضي (ت ٦٨٦هـ) بأن الإعراب الظاهر قرينة لفظية، وتبّه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) إليها في الكلام، فلا تعدو الحركة الإعرابية عنده أن تكون واحدة من مجموعة قرائن تدل على المعنى النحوي^(٢).

- عبد الهادي الفضلي: عرض في كتابه: (دراسات في الإعراب) لعامل الإعراب عند النحاة المتقدمين وبعض اللغويين الحدثيين، ثم دعا إلى تنقية فكرة العامل من الزوائد الصناعية المتمثلة في التقدير أو الإعراب؛ لتبقى فكرة العامل نظرية من نظريات النحو^(٣). وانتهى رأيه إلى أن "البديل لنظرية العامل للقيام بتحديد الوظيفة النحوية للكلمة في الجملة هي دلائل الإعراب التي اعتمدتها النحاة"^(٤)، والدلائل عنده هي القراءن، وهي دلالية لفظية ومقامية، وقد كان من أبرز الملحوظات التي قدمها عبد الهادي الفضلي على محاولة الدكتور / تمام حسان في هذا الموضوع ما يلي:

- أن النحاة لم يهملوا مراعاة القراءن عند تحديدهم للمعاني النحوية الوظيفية، لكنهم لم يخصّوها ببحث مستقل، ولكن آرائهم كانت مثبتة في ثانياً التطبيقات الإعرابية^(٥).
ويرى الشيخ/عبد الهادي الفضلي أن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الذي ذكره الدكتور / تمام حسان قد تناول الفكرة نفسها على نحو واضح^(٦).
- بين الشيخ/الفضلي أن فكرة التعليق عند عبد القاهر الجرجاني تعني النظام النحوي

(١) محمد حماسة عبد اللطيف، العالمة الإعرابية في الجملة بين القدسم والحديث ، ص ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤-٢٨٦.

(٣) ينظر: عبد الهادي الفضلي ، دراسات في الإعراب ، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٧.

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٩.

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٠.

لصياغة الجملة، ولا تعني الإعراب كما فهمها الدكتور / تمام حسان^(١). ويشير بأن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) قد ذكر التعليق؛ ليفسّر به نظرية النظم، ويعني النظم مطابقة الصورة اللفظية في حملها المعنى للصورة الذهنية. ولا يتم النظم إلا بالتعليق، ويقصد به ربط اللفظ بلفظ آخر وفق النظام النحوي للجملة. ولهذا يؤكّد الشيخ / الفضلي^(٢) أنّ الإعراب أو الموضع الإعرابي جزء من نظام الجملة، والموضع الإعرابي أو الوظيفة النحوية للكلمة في الجملة التي تتمثل في المعانى النحوية من فاعلية، ومفعولية، وما إليها هو الذي تدل عليه القراءن النحوية، وليس نظام الجملة ككل^(٣).

- مصطفى حميدة: أثني في كتابه: **(نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)** على محاولة الدكتور / تمام حسان في كتابه، ووصفها بالدراسة الشاملة المتكاملة في الدرس النحوي؛ مؤكداً في الوقت ذاته أنّ "نظريّة تضافر القراءن تعدّ أهم المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية، وأبعدها أثراً؛ ذلك لأنّها أول دراسة في النحو العربي كله تقيم منهاجها على أساس فكرة: (التعليق)، فتحولت الدرس النحوي بهذا من منهاجه اللفظي المتمثل في (الإعراب) القائم على فكرة العامل، إلى منهاج قرائن التعليق، الذي يضع المعنى في المقام الأول"^(٤). كما بين أنّ أهم ما جاء فيها هو التفريق بين القراءن المعنوية والقراءن اللفظية، لأنّه - كما يقول - يمثل فصلاً بين مفهوم المعنى ومفهوم المبني، وقد كانت تلك - بحسب قوله - معضلة تعوق الباحثين عن الوصول إلى الطريق الصحيح لدراسة الجملة^(٤).

- محمد محمد يونس: لخص في كتابه: **(وصف اللغة العربية دلالياً في ضوء مفهوم الدلالة المركزية)** أهم ما ورد في نظرية الدكتور / تمام حسان عن القراءن النحوية، ورأى أنّ الدكتور / تمام حسان في دراسته "أقرب الآراء استناداً إلى الموضوعية، وأكثرها اعتماداً على

(١) ينظر: عبد المادي الفضلي، دراسات في الإعراب ، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق، دراسات في الإعراب ، ص ٩١.

(٣) حميدة، مصطفى، **نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة (١)، ١٩٩٧ م، ص ٦٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

المنهجية والدقة العلمية^(١)؛ ولهذا فقد أعاد ذكر تلك القرائن التي وردت عند الدكتور / تمام حسان، وفضل في بيانها، دون إضافة جديد عليها^(٢).

- **أحمد علم الدين الجندي**: أثني في دراسته: (علامات الإعراب بين النظرية والتطبيق) على محاولة الدكتور / تمام حسان ، ووصفها بأنها "أجراً محاولة" و "أخطر عملية" ، في النحو العربي منذ كتاب سيبويه حتى الآن^(٣)؛ مؤكداً أنها أبرزت دور القرائن التي غمطها النحويون القدماء حقها بسبب انشغالهم بقرينة واحدة؛ وهي العالمة الإعرابية^(٤)، في حين يرى أن هذه النظرية - على الرغم من تكاملها وشمولها - ينقصها عامل الاطراد الذي هو شرط أساسي لكل نظرية، إذ إن هذه النظرية لا تصلح - كما يقول - "أن نفسر بها ما يجد من استعمالاتنا في اللغة المعاصرة من خروج عن قواعد النحوة، فهي مقصورة على تفسير ما وقع، وتبرير ما حدث من النحوة السابقين وحدهم"^(٥). كما ينقصها الجانب التطبيقي في جميع أبواب النحو^(٦).

- **محمد صلاح الدين بكر**: سار على الطريقة نفسها في دراسته: (نظرة في قرينة الإعراب)، فأعاد القول بأنّ النظرة المثلثي إلى الإعراب تقوم على اعتباره قرينة من مجموعة قرائن تقوم بتوضيح الجزئيات التي يتكون منها المعنى النحوي^(٧).

(١) علي، محمد محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركبة: دراسة حول المعنى وظلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٩٣م، ص ٢٩٦.

(٢) ينظر: محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركبة: دراسة حول المعنى وظلال المعنى ، ص ٢٨٩.

(٣) الجندي، أحمد علم الدين، علامات الإعراب بين النظرية والتطبيق، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢)، ١٩٨٤م، ص ٣٢٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٠.

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ . يشار إلى أنّ الدكتور / تمام حسان طبق فكرة: (تضافر القرائن) فيما بعد بشكل موسع في كتابه القيم: (البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (١) ١٩٩٣م. وسيأتي الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله.

(٧) ينظر: بكر، محمد صلاح الدين، نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ١٩٨٤م، ص ٤٧ - ٤٩.

- عبد الوارث مبروك سعيد: تناول هذه المحاولة بشكل موسع في كتابه: **(في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية)**؛ مؤكداً أنما أعطت للنحو مفهومه ومكانه الصحيح بين أنظمة اللغة العربية، فلم يعد علماً مقصوباً على درس ظواهر الإعراب والبناء فقط، ولا حتى علماً خاصاً بدراسة الأبواب، أو ما يسميه المؤلف **(المعاني النحوية الخاصة)**، كما هو الغالب على المنهج التقليدي في دراسة النحو العربي، وإنما أصبح نظاماً يتناول ذلك كله ويتعداه إلى ما هو أهتم وألزم للتركيب اللغوي من حيث بناؤه وفهم مدلوله معاً، وهو **(التعليق)** الذي يتمثل في **(العلاقات السياقية)** و **(القرائن اللفظية)** فضلاً عن القرائن **(الحالية)** أو **(المقامية)**^(١).

- حلمي خليل: أكد الدكتور / حلمي خليل في كتابه: **(العربية وعلم اللغة البنوي)** على أهمية محاولة الدكتور / تمام حسان في كتابه: **(اللغة العربية معناها وبنها)**، لكونها محاولة التطبيق الوحيدة التي أسفر عنها الاتجاه الوصفي، كما أشار أيضاً إلى تجاهل هذا التطبيق، وعدم تقويمه من الباحثين منذ نشرها^(٢).

وقد كان له بعد ذلك بعض الملاحظات الهامة عليها، من أبرزها:

- أن الكتاب في حقيقته ليس نموذجاً وصفيّاً للغة العربية التقليدية أو المستعملة في هذا العصر، وإنما هو قراءة جديدة للتراث اللغوي العربي من منظور علم اللغة الحديث، فهي دراسة تقوم على دراسات سابقة؛ وليس وصفاً جديداً للغة العربية، وهو ما يخالف - كما يقول الدكتور / خليل - أول مبدأ من مبادئ الوصفية؛ إذ ليس من مهام المنهج الوصفي "إعادة النظر في نماذج وصفية، أو تحليلية أخرى؛ وإنما يقوم على دراسة اللغة المنطقية المستعملة فعلاً"^(٣).

- أخذ الدكتور / حلمي خليل على الدكتور / تمام حسان وصفه للدراسة اللغوية عند العرب بأنما تهتم بالبني أساساً، ولم تقصد المعنى إلا على استحياء، ورأى أن هذا الوصف غير دقيق، مثيرةً إلى أنّ مبدأ المعنى الذي بني الدكتور / تمام حسان عليه قراءاته الجديدة في

(١) عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، ص ١٧٦.

(٢) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٠.

التراث اللغوي مبثوث بصورة متعددة في ذلك التراث من تفسير، وأصول، وبلاحة، ونحو، وصرف؛ لأن قضية الإعجاز القرآني كانت وراء ذلك كلّه^(١). بل لاحظ أن الدكتور / تمام حسان ينقض في موضع آخر ما ذكره سابقاً، حيث يثبت علماء البلاغة العرب إدراكيهم لنظرية المعنى، وسبقهم لعلماء اللغة المحدثين في إدراك نظرية السياق^(٢).

- هو يرى أن فكرة المقام عند الدكتور / تمام حسان هي نفس فكرة المقام (السياق اللغوي) عند العالم اللغوي فيبرت، وهي تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء؛ ولكنها كما يقول: "بلا شك تختلف من حيث التنظير والتطبيق؛ مما جعل منها نظرية لغوية كاملة في دراسة المعنى بما له من صلة بالبني"^(٣).

- محمود أحمد نحلاة: في كتابه: (مدخل إلى دراسة الجملة العربية) في حديثه عن اتجاهات البحث النحوي عند العرب أفرد عنواناً خاصاً لمحاولة الدكتور / تمام حسان، وأثني عليها قائلاً: "لا أعرف بباحثها عربياً استطاع أن يطور منهجاً جديداً من التراث النحوي والبلاغي القديم معتمداً على منهج الدرس اللغوي الحديث غير الدكتور / تمام حسان في كتابه الذي صدر عام ١٩٧٣ م وهو: اللغة العربية معناها ومبناها"^(٤). مبدياً في الوقت ذاته استغرابه من أن تظل هذه المحاولة على الرغم من أهميتها ست سنوات لا يعرض لها أحد من الباحثين بنقد، أو تقويم، أو تطوير^(٥).

- أحمد سليمان ياقوت: في كتابه: (ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم) ناقش الدكتور / تمام حسان في فهمه للمقصود من التعليق عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، وعلاقة تعليق الكلام بعضه ببعض بالمعانى المعجمية، ونظرة عبد القاهر إلى النحو، ووظيفته عنده^(٦). وخلص إلى أن عبد القاهر الجرجاني لم يفصل بين معانى النحو

(١) ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنّيوي ، ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠.

(٤) محمود نحلاة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص ٨١.

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٦) ينظر: ياقوت، أحمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية،

والمعاني المعجمية، بل أكّد أنه لا يمكن معرفة ترتيب الألفاظ، أو تعليق بعضها بعض إلا بعد معرفة معانيها في النفس، وتترتب الألفاظ في النطق في الوقت ذاته الذي تترتب فيه معانيها في النفس^(١). وعندما طبق الإعراب الذي ذكره الدكتور / تمام حسان لإثبات هذه الفكرة؛ تبيّن له أنّ الكلمة (قاص) مثلاً تكون فعلاً ماضياً، أو اسم فاعل دون فهم معناها، ولا تعرب كذلك الكلمة (التجين) فاعلاً، فقد تكون مضافة إلى (قاص)، وهكذا بقية الكلمات الأخرى، إذ لا يمكن معرفة معناها الوظيفي إلا بعد معرفة معناها المعجمي^(٢). ثم يتتساءل معتبراً على هذه الفكرة قائلاً: "فهل بعد هذا نقول إنّ المعاني الوظيفية - أي الإعراب - يعرف معزولاً عن المعاني المعجمية، لا بأس في النظر إلى القرائن التعليق المعنوية التي ذكرها الدكتور / تمام؛ وهي قرائن الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، ولكن هذه القرائن لا تدرك إلا بإدراك المعاني المعجمية أولاً، وإلا فمن أين لي أن أعرف أن هناك علاقة إسناد بين (الللميد) و(المجتهد) في الجملة: الللميد مجتهد؛ إذا لم أكن أعرف المعنى المعجمي لكل من (الللميد) و(المجتهد). ويظل النحاة من يقول إنهم قرروا نظرية العامل بعيداً عن العلاقات السياقية للنص، وأن العامل النحوي لم يكن لينظر إلا إلى العلامات الإعرابية، التي هي قرينة من القرائن اللفظية؛ ولن يست كل القرائن، كما أنها لا علاقة لها بالمعنى الدلالي"^(٣).

كما يرى الدكتور / أحمد ياقوت أن هذه القرائن التي أوردها الدكتور / تمام حسان من الكثرة بحيث يبدو العامل - بمقارنتها به - شيئاً ميسوراً^(٤).

- عطا محمد موسى: في كتابه: (مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين) استعرض بإيجاز لحاولة الدكتور / تمام حسان؛ مؤكداً أن نموذجه يمثل "أول دراسة متكاملة على أساس المنهج الوصفي أعاد صاحبه من خلاله درس النحو العربي القديم من منظور وصفي، في وقت أكتفى فيه الآخرون من أذاعوا في الناس أنهم وصفيون بمحالحظ لا ترقى

الإسكندرية، ١٩٩٤م، ٨٣-٨٤.

(١) ينظر: أحمد ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، ، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٣-٨٤.

(٤) المصدر السابق ، ص ٨٤.

- إلى مرتبة الأعمال المتكاملة"^(١). إلا أنه ذكر بعد ذلك بعض المآخذ التي شابتها، ومنها^(٢) :
- أنه قد درس اللغة العربية بشواهد ونصوص من كتب النحو، وهذا - كما يرى - مخالف لمنهجه الوصفي التزامني الذي يدرس الظاهرة في حقبة معينة؛ ويرى أن الأولى أن يطلق على كتابه: (اللغة العربية معناها وبناؤها في القرنين الأول والثاني المجريين)؛ وذلك ليتواءم مع معطيات المنهج الوصفي الذي يصدر عنه.
 - أن الاهتمام بالمعنى لدى الدكتور / تمام حسان تجاوز الحد المعتدل؛ وقد جاء هذا الاهتمام على حساب درس التراكيب النحوية، حيث إن المتأمل في هذا النموذج - كما يقول - لا يجد كبير عناء في ملاحظة عدم الاهتمام بالجملة العربية، مع أن الدارسين المحدثين متتفقون على أن دراسة الجملة هي الباب الذي يلتج منه النحو المحدثون إلى دراسة النحو العربي.
 - أن الدكتور / تمام حسان عوّل في تشكيل (مفهوم المعنى) على (نظريّة السياق) عند فيرث، لكنه جاء في كثير منه متفقاً مع مفهومه في النحو العربي، وتمثل بعض مظاهر الاختلاف في بعض المصطلحات التي أسبغها على بعض المقولات كـ(سياق الحال)، و(السياق الاجتماعي).
 - أن توسيع مظاهر الشذوذ في النحو العربي لا يسدي كبير خدمة لمتكلم اللغة، لكن ذلك ربما يكون مفيدة وهاما في نطاق النظر اللغوي؛ بما يخلقه من آفاق في مجال استكناه الظاهرة اللغوية.
 - أن تضافر القراءن الذي نادى به هو ضرب آخر من ضروب العامل أشمل وأدق، حيث تضافر عدة قرائين لإبراز المعنى بدلاً من قرينة واحدة، وهي العالمة الإعرابية، ويكون بذلك قد استبدل بالعامل القديم عاماً من نوع جديد.
 - أن خطة التيسير التي وضعت بوجي من نموذجه فتبعد - كما يقول - مقنعة من حيث ما

(١) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوية في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٢-٣٢٣.

ورد فيها من مبادئ؛ لكن ينقصها جانب مهم وهو جانب التطبيق^(١).

يتفق كثير من الباحثين المحدثين أن الدكتور / تمام حسان ، ومن خلال رؤيته التجديدية المتميزة في نظرية تضافر القراءن ، ر بما يكون قد ألم مشروع لسانی عربی، وفق فيه نظریا وتطبیقیا في إثارة كثير من المسائل النحویة العربیة بروح علمیة لا تخلو دعائیم برها نیة قویة تجعل خطابه متماسکا في المستوى الإقناعی استفاد فيها من معطیات علم اللغة الحديث من دون إهدر القيم النحویة التراثیة التي أرسی دعائیمها النحویون العرب القدماء .

(١) قام الدكتور / تمام حسان بتطبیق مبادئ هذه النظریة في كتابه التعليمي الذي سماه: (الخلاصة النحویة)؛ وذلك بإبراز تضافر القراءن على بيان المعنی، ينظر: حسان، تمام، الخلاصة النحویة، عالم الكتب، الطبعة (١)، ٢٠٠٠ م.

الفصل الثاني

الآثار التطبيقية

محاولات تطبيقية لأغراض تعليمية	المبحث الأول
محاولات تطبيقية لأغراض بحثية	المبحث الثاني

المبحث الأول

محاولات تطبيقية لأغراض تعليمية

لقي موضوع إصلاح الكتاب النحوي وتسهيله على المتعلمين اهتماماً واسعاً عند كثير من الباحثين المحدثين، وبخاصة عند ناقدى التراث النحوي العربى الذين زعموا أنّ بالنحو العربى عيوباً ونقائص تجعل إصلاحه، وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة، وقد عقدت من أجل ذلك العديد من المؤتمرات، والندوات، واللقاءات، وتعاقبت المحاولات في النظر النحوي القائم على تيسير النحو التعليمي، وكان من أبرز تلك المحاولات ما يلي:

- كتاب: (تحرير النحو) الذي صدر عام ١٩٥٨م وهي محاولة مبكرة صُبّت على قالب المقترنات التي أصدرتها لجنة وزارة المعارف المصرية عام ١٩٣٨م، حاول من خلالها المؤلفون ومنهم الأستاذ/ إبراهيم مصطفى، والأستاذ/ محمد أحمد برانق، وضع هذه المقترنات موضع التطبيق، فعملوا إلى تلخيص القواعد وتخلصها - كما يقولون - مما لا حاجة إليه، مؤكدين على أن أهم الأسس التي بنوا عليها الكتاب يقوم على إصلاح هذه القواعد وترتيبها، شريطة ألا يمس ذلك التعديل شيئاً من جوهر اللغة، أو أصلاً من أصولها، كما أفهم ألمحوا إلى أنهم سموه بهذا الاسم قصداً إلى تحرير النحو وتجديده^(١)، غير أنه لم يلق قبولاً وترحيباً لدى كثير من الهيئات الرسمية المهتمة بتيسير قواعد اللغة، في مصر وفي غيرها من البلدان العربية^(٢).

ومن أبرز ما تضمنته هذه المحاولة من تجديد يتمثل في ضم بعض أبواب النحو تحت مسمى واحد، فالمبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل، تحت مسمى: المسند والمسند إليه. والفضلات تحت مسمى: التكملة، وإلغاء الإعراب التقديرى والمحلى، وإلغاء الضمير المستتر مطلقاً واعتبار الضمير البارز إشارة لا ضميراً، ودراسة عدة أبواب نحو: التعجب، والتحذير، والإغراء على أنها أساليب لا حاجة إلى تحليلها نحوياً^(٣).

(١) ينظر: مصطفى، إبراهيم ومؤلفون آخرون، تحرير النحو، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م، ٦٥-٦٠.

(٢) ينظر: عبد الوارد مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربية دراسة نقدية، ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٥.

- كتاب: **(النحو المنهجي)** للأستاذ/ محمد أحمد برانق، وقد ذكر فيه المؤلف أنه أسس كتابه على معيار وظيفي أساسه وظيفة الكلمة في الجملة، هذه الوظيفة التي يتحدد في ضوئها نوع ضبط الكلمة، كما تتضح الطرائق التي تيسر على المتعلمين بما يحقق الفائدة^(١). ويتحدد المؤلف عن منهجه في الكتاب، فيذكر أنه راعى جمع المعاني التي يتظتمها معنى عريض في باب واحد، متوكلاً في كل ذلك أيسير الوجوه وأشدتها ملائمة لطبائع المتعلمين، وأكثراً موافقة للنظريات التربوية الحديثة أياً كان أصحابها من النحاة، دون النظر إلى راجح ومرجوح، أو إلى قوي وضعيف، أو إلى مطرد وشاذ^(٢).

وهذه المحاولة - في نظري - لا تختلف كثيراً عن المحاولة السابقة؛ بل إنّ الأستاذ/ برانق اتكأ على ما ورد فيها وأحال عليها في موضع متعددة من كتابه، كما أنه استند في كثير من الموضع على آراء الكوفيين النحوية.

- ومن تلك المحاولات الهامة التي لا يمكن إغفالها أو تجاوزها في هذا الجانب كتاب: **(النحو الواقي)** للأستاذ/ عباس حسن: وهذا الكتاب يمثل مرحلة تطبيقية حاول فيه المؤلف أن يطبق فيها آراءه النظرية في كتاباته المتفرقة التي جمعها فيما بعد في كتابه: **(اللغة والنحو بين القديم والحديث)**، وهذا الكتاب يعد بلا شك من أهم المراجع المعتمدة لدى الطلبة والمتخصصين في النحو، كما أنه يمثل نصراً كبيراً في التأليف النحوي التعليمي في العصر الحديث، وجهد مشكور من المؤلف.

وقد أشار الأستاذ/ عباس حسن في مقدمة كتابه إلى الأسس والمبادئ التي أقام عليها الكتاب، ويمكن تلخيصها بالآتي^(٣):

أ- العناية بلغة الكتاب وضوحاً، وإحكاماً، واسترسالاً؛ فلا غموض ولا تعقيد، ولا حشو ولا فضول، ولا حرص على أساليب القدامى وتعبيراتهم.

ب- الحرص على الأمثلة الناصعة البارعة في أداء مهمتها، والبعد قدر الإمكان عن الشواهد

(١) ينظر: برانق، محمد أحمد، **النحو المنهجي**، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة(٢)، ١٩٥٩م، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣) ينظر: حسن، عباس، **النحو الواقي**، دار المعارف، القاهرة، الطبعة(٥)، ١٩٧٥م، ١/٥٠٠.

القديمة لصعوبتها.

- ج- التمييز بين فترين في عرضه لمسائل النحو لم يسبق إليه، حيث قسم كل مسألة إلى قسمين: قسم موجز للطلاب يوفيهما ما يحتاجون إليه، وآخر مفصل للمختصين، يذكر فيه بالتفصيل كل ما يتعلق بالمسألة التي عرض لها باختصار في القسم الأول.
- د- الحرص على اطراد القاعدة النحوية، ونبذ اللغات الشاذة التي لا تطّرد فيها القواعد النحوية.

لم يكن كتاب: **(النحو الوافي)** بمعزل عن دعوات الإصلاح والتيسير التي راجت في تلك المرحلة؛ فقد بدت آثار تلك الدعوات في هذا الكتاب، حيث تأثر الأستاذ/ عباس حسن بآراء ابن مضاء القرطبي (ت ٤٥٩ هـ)^(١)، واستفاد من آراء الكوفيين في كثير من آرائه، ووافقهم في عديد من المسائل في كتابه^(٢). كما أنه تأثر أيضاً بالمنهج الوصفي الذي ألقى بظلاله على آرائه في كل الأصول النحوية، غير أنه كان أقرب منهم في توجهه إلى التراث النحوي القديم؛ ولذلك فهو لم يتبعهم في بعض الدعوات كالدعوة إلى إلغاء بعض الموضوعات النحوية، أو إلغاء نظرية العامل والإعرابين التقديري والمحلّي، وغيرها من الدعوات المقترنات التي بُرِزَت في تلك المرحلة^(٣).

- كتاب: **(تجديد النحو)** للدكتور/ شوقي ضيف: لقد قدم الدكتور/ شوقي ضيف محاولات متعددة رغبة منه في تيسير النحو العربي وتجديده، وبعد هذه المحاولات المتعددة التي استمرت ما يقارب أربعين عاماً قرر أخيراً في بداية الثمانينيات تخصيص كتاب جامع يلّم فيه شتات تجربته الطويلة في هذا الميدان، ولن يكون - كما يقول - مرجعاً للناشئة يقدم فيه اقتراحاته،

(١) ينظر: الحسين، عبد الله بن حمد، *تيسير النحو عند عباس حسن في كتابه النحو الوافي* دراسة وتقديم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٣١ هـ، ٤٠٦ - ٤١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠١ - ٤٠٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠٧. ولابد من الإشارة هنا إلى أن هناك تبايناً، واختلافاً في موقف الأستاذ/ عباس حسن من نظرية العامل في كتابيه: **(النحو الوافي)** و**(اللغة والنحو بين القديم والحديث)**، حيث أشار في الأول إلى أنها تيسّر تعلم النحو، في حين ذهب في كتابه الثاني إلى أنها سبب في تعقيد النحو وعسره، ولعل ذلك يرجع إلى تغيير رأيه في هذه القضية، وتراجعه عن موقفه السابق.

وأفكاره بصورة واضحة وجلية و مباشرة المدف منها تيسير النحو وتذليل صعوباته، وهو كتابه: **(تجديد النحو)**، الذي أصدره سنة ١٩٨٢م، وقد بين في بداية هذا الكتاب الأسس التي أقام عليها هذا الكتاب؛ وهي^(١):

- أ- إعادة تنسيق أبواب النحو، والاستغناء عن بعض الأبواب التي يرى أنها لا تخدم اللغة، ولا الدرس النحو.
 - ب- إلغاء الإعرابين التقديري والمحلّي، وكذلك إلغاء العلامات الفرعية في الإعراب.
 - ج- الإعراب لصحة النطق، ولذا فهو حذف كل ما لا يفيد اللغة، مثل إعراب: لاسيما، وكم الاستفهامية والخبرية، وأن المخففة، وغيرها.
 - د- وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض الأبواب النحوية التي لم يتح لها أن تعرف تعريفا سديدا من النحاة.
 - ه- حذف زوائد كثيرة في أبواب نحوية تعرض دون الحاجة إليها.
 - و- إضافات متنوعة هدفها توضيح الصياغة العربية في نفس دارس النحو.
- يعاب على الدكتور/ شوقي ضيف في هذه المحاولة أنه في الجانب التطبيقي لم يلتزم بما دعا إليه في آرائه النظرية التي نادى بها، فعلى سبيل المثال فإنه لم يستطع الخروج من تأثير نظرية العامل على الرغم من النقد الشديد الذي وجهه لها، كما أن حديثه في أكثر من موضع عن الذكر والحذف يأتي مناقضاً لأساس قوي من أسس منهجه وهو: منع التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات^(٢).
- وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي قدمه الدكتور/ شوقي ضيف في هذا الكتاب؛ فإن كتابه لم يجد القبول الذي كان يأمله المؤلف، بل إن بعض الباحثين اعتبر هذه المحاولة لا ترقى إلى مستوى التجديد^(٣).
- ومن المحاولات في هذا الباب ما قدمه الأستاذ/ يوسف الصيداوي في كتابه:

(١) ينظر: شوقي ضيف، **تجديد النحو**، ص ١١-٤٣.

(٢) ينظر: الحمزاوي، علاء إسماعيل، موقف شوقي ضيف من الدرس النحو دراسة في المنهج والتطبيق، ص ٧٠.

(٣) ينظر: عبد الله جاد الكريم، الدرس النحو في القرن العشرين، ص ١٧٨.

(الكاف)، والذي حاول فيه المؤلف أن يعيد - كما يقول - صوغ قواعد اللغة العربية بعيداً عن آراء المدارس النحوية، ومذاهبها واحاتلافات التحويين وتشعبها، فعمد إلى ما اشتملت عليه كتب النحو منها، فاختصر، وحذف، وأضاف، واستدرك، داعياً إلى تخلص القواعد من النحو، ثم إعادة صوغها، لأن النحو - بحسب قوله - شيءٌ والقواعد شيءٌ آخر^(١).

والكتاب جديد في بنائه أيضاً؛ إذ رسم المؤلف له خطة سار عليها فيه، فقد جعله في جزأين، أفرد أولهما للبحوث والأدوات، وبدأ بالبحوث فرتبتها لا على الترتيب المألف عند النحويين القدامى والمتاخرين، بل رتبها ترتيباً أقرباً، بادئاً بحثه بـ: الإبدال، ثم الأحرف المشبهة بالفعل، الاختصاص، الإدغام، الاستغاثة، اسم الآلة، اسم التفضيل،...، ثم ذكر الأدوات ورتبتها على هذا الترتيب، فذكر: أجل، إذ، إذًّا، إذما، أَلْ، أَلَا، إِلَى،... وهكذا.

وأما الجزء الثاني من الكتاب؛ فقد خصصه المؤلف للمناقشات حول مضمونين كثيراً ما جاء في الجزء الأول، وقد جعله في قسمين الأول: مناقشات البحث، والثاني: مناقشة الأدوات، حيث يناقش فيه القضايا التي كانت في خلاف النحويين، مبدياً رأيه فيها مستدلاً ومحتجاً لآرائه.

وقد قدم المؤلف لهذا الكتاب بـمقدمة طويلة مستفيضة، أكد فيها أنَّ هذا الكتاب "ليس موجزاً في قواعد اللغة، بل هو قواعد اللغة تامة"^(٢)، وتناول في هذه المقدمة ثلاثة عشرة قضية؛ تدور كلها حول تيسير النحو، وإعادة صوغ القاعدة النحوية، كما تعرض لعدد من المشكلات التي تواجه إصلاح النحو، وتحديده قدماً وحديثاً، لتكون عوناً للقارئ - كما يقول - على استيعاب مسائله، وخطة البحث فيه وتبين غايته وأسباب صنعه وتأليفه للكتاب^(٣).

(١) ينظر: الصيداوي، يوسف، الكاف كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة (١)، ١٩٩٩م، ١٣/١، ١٨-١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٨، وينظر أيضاً: الصيداوي، يوسف، جزاف الجزاف، مقالة نشرت في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، المجلد (٣)، العدد (٢)، يوليوب سبتمبر ٢٠٠١م، ص ٢٢٥. وهي رد على مقالة للدكتور/ محمد أحمد الدالي في نقد كتاب (الكاف) للصيداوي، بعنوان: "جزاف الكاف نظرة في كتاب الكاف للصيداوي"، نشرت أيضاً في مجلة الدراسات اللغوية، المجلد (٢)،

ومن أبرز الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه محاولة الدكتور / مهدي المخزومي، في كتابه: (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث)، وسوف أستعرضها فيما يأتي بشيء من التفصيل.

العدد (٣)، أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٠، ص ٢٥٥ - ٣٢١.

كتاب: (في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث).
للدكتور / مهدي المخزومي

تكتسي جهود الدكتور / مهدي المخزومي في تيسير النحو وإصلاحه - في نظري - أهمية بالغة؛ لما لها من قيمة علمية كبيرة، نالت كثيرة من الاستحسان والتقدير في ميدان الدرس النحووي، كما أنها أثارت نقاشاً عند عدد من الباحثين المحدثين، وانتشرت انتشاراً واسعاً في الأوساط العلمية، فعكفوا على مناقشة آرائه، واستخلاص نتائجها، أو الاستشهاد بها، والإفادة منها، أو الاعتراض عليها ونقدتها أو رفضها بالجملة^(١).

وبعد كتاب: (في النحو العربي قواعد وتطبيق) امتداداً لسلسلة من الجهود المتواصلة التي بذلها الدكتور / المخزومي في نقد الفكر النحووي العربي القديم، ومحاولة تقويمه وإصلاحه، ومن هذه الجهود:

أ- المقالة التي نشرها في مجلة: (المعلم الجديد) عام ١٩٥٤م، وكانت عنوان: (دعوة جادة في إصلاح العربية)، وقد دعا فيها الدكتور / المخزومي إلى إصلاح النحو العربي، وإعادة النظر في قواعده، مؤكداً أنَّ هذا الإصلاح "لا يكفيه تنسيق الموضوعات القديمة ولا الإخراج الجميل، ولا إحداث الطائق التربوية التي تتناول الموضوعات القديمة كما تناولها الأولون... فلن ينفع تحديد الأسلوب؛ إذا كان الموضوع متغضاً باليه"^(٢). ومحلاً في الوقت ذاته الفلسفة والمنطق المسئولة في انحراف الدرس اللغوي عن طبيعته اللغوية القائمة على الاستقراء، كما يرى أن يستهدي الدارسون المحدثون في أعمالهم بما خلفته المدرسة الكوفية من منهج سليم في دراسة اللغة^(٣).

(١) ينظر: عبد الجبار الفراز، الدراسات اللغوية في العراق، ص ١٧٨، وينظر أيضاً: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص ٦٨-٨٠، وعطا محمد موسى، مناهج الدرس النحووي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٥٦-٥٩، عز الدين مجذوب، المتناول النحووي العربي قراءة لسانية جديدة، و عبد الله أحمد حاد الكريم، الدرس النحووي في القرن العشرين، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) نقل عن: عبد الجبار الفراز، الدراسات اللغوية في العراق، ص ١٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨.

ب - كتابه: (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، وقد تناول فيه بعض محاولات تيسير النحو وإصلاحه منذ زمن ابن مضاء (ت ٤٥٩ هـ) وحتى زمن تأليف كتابه، داعيا إلى ضرورة الاستفادة من أعمال الكوفيين ومنهجهم في الدرس التحوي في محاولات تحديد النحو وتيسيره، لأنّه بحسب قوله: "منهج يقره النظر العلمي الحديث، ويقره النظر اللغوي بشكل خاص" ^(١) كما دعا إلى إعادة النظر في كثير من المرويات؛ وذلك لإعادة نسبة اللهجات إلى أصحابها، مع ضرورة الاستفادة مما استحدث من مناهج، وما جد من بحوث لعلم اللغة، وما وصل إليه المحدثون من مقارنات بين اللغات السامية المختلفة ^(٢).

ج - كتاب: (في النحو العربي نقد وتوجيه) وهي محاولة تأثرت تأثراً واضحاً بما قدمه الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه: (إحياء النحو)، من أفكار تيسير النحو العربي، ويمثل هذا الكتاب الجانب النظري من محاولته في نقد النحو العربي وإصلاحه وتخليصه - كما يقول - من شوائب التعقيد والقصور .

لقد أوضح الدكتور/ مهدي المخزومي في جهوده السابقة الأصول والمبادئ النظرية لمشروعه في تحديد النحو العربي وإصلاحه، في حين كان كتابه: (في النحو العربي قواعد وتطبيق) تطبيقاً لتلك الأصول النظرية التي نادى بها؛ وبخاصة في كتابه: (في النحو العربي نقد وتوجيه).

- منهج الدكتور/ المخزومي في كتابه: (في النحو العربي قواعد وتطبيق).

من أهم المبادئ التي وجهت مسيرة البحث النحوي عند الدكتور/ المخزومي إيمانه بأنّ دراسة النحو يجب أن تكون دراسة وصفية تطبيقية، فليس من وظيفة النحو - كما يقول - أن يفرض على المتكلمين قاعدة أو يحبط لهم أسلوباً، وإيمانه كذلك بأنّ النحو متطور بحكم تطور اللغة المستمر، فاللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع، كما يؤكّد أن مشكلات النحو العربي يمكن علاجها على أساس نحوي خالص بعيداً عن ما أسماه:

(١) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٤١٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٨ - ٤١٢.

(الاعتبارات العقلية) التي لا صلة لها بالدرس النحوي^(١).

وهذه المبادئ التي انطلق منها الدكتور/ المخزومي في كتابه، هي كما يقول الدكتور/ حلمي خليل: "تصل في كثير من جوانبها بالدراسة الوصفية للغة، بل من أهم مبادئ الدراسة الوصفية، وأبعدها أثرا في توجيه دراسة اللغة حديثا"^(٢).

- أبرز المصادر التي استقى منها مادته:

أ- **النحو الكوفي**: دعا الدكتور/ المخزومي إلى الإفادة من أعمال الكوفيين في محاولات تحديد النحو وإصلاحه، وقد تبنى الدكتور/ المخزومي كثيرا من الآراء النحوية الكوفية في كتابه هذا، ومن أبرزها:

- تبني رأي الكوفيين في إدماج اسم الفاعل ضمن قائمة الأفعال، كونه دالا على الدوام "ويسميه الكوفيون الفعل الدائم، وهو فعل حقيقة في معناه، وفي استعماله، إلا أنه يدل في أكثر استعماله على استمرار وقوع الحدث ودومته"^(٣)، وهو يدل على الماضي - كما يقول - إذا كان مضافا غير منون، ويدل على المستقبل إذا كان منونا^(٤).

- تبني رأي الكوفيين في أن فعل الأمر له صيغتان، وذلك يجعله صيغة (فعال) من أقسام فعل الأمر، حيث يقول "أما بناء (فعال) عند البصريين: اسم فعل، وعند الكوفيين فعل حقيقي، ويبدو أن رأي الكوفيين أصوب؛ لأنه لا يختلف عن بناء: (افعل) في الدلالة، ولا في الاستعمال"^(٥).

- تبني رأي الكوفيين في أن الاسم المنصوب بعد أفعال الكينونة يعرب حالا: حيث يقول في ذلك: "إذا قلنا: كان المطر غزيرا، أو ما زال المطر منهمرا،...أاما المنصوب فحال تبين هيئة الموجود؛ سواء أكان وجوده مطلقا كالكون المعبر عنه بـكان، أم

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ١٥.

(٢) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنية، ص ٦٩.

(٣) مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٢٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣، وينظر أيضا للمؤلف: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ١١٤-١١٥.

(٥) مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٢٤.

مقيدا بمحال زمني خاص، كالصباح في: أصبح، والليل في: بات، أم متصلة مستمرة، كالكون المعبّر عنه بما زال، وما انفك، وما برح، وما فتئ، وما دام^(١).

- تبني رأيهم في أن لام الابتداء نوع من لام القسم: ويطلق الدكتور/ المخزومي عليها لام التوكيد، حيث يقول عنها: "هذه اللام يسمّيها الكوفيون: لام القسم، سواء أكانت واقعة بعد قسم ملفوظ، أم لم تكن كذلك، واعتبار الكوفيين هذه اللام لام القسم لا يبعد عن الاعتبار الذي أخذنا به في تسمية هذه اللام بلام التوكيد، وقعت في جواب قسم مذكور، أم لم تقع، لأنّ وظيفتها في كلتا الحالتين هي: التوكيد"^(٢).

- تبني رأي الكوفيين في جواز تقدّم الفاعل على الفعل، نحو: خالد ينام مبكرا، ونحو: أزيد يقوم أم عمرو؟. وتقديمه - كما يرى الدكتور/ المخزومي - لا يخرج به عن كونه فاعلا في الجملة^(٣).

- إذا تقدم في الجملة فعلان، وكان اقتضاؤهما واحدا، يكون الاسم بعدهما لهما جميعا، كأن يقتضيا الرفع نحو: يحسن ويسيء ابنك، أو النصب نحو: اشتريت وأكلت رطبا^(٤).

- استعار المؤلف كثيرا من مصطلحات النحو الكوفي في كتابه، ومن أبرزها:

١ - الأداة: وهو مصطلح أطلقه الدكتور/ المخزومي على القسم الثالث من أقسام الكلام، وهو ما كان يريده به سبيوبيه الحرف، وقد عرفها بأنّها: كلمات إذا أخذت مفردة، غير مؤلفة، فليس لها دلالة على معنى، ولا تدل على معانيها إلا في أثناء الجملة، ومن أمثلتها: (هل)^(٥).

٢ - الفعل الدائم: وهو اسم الفاعل عند النحاة القدامى، وهو عنده يحمل معنى

(١) مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٨ ، وينظر للمؤلف: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص ١٦١-١٦٨ .

(٥) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٣٧ .

ال فعل ؛ حيث يقول عنه: " هو فعل في معناه وفي استعماله ، إلا أنه يدل في أكثر استعمالاته على استمرار وقوع الحدث ودومه " ^(١) .

٣ - أداة التشريك : والمقصود بها أدوات العطف ، وقد اختار لها الدكتور / المخزومي مصطلح أدوات التشريك ؛ لأنّ أكثرها - كما يقول - لا يفيد العطف ^(٢) .

٤ - المكفي به عن المكان والزمان: وهو الظرف عند البصريين ، وقد سوّغ الدكتور / المخزومي رفضه استعمال الظرف بقوله: " وقد تخيّلنا مثل هذه التسمية ؛ لأنّها تسمية عقلية لا مجال لمثلها في البحث اللغوي " ^(٣) .

٥ - الخفض: وهو ما يعني به البصريون مصطلح: الجر ^(٤) .

ب - آراء ابن مضاء القرطبي في كتابه: (الرد على النحوة).

وما استعاره الدكتور / مهدي المخزومي في كتابه من آراء ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) ، الآتي :

١. إلغاء نظرية العامل إلغاء تاما ، ورفض العلل الثاني والثالث ، والاكتفاء بالعلل الأول.

وقد ذكر هذا في مقدمة كتابه حيث يقول: " هذا الكتاب في النحو أقدمه بين أيدي الدارسين ، مبرأً مما علق بالنحو طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته ، ولا من منهجه ، فقد ألغيت فيه فكرة العامل إلغاء تاما ، وألغي معها ما استتبع من اعتبارات عقلية لا صلة لها بالدرس النحوي ، وأبطلت جميع التعليقات التي لا تستند إلى استعمال " ^(٥) .

(١) مهدي المخزومي ، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٥) ينظر: مهدي المخزومي ، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، المقدمة ، ص ١٥ .

٢. رفض جميع أنواع التأويل، والتقدير، والإضمار في الدرس النحوی^(١).
٣. جواز تعدی الفعل إلى اسم ظاهر متقدم، وإلى ضمیره المتصل بالفعل معاً^(٢).
٤. النعت السبیي ليس من أقسام النعت، لأنه لا يشارك النعت الحقيقی في معناه، ولكن إتباع على المجاورة. وجعل حمل مثل هذا النوع على النعت تکلف وتمحک، حيث إنه ليس من النعت في شيء، كما "أن الاتفاق في الإعراب لم يقم على أساس من كونه نعتا تابعاً لما قبله؛ لأنه ليس صفة له ولكن يقام على أساس من الإتباع للمجاورة، وما تقتضيه موسيقى الكلام من انسجام في الحركات، والإتباع للمجاورة أسلوب شائع في العربية"^(٣).

ج. آراء الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه: (إحياء النحو).

١. إخراج العطف والتوكيد من باب التوابع، حيث إن التوابع عنده ثلاثة فقط هي: النعت، و عطف البيان لأنه - كما يقول - يؤدي وظيفة النعت فهو بمنزلته، وخبر المبتدأ؛ إذا كان وصفاً للمبتدأ في المعنى، أو كان كأنه هو المبتدأ في المعنى، فالخبر الذي يكون وصفاً للمبتدأ في المعنى، يرتفع لأنه وصف للمبتدأ في المعنى، ولم يرتفع لأنه معمول لعامل معنوي كالابتداء، أو لعامل لفظي، وهو المبتدأ، كما زعم هذا النحوی أو ذاك^(٤).
٢. النصب ليس أثراً لعامل، ولكن الفتحة - كما يرى - هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب لكل ما ليس داخلاً في نطاق الإسناد، أو الإضافة^(٥).

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، المقدمة ، ص ١٦ .

(٢) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص ٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٤) المصدر السابق، ص ١٩٧ . وينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البييوي، ص ٧٩ ، وعيساني، عبد المجيد، ملامح المدرسة الحديثة في النحو العربي، ص ٥٤-٥٥ .

(٥) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٧٠-٧١ . وينظر أيضاً: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتجيئه، ص ٨١-٩٩ . و زاهد، زهير غازى، الإعراب وحركاته في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٩)، الجزء (٤)، ص ٧١٥ .

د. آراء وتوجهات خاصة به.

ليس كل ما قدمه الدكتور / مهدي المخزومي في كتابه من آراء كان متأثراً فيها بمحاولات سابقة؛ بل إنّ هناك الكثير مما استحدثه الكاتب من تجاربه وخبراته العملية الشخصية الخاصة، ونظراته الثاقبة، ومن أبرزها:

١ - عنایته بالدراسة الصوتية: حيث تناول في مدخل الكتاب عدداً من الظواهر اللغوية التي انبت على أساس من تمازج الأصوات وتفاعلها أثناء الكلام ، كالإبدال والإدغام؛ ليؤكد من خلال ذلك على الصلة الوثيقة بين الدرس الصوتي، والدراسات الصرفية والنحوية^(١).

٢ - اعتدّ التشابه في المعنى لا التشابه في العمل الإعرابي أساساً في التبويب والتصنيف النحوي، ومن أمثلة ذلك: تفريقه بين أدوات العطف (الواو، والفاء، وثم) وبين (لا و بل)^(٢)، وجعله التوابع ثلاثة فقط وهي: النعت الحقيقى، والبيان، وبدل الكل^(٣)، وعليه أيضاً أخرج الاستثناء المفرغ من باب الاستثناء، وأفرد له في باب القصر^(٤).

٣ - رفضه التقسيم الثلاثي الشائع الذي اعتمدته النحاة القدامى للكلم العربي، و هو يقترح تقسيماً رباعياً جديداً يقوم على: اسم، فعل، وأداة، وكتابات: (مثل الضمائر، والإشارات، والموصلات، وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام)^(٥).

٤ - تقسيمه الفعل إلى: ماض، ومضارع، وأمر، و دائم: (وهو ما كان على وزن: فاعل)، حيث يقول عنه: "وهو الذي يسميه البصريون: اسم الفاعل، ويسميه الكوفيون: الفعل الدائم، وهو فعل حقيقة، في معناه وفي استعماله، إلا أنه يدل في أكثر استعمالاته على استمرار وقوع الحدث ودومته"^(٦).

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص ٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٦-١٩٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩-٦٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

٥ - قسم الدكتور/ المخزومي الجملة تقسيماً جديداً يدل على اجتهاده، فذهب إلى أن الجملة الفعلية هي: ما دل المسند فيها على التحديد، وهو بذلك يرى أن نحو جملة: **البدر طلع** جملة فعلية تقدم فيها المسند إليه؛ لإظهار الاهتمام به^(١)، وهو بذلك يريد أن يخلص من تقدير فاعل للفعل: **طلع**، تماشياً مع منهجه العام في رفض التأويلات، والتعليق الفلسفية.

٦ - تختلف حركات الفعل المضارع المعرّب عنده بالنظر إلى زمنه لا بتأثير العوامل، فهو يرفع إذا تجرد مما يدل على الماضي، أو المستقبل، نحو: يقوم ويقع، وينصب إذا اقترب به ما يخلص به للمستقبل، كنون التوكيد و لن وإذن، ويجزم إذا سبقه ما يخلص به للماضي، وهو: لم و لما^(٢).

٧ - عني بدراسة الجملة، بل إنه جعلها أساس الدرس النحوي، وقسمها تقسيماً جديداً، ذهب فيه إلى أن الجملة الفعلية هي ما دل فيها المسند على التحديد، أو التي يتصنف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً متعددًا، نحو: خالد قام، أو خالد يقوم، في حين أن الجملة الاسمية هي التي يكون فيها المسند دالاً على الدوام، أو بعبارة أخرى هي التي لا يكون فيها المسند فعلاً، وذلك نحو: محمد أخوه، والحديد معدن^(٣). متنقلاً تقسيم النحو للجملة على أساس لفظي محض، وما جره على الدرس النحوي من مشكلات لم يستطيعوا التخلص منها، ولم يجدوا حلًا لها إلا من خلال تكليف التأويلات والتقديرات^(٤).

٨ - تناول الدكتور، المخزومي حركات الإعراب الثلاث ودلالتها كما تناولها الأستاذ/ إبراهيم مصطفى، غير أنه كان أكثر وضوحاً وأوسع أفقاً فحركة الإعراب عنده ليست كما يتصورها النحويون القدامى: أثراً يجلبه العامل في آخر المعرّب، بل هي بيان ما للكلمة من وظيفة لغوية، أو من قيمة نحوية، ككونها مسندًا، أو مضافاً إليه، أو

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥. وينظر للمؤلف أيضاً: في النحو العربي نقد وتجهيز، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٦-٨٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٥.

فاعلاً، أو مفعولاً، أو غير ذلك، وهو في تناوله دلالة الضمة والكسرة يقارب الأستاذ/ إبراهيم مصطفى، غير أنه لا يذهب إلى أن الفتحة ليست بعلم إعراب كما ذهب الأستاذ/إبراهيم مصطفى؛ وإنما يرى أن الفتحة علم لما ليس في موضع الإسناد، ولا في موضع الإضافة. ويندرج هذا في موضوعات كثيرة كالحال، والتمييز، والمفاعيل، وغيرها ^(١).

أبرز المآخذ على الدكتور/ المخزومي في كتابه:

- ١ - يرى عدد من الباحثين أن سمات المنهج الوصفي غير واضحة عند الدكتور/ المخزومي، كما أن سمات المنهج العلمي الحديث لديه لا تكاد تختلف عما قاله النحاة المتقدمون، سواء في التعريفات أم في التقسيمات، أو حتى في التبويب وال التقسيم.
- ٢ - يتخلى الدكتور/ المخزومي في كتابه التطبيقي عن المفهوم الضيق للنحو الذي نادى به في كتابه: (في النحو العربي نقد وتجهيز)؛ وهو دراسة الجملة؛ حيث بدأ كتابه بتمهيد عن الأصوات تناول فيه ترتيب الأصوات، والظواهر الصوتية مثل: الإعلال، والإبدال والإدغام، فيحدد مواضعها، ومظاهرها في العربية.
- ٣ - أهمل الدكتور/ المخزومي المستوى الدلالي في دراسته، واقتصر درسه على المستويات الثلاثة: الصري، والصوتي، والنحو.

هذه المآخذ لا تغض من قيمة هذه المحاولة، وتميزها في ميدان التجديد النحوي، ودورها الريادي على المستوى التطبيقي، إذ إنه من القلائل الذين قدموا محاولات تطبيقية لأفكارهم النظرية حاول من خلالها إعادة النظر في كثير من الموضوعات النحوية.

(١) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص ٥٧،٨١ ، و ينظر أيضاً: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٥٨ ، و زهير غازي زاهد، الإعراب وحركاته في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٩)، الجزء (٤)، ص ٧١٥.

المبحث الثاني

محاولات تطبيقية لأغراض بحثية

قام الدكتور / ميشال زكريا بإصدار عدد من المؤلفات تناول فيها المنهج التحويلي التوليدية في المستويين النظري والتطبيقي، ومن أبرز ما تناوله على المستوى التطبيقي للنظرية هو: (الجملة البسيطة) وذلك في كتابه: **(الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة)** حيث تعد محاولته أمنوذجا في استثمار قواعد و أدوات التوليد والتحويل في تفسير بنية الجملة، وكان من أبرز القضايا التي تعرض لها الآتي^(١):

- **ترتيب عناصر الجملة:** يرى الدكتور / ميشال زكريا أن ترتيب العناصر في الجملة العربية هو ترتيب حر، وأن العالمة الإعرابية هي التي تدل على الحالات الإعرابية، إلا أنه يستدرك على هذه المقوله؛ مؤكدا أنه لا بد من توافر ضوابط لهذا الترتيب تحد من استخدام جمل لا يقبل بها منطق اللغة، مثل ما نلحظه في الجملتين الآتيتين: (الرجل التفاحة أكل) و (التفاحة الرجل أكل)، وذلك يعني - كما يقول - أن الترتيبين: (فاعل + مفعول + فعل) و (مفعول + فعل + فاعل) غير سائغين لتعارضهما مع المستوى الصوائي للغة^(٢).

- **أركان الجملة:** يرى المؤلف أن الجملة تتكون من ركنتين أساسين أحدهما: الإسناد ويكون من الفعل، وكذلك الفاعل والمفعول به والجار والمحرر؛ وهي أركان وثيقة الصلة بالفعل، والثاني: التكملة، وتتكون من عناصر لا تتصل اتصالا مباشرا بالفعل، وهذا الركن لا يمكن نقل جزء منه إلى موقع الابتداء مخلفا وراءه ضميره؛ بل يجب أن ينقل كاملا إلى ذلك الموقع^(٣).

- **في سياق استثمار القواعد التوليدية:** يلفت الباحث النظر إلى إمكانية عد: النعت (وهو مفهوم واسع لديه يشمل عددا من المستعقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة

(١) ينظر: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (١)، م ١٩٨٣، ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤١-٣٧.

المبالغة) وصفاً يشتق الفعل منها، ويعمل عمله؛ مما سيسمح بتوسيع قاعدة الركن الإسنادي ليشمل النعت، ويستند في هذا التوجه إلى أن النعت - وفق تصوره - يرد اسم فاعل، كما أنه يأخذ مفعولاً به، ويرتبط بركن التكملة، وبذلك يشبه الفعل^(١).

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت لهذه المحاولة من بعض الباحثين المحدثين^(٢)؛ إلا أن محاولة الدكتور / ميشال زكريا هذه في دراسة الجملة تظل مساهمة رائدة في تعميق دراسة النحو في ضوء منهج حديث هو المنهج التحويلي التوليدى.

كما كان للدكتور / مازن الوعر إسهام بارز، وهام في مجال درس النحو العربي على أساس المنهج التحويلي التوليدى، ففي كتابه: **(نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية)** سعى المؤلف إلى صياغة مبادئ لنظرية توليدية عربية، تتخذ تراكيب العربية ميداناً فسيحاً للتطبيق والتحليل، وقد تناول في هذه الدراسة بعض التراكيب الأساسية في اللغة العربية الفصحى، وهي^(٣):

- التراكيب الفعلية.

- التراكيب الاسمية.

- التراكيب الاستفهامية.

وذلك من خلال إطار لساني، يستمد إطاره النظري - كما يقول - من ثلاثة مصادر، وهي^(٤):

١. اللسانيات التوليدية والتحويلية للعالم اللساني الأمريكي تشومسكي (١٩٥٧م - ١٩٨١م).

٢. النظرية الدلالية التصنيفية التي وضعها العالم اللساني الأمريكي ولتر كوك (١٩٧٩م).

(١) ينظر: ميشال زكريا، **اللسانية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: الجملة البسيطة**، ص ٩٦-١٠٠.

(٢) ينظر: عطا محمد موسى، **مناهج الدرس التحوي في العالم العربي في القرن العشرين**، ص ٢٥٦-٢٥٧. وينظر كذلك: حافظ إسماعيلي علوي، **اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة**، ص ٢٧٢.

(٣) ينظر: مازن الوعر، **نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية للغة العربية**، ص ١٥-١٦. وينظر أيضاً: ص ٢٥٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٧.

٣. النظرية اللسانية العربية التي وضعها النحاة العرب المتقدمون.

وهي من المحاولات التطبيقية الرائدة، على الرغم مما أخذ عليها من عدم شمولها في مجال التطبيق، وتعلقها بمقولات النحاة العرب القدماء^(١).

كما قام الدكتور / خليل عميرة بتحليل عدد من أساليب اللغة العربية، وذلك من خلال منهج وصفي حاول فيه أن يستفيد من معطيات النحو العربي القديم، متأثراً بشكل واضح بالمنهج التحويلي التوليدية - وبخاصة فيما يتعلق بالمصطلح - بعد أن ألحق فروقات وتوضيحات على دلالات المصطلحات كما يراها هو، وكما يراها التحويليون، وأسمى محاولته: (النظرية التوليدية التحويلية المعدلة)، وذلك في كتابيه: (في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام)^(٢)، و(آراء في الضمير الغائب ولغة أكلوني البراغيث)^(٣).

ففي حديثه عن أسلوب النفي على سبيل المثال، يوضح الدكتور / خليل عميرة منهج تناوله لهذا الأسلوب، فيذكر أنه سيتحدث عن العناصر التي تفيد النفي جمّعاً؛ بعض النظر عن الحركة الإعرابية التي يقتضيها وجود العنصر، بخلاف ما هو موجود في كتب التراث النحوي القديم في التأليف حيث تكون عناصر النفي منتشرة في أبواب مختلفة بسبب قيام دراستهم على نظرية العامل النحوي، وأن الاهتمام بهذه الحركة سيتّم في الإطار الذي يحقق سلامة المبني مع أن قيمتها الدلالية ليست كبيرة هنا^(٤) وبذلك يتم التحليل في ظل الحرص على تحقيق المعنى المقصود وسلامة مبناه.

(١) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٨٧، وينظر أيضاً، عميرة، حليمة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء في ضوء المناهج المعاصرة دراسة تحليلية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة (١)، ٢٠٠٦م، ص ٦٥.

(٢) ينظر: عميرة، خليل أَحْمَد، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، الطبعة (١)، ١٩٨٧م.

(٣) ينظر: عميرة، خليل أَحْمَد، آراء في الضمير الغائب ولغة أكلوني البراغيث، دار البشير، عمان، الطبعة (١)، ١٩٨٩م.

(٤) ينظر: خليل عميرة، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، ص ١٥٤، وينظر كذلك: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٩١.

ثم بعد ذلك يكشف الدكتور / خليل عمارة بأنه سيجمع عناصر النفي في إطار واحد ذي شقين، الشق الأول: يضم عناصر النفي التي تدخل على الجملة التحويلية الاسمية وهي، ليس، و ما، ولا، و لات، و إن ، أما الشق الثاني: فيضم عناصر النفي التي تدخل على الجملة التوليدية الفعلية وهي: لا النافية، ولا النافية، وكلا، ولن، وما، و لم، و لن^(١).

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة ينقصها الموازنة بين ما تم من تناوله من عناصر، وبين ما قدمه تشومسكي فيها؛ إذ يقتضي الموقف أن يشار إلى كل عنصر والجديد الذي طرأ عليه؛ ليتضح التعديل الذي أجراه الدكتور / خليل عمارة على النظرية التوليدية التحويلية، إلا أنّ هذا الأمر لا يقلل من الجهد الذي قام به الباحث في مجال الدراسات اللغوية الحديثة بعامة، وفي التطبيق عليها بشكل خاص، كما يحسب له - كما يقول الدكتور / عطا محمد موسى - أنه "أحد أكثر الناس التزاماً بالتحديث في إطار النحو العربي، فلم يحاول - كغيره - لي ذراع العربية لتساير معطيات الدرس اللغوي الحديث، ويعد من أسهموا إسهاماً جاداً في ربط الدرس اللغوي القديم بالحديث دون قسر أو عنـت، كما أن تناوله يتسم بالبساطة والواقعية"^(٢).

إذا كان الدكتور / تمام حسان في كتابه: (اللغة العربية مبنها و معناها) قد اقترح نظرية: (تضافر القراءن النحوية) بوصفها بديلاً عن نظرية العامل في النحو العربي؛ ومؤكداً أنّ هذه النظرية هي السبيل للكشف عن المعنى النحوـي، لا العامل النحوـي الذي لا يفسـر إلا قرينة واحدة هي العـلامة الإـعـرـاـيـة، وهي - كما يرى - قاصرة عن تفسـير الظواهر النـحوـيـة وـالـعـلـاقـاتـ السـيـاقـيـةـ، فإنـ كتابـهـ: (الـبـيـانـ فـيـ روـائـ الـقـرـآنـ درـاسـةـ لـغـوـيـةـ وـأـسـلـوـبـيـةـ لـلـنـصـ القرـآنـيـ)ـ. يـعدـ تـطـيـقاـ مـيـزاـ لـآـرـائـهـ الـلـغـوـيـةـ، وـنـظـرـيـاتـهـ الـتـيـ ذـكـرـهـاـ فـيـ كـتـبـهـ السـابـقـةـ، وـخـاصـةـ (ـنـظـرـيـةـ تـضـافـرـ القرـاءـنـ)ـ. فـفـيـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ الـذـيـ عـنـونـهـ بـهـ: درـاسـاتـ لـغـوـيـةـ منـ خـالـلـ القرـاءـنـ قـسـمـ الدـكـتـورـ /ـ تمامـ حـسانـ مـبـاـحـهـ إـلـىـ ثـمـانـيـةـ فـصـولـ وـهـيـ^(٣)ـ:

- الفصل الأول: قرينة البنية في التركيب القرآني.

(١) ينظر: خليل عمارة، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوـيـ في العـالـمـ الـعـرـاـيـةـ فيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ، ص ٢٩٢.

(٣) ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (١)، ١٩٩٣م، ص ١٢.

الفصل الثاني: النمط التركيبي القرآني. -
 الفصل الثالث: قرينة الرتبة في التركيب القرآني. -
 الفصل الرابع: قرينة الربط في التركيب القرآني. -
 الفصل الخامس: قرينة التضام في التركيب القرآني. -
 الفصل السادس: الإعراب في التركيب القرآني. -
 الفصل السابع: قرينة السياق في التركيب القرآني. -
 الفصل الثامن: الرخصة في التركيب القرآني: وفيه ذكر القرائن النحوية مرتبة متواالية، وتحت كل قرينة منها شواهد ترخص القرآن في هذه القرينة.
 وأما في القسم الثاني الذي أسماه: دراسات أسلوبية، فقد قسم أيضا مباحثه إلى ثمانية فصول، وهي:

- الفصل الأول: القيم الصوتية في القرآن الكريم وأثرها على المعنى (الإيقاع - الفاصلة - الحكاية - المناسبة الصوتية - حسن التأليف).
- الفصل الثاني: ألفاظ وعبارات مختارة.
- الفصل الثالث: الأسلوب العدوي أو المؤشرات الأسلوبية.
- الفصل الرابع: إباء اللبس.
- الفصل الخامس: أسلوب الدعوة في القرآن الكريم.
- الفصل السادس: من المقاديد الأسلوبية في القرآن الكريم.
- الفصل السابع: قصة يوسف كما تعرضها السورة.
- الفصل الثامن: الهيكل البنوي لبعض سور القرآن الكريم.

لقد تناول الدكتور / تمام حسان في هذا الكتاب القرائن النحوية من خلال النص القرآني، ثم ما يكون من الترخص في إحدى هذه القرائن التي عند أمن اللبس؛ ليكون تطبيقاً أميناً لأفكاره النظرية التي نادى بها في مؤلفاته.

ومن أبرز الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه محاولة الدكتور / محمد علي الخولي، في كتابه: (قواعد تحويلية للغة العربية). وسوف أستعرضها فيما يأتي بشيء من التفصيل.

- محاولة محمد علي الخولي في كتابه: (قواعد تحويلية للغة العربية).

كان من بين المحاولات التطبيقية التي استهدفت إعادة وصف النحو العربي، وتفسير ظواهره على أساس القواعد التوليدية التحويلية ما أنجزه الدكتور / محمد علي الخولي في كتابه: (قواعد تحويلية للغة العربية)، والتي استخدم فيها فرضية اللغوي الأمريكي تشارلز فيلمور التي قام بتطويرها عن نظرية نعوم تشومسكي في نهاية السبعينيات، وعرفت باسم: (قواعد الحالة الإعرابية)^(١)، حيث يرى الدكتور / الخولي أنها الأكثر ملاءمة لدراسة التراكيب في اللغة العربية؛ إذ تبين له أن هذه الفرضية المطورة توافر فيها مزايا البساطة والعلمية^(٢).

ويظهر الفرق بين فرضية فيلمور، و توجه تشومسكي أنّ البنية العميقّة عند تشومسكي -

في مرحلة ما قبل ١٩٧٠ م - لا تستطيع ضبط الفروق الدلالية في بعض العبارات نحو:

- فتح محمد الباب.
- فتح المفتاح الباب.
- انفتح الباب على يدي محمد.

ففي الجملة الأولى الفاعل الظاهري هو: (محمد)، ولكنه في الثانية: (المفتاح)، في حين أن الفاعل في الجملة الثالثة هو: (الباب)، أي أن نموذج تشومسكي اعتدّ (محمد، المفتاح، الباب) فاعلين في البنية العميقّة، إلا أن العلاقة الحقيقية بين هذه الأسماء الثلاثة بالفعل، تختلف من كل جملة إلى الأخرى، ففي الجملة الأولى نرى أن محمدا هو الفاعل الحقيقي، وفي الجملة الثانية: المفتاح هو الأداة التي فتح بها الباب، أما في الجملة الثالثة فإن الباب هو الذي وقع عليه الحدث بالفعل. ويرى فيلمور أن الأشكال الخارجية للجمل (البنية التركيبية) لم تؤثر على العلاقات المعنوية بين الأسماء الثلاثة المختلفة، فالأمر الجدير بالاهتمام - كما يرى - هو

(١) لا يعني فيلمور بالحالة (الإعرابية) المفهوم القديم للتعبير الذي يشير إلى ما يطرأ على الاسم من التغيرات الصرفية عند وقوعه فاعلاً أو مفعولاً به، بل هو يقصد مجموعة المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار بعض الأحكام المختلفة عما يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما، ومن يقع عليه حدث ما، وما الذي حدث ومتى وقع ذلك الحدث وأين... إلخ. (ينظر: نايف خرما، أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٥٠).

(٢) ينظر: الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة (١)، ١٩٨١ م، ص ٦٢.

العلاقات المعنوية الأساسية في الجملة (البنية الدلالية)؛ ولذلك يجب أن تصبح هذه العلاقات هي النقطة المركزية التي يجب أن يعالجها التحليل اللغوي ، ويحاول تفسيرها^(١).

ومن التعديلات التي أدخلها فيلمور-أيضا- على نظرية تشومسكي ما يتعلق بالجار والمحرر، ففي حين فرق تشومسكي بين العبارة الاسمية والجار والمحرر؛ أثبت فيلمور أن جميع العبارات الاسمية، هي أساسا جار ومحرر على مستوى التركيب الباطني (في مستوى التركيب العميق)^(٢).

يضاف إلى ذلك فإن تطوير فيلمور على نظرية تشومسكي لم يقتصر على البعد الدلالي للتركيب، بل تجاوزه إلى البعد الدلالي للتركيب، فذهب إلى أن الكلمات المتراوحة في دلالتها السطحية تمتلك في واقع الحال دلالات عميقة، فكلمتنا: الغيث والمطر على سبيل المثال كلمتان متراوحتان من حيث الدلالة السطحية، ولكن لكل منهما دلالة عميقة^(٣).

- قوانين فيلمور الخمسة التي اعتمدتها الخولي مع تعديلاته عليها.

أورد الدكتور / الخولي القوانين الأساسية للفرضية التي تشرح العلاقات بين التركيب اللغوية؛ وكانت خمسة قوانين على النحو الآتي^(٤):

القانون الأساسي الأول: الجملة ————— \leftarrow مشروطية + مساعد (فعل مساعد) + جوهر.

حيث إنَّ السهم هنا يعني أن الجملة تساوى، أو تعوض بما يتبع على الجانب الأيسر من السهم.

القانون الأساسي الثاني: المشروطية ————— \leftarrow الروابط الخارجية وهي الكلمات التي تربط بين الجملة والجملة السابقة، مثل: لهذا، وبناء على ذلك، وبالرغم من ذلك، وكذلك

(١) ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٥١-٢٥٠، وينظر أيضا: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٤٣، وحليمة عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص ٥٨.

(٢) ينظر: محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٦٩. وينظر أيضا: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ٥٦٢.

(٤) ينظر: محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٦١-٦٢، ٧١-٧٢، ١١٣-١١٥.

ظروف الزمان، و أدوات الاستفهام، و أدوات النفي. أما المساعد فليس موجودا في القواعد العربية التقليدية؛ لكنه موجود في قواعد اللغة الإنجليزية.

ويمكن استخدام عنصر أو أكثر من عناصر هذا القانون في الجملة، كما أن ضم هذه العناصر إلى الجملة أمر اختياري.

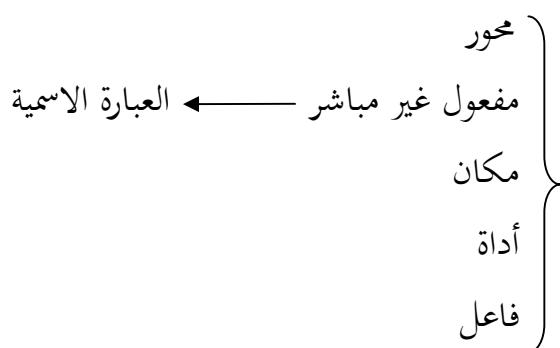
القانون الأساسي الثالث: الجوهر ————— \leftarrow فعل + محور + (مفعول به غير مباشر) + (مكان) + (أداة) + (فاعل).

حيث (المحور) في هذا القانون هي الكلمة محور التركيز في الجملة، والمفعول به غير المباشر يشير إلى ما يماثل المفعول به الأول في اللغة العربية، والمكان يشير إلى مكان وقوع الفعل، ويقصد به ظرف المكان في العربية، والأداة تشير إلى الأداة التي يتم بها حدوث الفعل، نحو: كتبت بالقلم، أما الفاعل فلا يقصد به الفاعل النحوي الظاهري، بل الفاعل الحقيقي أي المنفذ؛ فإذا قلنا: (فتح المفتاح الباب)، فلا يكون (المفتاح) فاعلا هنا بمعنى الفاعل المقصود حسب دلالة الاصطلاح، بل هو الأداة، أما الفاعل الحقيقي فهو الشخص الذي قام باستعمال المفتاح، وهو ليس مذكورة في هذه الجملة^(١).

وقد أجرى الدكتور / الخولي على الجوهر تعديلا ليصبح:

الجوهر ————— \leftarrow عبارة فعلية + (محور) + (مفعول غير مباشر) + (مكان) + (أداة) + (فاعل).

القانون الأساسي الرابع:



والقوسان الحاصلان هنا يدلان على أن أي عنصر داخلهما يجري تعويضه بالعبارة الاسمية، والسهم يدل على التعويض، والعبارة الاسمية: هي العبارة التي تتكون من اسم و توابعه،

(١) ينظر: محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٦٤.

وستوضح في القانون الخامس.

القانون الأساسي الخامس: العبارة الاسمية ————— \leftarrow حرف جر + (معرف) + جملة + اسم.

حيث المعرف من أمثلته (أول) التعريف، وضمائر الإضافة في مثل (كتابي، كتابك)، ولا بد أن تحتوي العبارة الاسمية في التركيب الأساسي (أي التركيب العميق) على عنصرين هما: الجار والاسم.

وقد عدل الدكتور/ الخولي قانون العبارة الاسمية السابق بأن قدم الاسم على الجملة، فأصبح القانون:

العبارة الاسمية ————— \leftarrow حرف جر + معرف + اسم + جملة

وعلى هذا فإن جملة مثل: في البيت طفل يلعب (كما هو في قانون فيلمور)، تصبح: في البيت يلعب طفل، على القانون المعدل^(١).
- القوانين المفرداتية.

حدد الدكتور/ محمد الخولي للمفردات قوانين معينة، سواء منها ما كان أسماء، أو أفعالا، أو حروف، أو أدوات أسمها: (القوانين المفرداتية)، وهي تشمل كل المعلومات الترتيبية، والمعلومات الصوتية التي تطلبها القواعد الخاصة بكل مفردة، حيث يرى أن تطبيق هذه القوانين يكمل المعنى الذي بدأ اختياره في القوانين الأساسية، حيث إن القوانين الأساسية - كما يقول - تزودنا بالأنموذج العام والأولي المراد صياغة الجملة على أساسه، ثم تأتي القوانين المفرداتية لتجعل الأنموذج العام أكثر تخصيصا. فعلى سبيل المثال، فقد تختار بموجب القوانين الأساسية جملة تحتوي على مساعد، وعبارة فعلية، وفاعل، وأداة، غير أن القوانين الأساسية لا تزود بالمعلومات المحددة عن الكلمات التي ستحل محل هذه العناصر، هنا يكون دور القوانين المفرداتية، لتزويينا بالكلمات المناسبة لهذه العناصر، مثل: يكتب، الولد، بالقلم^(٢).

ويؤكد الدكتور/ الخولي أنّ هذا ليس قصورا من القوانين الأساسية "ذلك بأنّ هذه القوانين يجب أن تكون عامة وعريضة بحيث تتناول الطبيعة الأساسية لتركيب اللغة على مستواها

(١) ينظر: محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٣-٨٤.

الباطني. كما إن هذه الملامح (features) لا يمكن أن تتعرض لها القوانين التحويلية؛ لأن مهمة هذه القوانين هي التحويل فقط من التركيب الباطني إلى التركيب السطحي أو الظاهري؛ وهكذا فإن المكان الملائم الوحيد مثل هذه الملامح هو القوانين المفرداتية^(١). فهذه القوانين هي التي تمنع أن تنتج جملة مثل: (البيت كتب درسه)؛ لأن القوانين المفرداتية تنص على أن (كتب) لها فاعل له صفة إنسانية، وأن (البيت) ليس له هذه الصفة^(٢).

ومعظم المعلومات التي تقدمها قوانين المفردات تأتي على صورة خواص موجبة (+) بمعنى أن العنصر يحمل السمة المسبوقة بالإشارة مثل: (+ إنسان)، أو سالبة (-) بمعنى أن العنصر لا يحمل السمة المسبوقة بالإشارة مثل: (- إنسان)^(٣).

- القوانين التحويلية.

بعد أن تناول الباحث القوانين الأساسية والقوانين المفرداتية، تناول القوانين التحويلية التي بها يتم نقل الجملة من البنية العميقية إلى البنية السطحية، وقد صاغ ستة وثلاثين قانونا تحويليا لتوليد تركيب ظاهري محسوسة من تركيب عميق مجرد، طبقها على عينة مختارة مكونة من اثنين وخمسين جملة تمثل أبوابا متنوعة في العربية، بحيث تمثل العربية تمثيلا جيدا للأنماط الرئيسية في اللغة العربية، كما تعمد الباحث استبعاد التراكيب نادرة الاستعمال من مثل: الاختصاص، والاشغال، والتنازع، والاستغاثة، والنديبة، والترحيم، واسم الفعل، والاكتفاء قي هذه المرحلة بتناول التراكيب اللغوية الأكثر شيوعا وأهمية^(٤). مشددا على أن الهدف الرئيسي من هذه المحاولة "ليس تكوين قواعد تحويلية كاملة للغة العربية، بل إن الهدف الرئيسي هو بالدرجة الأولى نقض غبار السنين عن اللغة العربية وفتح باب الاجتهد اللغوي، وإدخال اللغة العربية معركة علم اللغة الحديث، وإعطاء مثال لما يمكن أن تؤدي إليه محاولة من محاولات التجديد النحوي"^(٥).

(١) محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق ، ص ٨٤.

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٦ - ٥٧.

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٦.

وفيما يلي عرض لنماذج مختارة من هذه القوانين التحويلية عند الدكتور / الخولي^(١):

- **القانون التحويلي الخامس: [إجباري]^(٢)**: قانون تقسم الفاعل أو المخور.

وهذا القانون يضع الفاعل أو المخور قبل العبارة الفعلية؛ إذا كانت العبارة ليست فعلا.

والوصف التركيبي لهذا القانون هو: مساعد + فعلية + مخور.

وبعد التغيير التركيبي يصبح القانون: مساعد + فاعل + فعلية.

المثال: يكون + ضحوك + الولد ← يكون + الولد + ضحوك.

ويشترط الدكتور / الخولي لتقسم الفاعل هنا ألا يكون المركب الفعلي فعلا (- فعل)،

بل مما يعمل عمله.

- **القانون السادس: [إجباري]**، قانون نسخ المكان.

وهذا القانون ينسخ (أي يكرر) ظرف المكان، ويوضع هذه النسخة الجديدة في مقدمة

الجملة؛ عندما يكون المخور (- معرفة) - أي ليس بمعرفة - ذلك أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة

في اللغة العربية عادة.

الوصف التركيبي لهذا القانون هو: مخور + مكان.

بعد التغيير التركيبي يصبح: مكان + مخور + مكان.

المثال: كتاب + على الطاولة. ← على الطاولة + كتاب + على الطاولة.*

ويؤكد الدكتور / الخولي أن منتوج هذا التحويل مؤقت: أي ليس نهائيا؛ إذ لابد من تطبيق

قوانين تحويلية أخرى عليه قبل أن يصبح نهائيا، وتدل الإشارة (*) على وضع المتنож المؤقت.

كما يشير الباحث هنا إلى أنه إذا كان المخور (+ معرفة)؛ فإن هذا التحويل يصبح حينها

اختياريا؛ لأن اللغة تجيز أن نقول: (الكتاب على الطاولة)، كما تجيز أيضا أن نقول: (على

الطاولة الكتاب).

- **القانون التحويلي السابع عشر: [إجباري]**، قانون التحويل الانعكاسي.

وقد سمي هذا القانون انعكاسيا؛ لأنه يحول الاسم الثاني إلى اسم منعكس (نفس

(١) ينظر: محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ١١١-١٧٥.

(٢) يوصف كل قانون بأنه (إجباري) إذا كان تطبيق ذلك القانون إلزاميا على كل جملة يتتوفر فيها الوصف التركيبي.

ومستقاتها)، إذا كان الاسم الثاني تكراراً لاسم آخر في الجملة نفسها، ويطلب هذا أن يكون الفعل فيه متعدياً.

الوصف الترکيبي لهذا القانون هو:

فعل + اسم ١ + اسم ٢ (الإهانة للشخص نفسه).

وبعد التحويل يصبح القانون: فعل + اسم ١ + نفس.

و المثال هنا : رأى + الولد + الولد. ← رأى + الولد نفسه.

⁽¹⁰⁾ - القانون التحويلي الحادي والعشرون: [اختياري]، قانون تحويل التوكيد.

ويبيّن هذا القانون طريقة إدخال التوكيد على الفعل، أو الاسم، أو الجملة.

الوصف التكعيبي:

س ، فعل
س ، اسم
جملة

ومن أمثلته:

١ - الولد مشي + توکید ← الولد مشي + مشيا.

مشی الولد + توكید - ۲

مشي الولد + الولد ←

مشی الولد نفسه ←

أو ← مشي الولد + الولد

٣ - توكيد + الولد مجتهد

إنّ الولد مجتهد أو ← الولد مجتهد + الولد مجتهد. ←

وقد اعترف المؤلف في نهاية البحث بمدى الصعوبة التي يواجهها دارس القوانيين التحويلية، كما أكد على أن إدخال القواعد التحويلية للغة العربية إلى قاعات الدرس في المراحل المختلفة

(١) أي يجوز تطبيقه وعدم تطبيقه، بمعنى: ليس إجباريا.

لا يعني إحلالها محل القواعد التقليدية؛ وإنما المهدى من ذلك "أن توافق كل منها الأخرى؛ فليست القواعد التحويلية بديلاً عن القواعد التقليدية؛ وإنما مكملة لها"^(١).

ويبدى الدكتور/ الخولي في نهاية هذه الدراسة بعض التحفظات على القوانيين التحويلية التي رسمها في البحث، مبيناً أنها ليست شاملة جامعاً "إذ إن هذه القوانيين تستطيع أن تفسر العديد من جمل اللغة العربية، ولكن ليس بالضرورة جميع جمل العربية"^(٢)، كما أن هذه القوانيين لا تعنى تغيير اللغة ذاتها، "فاللغة هي هي لا تغير، سواء أوضعنا لها قواعد تحويلية، أم تقليدية، إن ما يتغير هو وصف اللغة؛ وليس اللغة ذاتها"^(٣).

المآخذ على هذه المحاولة:

لقد حاول الدكتور/ محمد الخولي في هذه المحاولة التطبيقية الجادة الاستفادة من نظرية تشومسكي، ومن التعديل الذي أجراه فيلمور عليها غير أن هناك بعض الملاحظ المتعلقة بالتطبيق، وطريقة التناول ومنها ما يأتي^(٤):

- ١ - هناك كثرة واضحة في القوانيين التي استعملها الدكتور/ الخولي إلى درجة يشعر بها القارئ - كما تقول الدكتورة/ حليمة عمایرہ -: "أنه أمام قواعد رياضية صارمة"^(٥)، وهذا الأمر يخالف ما يحكيه في بداية البحث من أن ما يميز فرضية فيلمور: البساطة.
- ٢ - يؤخذ على الدكتور/ محمد الخولي أنه يذهب إلى أن القوانيين المعجمية هي التي تزودنا بصفات الأسماء المستعملة، مع أن الأولى أن تستخلص هذه القوانيين من واقع الاستعمال اللغوي.
- ٣ - اعتدّ الدكتور/ الخولي الجملة التي يتقدم فيها المفعول به على الفاعل جملة أساسية، وذلك

(١) محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص ٢١٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٤) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس التحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص ٢٤٨ - ٢٤٩، وينظر أيضاً: حليمة عمایرہ، الاتجاهات التحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص ٦٠ - ٦١.

(٥) حليمة عمایرہ، الاتجاهات التحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص ٦١.

نحو: (كتب الولد رسالة)، (كتب رسالة الولد)؛ بينما هي جملة محولة عنها. حيث إنّ هذا التقدّم لا يتم إلا في البنية السطحية، وبفعل قانون تحويلي معين، كما أنّ البنية العميقّة للتراكيب العربيّة – عند معظم الباحثين – هي من نمط: فعل + فاعل + مفعول .

٤ - جاءت بعض مصطلحات الباحث غير دقيقة، أو غير موحية، من ذلك استخدامه لمصطلح: (المشروطية)، الذي لا يوحّي للقارئ بدلاته على ظروف الزمان، والروابط الخارجية، وأدوات الاستفهام، والنفي، والتوكيد.

٥ - الباحث استبعد عدداً من أبواب النحو العربي، مما أفقد هذه المحاولة سمة الشمول؛ حيث إنّ هذه الموضوعات يمكن أن تشمل على عدد من مظاهر التحويل بما لها من سمات خاصة.

وبعد، لقد استطاع الدكتور/ الخولي من خلال تخيّلاته هذه أن يكيّف الكثير من قواعد فرضية فيلمور مع معطيات اللغة العربيّة، غير أنه من الصعب – كما يقول الدكتور/ حافظ إسماعيلي علوي – تعميم ما قدمه على كل معطيات لغة الضاد^(١)، وهو ما أقرّ به الباحث في كتابه.

(١) ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص ٢٧٤.

خاتمة

استعرض هذا البحث في بابه الأول مأخذ الباحثين المحدثين على النظرية النحوية القديمة، وتبعها في مؤلفاتهم، كما أنه تناول في الباب الثاني منه عدداً من الدراسات والبحوث النظرية والتطبيقية التي حاول من خلالها عدد من الباحثين سد بعض الشغفات، ومعالجة أوجه القصور والنقص التي يرونها في النظرية النحوية القديمة، أو تجاوزها تماماً، واقتراح نظرية بديلة لها، وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، ومنها:

- أن النحو العربي القديم ينطلق من نظرية دقيقة في أصولها وعمقها في مفاهيمها، ومتماضكة في بنائها، وقابلة للتطبيق في دراسة التراكيب اللغوية، ومتسقة مع أهدافها؛ ولن يست Amesاجا من الأفكار غير المناسبة، يأتي بعضها من المنطق، وبعضها الآخر من الميتافيزيقيا، وبعض ثالث من الأساطير؛ كما يقول الدكتور / تمام حسان^(١)، وهي كغيرها من النظريات قابلة كذلك للمراجعة، والتعديل، والإضافة.
- أن عملية المراجعة والتقويم للتراث النحوي العربي، في مراحله المتعددة، أولوية من أولويات الدرس النحوي، وهي كذلك مطلب ثقافي حضاري، وشرط من شروط نهضة الأمة، وهي كذلك عمل يتطلب الكثير من الجهد، والعمل المنهجي المنظم، مع عدم إغفال أي منجز في هذا الموضوع.
- أن نقد النظرية النحوية العربية القديمة عند المحدثين اكتسب أهمية خاصة؛ لأنه كان مقدمة منهجية للسانيات العربية الحديثة، ومسوغة لشرعية وجودها، أو كما قال الدكتور / عبد الرحمن أيوب: "تمهيد ضروري لثورة عقلية لابد من نضوجها"^(٢).
- أن كثيراً من المأخذ التي تناولها الباحثون المحدثون، والآراء التي تبنوها في مؤلفاتهم؛ لم تكن في كثير منها إلا صدى لمراجعات قديمة، ودعوات إصلاحية نادى بها عدد من النحاة والعلماء المتقدمين - وبخاصة الأندلسيون - ويمكن للباحث تتبعها وتلمس خيوطها

(١) ينظر تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ٤.

(٢) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مقدمة المؤلف، ص، و.

عند: ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، وابن رشد (ت ٩٥٥ هـ)، وابن مضاء القرطبي (ت ٩٥٩ هـ)، وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، وغيرهم.

- لقد كانت الحملات النقدية التي شنت على النحو العربي - بعض النظر عن طبيعتها وأهدافها - دافعاً قوياً في توجيه الدراسات التحوية المعاصرة، واستثمار النظريات الغربية الحديثة في إعادة وصف اللغة العربية، وتفسير ظواهرها.

- تعددت مواقف الباحثين المحدثين من الموروث النحوي القديم، وكان حصيلة ذلك - في نظري - ثلاثة اتجاهات: اتجاه استحسن التراث النحوي العربي القديم، وسلم بما جاء فيه جملة وتفصيلاً، ودافع عنه بكل قوته، وربما نسب له الأسبقية والتفوق في كل منجز لساني الحديث، واتجاه آخر حديثي إقصائي نقد هذا التراث إلى حد الاستهجان أحياناً، ودعا إلى تجاوزه وربما نبذه، واتجاه ثالث توفيقي، حاول أصحابه التوفيق والمصالحة بين النظرية اللغوية القديمة، والبحث اللساني الحديث.

- تعددت أماكن المحاولات وبيئتها في أنحاء العالم العربي، وتتنوعت أهدافها، ومنطلقاتها، غير أنها اتفقت على ضرورة إعادة دراسة التراث النحوي العربي، وعكست إيمانهم بضرورة التجديد في النحو العربي، وحتميته.

- يمكن حصر منطلقات المحاولات التجديد والإصلاح في النحو العربي عند الباحثين المحدثين في ثلاثة أسباب رئيسة؛ وهي:

- ١ - صعوبة الدرس النحوي واستغلاقه، ونفور الدارسين منه.
- ٢ - ظهور آراء ابن مضاء القرطبي (ت ٩٥٢ هـ)، بعد أن نشر الدكتور / شوقي ضيف كتاب: (الرد على النحاة).
- ٣ - الاطلاع على الدراسات اللغوية الغربية الحديثة، وما فيها من مناهج وصفت بالعلمية.

- أن دعوة المنهج الوصفي قاموا بأول دراسة لتفكير اللغوي العربي القديم تقوم على أصول نظرية وعلمية، وإن افتقدت في كثير منها الحديث عن الإطار النظري الذي تعتمده، كما أن بعضهم قدم مقتراحات بديلة، غير أن كثيراً من تحليلاً لهم ظلت تدور في فلك النظرية اللغوية القديمة.

- انطلقت مراجعات الباحثين الوصفيين ومعالجاتهم للقضايا النحوية في التراث العربي من

زاوية وصفية مادية تجريبية تقوم على الملاحظة دون غيرها، وترفض كثيراً من الجوانب التفسيرية التي قامت عليها النظرية النحوية القديمة؛ والتي هي - في نظري - أهم مركبات الفكر النحوي العربي.

- أسممت النظرية التوليدية التحويلية في صورتها العقلانية الفلسفية بشكل كبير في بلورة نظرة معايرة للنحو العربي، وأعادت له جوهره الفكري، ظهرت بعد ذلك المقارنات لاعتقاد راسخ عند كثير من الباحثين بالتشابه بين النموذجين، وقامت دراسات تحاول أن تتلمس مظاهر توليدية وتحويلية في جملة من عناصر النظرية النحوية التراثية مثل: قضية العمل، والرتبة، والمحذف، والأصلية والفرعية وغيرها.

- حاول الاتجاه الوظيفي تجاوز الصراع - إن حازت التسمية - بين التراث النحوي واللسانيات الحديثة، غير أن بعض الباحثين يرون أن المنحى الوظيفي لا يضيف جديداً إلى تحليلات النحاة القدماء، وبالتالي لا يمكن أن يكون بديلاً للنظرية النحوية القديمة.

- أن التخلص من وهم التعارض والتضاد بين النحو العربي القديم، و النظريات اللسانية الحديثة أولوية هامة في الدرس اللغوي الحديث فلكل منهما خصوصيته المعرفية وأبعاده وظروفه الخاصة به، وإذا تحقق ذلك فإن هذه النظريات اللسانية يمكن أن تسهم بشكل كبير في تطوير الدرس النحوي، وبالتالي فهي لا تقوض النظرية النحوية القديمة؛ وإنما تتكامل معها.

- أن المعطيات - وبعد مرور أكثر من نصف قرن - كانت تنبئ بانفجار في البحث اللساني العربي، لكن ما حصل في الواقع كان مخالفًا تماماً لكل التوقعات؛ حيث ظلت اللسانيات العربية تعاني من إشكالات كثيرة، تحتاج إلى وقفة تأمل ومراجعة لتلك الإشكالات.

- أن فشل محاولات التيسير، أو التعديل في النظرية النحوية القديمة، ومعاناة اللسانيات العربية الحديثة، أو تباطؤ وتأخرها، وتجاهل النظريات الحديثة من قبل كثير من الباحثين، يعود - في نظري - إلى أسباب متعددة، ومن أبرزها:

١ - قوة النظرية النحوية القديمة، وتماسكها، وقابليتها للتطبيق.

٢ - منزلة النحو العربي القديم في الثقافة العربية، نظراً لربط نشأته بخصوص القرآن الكريم من اللحن.

٣ - أنّ منشأ الدراسات اللسانية الحديثة في الغرب جعلها - عند بعض الباحثين - في موضع الريبة؛ وذلك بربطها بأهداف تغريبية واستعمارية؛ ما يحتم في نظرهم رفضها؛ بحجة الخوف على اللغة العربية.

٤ - يعيّب بعض الباحثين على النظرية التوليدية التحويلية تعدد نماذجها، وإغراقها في التجريد، وانشغالها بالعلامات والرموز الرياضية المفسرة؛ ما يشكك - في نظرهم - بجدواها.

هذه هي أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

- الإستراباذى ، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، ١٩٧٣ م .
- الإستراباذى ، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق وضبط: محمد نور الحسن، محمد الزفاف، محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الأسعد، عبد الكريم، بين النحو والمنطق وعلوم الشريعة، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر ط (١) ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- إسماعيل، عبد الله أحمد خليل، إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخلوي - البيضاء، منشورات جامعة عمر المختار، ط (١)، ١٩٩٤ م .
- الأشموني، نور الدين أبو الحسن على بن محمد ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط (٣) ١٩٧٥ م .
- الأعسم، عبد الأمير، المصطلح الفلسفى عند العرب، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩ م .
- الأفغاني، سعيد ، من تاريخ النحو العربي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٧٨ م .
- الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ١٩٩٤ م .
- إلياس، مني، القياس في النحو، دار الفكر، دمشق، ط (١) ١٩٨٥ هـ .
- أمين، أحمد، ضحي الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة (٧) د.ت .
- أمين، محمد شوقي، قول في الإعراب، القاهرة، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٧، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، أسرار العربية، عني بتحقيقه: محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٥٧ م .
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، الإغراب في جدل الإعراب وللمع الأدلة في أصول النحو، قدم لهما وعني بتحقيقهما: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة

السورية، ١٩٧٥ م.

- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تعليق وشرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، الطبعة (٤)، ١٩٦١ م.
- الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٩٩٨ م.
- الأندلسي، أبو حيان ، البحر الخيط، بعنایة الشیخ: عرفات حسونه، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٢ م.
- الأندلسي، أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ت: مصطفى أحمد النمس، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ١٩٩٧ م،
- الأندلسي، أبو حيان، تذكرة النحاة، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط (١)، ١٩٨٦ م.
- الأنصاري، أحمد مكي ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م.
- الأنصاري، أحمد مكي ، الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، دار المعارف، مصر، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.
- الأنصاري، أحمد مكي ، سيميويه القراءات دراسة تحليلية معيارية ، دار المعارف، مصر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢ م.
- الأنصاري، أحمد مكي ، نظرية النحو القرآني في نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية. دار القبلة ط (١٤٠٥هـ).
- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط (٧)، ١٩٨٥ م.
- آيدن، فريد الدين، الأزمنة في اللغة العربية، دار العبر للطباعة والنشر، إسطنبول، ١٩٩٧ م.
- أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، الكويت، مؤسسة الصباح - د.ت.

- بارتسيت، بريجيه، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م.
- بحيري، سعيد، نظريّة التبعيّة في التحليل النحوّي، مكتبة الحاخجي، القاهرة ١٩٨٨ م.
- بحيري، سعيد، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة (١)، ١٩٨٩ م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر: تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- بدري، كمال إبراهيم، الزمن في النحو العربي، الرياض، دار أمية للنشر والتوزيع، ط (١) ١٤٠٤ هـ.
- البدري، نعيم سلمان، صناعة الشاهد الشعري عند ابن مالك الأندلسي، دار ينابيع، دمشق، ط (١)، ٢٠١٠ م.
- براجشتراسر، ج، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه: رمضان عبد التواب، مكتبة الحاخجي، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- برانق، محمد أحمد، النحو المنهجي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط (٢)، ١٩٥٩ م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الحليم النحار، دار المعارف، القاهرة، الطبعة (٤) د.ت.
- بسندى، خالد، تعدد المصطلح وتداخله قراءة في التراث اللغوي، بحث منشور في مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد ٩٨، حزيران ٢٠٠٥ م.
- بشر، كمال، دراسات في اللغة العربية قسم (٢)، دار المعارف، مصر، ط (٢)، ١٩٧١ م.
- بشر، كمال، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط (٩)، ١٩٨٦ م.
- البطليوسى، عبدالله بن السيد، إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، ت:

- حمزة النشري، دار المريخ، الرياض، الطبعة (١)، ١٩٧٩ م.
- البكري، أحمد ماهر، النحو العربي شواهده ومقدماته، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨ م.
- بكار، عبد الكريم، أثر القراءات السبع في تطور التفكير اللغوي، دمشق، دار القلم، ط (١) ١٤١١ هـ.
- بكر، محمد صلاح الدين، نظرة في قرينة الإعراب في الدراسات النحوية القديمة، حوليات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ١٩٨٤ م.
- بکوش، فاطمة الهاشمي، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط (١)، ٢٠٠٤ م.
- بلحبيب، رشيد، المنظومة اللغوية وتكامل المعرفة قراءات في الحدث اللغوي وأبعاده الدلالية والأسلوبية، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط (١) ٢٠٠٥ م.
- بلغعيد، صالح، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ١٩٩٥ م.
- البهنساوي، حسام ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- بوقرة، نعمان، الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج قراءة وصفية في صور التلقى ونماذج الصياغة، مجلة الدراسات الأدبية واللغوية، الجامعة الإسلامية بماليزيا، قسم اللغة العربية وأدابها، السنة الأولى، العدد (١)، ٢٠٠٩ م.
- بوقرة، نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- أبو تاكي ، سعود، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة (١)، ٢٠٠٥ م.
- ترزي، فؤاد حنا، في أصول اللغة والنحو، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت.
- الترمذى، محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح ، سنن. تحقيق: محمد

شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.

- تروبو، جيرار، نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (١)، مجلد (١) ١٩٧٨ م
- التميمي، جنان بنت عبد العزيز، الحدود النحوية في التراث كتاب التعريفات للجرجاني نموذجاً، بحث قدم استكمالاً لمتطلبات الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٨ هـ.
- التنقاري، صالح محجوب، موقف النحاة من القراءات دراسة تأصيلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم اللغة العربية وآدابها، العدد (١)، ٢٠٠٩ م، ص ١٠٢.
- توما، عبد الجبار، زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤ م.
- التوحيدى، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة ، صصحه وضبطه أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، دار محمد علي - تونس - صفاقس، ط (١)، ٢٠٠٣ م.
- الجابري، محمد عابد، التجديد في النحو بين ابن مضاء وابن رشد، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد (٤٩)، السنة ٢٢٠٠٢ م، ص ٥.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: علي أبو ملحم، دار مكتبة الملال، بيروت، ١٩٨٨ م.
- جاد الكريم، عبد الله أحمد، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب - القاهرة، ط (١)، ٢٠٠٤ م.
- الجاسم ، محمود ، القاعدة النحوية، دراسة نقدية تحليلية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠ م/١٤١٠ هـ.
- جالو، أحمد التيجاني، إشكالية المنهج في المصطلحات النحوية في القرنين الثاني والثالث المجرين، مجلة كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا، العدد ١٨ ، السنة

- جبل، محمد حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(٢)، ١٩٨٩ م
- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط (١)، ١٤٠٥ هـ.
- جمعة، خالد بن عبد الكريم، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٠ م.
- الجنابي، طارق عبد عون، ابن الحاجب النحوي آراؤه ومذهبه، دار التربية- بغداد، ١٩٧٤ م.
- الجندي، أحمد علم الدين، علامات الإعراب بين النظرية والتطبيق، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢)، ١٩٨٤ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان ، المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق: على النجدي ناصف وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر الطبعة(٢) ١٩٨٦ م .
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- الجواري، أحمد عبد الستار ، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، الطبعة(٢)، ١٩٨٤ م .
- الجواري، أحمد عبد الستار ، نحو الفعل، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤ م.
- الجواري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٤ م .
- الحاج صالح، عبد الرحمن، تأثير النظريات اللغوية العلمية المتبادل بين الشرق

والغرب إيجابياته وسلبياته، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٩٦ .

- حاطوم ، أحمد ، اللغة ليست عقلاً، من خلال اللسان العربي، بيروت، دار الفكر اللبناني، د.ت.
- الجباس، محمد ، مفهوم الفصاحة عند النحاة العرب القدماء والمحدثين، مجلة بجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٤)، الجزء (٤) .
- حدواة، عمر، المصطلح النحوي وأثره على النحاة المحدثين تمام حسان ومهدى المخزومي نمودجين، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير في الدراسات اللغوية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٥ م .
- الحديثي، خديجة، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، دار التهضة، بغداد، الطبعة (١)، ١٩٦٥ م .
- الحديثي ، خديجة ، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١ م .
- الحديثي: خديجة، موقف سيبويه من الضرورة، جامعة الكويت، الكويت، ٢٥٦ ١٩٨٧
- الحديثي، خديجة ، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .
- الحديثي، خديجة، دراسات في كتاب سيبويه، مطبعة جامعة الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٤ م .
- الحديثي، خديجة، كتاب سيبويه وشرحه، دار التضامن - بغداد، ط (١)، ١٩٦٧ م .
- الحديدي، إيناس كمال، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، دار الوفاء للدنيا الطباعة والنشر - الإسكندرية، ط (١)، ٢٠٠٦ م .
- حرب، علي، أصنام النظرية وأطياف الحرية نقد بوردي وتشومسكي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة (١)، ٢٠٠١ م .

- حرب، علي، الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة (١)، ١٩٩٨ م.
- ابن حزم الظاهري، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ت: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، الطبعة (١)، ١٩٨٢ م.
- حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩ م.
- حسان ، تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفيية، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٩٢ ، ١٤١٢ هـ .
- حسان ، تمام ، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥ م.
- حسان ، تمام ، أصول النحو وأصول النحوة، في: "مجلة المناهل" ، الرباط، ع٨، س٤ ، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ، مارس ١٩٧٧ م.
- حسان ، تمام ، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي - في: "مجلة اللسان العربي" الرباط، مج ١١، ج ١١، ج ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م.
- حسان ، تمام ، دراسة إستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٩١ م.
- حسان، تمام، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، سلسلة اللسانيات واللغة العربية(٤)، تونس، ١٩٧٨ م.
- حسان، تمام، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (١)، ١٩٩٣ م .
- حسان، تمام، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، الطبعة (١)، ٢٠٠٠ م .
- حسان، تمام، القرائن النحوية واطراح العامل والإعرابين التقديرية والمحلي، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، المملكة المغربية - الرباط، المجلد (١١)، الجزء (١)، ١٩٧٩ م، ص ٤٧ .
- حسان، تمام، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (٤)، العدد (٣)،

١٩٨٤ م.

- حسانين، عفاف، في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، الطبعة (١)، ١٩٩٦ م.
- حسن، عباس، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعرف، مصر، بدون تاريخ.
- حسن، عباس، النحو الوافي ، دار المعرف، القاهرة، ط (٩)، ١٩٨٧ م.
- حسن، عباس، رأي في بعض الأصول، دار المعرف، القاهرة، ط (٢)، ١٩٧١ م.
- الحسين، عبد الله بن حمد، تيسير النحو عند عباس حسن في كتابه النحو الوافي دراسة وتقديم، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٣١ هـ.
- حسين، محمد الخضر، دراسات في العربية وتاريخها، مكتبة دار الفتح، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.
- حسين، محمد كامل ، أصول علوم اللغة، مجمع اللغة العربية، مجموعة البحوث والمحاضرات، الدورة ٢٦ ، ١٩٦٠ م.
- حسين، محمد محمد، حضوننا مهددة من داخلها، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة (٦).
- الحلواني، محمد خير ، أصول النحو العربي، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩ م.
- الحلواني، محمد خير ، نظرة في كتاب الأصول لتمام حسان، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، العدد ٢٣ ، السنة ٩ ، مارس ١٩٨٢ م.
- الحلواني، محمد خير، الخلاف النحوي بين البصريين والковفيين وكتاب الإنصاف، دمشق - دار القلم، حلب - دار الأصمعي، د.ت.
- حليم، لطيفة، التيار البراغماتي، الكويت في: "مجلة عالم الفكر"، أبريل، مايو، ١٩٨٦ م.
- حمادي، محمد ضاري، الحديث الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، الطبعة الأولى، ٢١٤٠ هـ / ١٩٨٢ م.
- الحمد، علي توفيق، قراءة في مصطلح سيبويه، مجلة العلوم اللغوية، القاهرة مجلد

٢٠٠٦م (٩)

- الحمزاوي، علاء، موقف شوقي ضيف من الدرس النحوی دراسة في المنهج والتطبيق ، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، ٤٢٠٠م.
- حمودة، عبد الوهاب، القرآن واللهجات ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء ، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٣م.
- حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة (١)، ١٩٩٧م.
- خاطر، سليمان يوسف، منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم وتوجيه قراءاته وما نجد بعض المحدثين عليه دراسة نقدية تحليلية نحوية وصرفية ، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، الطبعة (١)، ٢٠٠٨م.
- الخالدي، كريم حسين، مناهج التأليف النحوی ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٧م.
- ابن حاليه، الحسين بن أحمد، مختصر في شواد القرآن من كتاب البديع ، عني بنشره: ج. برجشتراسر، دار المجرة، ١٩٣٤م.
- الخثران، عبد الله بن حمد، مراحل تطور الدرس النحوی ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- الخثران، عبد الله بن حمد، مصطلحات النحو الكوفي دراستها وتحديد مدلولاتها ، هجر للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
- خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، عالم المعرفة، الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٩م.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون ، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- خليل، حلمي، العربية وعلم اللغة البنوي ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية،

١٩٨٨ م.

- الخوارزمي، محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة (٢)، ١٩٨٩ م.
- الخوري، جرجس، العربية وتسهيل قواعدها، مجلة المقتطف، المجلد (٢٩)، ١٩٠٤ م.
- الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، مصر، دار المعرفة، ١٩٦١ م.
- الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة (١)، ١٩٨١ م.
- الدالي ، محمد أحمد ، مقالة في نقد كتاب(الكافاف) للصيداوي، بعنوان: "جزاف الكفاف نظرة في كتاب الكفاف للصيداوي" ، نشرت أيضا في مجلة الدراسات اللغوية، المجلد (٢)، العدد (٣)، أكتوبر - ديسمبر ٢٠٠٠ م.
- الدجني، فتحي، النزعة المنطقية في النحو العربي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط (١) ١٩٨٢ م.
- الدجني، فتحي، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٤ م.
- درويش، شوكت عبد الرحمن، الرخصة النحوية، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ٤٢٠٠ م.
- دك الباب، جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني (نظريه الإمام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث)، مطبعة الجليل، دمشق، ط (١)، ١٩٨٠ م.
- الدماميني، بدر الدين، الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية، مكتبة بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البلقيني (٥٨٠٥هـ) دراسة وتحقيق: رياض بن حسن الخوام، عالم الكتب، بيروت، الطبعة (١) ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م.

- دمشقية، عفيف، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوی، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان الطبعة (١) ١٩٧٨ م.
- دمشقية، عفيف، تجديد النحو العربي، طرابلس، معهد الإنماء العربي، ١٩٨١ م.
- دمشقية، عفيف، خطى متعرة على طريق تجديد النحو العربي، دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٨٠ م.
- دمشقية، عفيف، المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، طرابلس، معهد الإنماء العربي، ط (١) ١٩٧٨ م.
- الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٩٦ م.
- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- الراجحي، عبده، دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥ م.
- الواشدي ، محمد ذنون ، الأسس النظرية في دراسة المصطلح النحوی. وهو بحث مستل من رسالته للماجستير: (مباحث المصطلح النحوی في شرح القطر)، جامعة الموصل، ١٩٩٦ م.
- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط (١) ١٩٩٧ م.
- الراوي، طه، نظارات في اللغة والنحو، بيروت، منشورات المكتبة الأهلية، ط (١) ١٩٩٢ م.
- الراوي، طه، نظرة في النحو، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد (١٤).
- الوشید، فاطمة عبد الله، علة الضرورة الشعرية عند سبويه، بحث في فعاليات مؤتمر (سبويه إمام العربية) المنعقد بدار العلوم - القاهرة، ١٤٣١ هـ .
- رفيدة، إبراهيم عبد الله، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع

والإعلام، طرابلس، ١٩٩٠ م.

- الرمالی، ممدوح عبد الرحمن ، العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، ١٩٩٦ م، دار المعرفة الجامعية .
- Zahed، زهير غازي، الإعراب وحركاته في العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد(٧٩)، الجزء(٤)، ص ٧١٥ .
- Zahed، زهير غازي، في التفكير النحوي عند العرب. بيروت عالم الكتب، ط(١) ٦٤٠٦ هـ
- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة(٢)، د.ت .
- الزبيدي، سعيد جاسم، مصطلحات ليست كوفية، دار أسماء للنشر والتوزيع- عمان، ١٩٨٨ م.
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، ط(٦)، ١٤١٦ هـ .
- الزرکشی، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط(٢) ١٩٧٢ م.
- زکریا ، میشال ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٣ م.
- زکریا ، میشال ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: النظرية الألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة(٢)، ١٩٨٦ م.
- زکریا، میشال ، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط (٢)، ١٩٨٥ م.
- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، الكشاف ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت .
- زهران، البدراوي، مقدمة في علوم اللغة، القاهرة، دار المعارف ط(٢)، ١٩٩٠ م.
- الزهراوي ، أحمد ، اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين دراسة وتقديم، مكتبة

الرشد، ط(١)، ٢٠٠٧ م.

- أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، دار الفكر العربي، مصر، بدون تاريخ.
- السافي، فاضل، أقسام الكلام من حيث الشكل والوظيفة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧ م.
- السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط(٤) ١٤٠٦هـ/١٩٨٦ م.
- السامرائي، إبراهيم، رحلة في المعجم التاريخي، عالم الكتب، القاهرة، ط(١)، ١٩٩٩ م.
- السامرائي، إبراهيم، النحو العربي نقد وبناء، دار الصادق، بيروت، ١٩٦٨ م.
- السامرائي، إبراهيم، العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨٢ م.
- السامرائي، إبراهيم، مباحث لغوية، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١ م.
- السامرائي، إبراهيم، هل من نحو جديد؟، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المجلد(٣)، العدد(١)، ذو القعدة ٤١٤٠هـ/أغسطس ١٩٨٤ م.
- السامرائي، فاضل صالح، ابن حني النحوي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٩ م.
- السامرائي، فاضل صالح، أقسام المفعول المطلق بين النحاة وكلام العرب، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد(١٠)، ١٩٨٤ م، ص ٨١.
- السامرائي، فاضل صالح، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧١ م.
- سبع، توفيق محمد، أثر الفكر الفلسفـي في الدراسـات النـحوـية، مجلـة كلـية اللغة العـربـية، جـامـعـة الإمامـ محمدـ بنـ سـعـودـ الإـسـلامـيـةـ، العـدـدـ (٨)، ١٣٩٨هـ، ص ١٨٥.

- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ)، الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلى، بيروت. مؤسسة الرسالة، ط(٢)، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.
- السراقبى، وليد، مظاهر التعليل النحوي في كتاب التذليل والتكميل، مجلة التراث العربي، مجلة تصدر من اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد (٨٦-٨٧)، أغسطس ٢٠٠٢ م.
- السعراي، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- أبو السعود، صابر بكر، في نقد النحو العربي، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٨ م.
- أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه الزيني ومحمد خفاجي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٥ م.
- سعيد، عبد الوارث مبروك، في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية، الكويت، دار القلم، ط(١) ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- سعيد، نفوسه زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المدى، الطبعة (٢)، ١٩٨٠ م.
- السكاكى، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ت: أكرم يوسف عثمان، مطبعة الرسالة - بغداد، الطبعة (١).
- سليمان، عدنان محمد، الاستقراء في النحو، مجلة الجمع العلمي العراقي، جزء (٣) مجلد (٣٥)، شوال ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٤٧-١٥٥.
- السلمي، رفيع غازي، قراءة في تجديد النحو (كتاب دراسات نقدية في النحو العربي لعبد الرحمن محمد أيوب أنموذجاً)، ورقة مشاركة في المؤتمر الدولي للغة العربية الذي عقد بقسم اللغة العربية في جامعة الأزهر الإندونيسية، جاكرتا، في الفترة بين ١٣-١٤٣١ هـ / شعبان ١٤٠٤ هـ.
- سلوم، تامر، نظرية اللغة و الجمال في النقد الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط(١)، ١٩٨٣ م.

- السوبح، محمد عاشور، القياس النحوی بين مدرستي البصرة والکوفة ، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازی، الطبعة (١) ١٩٨٦ م .
- سيبویه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت الطبعة (٣) ١٩٨٣ هـ ١٤٠٣ م .
- السيد الشرقاوی، معاجم غریب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث الشريف، مکتبة الحانجی، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠١ م .
- السيد، عبد الحمید، التراکیب النحویة من الوجهة التداولیة، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، المجلد (٦)، العدد (٢)، ٢٠٠١ .
- السيد، عبد الرحمن، مدرسة البصرة النحویة، نشأتها وتطورها، دار المعرف، مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ .
- السیرافي، أبو سعید ، أخبار النحوین البصريین، تحقيق: طه الزینی و محمد خفاجی، مکتبة مصطفی البابی الحلی، ط (١)، ١٩٥٥ م .
- السيوطی ، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البحاوي، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة .
- السيوطی، جلال الدين عبد الرحمن، هم الموامع في شرح جمع الجوامع، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة (١) .
- السيوطی، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المکتبة العصریة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م .
- السيوطی، جلال الدين عبد الرحمن، الاقتراح في أصول النحو وجدله، دراسة وتحقيق: محمود فجال، مطبعة الشغر، ١٩٨٩ م .
- السيوطی، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويین والنحاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المکتبة العصریة، ط (٢)، ١٩٧٩ م .
- الشاعر، حسن موسى، النحاة والحديث النبوی، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

- شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٦م، ط(٢).
- شاهين، عبد الصبور، المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، مجلة كلية الآداب وال التربية - جامعة الكويت، العدد(٣)، السنة: ١٩٧٣م.
- شاهين، يوسف محمود محمد يونس، محاولات التجديد في النحو: اتجاهات، وتفسيرها، ونتائج، رسالة علمية قدمت للحصول على درجة الماجستير في اللغة والنحو، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٩م.
- شرف الدين، محمود عبد السلام ، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة دراسة تفسيرية، دار مرجان للطباعة، القاهرة، الطبعة(١)، ١٩٨٤م
- الشريف، حسن، تبسيط قواعد اللغة العربية، نشر في مجلة الملال المجلد (٤٦)، أغسطس عام ١٩٣٨م، ص ١١٠٩.
- الشريف، محمد صلاح الدين، أثر الألسنية في تحديد التراث اللغوي، تونس، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، سلسلة اللسانيات - ٤ - ديسمبر ١٩٧٨م.
- الشريف، محمد صلاح الدين، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب د. تمام حسان: (اللغة العربية معناها ومبناها)، حلويات الجامعة التونسية، العدد(١٧)، ١٩٧٩م.
- شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي حياته ومكانته وأثره في القراءات والنحو، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
- الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواء، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، الطبعة(٢)، ١٩٨٢.
- شمس الدين، جلال، التعليق النحوي عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٩٤م.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أو حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة(١).
- صاري، محمد، قراءة في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، المجلة الأردنية في اللغة

- العربية وآدابها، المجلد (٤)، العدد (٤)، شوال ١٤٢٩ هـ.
- الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، بيروت، دار العلم للملاتين، ط (١٠) ١٩٨٣ م.
 - صالح، عبد الرحمن الحاج، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ٢٠٠٨ م.
 - الصعيدي، عبد المتعال، النحو الجديد، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧ م.
 - الصيداوي، يوسف، الكفاف كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة (١)، ١٩٩٩ م.
 - الصيداوي، يوسف، جزاف الجذاف، مقالة نشرت في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، المجلد (٣)، العدد (٢)، يوليوا - سبتمبر ٢٠٠١ م، ص ٢٢٥.
 - الضامن، حاتم، الاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، دبي، الطبعة (١)، ٢٠٠٢ م.
 - ضيف ، شوقي ، تجديد النحو ، القاهرة ، دار المعرف ، ط (٢) ، د.ت.
 - ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعرف، مصر، ط (٧)، بدون تاريخ.
 - طلب، عبد الحميد السيد، تاريخ النحو وأصوله، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٧٦ م.
 - طلس، أسعد، أبو الفتح ابن جني، مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد (٢٥)، العدد (١)، ١٩٥٠ م.
 - الطويل، السيد رزق، الخلاف بين النحوين دراسة، تحليل، تقويم، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية، ط (١)، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
 - ابن الطيب الفاسي ، أبو عبدالله محمد ، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح ، ت: محمود فحال ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، الطبعة (٢) ، ٢٠٠٢ .
 - ابن الطيب الفاسي ، أبو عبد الله محمد ، تحرير الرواية في تقرير الكفاية ، تحقيق:

- الدكتور/علي الباب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة (١) ١٩٨٣ م.
- ظفر، جميل أحمد، النحو القرآني، قواعد وشواهد، مكة، مطبع الصفا، ط (١) ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
 - عابدين، عبد المجيد، المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٥١ م.
 - عابنة، يحيى، مكانة الخليل بن أحمد الفراهيدي في النحو، دار الفكر، ط (١)، ١٩٨٤ م.
 - عبادة، محمد إبراهيم، عصور الاحتجاج في النحو العربي، دار المعرف، القاهرة، ١٩٨٠ م.
 - عبادة، محمد إبراهيم، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، منشأة المعرف، الإسكندرية، ١٩٨٤ م.
 - عبد التواب، رمضان، أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والعشرون، ١٩٧٤ م.
 - عبد التواب، رمضان، أصول فقه العبرية، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط (٢) ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.
 - عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللغة العربية قرائته وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤ م.
 - عبد الحميد، ليث أسعد، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة (١)، ٢٠٠٦ م.
 - عبد الدايم، محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، مصر، ط (١)، ٢٠٠٦ م.
 - عبد الراضي، أحمد محمد، إحياء النحو والواقع اللغوي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧ م.
 - عبد الرحمن، ممدوح، العربة والفكر النحوي دراسة في تكامل العناصر وشمول النظرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩ م.

- عبد العزيز، محمد حسن، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، الطبعة (١)، ١٩٩٥ م.
- عبد الغني، أحمد عبد العظيم، القاعدة النحوية دراسة نقدية تحليلية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- عبد الغني، أحمد عبد العظيم، المصطلح النحوي دراسة نقدية تحليلية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- عبد الكريم، جمعان، التطور الإبستمولوجي للخطاب اللساني غموض الأوليات، دار الفارابي - لبنان، ٢٠٠٩ م.
- عبد اللطيف، محمد حماسة، الضرورة الشعرية في النحو العربي، دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٠ م.
- أبو عبد الله، عبد العزيز عبد، المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، طرابلس، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطبع، ط (١) ١٣٩١ هـ / ١٩٨٢ م.
- عبد الله، إبراهيم محمد، نظارات في كتاب معاني القرآن للفراء، مجلة بجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد (٧٨)، جزء (٢).
- عبد، داود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٣ م.
- العبودي، حيدر محمد جعفر، الدراسات اللغوية عند عبد الرحمن أبوب، رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٥ م.
- عبوش، عبدالفتاح محمد، حقيقة رأي البصريين والковفيين في الاستشهاد بالقراءات القرآنية على قواعدهم النحوية، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد (٨٠)، يناير - مارس ٢٠٠٦ م.
- العبيدي، رشيد وآخرون، تاريخ العربية، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، د.ت.

- العبيدي، شعبان، النحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٨٩ م.
- عثمان، رياض، المصطلح النحوي وأصل الدلالة دراسة إبستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١) .
- العجمي، خالد بن عبد الرحمن، الشواهد النثرية في الكتاب لسيويه، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤١٥ هـ.
- عرفة، محمد أحمد، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣٧ م.
- ابن عصفور الإشبيلي، المقرب، ت: عادل عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٨ م.
- عصيدة، فادي صقر، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، ٢٠٠٦ م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، أبو العباس والمبرد وأثره في علوم العربية، مكتبة الرشد، الرياض، بدون تاريخ .
- عضيمة، محمد عبد الخالق، النحو بين التجديد والتقليل، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٦)، ١٩٧٦ م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة. بدون تاريخ .
- عطا الله، قاسم كتاب: الشاهد الشعري الشاذ في كتب النحو حتى نهاية القرن الخامس المجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠١ م

- العطية، أحمد مطر ، منهج النحويين القدامى في الميزان، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد (١٠)، العدد (٣) .
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة (٦)، ١٩٧٤ م.
- العقيلي، حسين علي، الدراسات النحوية عند إبراهيم السامرائي، بحث لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٤ م.
- علقم، حسن عبد الرحمن، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسى، دار البشير، عمان، الطبعة (١)، ١٩٨٨ م.
- علوى، حافظ إسماعيلي، التداویات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الطبعة (١)، ٢٠١١ م.
- علوى، حافظ إسماعيلي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقى وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط (١)، ٢٠٠٩ م.
- العلوى، شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م.
- علي، محمد محمد يونس، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركبة: دراسة حول المعنى وظلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٩٣ م.
- علي، محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م.
- عمایرة، حلیمة، الاتجاهات النحویة لدى القدماء دراسة تحلیلیة في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٦ م.
- عمایرة ، خلیل احمد ، في نحو اللغة وتركيبها، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤ م.
- عمایرة، خلیل احمد ، المسافة بين التنظير النحوی والتطبيق اللغوي، دار وائل

- للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٤ م.
- عمایرة، خلیل أحمد ، في التحلیل اللغوی، منهج وصفی تحلیلی، الزرقاء، مکتبة المنار ط (١) ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
 - عمایرة، خلیل أحمد، آراء في الضمیر الغائب ولغة أکلؤنی البراغیث، دار البشیر، عّمان، الطبعة (١)، ١٩٨٩ م.
 - عمایرة، خلیل أحمد، في التحلیل اللغوی منهج وصفی تحلیلی وتطبیقه على التوکید اللغوی، والنفی اللغوی، وأسلوب الاستفهام، مکتبة المنار، الأردن - الزرقاء، الطبعة (١) .
 - عمر، أحمد مختار، البحث اللغوی عند العرب ، عالم الکتب، القاهرة الطبعة (٤)، ١٩٨٢ م.
 - عواد، محمد حسن، قراءة في کتاب نظرية النحو القرآني للدكتور أحمد مکي الأنصاري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الجلد (٧)، العدد (١/أ).
 - عون، حسن ، تطور الدرس النحوی، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، عون، حسن ، تطور الدرس النحوی، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠ م.
 - عون، حسن، اللغة والنحو دراسات تاریخیة وتحلیلیة ومقارنة، مطبعة رویال، الطبعة (١)، ١٩٥٢ م.
 - عید ، محمد ، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، القاهرة، عالم الکتب ط (٣) ١٩٨٨ م.
 - عید ، محمد ، قضایا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، القاهرة، عالم الکتب، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
 - عید ، محمد ، من قضایا اللغة والنحو، القاهرة، عالم الکتب، ١٩٧٤ م.
 - عید، محمد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الکتب، القاهرة، ط (٥)، ١٩٩٧ م.
 - عید، محمد، في اللغة ودراساتها، عالم الکتب، القاهرة، ١٩٧٤ م.
 - عیساني، عبد المجید، ملامح المدرسة الحدیثة في النحو العربي، مجلہ الأثر، کلیة

الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة، الجزائر، العدد (٧)، مايو ٢٠٠٨ م.

- العيساوي، يوسف، القياس اللغوي، مجلة اللسان العربي، مجلد (١٤)، الجزء (١).
- الغامدي، محمد سعيد، قضية نشأة النحو في آثار الدارسين عرض ونقد، مجلة الدراسات العربية لكلية دار العلوم، جامعة المنيا، العدد (٢٢)، يونيو ٢٠١٠ م.
- غلغان، مصطفى، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدноي، مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، الطبعة (١)، ٢٠١٠ م.
- غلغان، مصطفى، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، بيروت، الطبعة (١)، ٢٠١٠ م.
- الغوث، مختار، لغة قريش، دار المراجع الدولية للنشر، الطبعة (١)، ١٩٩٧ م.
- فاخر، علي محمد، تغيير النحوين للشواهد، دار الطباعة الحمدية، القاهرة، الطبعة (١)، ١٩٩٦ م.
- الفارابي، أبو نصر، الحروف، حققه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط (٢)، ١٩٩٠ م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنت العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة (١)، ١٩٩٧ م.
- الفارسي، أبو علي، الإيضاح العضدي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، دار العلوم، ط (٢)، ١٩٨٨ م.
- فتحي، محمد، في الفكر اللغوي، القاهرة، دار الفكر العربي، ط (١) ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م.
- فجال، محمود، الحديث النبوي في النحو العربي، دراسة مستفيضة لظاهرة الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو العربي، أنها، نادي أبحاث الأدب، ط (١) ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

- فجال، محمود، السير الحيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، نادي أبها الأدبي، الطبعة (١)، ١٤٠٧ هـ.
- أبو الفرج، محمد أحمد، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٦٦ م.
- ابن الفرخان، كمال الدين علي بن مسعود، المستوفى في النحو، حقيقه وقدم له وعلق عليه: محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧ م
- الفريح، علي ، السماع اللغوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠ م.
- فريحة، أنيس ، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، دار النهار للنشر، الطبعة (١)، ١٩٦٦ م.
- فريحة، أنيس ، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط (٢)، ١٩٨١ م.
- الفضلی، عبد الهاדי، دراسات في الفعل، دار القلم، بيروت، ط (١)، ١٩٨٢ م.
- الفضلی، عبد الهاדי، دراسات في الإعراب، دار القلم، بيروت، الطبعة (٣)، ١٩٨٥ م.
- فك، يوهان ، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة، عبد الحليم النجار، القاهرة، مكتبة المخانجي، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- فلش، هنري، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق/ عبد الصبور شاهين، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط (١) ١٩٦٦ م.
- الفهري، عبد القادر الفاسي ، البناء الموزاري، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، الدار البيضاء، دار توبقال لنشر ط (١)، ١٩٩٠ م.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات ولغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت - باريس، الطبعة (١)، ١٩٨٦ م.
- قاسم، حسام أحمد ، الأسس المنهجية للنحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط (١)، ٢٠٠٧ م.

- قاسم، محمد عبد الله، الأصول النحوية والصرفية في الحجة لأبي علي الفارسي، دار البشائر للنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨ م
- قباوة ، فخر الدين ، مشكلة العامل النحوي، ونظرية الاقتضاء ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢ م .
- قباوة، فخر الدين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (١) ١٣٩٨هـ / ١٩٧٢ م .
- قباوة، فخر الدين، توظيف الحديث النبوي الشريف في البحث النحوي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٨٣)، الجزء (٣)، ص ٥٠٧ .
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، ت: الشيخ/أحمد شاكر، دار المعارف، الطبعة (٢) .
- القرطبي، ابن مضاء (ت ٥٥٩هـ)، الرد على النحاة، تحقيق، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط (٣)، ١٩٨٢ م.
- الفراز، عبد الجبار جعفر، الدراسات اللغوية في العراق في النصف الأول من القرن العشرين، كلية الآداب، جامعة بغداد، شوال ١٣٩٩هـ.
- القوري، عوض، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث المجري، جامعة الرياض - الرياض، الطبعة (١)، ١٩٨١ م .
- كاظم، إبراهيم كاظم، النحو الكوفي (مباحث في معاني القرآن للفراء)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .
- كاظم، عبد الهادي ، الشاهد الشعري النحوي عند الفراء في كتابه: معاني القرآن دراسة نحوية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٥ م .
- الكسار، محمد، المفتاح لتعريب النحو، المكتب العربي للإعلان، دمشق، ١٩٧٦ م.
- ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان، ثلاث رسائل في اللغة، ت: محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة (١)، ١٩٩٣ م

- الكنغراوي، صدر الدين، الموي في النحو الكوفي، شرح محمد بمحجة البيطار، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي .
- اللبدى، محمد سمير، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، دار الكتب الثقافية الكويت، الطبعة(١) ١٣٩٨/١٩٧٨ .
- ليونز، جون، نظرية تشومسكي اللغوية، تحقيق: حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م .
- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد، مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
- ابن مالك، شرح شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار العروبة، د.ت.
- المالكي، مطير بن حسين ، موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، كلية اللغة العربية وأدابها، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، ص ٢٦ وما بعدها.
- المبارك، مازن ، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥ م .
- المبارك، مازن ، النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر، سوريا، ط(٣) ١٩٨١ م .
- مباركة، مأمون تيسير ، الشاهد الشعري في معجم الصحاح للجوهري، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥ م .
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة، ط(٣)، ١٩٩٥ م .
- المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة(١)، ١٩٨٥ م .

- المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥ م.
- مجدوب، عز الدين، المنوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية، الطبعة (١)، ١٩٩٨ م.
- محسب، محيي الدين ، الثقافة المنطقية في النحو العربي نهاة القرن الرابع المجري نموذجا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة (١)، ٢٠٠٧ م.
- محمد حماسة عبد اللطيف، العالمة الإعرابية في الجملة بين القدسم والحديث، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٣ م.
- محمود ، مغالسة ، نفي كتاب مقدمة في النحو عن خلف الأحمر، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٧)، العددان (٢٧-٢٨)، ١٩٩١ م.
- محمود حسن، القاعدة النحوية تحليل ونقد، دار الفكر، ط (١)، ٢٠٠٧ م.
- محمود، محمود حسني، احتجاج النحويين بالحديث النبوي، مجلة مجمع اللغة الأردنية، السنة ٣، العدد ٣، ٤، ص ٤٢، ٤٣.
- المختار ديرة، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، دار قتبة - طرابلس.
- المخزومي مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط (٢) ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨ م.
- المخزومي، مهدي ، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، بيروت، دار الرائد العربي، ط (٢) ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.
- المخزومي، مهدي ، في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط (٢) ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م.
- المخزومي، مهدي ، مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد

العربي، بيروت، الطبعة(٢)، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

- المخالفي، فؤاد مهيب، ألقاب المعمولات في كتاب سيبويه، دراسة في المصطلح النحوي، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، كلية الآداب، جامعة حضرة مسؤول للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٠ م.
- مذكر، إبراهيم، في اللغة والأدب، دار المعرفة بمصر، ١٩٧١ م.
- مذكر، عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- مرجان، نعيم، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مجلة جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٨)، العدد (١)، ٢٠٠٦ م.
- مزيد، إسماعيل نعيم، أبو حيان النحوي الأندلسي ومنهجه في كتابه ارتشاف الضرب من لسان العرب، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ١٣ - ١٤ السنة الرابعة، محرم و ربيع الأول، ٤٠٤ هـ .
- المزيني، حمزة بن قيلان ، قضية الاحتجاج للنحو واللغة، مجلة جامعة الملك سعود بالرياض، المجلد (١٠)، ١٩٩٨ م.
- المسدي، عبد السلام، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة (١) .
- مصطفى، إبراهيم ومؤلفون آخرون، تحرير النحو، دار المعرفة، مصر، ١٩٥٨ م .
- مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط (٢) ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- مطلوب، أحمد، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، الناشر: وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة (١)، ١٩٧٣ م.
- أبو المكارم، علي: تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥ م .
- أبو المكارم، علي، مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ م

- أبو المكارم، علي ، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧ م.
- مكرم، عبد العال سالم ، القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة (٣) ١٤١٧ هـ.
- مكرم، عبد العال سالم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المطبعة العصرية، الكويت. الطبعة (٢)، ١٩٧٨ م.
- الملح، حسن خميس، التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء- التحليل - التفسير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٢ م.
- الملح، حسن خميس، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحديثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة (١)، ٢٠٠٢ م.
- المهيري، عبد القادر، نظرات في التراث اللغوي العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط (١)، ١٩٩٣ م.
- موسى، عطا محمد ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، دار الإسراء، عمان، الأردن، الطبعة (١)، ٢٠٠٢ م.
- الموسى، نهاد، في تاريخ العربية، أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٧٦ م.
- موعد، محمد، الاحتجاج بالشاهد المصنوع(نظارات في بعض الشواهد)، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٠)، العدد (٤+٣)، ٢٠٠٤ م.
- ميهوبي، وداد الجملة بين النحو العربي واللسانيات الحديثة مفهومها وبنيتها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٠٩ م.
- ناصف، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة (٢)، د.ت.
- ناصف، علي النجدي، من قضايا اللغة والنحو، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧ م.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف، تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي

- فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة (١)، ٢٠٠٧ م.
- نامي، خليل، دراسات في اللغة العربية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤ م.
 - النایلة، عبد الجبار علوان ، ظاهرة تحطئة النحويين للفصحاء والقراء، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد (٣٧)، جمادى الآخرة ، آذار، ١٩٨٦ م.
 - النایلة، عبد الجبار علوان، الشواهد والاستشهاد في النحو، بغداد، مطبعة الزهراء، ط (١)، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م.
 - السجار، لطيفة إبراهيم ، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة جامعة الملك سعود – الآداب - مجلد (١٧)، ٢٠٠٤ م.
 - النجدي ناصف، علي، سيبويه إمام النحو، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة (٢) ١٩٧٩ م.
 - النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، ت: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة (٢)، ١٩٨٥ م.
 - النحاس، مصطفى ، مستوى الأداء وأثره في البحث النحوي، مجلة الحصاد، تصدر عن قسمي اللغة العربية واللغة الإنجليزية بجامعة الكويت، العدد (١) السنة الأولى، رمضان ١٤٠١ هـ / يوليو ١٩٨٠ م.
 - نحلة، محمود أحمد ، أصول النحو العربي، بيروت، دار العلوم العربية، ط (١)، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
 - نحلة، محمود أحمد ، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢ م.
 - نحلة، محمود أحمد ، الاسم والصفة في النحو العربي والدراسات الأوروبية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤ م.
 - نحلة، محمود أحمد ، علم المعاني، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة (١) ١٩٩٠ م.
 - نحلة، محمود أحمد ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- ابن النديم، محمد بن إسحاق ، الفهرست ، تعلق، إبراهيم رمضان، دار المعرفة،
بيروت الطبعة(٢) ١٩٩٧ م .
- النعمي، سليم ، اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير، مجلة الجمع العلمي العراقي،
المجلد(١٦)، ١٩٦٨ م .
- نهر، هادي، آراء حول إعادة وصف اللغة العربية ألسنياً، تونس، أشغال ندوة
اللسانيات واللغة العربية، سلسلة اللسانيات -٤ -، ديسمبر ١٩٧٨ م .
- ابن هشام، جمال الدين، شرح اللحمة البدري في علم اللغة العربية، تحقيق
الدكتور: هادي نهر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، بدون
تاريخ.
- هلال، عبد الغفار حامد، العربية خصائصها وسماتها، القاهرة، مطبعة الجبلاوي،
١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م .
- هلال، محمد غنيمي ، النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة ط(٣)،
١٩٦٤ م .
- الهلالي، هادي عطية، نظريّة الحروف العاملة، ومعناها وطبيعة استعمالها القرآني
بلاعنةً، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م .
- هنداوي، حسن، إثبات الأحكام النحوية بالأحاديث النبوية، مجلة مركز بحوث
ودراسات المدينة المنورة، العدد (٣٠)، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م .
- هنداوي، حسن، مناهج الصرفين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من المحرّة،
دار القلم، دمشق، الطبعة(١)، ١٩٨٩ م .
- هنري فليش ، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، ترجمة: عبد الصبور شاهين،
دار المشرق، بيروت، الطبعة(١)، ١٩٨٣ م .
- أبو الهيجاء، يس، منهجية الفراء في صياغة المصطلح النحوي واستخدامه في كتابه
"معاني القرآن" من خلال طائفة من المصطلحات النحوية، المجلة الأردنية في اللغة
العربية وآدابها، جامعة مؤتة، المجلد (٣)، العدد (١)، كانون الثاني ٢٠٠٧ .
- وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،

الطبعة(٩)، بدون تاريخ،

- الوعر، مازن، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دمشق، دار طлас للدراسات والترجمة والنشر، ط(١)، م ١٩٨٧.
- الوعر، مازن، قضایا أساسیة في علم اللسانیات الحديث، دار طлас، دمشق، الطبعه(١)، م ١٩٨٨.
- ولد أباه، محمد المختار، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعه(٢)، م ٢٠٠٨.
- الياسري، علي مزهر، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، لبنان - بيروت، الطبعه(١)، م ٢٠٠٣.
- الياسين، محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط(١)، م ١٩٨٠ / هـ ١٤٠٠.
- ياقوت، أحمد سليمان، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، م ١٩٩٤.
- يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملائين، الطبعه(١)، م ١٩٨٢.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة	٦
تمهيد: مفهوم النحو بين القدماء والمخاتين.....	١٤
المبحث الأول: مفهوم النحو عند النحاة المتقدمين	١٥
المبحث الثاني: مفهوم النحو عند المحدثين:.....	٢٧
الباب الأول: المأخذ.....	٣٥
الفصل الأول: المأخذ على الاستشهاد بالمادة اللغوية	٣٦
المبحث الأول: المأخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم والقراءات القرآنية....	٣٧
أولاً: المأخذ على موقف النحاة من القرآن الكريم.....	٣٧
ثانياً: المأخذ على موقف النحاة من القراءات القرآنية	٤٢
المبحث الثاني: المأخذ على موقف النحاة من الحديث الشريف	٥٧
أولاً: المأخذ على موقف النحاة المتقدمين.	٥٨
ثانياً: المأخذ على النحاة المتأخرين.....	٦٣
المبحث الثالث: مأخذ على موقف النحاة من كلام العرب شعره ونشره.	٧٤
الفصل الثاني.....	١٠٨
المبحث الأول: تحكيم النظر المنطقي والفكر الفلسفي:.....	١٠٩
المبحث الثاني: المأخذ على التصنيف.	١٤٤
المبحث الثالث: المأخذ على التعقيد.	١٧٢
المبحث الرابع: المأخذ على المصطلح النحوي:.....	١٨٨

الباب الثاني: الآثار ٢٠٧
مدخل: ٢٠٨
الفصل الأول: الآثار التنظيرية ٢١٢
المبحث الأول: محاولات انطلقت من منطلقات تراثية خالصة ٢١٣
المبحث الثاني: محاولات انطلقت من الفكر اللغوي الغربي الحديث ٢٥٧
المبحث الثالث: محاولات جمعت بين التراث والفكر اللغوي الحديث ٢٧٦
الفصل الثاني: الآثار التطبيقية: ٣٠٣
المبحث الأول: محاولات تطبيقية لأغراض تعليمية ٣٠٤
المبحث الثاني: محاولات تطبيقية لأغراض بحثية ٣١٩
الخاتمة ٣٣٣
المصادر والمراجع ٣٣٨
فهرس الموضوعات ٣٧٢

the Arabic grammar criticism and direction".

This research in its first chapter to monitor such defects on the old grammatical theory and follow them in the works of the modern researchers whatever their inclinations and attitudes and then to classify such defects according to the issues not to the authors to be controlled and unveiling the strong and weak aspects. The second chapter tries to explain how such opinions represented as a stimulus for the modern researchers on producing theories and alternative conceptions, some of them depend on pure traditional foundations and some depend on foundations from strange new linguistic approaches such as the descriptive approach, the generative transformational approach and others to deal with shortcomings and deficiencies and the related attempts of applying such theories to be valid to describe the Arabic language and interpreting its phenomena.

**Defects of modernists on the Arabic grammar
and its endoscopic and applied effects**

By: Mansour Abdulaziz AlGhofily

Abstract

The ancient Arabic grammatical theory continued strong, coherent and able to interpret the linguistic phenomena for about centuries. All attempts to deviate and criticize such theory were in vain.

In the modern era, many critics emerged for such old grammatical theory who dealt with specific aspects. Some called to reject such theory and replace it with another one. One of the most prominent calls is the call produced by Mr. Ebrahim Mustafa which participated widely in creating such critical current which later on developed after many of the modern Arab researchers who were concerned with grammar and language science got in touch with some modern theories emerged from the west. Such critics tried to criticize the old grammatical theory by comparing it with such theories as Ebrahim Anees, Abdulrahman Ayoub, Tamam Hassan and others did.

Some endoscopic attempts came later which were as a result of the nature of such chain of critical studies for this old grammatical theory. The purpose was to bridge the gap that they see or to replace it with another one as Dr. Tamam Hassan did when he called for producing the theory of factor suggesting the theory of : (combined evidences) instead. Some researchers transcended endoscopy to application as Dr. Mahdi AlMakhzomi did in his book entitled: "in the Arabic grammar rules and applying" which came as an application to his opinions which he contained in his book entitled; " in

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Higher Education

Qassim University

College of Arabic language and social studies

Department of Arabic Language and its literatures



Defects of modernists on the Arabic grammar and its endoscopic and applied effects

A thesis introduced to complete the requirements for obtaining the
degree of Master of Arts in Arabic Language

Major: Linguistics

Prepared by: Mansour Abdulaziz AlGhofily

University ID: 291900075

Supervised by: Dr. Ali Ebrahim AlSaud

Assistant professor in Qassim University

1433/2012